علم الإجتماع

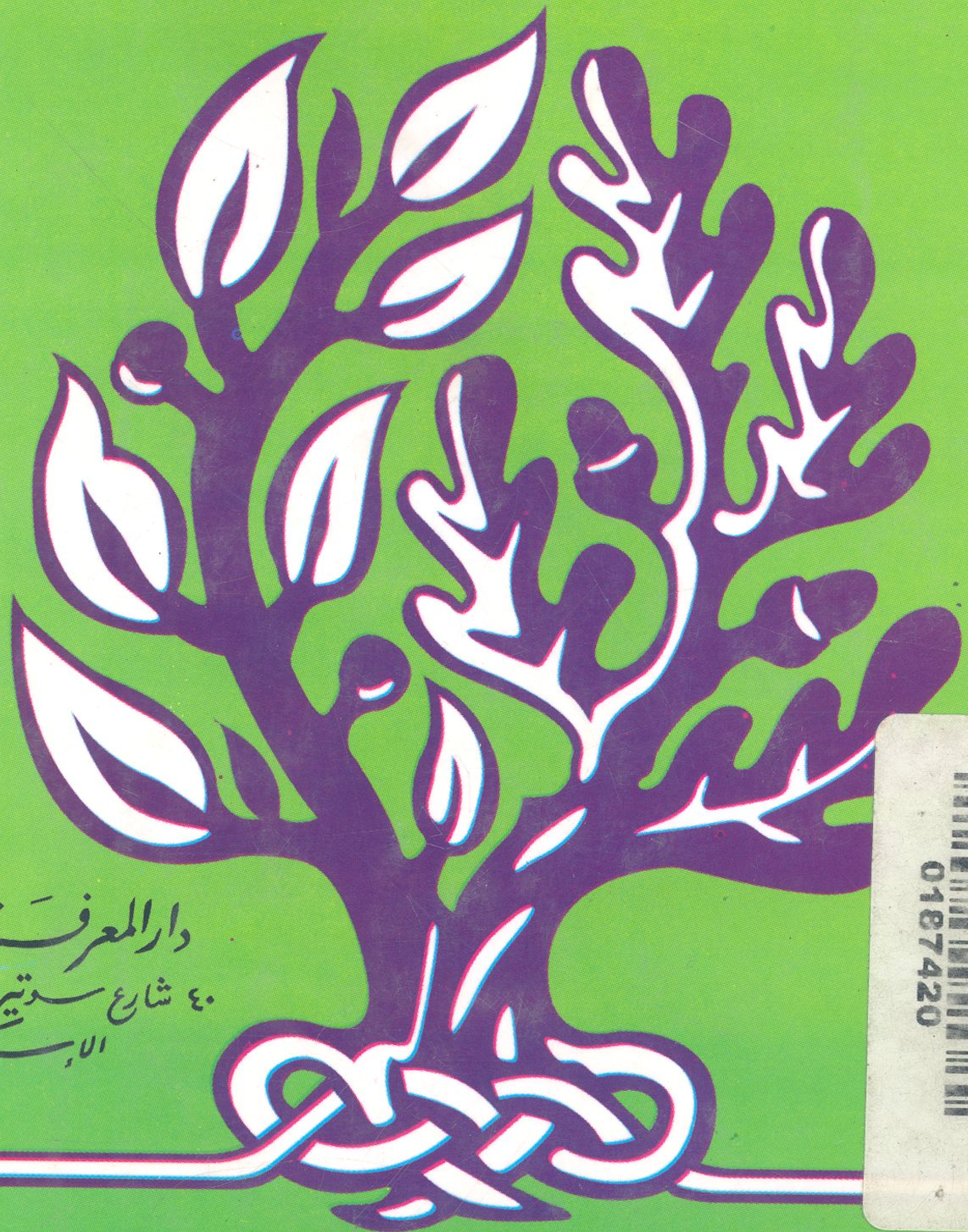
النشأة والتطور

الأستاذ الدكتور

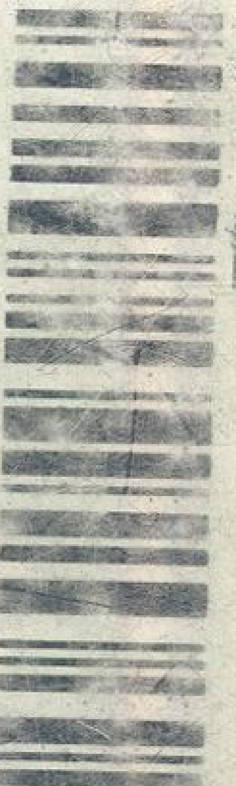
عبد الله محمد عبد الرحمن

أستاذ ورئيس قسم الإجتماع

جامعة بيروت العربية



دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
الإسكندرية



علم الاجتماع
النشــــأة والتطـــــور

الأستاذ الدكتور
عبدالله محمد عبدالرحمن
أستاذ ورئيس قسم الاجتماع
كلية الآداب
جامعة بيروت العربية

١٩٩٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير . الأزاريطة . ت ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس . الشاطبي - ٥٩٧٣١٤٦

اهـداء

إلى أسرتى الصغيرة

إلى من شاركونى بحبهم وتعاونهم وصبرهم

معى أثناء القيام بهذا العمل

مقدمـة الكـتاب

يعد كتابة مؤلفاً عن علم الاجتماع العام من الموضوعات الصعبة التى تواجـه كثيراً من الباحثين والمتخصصين فـى هذا العلم، بـالرغم مـن سـهولة القضايـا والموضوعات التى يتناولها الباحثين عندما يناقشون أو يحللـون هـذه الموضوعـات، والتـى ترتبط عموماً بمجال تخصصـاتهم العامـة فـى علـم الاجتمـاع. وتكمن هـذه الصعوبـة، عندمـا يحـاول البـاحث أن يكتـب فـى موضوعـات علـم الاجتمـاع العـام، ولاسيما تحتم عليه الضرورة أن يكتب ويناقش ويحلـل موضوعـات هـذا العلم بلغـة مبسطة تقدم للقـارئ العـادى أو المبتـدئ فـى علـم الاجتمـاع. تلك اللغـة أو طبيعـة المناقشة والتحليل، والتى تختلف عندما يهتم الباحث ذاته بكتابة مؤلف أو بحـث فـى مجال التخصص الدقيق، والتى تـلزم البـاحث أن يتنـاول موضوعاتـه وقضايـا بحثـه بصورة معقدة نسبياً يفهمها المتخصصين فقط فى هذا المجال، أو علـى الأقل الذيـن قطعوا شوطاً فى دراسة علم الاجتماع وفروعه المختلفة.

وانطلاقاً من ذلك، وحرص الباحث على أن يقدم خبرته فى مجالات وفـروع علم الاجتماع المختلفة، التى تزيد عن أكثر من خمسـة وعشـرين عامـاً، أهتم فيهـا الباحث بتناول نظريات وموضوعات ومناهج وقضايا ومشكلات هـذا العلـم، سـواء من الناحية النظرية السيوسيولوجية، أو من ناحية إجراء البحوث الميدانية التطبيقيـة المتنوعة. وسعى الباحث حالياً، لأن يتناول موضوعات علم الاجتماع العام بصـورة مبسطة، تساعد القارئ للتعرف على أهم هذه الموضوعات والمجالات، التى تنوعت وتعددت، ولاسيما فى السنوات الأخيرة. وأصبحت نوعاً من التراث السوسـيولوجى. الذى يسهم فى دراسة المجتمع الحديث، وفهم مشكلاته وقضايـاه التـى تزايـدت فـى السنوات الأخيرة.

علاوة على ذلك، حرص المؤلف على أن يقدم للقارئ العربى مجموعـة مـن الموضوعات والمجالات والقضايا، التى يهتم بهـا علمـاء الاجتمـاع حديثـاً، أو التـى تعتبر جزءاً من التراث العلمى والاكاديمى لعلم الاجتماع. كما جاء هذا الحرص فى تقديم خبرة الباحث العلمية والمهنية الاكاديمية، وتدريسـه لعلـم الاجتمـاع سـواء فـى مصر أو فى عدد من الدول العربية الأخرى الشقيقة لسنوات طويلة، وموضحاً كثير من نتـائج الدراسـات الميدانيـة (الامبريقيـة) التـى قـام بإجرائهـا، ومـدى ارتباطهـا بموضوعات علم الاجتماع من ناحية، وطبيعة المشكلات والظواهر الاجتماعية التى توجد فى المجتمع العربى والحياة الاجتماعية فى العالم النامى من ناحية أخرى.

ومن ثم، يمكن القول أن المتخصصين فى علم الاجتماع يستطيعون تقديم خبراتهم المهنية والعلمية والاكاديمية، ولاسيما أنهم متخصصون فى أحد العلوم الاجتماعية المتميزة، والتى تهتم بدراسة الحياة الاجتماعية المتغيرة والمعقدة، كما هى موجودة فى مجتمعنا الحديث. وأصبحت الحاجة ملحة وضرورية للاستفادة من نتائج الدراسات النظرية والميدانية السوسيولوجية، خاصة وأنها تعزز من عمليات فهم طبيعة هذه الحياة الاجتماعية المعقدة والتى تزداد تعقيداً بصورة مستمرة. كما أدت عملية تقييم التراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع وبلورة أهم نظرياته العامة، لتسهم فىتطوير وتحديث الإطار النظرى والتصورى للباحثين عند إجراء دراساتهم الميدانية، مستفيدين من طبيعة التقدم، الذى طرأ على نوعية المناهج وطرق البحث وأدوات جمع البيانات اللازمة لدراسة الواقع الاجتماعى المعقد.

فى نفس الوقت، يحرص علم الاجتماع والمتخصصين فيه منذ نشأته الأولى على دراسة المشكلات والظواهر والقضايا الاجتماعية التى ظهرت مع البدايات الأولى لنشأة المجتمع الصناعى الحديث. كما ازداد هذا الحرص خلال القرن الحالى (العشرين)، ليسهم علم الاجتماع وباحثيه فى تقديم العديد من النصح والإرشاد ووضع السياسات الاجتماعية للتخطيط، من أجل تنوير المجتمع الانسانى وتحديثه وتقدمه بصورة مستمرة. كما ينعكس هذا الاسهام من جانب علم الاجتماع إلمامه دائماً بطبيعة المشاكل الاجتماعية، وأسباب حدوثها وتفاقم نتائجها وظواهرها السلبية، على كل من الفرد والأسرة والمجتمع القومى والعالمى بصفة عامة. كما يعكس ذلك، طبيعة زيادة التخصص فى مجالات علم الاجتماع وفروعه المختلفة لتناول موضوعات ومجالات حديثة بصورة مستمرة، وتعزز من أساليب المعرفة الإنسانية، ودراسة طبيعة واقع الحياة الاجتماعية ونوعية العلاقات والسلوك والأنشطة المختلفة التى تحدث فى المجتمع الحديث.

حقيقة، ان طبيعة علم الاجتماع كعلم، يسعى للتعرف على الجديد فى مجالات تخصصه، ويهدف إلى الاستفادة من خبرات العلوم الطبيعية والاجتماعية فى نفس الوقت، والتى يبرهن على أهمية وجود نوع من التعاون العلمى والاكاديمى بين التخصصات المختلفة لعلوم المعرفة الإنسانية كلها سواء كانت طبيعية أم اجتماعية. كما يؤمن المتخصصين فى علم الاجتماع على ضرورة استخدام المدخل التعددى بين العلوم Multi-Discipliany Approach، للاستفادة من خبرات وتجارب وجهود المتخصصين فيها، وذلك من أجل تطوير الوسائل والامكانات العلمية المتخصصة لدراسة واقع الحياة الاجتماعية المعقدة. فى نفس الوقت، يسعى علماء

الاجتماع إلى استخدام ما يعرف بالدراسة المقارنة Comparative Studies، أو الدراسات البينية (المتداخلة بين العلوم الإنسانية)، وذلك من أجل التعرف على طبيعة اختلاف وتماثل وتشابه الظواهر الاجتماعية والمشكلات التى تواجه العديد من المجتمعات الحديثة.

وفى ضوء ذلك، هدف المؤلف إلى تقديم للقارئ موضوعات هذا العلم (علم الاجتماع) والذى يشتمل على طبيعة النشأة التطورية لعلم الاجتماع وعوامل ظهوره، وتعريفه ومجالاته وعلاقاته مع العلوم الطبيعية والاجتماعية، كما يركز أيضاً على تناول النظريات السوسيولوجية ونوعية المناهج وطرق البحث الاجتماعى. علاوة على اهتمام المؤلف، بتناول قضايا هامة أخرى مثل الثقافة، والمجتمع والفرد والتنظيم الاجتماعى والعلاقات والعمليات الاجتماعية. كما يعالج هذا الكتاب أهم النظم الاجتماعية مثل النظام الأسرى أو العائلى، والنظام الاقتصادى، والسياسى، والتعليمى. هذا بالاضافة إلى، إهتمامه بتناول قضايا سوسيولوجية هامة أخرى ومتنوعة مثل، التغير والتخطيط والسياسة الاجتماعية، التى لا تزال تشغل اهتمامات كل من الفرد العادى والمتخصص عموماً فى مجالات العلوم الاجتماعية والطبيعية المختلفة.

وأخيراً، أتوجه بالشكر إلى الأستاذ/ رفيق هلال صاحب مركز هلال للطباعة، وإلى الأستاذ/ هانى خميس عبده المعيد بقسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية لمراجعته طباعة هذا الكتاب؛ وأتقدم بالشكر إلى الأخ الصديق الحاج/ صابر عبد الكريم صاحب دار المعرفة الجامعية لنشر هذا الكتاب. كما أتمنى أن أكون قد وفقت بإذن الله فى عرض موضوعات هذا الكتاب، ليسهم فى تبسيط علم الاجتماع للقارئ العربى، ويضيف ثمرة علمية إلى المكتبة العربية، ويمهد السبيل إلى زيادة الجهود العلمية المختلفة فى هذا المجال، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق لعباده المخلصين.

المؤلف
د/ عبد الله محمد عبد الرحمن
أبوتلات ـ الساحل الشمالى
الاسكندرية
صيف عام ١٩٩٨

الباب الأول
علم الاجتماع
نشأته وتعريفه وعلاقته بالعلوم الأخرى

الفصل الأول : النشأة التطورية لعلم الاجتماع وعوامل ظهوره

الفصل الثانى : تعريف علم الاجتماع وأهميته وموضوعه ومجالاته

الفصل الثالث : علاقة علم الاجتماع بالعلوم الطبيعية والاجتماعية الأخرى

الفصل الأول
النشأة التطورية لعلم الاجتماع
وعوامل ظهوره

* مقدمة :

أولاً : طبيعة التفكير الاجتماعى قبل ظهور علم الاجتماع.
١- العصور القديمة.
٢- العصور الوسطى.
(أ) العصور المسيحية.
(ب) العصور الاسلامية.
٣- عصور الاصلاح والتنوير.

ثانياً : البدايات الأولي لنشأة علم الاجتماع.
١- أوجست كونت.
٢- كارل ماركس.
٣- أميل دوركايم.
٤- ماكس فيبر.

ثالثاً : عوامل ظهور علم الاجتماع.
١- العوامل الفكرية.
٢- العوامل الاقتصادية.
٣- العوامل السياسية.

* خاتمة

مقدمــة :

يصعب على كل من القارئ أو الباحث المبتدئ أو حتي المتخصص فى علم الاجتماع، أن يتعرف بوضوح على طبيعة هذا العلم، أو نوعية موضوعاته ومجالاته ونظرياته ومناهجه وطرق بحثه وأدوات دراساته النظرية أو الميدانية، دون أن تكون لديه خلفية تاريخية عن نشأة هذا العلم ذاته، وكيف تطور خلال القرنين الماضيين على وجه الخصوص. ومن ثم، تجئ ضرورة أن يسعى القارئ لدراسة وتحليل نوعية النشأة التطورية لعلم الاجتماع باعتباره من العلوم الرائدة فى الوقت الراهن ومن أهم العلوم الاجتماعية المميزة.

فمن البديهى، أن يحاول الباحث أو الدارس فى مراحل دراسته الأولى لعلم الاجتماع، أن يركز على تحليل ودراسة الجذور الأولى لنشأة هذا العلم، وطبيعة الاسهامات الفكرية والاجتماعية التى مهدت لظهوره، وبلورت معالمه النظرية وبحوثه الامبيريقية التى لا يمكن الاستغناء عنها فى مجتمعنا الحديث. ولاسيما، أن طبيعة المشكلة الاجتماعية لا يمكن فهمها أو التعرف على أسبابها الأولى أو زيادة نتائجها وتفاقمها، دون الإلمام بخلفية كبيرة عن طبيعة علم الاجتماع وكيف ظهر فى صورته الحالية فى الوقت الراهن.

ومن هذا المنطلق، يهدف هذا الفصل اعطاء خلفية تاريخية – ولو بصورة موجزة – لكيفية تطور الفكر الاجتماعى والذى أدى إلى ظهور علم الاجتماع، وماهى نوعية هذا الفكر الاجتماعى الذى أرتبط بتطور كل من العقل البشرى والمجتمعات الانسانية فى نفس الوقت. خاصة، وأن أهم أهداف علم الاجتماع العامة والتى يسعى إليها، هى دراسة الحقائق والوقائع والظواهر الاجتماعية كما هى موجودة فى الواقع. هذا بالاضافة، إلى أن دراسة المشاكل والظواهر والنظم الاجتماعية التى توجد فى مجتمعنا الحديث، لا يمكن فهمها بعيداً عن دراسة طبيعة التغير الذى ارتبط بكل من العقل البشرى أو أنماط التفكير الانسانى، وطبيعة الجماعات والمجتمعات البشرية، منذ أن عرفت هذا المجتمعات حياة الاستقرار.

ومن ثم، سوف نركز بصورة موجزة على دراسة أهم ملامح الفكر الاجتماعى خلال العصور القديمة، وخاصة عصور الشرق القديم، وطبيعة اختلاف هذا الفكر عن المجتمعات القديمة الغربية، وإلى أى حد مهدت كل منهما إلى ظهور وتغير الفكر الاجتماعى خلال العصور الوسطى، ولا سيما ما يعرف بالعصور الرومانية أو المسيحية. كما نحاول أن نتعرف بوضوح على طبيعة ونوعية الفكر الاجتماعى

الاسلامى، الذى أدى إلى ظهور حضارة اسلامية، مهدت لظهور الحضارة الغربية، كما يعترف بذلك العديد من علماء ومؤرخى علم الاجتماع خاصة والعلوم الاجتماعية عامة. من ناحية أخرى، نسعى لتحليل الجذور الأولى والممهدة لنشأة علم الاجتماع سواء خلال عصور الاصلاح والتنوير، والتى أعطت دفعة قوية لظهور مرحلة الرواد والأوائل والمؤسسين لعلم الاجتماع خلال العصور الحديثة. وأخيراً، يركز هذا الفصل على تحليل أهم العوامل التى أدت لنشأة علم الاجتماع، أو ما يعرف بالعوامل الممهدة لظهور علم الاجتماع سواء أكانت عوامل فكرية أم اقتصادية أو سياسية.

أولاً : طبيعة التفكير الاجتماعى قبل ظهور علم الاجتماع :

١ - العصور القديمة :

(أ) مصر الفرعونية : ما من شك، أن الحضارة الفرعونية القديمة قد تركت بصماتها المتعددة على جميع الحضارات البشرية بدءً من الحضارات القديمة، سواء التى ظهرت فى الشرق الأدنى القديم، أو التى ظهرت فى المجتمعات الغربية. علاوة على أنها تعتبر المصدر الأساسى لظهور الحضارات الأخرى التى ظهرت خلال العصور الوسطى المسيحية. كما لا يمكن التعرف على ملامح الحضارة الحديثة، دون الرجوع إلى كيفية تطور هذه الحضارة، واعتبار مصر الفرعونية، مصدراً أساسياً للفكر البشرى سواء فى مجال الطب أو العلوم الطبيعية أو الانسانية بصورة عامة.

فالباحث المتخصص فى تاريخ مصر الفرعونية يستطيع أن يلاحظ بوضوح طبيعة البناء الاجتماعى الطبقى وعلاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى، ولاسيما النظام السياسى، والدينى (الكهنوتى)، والاقتصادى، والأسرى، والتربوى، والإدارى وكثير من النظم الاجتماعية، مثل الضبط الاجتماعى، والمعتقدات، والقيم والعادات والتقاليد وغيرها. حيث يمكن ملاحظة الوضع الطبقى والسياسى والإدارى الذى كان يتمتع به الفرعون أو الملك، وما يتبعه من تسلسل هرمى لبقية الفئات الاجتماعية الأخرى، والذى يعكس فى حد ذاته العلاقة القوية بين الفرعون ومنزلته، التى كانت لا تقل شيئاً عن وضع الآلهة أو من ينوب عنهم على سطح الأرض. وهذا ما جعل المصريين القدماء يتصرفون مثل هذا الفرعون على أنه الأله بصورة عامة، وهذا فى نفس الوقت ما يعكس طبيعة نسق المعتقدات الدينية والاعتقاد وبصورة خاصة فى الحياة بعد الممات أو ما يعرف بخلود الأرواح، أو حياة البعث[1].

(١) أنظر، عبدا لله محمد عبدالرحمن، علم اجتماع التربية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨.

فـي نفس الوقـت، ان طبيعـة الحيـاة الاجتماعيـة بصـورة عامــة، تفســر لنــا بوضـوح نوعيــة العلاقـة الطبقيـة أو الطبقـات الاجتماعيـة، وطبيعـة الوضـع المهنـى أو الحياة الاقتصادية والدينية عموماً، وهذا ما يمكن ملاحظته من التخصص المهنى لكل من الفراعنة، والكهنة، والصناع، وقادة الجيش والحـراس، والفلاحيـن وغيرهم من الطبقات الاجتماعية الأخرى، التـى كـانت تتحـدد وتتشـكل حسـب طبيعـة البنـاء الاجتماعى الطبقى الموروث، وطبقاً للنسق الدينى الذى كان سائداً آنذاك.

من ناحية أخرى، تفسر لنـا طبيعـة النظـم الاجتماعيـة الأخـرى مثـل الأسـرة والنظام العائلى والزواج، والنظام التربوى أو التنشـئة الاجتماعيـة، ونوعيـة العلاقـة المتبادلـة بيـن أفـراد المجتمـع ككـل. عـلاوة علـى أن النظـام الاقتصـــادى والمهنــى والسياسى لا يمكن فصلهما تماماً عن الآخر، دون الرجوع إلى دراسة طبيعة الحيـاة الاجتماعية، ونوعية القوانين والأعراف التى كانت تحدد طبيعة هذه الحياة، وهذا ما أيدتـه الوثـائق والنقـوش الفرعونيـة المتعددة، والتــى فسـرت لنــا نوعيــة الملكيــة، والميراث، والولاية، والهبة، والتقاضى والمحاكمة، وأيضاً نظم دفـن الموتـى سـواء أكانوا ملوكاً أم أفراداً عاديين.

حقيقـة، إن دراسـة أنمـاط الفكـر الاجتمـاعى أو العقـل البشـرى خـلال مصـر الفرعونيـة، يستطيع أن يوضـح لنـا كيفيـة ارتبـاط هـذا العقـل أو السـلوك البشــرى، بنوعيـة النظـام الاجتمـاعى والسياسـى والاقتصـادى والقـانونى والاخلاقـى والدينــى وغيره مـن النظـم الاجتماعيـة الأخـرى. عـلاوة علـى تحليـل العلاقـة بيـن السـلوك البشرى وأنماط تفكيره وطبيعة الجزاءات والمثل والاخلاق الاجتماعية، تكشف عـن العديد من أنماط العلاقات الاجتماعية، والتى تحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوميـن، وأساليب الرعايـة والتكـافل الاجتمـاعى مثـل رعايـة الفقـراء، والرقيـق، والشـيوخ، والعجزة، والأرامل والأطفال وغيرهم.

بصورة موجزة، إن دراسة طبيعة الفكـر الاجتمـاعى، الفرعونـى تستطيع أن تفسر طبيعة الحياة الاجتماعية التى كانت سائدة فى مصر الفرعونية، وكيفية ارتباط هذا الفكر بنوعية النسق أو النظام الدينى على وجه الخصـوص. عـلاوة علـى ذلـك، إن تحليل نوعية الحياة الاجتماعية تعكس لنا بوضـوح عـن نوعيـة النظـام السياسـى الذى كان موجـوداً بـالفعل وكيفيـة ارتباطـه بالنظـام الدينـى ومـا تمتعـت بـه الطبقـة الفرعونية عن بقية الطبقات الاجتماعية الأخرى، من ناحيـة أخـرى لا يمكـن فصـل طبيعة النظم السياسية والاقتصادية والدينية (الكهنوتيـة) عـن نوعيـة النظـم القانونيـة والأخلاقية، التــى كـانت توجـد فـى مصـر الفرعونيـة. وأخيراً، لقد اسهمت مصـر

الفرعونية بحضارتها وأنماط وأساليب الحياة الاجتماعية فيها، فى تطور العديد من الحضارات التى ظهرت فى الشرق القديم أو الدول الغربية القديمة، والحضارات التى ظهرت خلال العصور الوسطى، مهدت بصورة عامة لظهور حضارات العصر الحديث، والتى لا تزال مبهورة بنوعية التقدم الطبى والمعمارى، الذى كان موجوداً فى مصر الفرعونية ولا يزال يشكل لغزاً لا يعرفه إلا المصريين القدماء.

(ب) الصين القديمة : تتبلور اسهامات الفكر الاجتماعى الصينى فى الأفكار والحكم الاجتماعية التى صاغها فيلسوفها ومفكرها القديم كونفوشيوس (٥٥١-٤٤٩) ق.م.، والذى عبر عن تصوراته على أساس أخلاقى مميز، ووضع بدوره المعالم الأولى للفلسفة الاجتماعية التى عرفت باسمه. وتتضح معالم هذه الفلسفة فى تحديدها مجموعة النظم الاجتماعية ونوعية العلاقات والمعاملات التى يجب أن يتبعها الناس على أساس مجموعة من القيم الأخلاقية المثالية[1].

وهناك من يعتبر تعاليم كونفوشيوس بمثابة مجموعة من القوانين الالهية التى تركز على تقديم نوعية من العلاقات والروابط الاجتماعية ذات الصلة القوية والتى ينبغى أن تدعم بواسطة كل من الأفراد العاديين أو الحكام وأصحاب السلطة. ومن ثم، جاءت هذه التعاليم لتشكل العلاقات الاجتماعية على أساس وضعى، ولكنها تصطبغ بطابع إلهى، حيث كان يعتقد الصينيون القدماء أن هذه القوانين والعلاقات الاجتماعية والمثل الأخلاقية التى ترتبط بها والطاعة والخضوع والامتثال لها، بمثابة طاعة الاله الأعظم الأوحد اله السماء.

كما جاءت أنماط الفكر الاجتماعى الصينى القديم، لتحدد معالم العلاقات الاجتماعية والروابط الاخلاقية بداية من المؤسسات التربوية والاجتماعية التقليدية بدء من الأسرة وحتى المؤسسات العامة للدولة. حيث تعتبر طاعة الأبن لأبيه كنوع من طاعة الله، وهذا، وصفت به أيضاً العلاقة المتبادلة بين الزوجين. ولقد أثرت هذه التعاليم والمثل الأخلاقية فى الربط بين الأفراد والجماعات والنظم والبناءات الاجتماعية التى يعيشون فيها. كما تعد نوع من الالتزام الذى يجب أن يحترمه المجتمع ككل، ويجب أن يكون لها صفة الالتزام والاجبار والطاعة والخضوع والامتثال وغيرها من الصفات التى تؤدى إلى استمراريتها، وخاصة أنها تؤدى إلى قيام المجتمع واستمراريته ووجوده.

---

(١) أنظر للمزيد من التحليلات:

Fletcher, R, The Making of Sociology (1), Beginnings & Foundings, London: NCISON, 1972, P. 89-90.

كما ربطت التعاليم الأخلاقية المثالية فى الفكر الصينى بين التربية والأخلاق والتعليم، وهذا ما ظهر فى تصورات كونفوشيوس، حول تعليم النشئ وكيفية وضع المقررات والمناهج الدراسية، التى تؤكد على أهميته، التعرف على آراء الطلاب واستعداداتهم وميولهم ورغباتهم فى التعليم واكتساب الخبرات. كما جاءت هذه المناهج لتؤكد على أهمية النظام السياسى الموجود، وضرورة احترام الحكام ولاسيما أنهم مفوضون من قبل الله على الأرض، ولذا وجبت الطاعة والامتثال لأوامرهم وأحكامهم. كما عكس النظام الاقتصادى والطبقى فى المجتمع نوعية العلاقات الاقتصادية والسياسية. وخاصة، أن نوعية البناء الاجتماعى فى الصين كان يقوم على أساس هرمى، ولكل طبقة حقوقها والتزاماتها تجاه الطبقات الأخرى فى المجتمع.

(جـ) الهنـد : ارتبط الفكر الاجتماعى الهندى القديم بمجموعة من القيم الروحية الدينية التى تبلورت فى ديانات أرضية مثل ديانة (مانو) وقوانينها المقدسة، ثم تعاليم (بودا) التى لا تزال تشكل طبيعة الحياة والعلاقات الاجتماعية فى الهند حتى الوقت الحاضر. ولقد جاءت هذه الديانات والتعاليم بمجموعة من النظريات التى تنبذ القيم المادية والفردية، ولتؤكد على أهمية القيم الروحية والجماعية. ولذا، قامت نوعية الحياة الاجتماعية والعلاقات والمعاملات التى ارتبطت بها لتؤكد على أهمية وضرورة اتباع الطبقة الدينية العليا فى المجتمع وهى طبقة (البراهما).

ومن ثم، جاءت طبقة البراهما فى أعلى الهرم الطبقى فى المجتمع الهندى والتى لها تخضع الطبقات الاجتماعية الأخرى، باعتبارها طبقة مقدسة. كما يجب عدم الاختلاط بهذه الطبقة أو تدنيسها سواء عن طريق الحراك الاجتماعى أو نظم الزواج التقليدية أو غيرها من الوسائل الأخرى. كما يجب بين أبناء هذه الطبقة ذات الطابع المقدس أن تحافظ على نقائها الطبقى والدينى، وضرورة توريث خصائصها وصفاتها إلى أبناء طبقتها فقط دون الطبقات الأخرى وأفرادها. ولذا، نرى كثير من مؤرخى علم الاجتماع أو الفكر الاجتماعى يصفون التنظيم الاجتماعى الهندى القديم بالتنظيم الجامد الذى يقوم على المغالاة وتقديس طبقة اجتماعية والسعى إلى التفرقة بينها وبين الطبقات الاجتماعية الأخرى. الأمر، الذى جعل التنظيم الاجتماعى الهندى القديم بعيد كلية عن تقديم نظريات سياسية أو اقتصادية أو دينية ترقى إلى مستوى التقدم، الذى وصل إليه التنظيم الاجتماعى والاقتصادى كما وصف على سبيل المثال المجتمع المصرى القديم.

(د) بلاد الأغريق : جاءت أهمية الفكر الاجتماعى لبلاد الاغريق كنتيجة لنمط الحياة العقلية، التى كانت موجودة فى هذه البلاد ونشأة الفلسفة الاغريقية (اليونانية) بصورة عامة. خاصة، وأن هذه الفلسفة سمحت بدراسة وتحليل مجموعة

النظم السياسية والاقتصادية والدينية والاخلاقية، التى كانت موجودة بالفعل، وحاولت التعرف على أهميتها سواء للفرد أو الجماعة أو المجتمع، فضلاً على ضرورة استخدام كل من العقل والمنطق والحكمة والشجاعة والأخلاق لتغيرها أو تبديلها، حتى تكون مجموعة هذه النظم ذات فائدة فى الحياة الاجتماعية والعلاقات العامة والخاصة.

كما جاءت طبيعة الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية التى كانت تقوم محلها دولة المدينة فى بلاد اليونان القديمة ، لتعكس مجموعة من النظم الاقتصادية والسياسية والعسكرية وأيضاً الأخلاقية المميزة لها دون الأخرى. وهذا ما تميزت به بعض دول بلاد اليونان القديمة عن غيرها مثل مدينة أثينا أو اسبرطة. ومن هذا المنطلق، هناك عدد من مؤرخى الفكر الفلسفى والاجتماعى اليونانى القديمة، يرون أن طبيعة البيئة أو المجتمع اليونانى ذاته هى التى أدت إلى ظهور أنماط من الفكر الاجتماعى المميز الذى يرقى إلى مستوى التنظيم الاجتماعى والسياسى والاقتصادى، وإلى استمرارية هذا التنظيم ووجوده حتى الوقت الراهن. وهذا ما جاء فى نظريات فلاسفة هذا المجتمع اليونانى من أمثال سقراط، وأفلاطون، وارسطو أو من المفكرين والفلاسفة الآخرين لاسيما تصورات هراقليطس، والسفسطائيين ويمكن الإشارة إلى أفكاره كمثال فقط للفكر اليونانى القديم.

(١) **هيراقليطس** : جاءت آراء هيراقليطس (٥٤٠ – ٤٧٥) ق.م.، لتعكس بوضوح طبيعة الفلسفة اليونانية الاجتماعية القديمة ومدى تأثيرها الواقعى فى النظرية الاجتماعية المعاصرة، ولاسيما تأكيد هذه الآراء على فكرة التغير المستمر.[1] خاصة، وأن تصورات هذا الفيلسوف كانت تؤمن بفكرة التغير المستمر، ولا يوجد أى شئ ثابت، كما جاءت فكرته حول الصراع لتؤكد على أهمية التطور الواقعى فى الفكر اليونانى الذى اتخذ من العقل والمنطق مصدراً لدراسة الأشياء المحيطة به. ولقد تبلورت أفكار هيراقليطس فى جعلها نقطة تفكير لدى كثير من علماء الاجتماع عامة، وأصحاب نظريات التغير والصراع والاجتماعى بصورة خاصة، وكيفية استخدام أصحاب هذه النظريات هذه الأفكار الفلسفية الواقعية فى بلورة آرائهم عند دراستهم للمجتمع بصورة أكثر واقعية.

(٢) **السوفسطائيين** : كما تميزت تصورات السوفسطائيين فى استخدامهم للفعل البشرى بضرورة تعقل الأشياء، والسعى المبدئ للتشكك فى آراء الآخرين من أجل بناء نوع من المعرفة الانسانية القائمة على التعقل والاقناع، وهذا ما جعلهم

(١) انظر: محمد على محمد، تاريخ علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤، ص ٢٢-٢٣.

يركزون بصورة مميزة على أهمية تثقيف الشباب وضرورة تعلمهم لأصول التحليل والحوار والجدل والاقناع ودراسة الأشياء والقيم والعادات والنظم. وبإيجاز، لقد عبرت حركة أو تصورات السوفسطائيين عن مرحلة مميزة من التفكير الاجتماعى اليونانى الذى أسهم فى بلورة لكثير من تصورات وآراء العديد من علماء الاجتماع. ولاسيما، من اتخذوا من العقل والتغير الرديكالى النقدى مدخلاً مميزاً عند دراستهم للواقع الاجتماعى المتغير فى المجتمع الحديث.

(٣) افلاطون : وتكشف آراء افلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧) ق.م. الفلسفية سواء أكانت مثالية أو واقعية عن مدى أهمية الفكر اليونانى القديم، واستمرارية استخدام العقل البشرى له حتى الوقت الراهن. فلقد جاءت تصورات افلاطون عن المجتمع البشرى، والفرد، والأسرة، والتنشئة الاجتماعية، والأخلاقية، والنظم السياسية الاقتصادية، والتغير، واشباع الحاجات وتقسيم العمل، والطبقات والمهن الاجتماعية، والانتاج، والتبادل والعلاقات الاجتماعية والروابط الاقتصادية، والقيم الاخلاقية المثالية والواقعية والجمالية وغيرها من الأفكار والتصورات الهامة التى يصعب تفسيرها بصورة مستفيضة فى الوقت الراهن لاعتبارات الزمان والمكان. إلا أنها تؤكد فى مجملها على أهمية الفكر الاجتماعى المثالى والواقعى الافلاطونى، وكيفية الاستفادة منه لدى كثير من مؤسسى ومؤرخى وأصحاب نظريات علم الاجتماع كما سنرى ذلك بصورة أكثر تحليلاً فيما بعد.

(٤) ارسطو[1] : لا يمكن للباحث فى علم الاجتماع سواء أكان مبتدأ أو متخصصاً أن يغفل تصورات ارسطو (٣٨٤ - ٣٢٢) ق.م. ولاسيما أنها تضطبع بالطابع الواقعى المميز الذى يرتكز عليه علماء الاجتماع عند دراستهم للمجتمع البشرى. فلقد جاءت تصورات ارسطو لتعالج الانسان باعتباره عضو فى المجتمع وينتمى إلى جماعاته المختلفة، أو باعتباره عضواً له نوع من الحقوق والواجبات التى يجب أن يأخذها أو يؤديها إلى الأفراد والجماعات التى توجد فى المجتمع الذى يعيش فيه أو دراسة الانسان باعتباره مخلوق يفكر ويتعقل الأشياء التى حوله علاوة على تصوره للإنسان باعتباره عضو يعبر عن خواطره ويستطيع أن يحكم على ذاته ويقيم نفسه والأفراد المحيطين به فى نفس الوقت.

حقيقة، لسنا فى موضع الآن لدراسة تصورات أرسطو الواقعية المختلفة أو اسهامات الفكر الاجتماعى والفلسفى اليونانى القديم، بقدر ما نعرض إشارة موجزة لطبيعة اسهامات هذا الفكر ومدى استمراريته فى تطور الفكر والفعل البشرى

(١) Wilkins, E, An Introduction to Sociology, London: McKponold, 1970, P. 4-5.

بصورة عامة، إلى تطور تصورات ونظريات وأسس دراسة العلوم الاجتماعية والانسانيات بصورة عامة، وعلم الاجتماع بصورة خاصة. وهذا ما جعل الكثير يصف الفكر اليونانى بأنه واضع أسس نظريات التطور والتفكير والتحديث التى توجد فى علم الاجتماع فى الوقت الراهن.

٢- العصور الوسطى :

(أ) العصور المسيحية :

مع مرور التاريخ تغير الفكر الاجتماعى خلال العصور الوسطى ولاسيما فى المجتمعات الأوربية التى كونت لها امبراطوريات تركت بصماتها على الحياة الاجتماعية خلال عصور النهضة والاصلاح والعصر الحديث. وهذا بالفعل ما أثريه الفكر الاجتماعى الرومانى والامبراطورية الرومانية التى اتسعت فتوحاتها الجغرافية وامتدت إلى دول الشرق، وامتزجت تصورات علمائها ومفكريها بأفكار فلاسفة ومفكرى هذه الدول. وهذا ما نجده على سبيل المثال عند عرض بعض هذه الأفكار وكيف تطور الفكر القانونى والتنظيم السياسى والتشريعى والثقافى بصفة عامة.

(١) **شيشرون** : ويعتبر من أهم مفكرى العصر الرومانى المفكر المعروف شيشرون (١٠٦ – ٤٣) ق.م. الذى ناقش فكرة قيام الدولة الكاملة Perfect state، والأسس والمبادئ التى تقوم عليها وهذا ما ظهر فى كتابه الجمهورية De res publica، وحدد سلوك الناس تجاه الدولة والسعى إلى الحصول على المكافأة وليس الجزاء أو العقاب السلبى، وهذا ما قام عليه النظام القانونى الرومانى كلية. كما أكد شيشرون على أهمية وجود القانون الالهى أو ما أسماه بقانون الطبيعة الالهية، والذى يتساوى الناس جميعاً أمامه، ليس بمجرد امتلاكهم التعليم أو الثقافة أو الثورة، بقدر ما يتمتعون به من امتلاك العقل والحكمة والغرائز والقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ[(١)].

وعموماً، لقد أدت أفكار شيشرون وغيره من مفكرى العصر الرومانى خلال القرنين الثانى والثالث الميلادى، إلى تطور الفكر السياسى الرومانى وتطور فكرة الدولة والأخلاق والمثل التى تحكم علاقة الأفراد تجاه الدولة أو بالعكس، ولاسيما أن كلاً من القانون والأخلاق كنظامين اجتماعين كانا مكرسين تجاه فكرة تمجيد الدولة واستقرارها واستمراريتها، أكثر من الاهتمام بالأفراد أنفسهم. كما أسهم الوضع الجغرافى والبيئى الجديد للأمبراطورية الرومانية على اكتساب المزيد من المعرفة عن طريق الاتصال الثقافى لاختلاطهم بثقافات متعددة.

---

(١) Wilkins, E, Op. Cit., P. 5.

(٢) القديس اوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٥) م : تجئ أهمية تحليلات وأفكار أوغسطين في تصوراته المميزة حول فكرة الحق الطبيعي، والحق الالهي، وشرعية السلطة السياسية والدينية، والسمو بالعقيدة الدينية ككل، وزيادة الروابط الاجتماعية والبشرية، وتحديد دور السلطة السياسية نحو تحقيق العوامل الاجتماعية. كما حدد اوغسطين طبيعة المجتمع البشرى بانه ليس حشداً من البشر، ولكن يقوم على فكرة اتحادهم فى كل من العاطفة والمعتقد ويؤدى هذا الاتحاد إلى جعلهم فى وحدة معنوية واحدة[1].

كما ركز أوغسطين على مقومات الحياة الاجتماعية التى تعتمد أساساً على أهمية وجود القانون الطبيعي، ولكن تجئ أيضاً أهمية القانون الوضعى نظراً لأن البشر لا يمكن أن يعيشوا بدون ارتكاب خطايا، ولذا وجب وجود السلطة العلمانية أو الدنيوية كشيئاً طبيعياً ومبرراً للحد من هذه الخطايا وتوقيع الجزاءات على من ارتكبها. كما تناول أوغسطين العديد من الأفكار والقضايا التى لا تزال تشغل اهتمام الفكر البشرى مثل نظام الحكومة الفردية، واعتبرها من أهم خصائص الدولة إذ يجب الحفاظ عليها. كما ناقش فكرة نظام الرق وأسباب تحريمها للظروف الانسانية، وبإيجاز لقد حلل هذا الفيلسوف العديد من القضايا التى تركز على المساواة والاخاء والعدالة الاجتماعية.

(٣) القديس توما الاكوينى (١٢٢٥ - ١٢٧٤) م : تتضح آراء هذا الفيلسوف المسيحيى من خلال الرجوع بأفكاره إلى التراث اليونانى القديم، حيث أكد على العديد من الأفكار الواقعية التى تبناها ارسطو. بصورة خاصة، ولاسيما تأكيده على أن الانسان لديه غريزة العيش فى جماعات. ومن ثم، فلقد فسر الاكوينى أهمية وجود المجتمع الدينى والذى يشمل ثلاث أفكار وهى؛ أولاً، أن الانسان اجتماعى بالطبيعة. وثانياً، يقوم المجتمع على أساس تحقيق وحدة الهدف والآمال المشتركة للأفراد. وثالثاً وأخيراً، ضرورة وجود سلطة عليا لتحقيق الصالح العام والأهداف الاجتماعية.

حقيقة، جاءت تصورات الأكوينى عن المجتمع الدينى لتكون مبرراً فكرى لرجال الدين ودفاعهم عن أهمية سمو السلطة الدينية (الكنيسة)، وضرورة سيطرتهم على السلطة السياسية المطلقة للملوك. وخاصة، وأن الأكوينى أكد على أن السلطة العليا تصدر من الله، هى السلطة الدينية، ولذا فأنها تسمو على السلطة الأرضية. كما ناقش الأكوينى قضايا هامة لاتزال تشغل اهتمام العديد من علماء الاجتماع

---

(١) محمد على محمد، مرجع سابق، ص ٢٩-٣٠.

والعلوم الاجتماعية مثل نظم المدن، والطبقات الاجتماعية، والرق، وتأثير العوامل البيئية والمناخية على العادات والتقاليد وغيرها.

(ب) العصــور الاســلامية :

جاء الاسلام كشريعة ودين اسلامي له فكر اجتماعي واقتصادي وسياسي وثقافي مميز، وهذه السمة المميزة للأديان السماوية التي تهدف إلى تغيير نمط الفكر البشري لما فيه الخير والصلاح. فلقد ركز الاسلام كدين سماوي على ضرورة تغيير العادات والتقاليد والنظم الجاهلية البالية، ويطرح للعقل البشري البدائل الممهدة لطريق تخلص هذا العقل من الشرور والآثام. وهذا بالفعل ما ظهر بوضوح في طبيعة الدين الاسلامي وتركيزه على وضع أسس جديدة للنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تقوم على المساواة والتكافل والعدالة، تحديد الحقوق والواجبات، ووضع نظم محددة لأساليب العقاب والجزاء. وناقش قضايا هامة تشغل اهتمامات العقل البشري حتى يجيئ يوم القيامة مثل، الفقر، والمساواة، والعدالة، والتكافل الاجتماعي، والملكية العامة والخاصة، والعمل والانتاج، وتوزيع الثروة، والحرية وغيرها من القضايا الهامة.

ويمكن الاشارة فيما يلي إلى بعض آراء المفكرين الاسلاميين الذين ظهروا خاصة في العصور الوسطى، وكيف اسهمت هذه الأفكار في ازدهار الحضارة الاسلامية ووضع الأسس الأولى لظهور الحضارة الغربية خلال العصر الحديث.

(١) أبو نصر الفارابي (٨٧٢ - ٩٥٠) م. : تعكس آراء الفارابي كأحد مفكري وفلاسفة الدولة الاسلامية التي ظهرت خلال القرن التاسع والعاشر الميلاديين، لنوعية الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت توجد خلال هذه الفترة والتي يصعب الوصول إلى تحليلات فكرية واجتماعية حول الواقع الاجتماعي في الدولة الاسلامية، علاوة على أن تصورات الفارابي امتزجت بصورة نسبية بالبعد الواقعي والفلسفي الخيالي في نفس الوقت. وهذا ما ظهر في كتابه المميز عن (المدينة الفاضلة) حيث اهتم فيه بالنواح الاجتماعية وحاجة الانسان إلى العيش في جماعات ومع الآخرين، وإلى ضرورة التعاون لسد وإشباع حاجاته من أجل العيش والحياة.

كما تكمن أهمية تحليلات الفارابي لأنها سبقت العديد من تحليلات علماء العالم الغربي في نفس الوقت لدراستها العديد من القضايا والمشكلات التي تهم بمعالجتها الكثير من فروع علم الاجتماع ومجالاته المختلفة. فلقد اهتم على سبيل

المثال لا الحصر، بدراسة طبيعة وأنواع المجتمعات الانسانية والتى قسمها إلى فئتين كبيرتين واسماها فى النوع الأول منها بالمجتمعات الكاملة، والنوع الثانى بالمجتمعات غير الكاملة. كما ناقش نوعية هذه المجتمعات والتى حددها فى ثلاث صور وهى المجتمع العالمى، والوسيط، والصغير. كما حلل أيضاً طبيعة الطبقات الاجتماعية، ونوعية المهن، ونظم القيادة الرئيسية والحكم وغير ذلك من قضايا يهتم بمعالجتها الآن علماء السياسة والاجتماع السياسى والاقتصادى والريفى والحضرى، وهذا ما جعل هذه الكتابات تصطبغ بالصبغة الاجتماعية المميزة التى برزت فى هذه الفترة من التاريخ.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) م. : اتسمت كتابات ابن خلدون بالطابع الاجتماعى والتاريخى والانثربولوجى المميز، ولذا هناك العديد من علماء الاجتماع ومفكرى هذا العلم من يرجع تأسيس علم الاجتماع إلى العلامة العربى ابن خلدون، وهذا ما ظهر بوضوح فى مقدمته الشهيرة والتى تعرف (بمقدمة ابن خلدون). ولسنا فى موضع لتحليل أفكار هذا العلامة العربى بقدر ما يوضح أن اسهامات ابن خلدون المميزة تجعلنا نشير - ولو بصورة موجزة - إلى تصوراته الاجتماعية والتى جعلته المؤسس الأول لعلم الاجتماع. ولقد جاءت هذه التصورات نتيجة لاستخدامه أساليب وطرق ومناهج البحث الاجتماعى والأيديولوجى والتاريخى المميزه، وذلك خلال جمعه للمادة العلمية أو تحليله للواقع الاجتماعى والذى عاشه بصورة ملموسة[١].

وتعكس طبيعة الظروف الاجتماعية والمهنية والعصرية التى ظهر فيها ابن خلدون، عن مدى اهتمام هذا المفكر بدراسة الواقع الذى تمارس فيه والمجتمع الذى يحيط من حوله، وتناول قضاياه بصورة تحليليه مميزه، مما جعل العديد من علماء العالم يترجمون هذه التحليلات إلى لغاتهم الأصلية، حتى تكون فى متناول العديد من الباحثين والمتخصصين، وهذا ما جعل بعض علماء الاجتماع فى فرنسا أنفسهم يتساءلون من هو المؤسس الحقيقى لعلم الاجتماع، هل هو ابن خلدون أم أوجست كونت؟ [٢].

ومن القضايا المميزة التى تناولها ابن خلدون، تأكيده على أهمية وجود علم مستقل، يهتم بدراسة الحياة والواقع الاجتماعى، والذى اسماه (بالعمران البشرى)

---

(١) عبدالله عبد الرحمن، المرجع السابق، الفصل الثانى.

(٢) أنظر على سبيل المثال:

Abraham, J. H., Origins and Growth of Sociology, Penguin Books Ltd., 1973, PP. 39 - 40.

ويهتم بدراسة الحياة الاجتماعية الانسانية. كما اهتم بمعالجة وتحليل التاريخ بصورة اجتماعية حتى يمكن دراسة الواقع وفهمه من خلال احداثه التاريخية وتفسيرها بصورة اجتماعية. كما عالج طبيعة هذا المجتمع البشرى والعلاقة المتبادلة بين أفراد المجتمع، والمراحل التطورية للمجتمعات والحضارات الانسانية، علاوة على تحليله لأساليب المنهج العلمى فى دراسة الظواهر والمشاكل الاجتماعية والأحداث التاريخية. كما اهتم بمعالجة الظواهر الاقتصادية، وحلل أهم القضايا والمشكلات المرتبطة بها ومظاهر النشاط الاقتصادى ونوعيته سواء أكان نشاطاً زراعياً، أم تجارياً، أم مهنياً أو ما أسماه (بالنشاط الطبيعى وغير الطبيعى). كما ناقش مشكلات تقسيم العمل، والانتاج، والنقود، والثمن، والأجور والعديد من قضايا الاقتصاد وعلاقته بالنظام السياسى أو الدولة.

بإيجاز، ربط ابن خلدون فى تحليلاته بين النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما جعله يهتم بدراسة نظم الحكم والخلافة، وفترات ازدهار وانهيار النظم السياسية التى عاشها خلال فترة اضمحلال الدولة الاسلامية. كما عالج قضايا التحضر، والترف، وطبيعة الحياة الاجتماعية بمشاكلها بصورة عامة. وهذا ما جعل العديد من العلماء من أمثال بارنز Barns، وسوروكين Soroken يعترفون صراحة بقيمة كتابات ابن خلدون وتأثيرها على تحليل قضايا سوسيولوجية هامة مثل التقدم والتحضر، ووحدة العمليات الاجتماعية، وغير ذلك من قضايا هامة لا تزال تشغل اهتمامات العديد من علماء الاجتماع والتاريخ والسياسة والاقتصاد والأنثربولوجيا وغيرهم.

(٣) المقريزى (١٣٦٤ - ١٤٤٢) م. : توضح طبيعة الحياة الاجتماعية والفكرية والمهنية لأحمد المقريزى، عن مدى اهتمامه بتحليل الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى للعالم العربى بصورة عامة وللمجتمع المصرى بصورة خاصة. كما تميزت مؤلفاته بالطابع الموسوعى والواقعى، وحصرت هذه المؤلفات فى كتب لاتزال لها صداها العلمى حتى الوقت الراهن، مثل مؤلفه (اغاثة الأمة تكشف الغمة)، وأيضاً كتاباته التاريخية أو ما يعرف (بالخطط المقريزية). كما تجئ دراسته لتاريخ المجاعات فى مصر لتوضح لنا عن أسباب حدوث هذه المشكلة أو الظاهرة الاجتماعية، وانعكاساتها على الفئات والطبقات الاجتماعية، وتأثيرها على العلاقات والدخل والثروة والفقر.(١)

---

(١) عبدالله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع الاقتصادى (جـ ١)، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤، الفصل الثانى.

علاوة على ذلك، ناقش المقريزى مجموعة العوامل السياسية والاقتصادية التى ترتبط أيضاً بالعوامل الاجتماعية والتى كانت موجودة بالفعل فى العالم العربى، فلقد ناقش طبيعة التنظيم السياسى والإدارى للدولة، ونظم الإدارة والضرائب، وطبيعة الفساد الإدارى والرشوة وغيرها. كما جعل طبيعة الأنشطة الاقتصادية مثل الأنشطة الزراعية والسياسيات النقدية، وطبيعة الطبقات والفئات الاجتماعية والمهنية، وطبيعة الدخل، والمهن، وأسلوب الحياة والمعيشة وغيرها من القضايا التى استند فى تحليل مادتها العلمية على ما يعرف بالأسلوب الأنثربولوجى والسوسيولوجى والتاريخى فى نفس الوقت.

٣ - عصر الاصلاح والتنوير :

لم يستمر طبيعة العقل والفكر البشرى خلال العصور الوسطى المسيحية على ما هو عليه في إطار الهيمنة الكنسية، وسيطرة رجال الدين المسيحى لقرون طويلة، خلفت كثيراً من الآثار السلبية على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى نفس الوقت. وهذا ما اسماه الكثير من مؤرخى ومحللى هذه الفترة بأنها فترة الظلام التى سادت المجتمعات الأوربية. وان كان هذا الوضع على النقيض من ذلك فى المجتمعات الشرقية الاسلامية حيث ازدهرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وظهرت الحضارة الاسلامية لتطبيق أبعاداً جديدة وأنماطاً متميزة من التفكير والتعقل والبعد عن الغيبيات والاهتداء بالشريعة الاسلامية، ولكن هذا لم يستخدم بالطبع لفترة طويلة، ولاسيما بعد حدوث الصراع على السلطة والخلافة فى الدولة الاسلامية، الأمر الذى نتج عنه أيضاً انهيار الدولة الاسلامية سواء فى الشرق أو فى الأندلس، وهذا ما حلله لنا ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة.

ولكن خلال ما يعرف بفترة الاصلاح والتنوير Renaissance and Reformation، والتى يحددها المؤرخون بقرابة أربعة أو خمس قرون من الزمان، تغيرت أساليب الفكر وأنماط التفكير البشرى، وظهرت الرغبة قوية إلى المعرفة والتعليم والفهم والإدارك والتفسير العلمى لحقائق الأشياء. وهذا ما أثر على بدء المراحل الأولى لاستخدام العلم والعقل والمنطق، دون الاستشارة الجدية من رجال الدين أو السلطة الكنسية. وظهرت الكثير من الشكوك والاعتراضات على فكرة الحق الالهى سواء للحكام أو لرجال الدين أو ما يعرف بالسلطة الالهية لعدد من البشر دون الآخرين. كما تعددت أنماط الحياة السياسية والاقتصادية نتيجة لتغير أساليب التفكير الغيبى أو الدينى اللاهوتى، وظهور ما يعرف بالقوميات Nationalism، وظهور الدول الجديدة، وتغير البيئة الجغرافية فى كثير من مناطق

أوربا مقارنة عما كانت عليه خلال العصور الوسطى. وعموماً، وفى اطار اشارتنا الموجزة لطبيعة أنماط التفكير الاجتماعى الذى مهد لظهور علم الاجتماع سوف نشير لبعض آراء مفكرى هذه الفترة، والتى تعكس مرحلة فلسفة التاريخ وأثرها علي ظهور علي الاجتماع.

. **(أ) توماس هوبز T. Hobbes (١٥٨٨ - ١٦٧٩ م)** : تكمن أهمية تحليلات هوبز بأنها جاءت فى مرحلة تحول أوربا التدريجى من هيمنة السلطة الكنسية إلى السلطة السياسية، وعاش فترة الحروب الأهلية التى اجتاحت معظم دول أوربا من أجل الصراع على السلطة، ولذا اهتم بالفلسفة وبالسياسة، وحاول أن يضع بعض الخطوط المثلى للعلاقة التى يجب تحديدها بين كل من الدولة والكنيسة، كما سعى فى نفس الوقت، لأن يجعل مصدر السلطة سواء أكانت سياسية أم دينية، أن تكون أيضاً نابعة من الأفراد الذين سوف تنطبق عليهم هذه السلطة أو المحكومين أنفسهم، وليس من طريق فكرة التفويض الالهى Divine right وهذا ما وضعه فى كتابه المعروف Leviathan، وحدد على ضوئها فكرة أو نظريته عن العقد الاجتماعى Social contract[١].

وبالطبع، يشارك هوبز كل من لوك وروسو فى تحديدهم لمعالم نظريتهم عن العقد الاجتماعى والتى فسحت المجال كثيراً إلى قضايا هامة مثل المساواة، والحرية، والحقوق، والواجبات، والعلاقة بين الأفراد المحكومين والحكام والدولة، والديموقراطية، والقوة والسلطة المطلقة وغير ذلك من قضايا كثيرة، يتكون على ضوئها كثير من الأفكار والنظريات والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التى لا تزال تشغل اهتمام العديد من علماء العلوم الاجتماعية بصورة عامة، نظراً لتفسيرها مسار الحياة الأوروبية الاجتماعية ككل.

(ب) فيكو G. Vico (١٦٦٨ - ١٧٤٤ م) : ظهرت كتابات هذا المفكر فى مرحلة انتقال المجتمعات الأوربية من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، وهى مرحلة التنوير، التى برزت فيها آراء هوبز ولوك وروسو التى ركزت على فكرة العقد الاجتماعى، وبزوغ شمس الديموقراطية، والمساواة، وهيمنة السلطة السياسية، والتركيز على دور العلم فى تفسير الأشياء والحقائق دون التركيز على الحقائق اللاهوتية فقط. ومن ثم، نجد أن آراء رواد ومفكرى عصر النهضة بدؤا يهتمون باستخدام العقل والمنطق والعلم والتجربة ودراسة الواقع، وهذا ما اهتم به على

---

(١) Wilkins, E, Op. Cit., PP. 7-8.

سبيل المثال، فيكون عندما أكد على أهمية استخدام المنهج التاريخى والعلمى فى دراسة الحقائق والظواهر الاجتماعية، وضرورة الاهتمام بدراسة المجتمع البشرى بصورة علمية منظمة.

كما ركز فيكو جزءاً كبيراً من اهتماماته فى دراسة الأبعاد الاجتماعية والنفسية لكل من المجتمع والشخصية الانسانية، فى نفس الوقت ركز على ضرورة الاهتمام بالدين ودوره الاجتماعى وزيادة الوعى والتماسك والترابط والتكافل. كما أعطى اهتماماً ملحوظاً لأهمية اللغة والاستعانة بها فى تفسير الواقع والمعتقدات والتقاليد والعادات ومقارنة هذه الأشياء عند الشعوب البدائية والمتحضرة والاهتمام بصورة عامة بوصف وتحليل أنماط التطور الاجتماعى والذى وضع فيها فيكون آراء متعددة ونماذج لتفسير هذا التطور والعمليات المصاحبة لها فى المجتمع وهذا ما أشار إليه على سبيل المثال فى دراسته المتميزة عن تطور الحضارات[1].

علاوة على ذلك، اهتم فيكو بدراسة الأبعاد الاجتماعية والنفسية عند دراسة المجتمع البشرى وعملية التطور التاريخى لهذا المجتمع، ومركزاً على ضرورة استخدام العقل البشرى فى دراسة كل من المجتمع وعمليات التطور المصاحبه له. وان كان فى نفس الوقت، لم يتجاهل طبيعة دور الدين فى امكانية تطور المجتمع واستمراره وخلق الوعى الجمعى وتحريك العقل من القيود المفروضة عليه. وهذا ما ظهر على سبيل المثال، فى دراسته للتنظيم السياسى والحرية السياسية، والإرادة الإنسانية، والطبيعة الالهية وغير ذلك من قضايا هامة استند فيه لأهمية دراسة التاريخ كمنهج للدراسة والتفسير وهذا ما يسبق غيره من رواد هذه المرحلة من أمثال كونت أو ماكس فيبر فى العصر الحديث.

(جـ) مونتسكيو Montesquieu (١٦٨٩ – ١٧٥٥ م)[2] : تميزت كتابات هذا المفكر عن غيره من المفكرين السابقين بأن اعماله ركزت على ضرورة الاهتمام بدراسة تاريخ الشعوب دون الاهتمام بدراسة التاريخ بصورة عامة أو شاملة. خاصة، وأن الاهتمام بدراسة تاريخ الشعوب اسهم فى تحليل كل من البناءات والنظم الاجتماعية لكيفية تطورها عبر العصور التاريخية، وكيف تطورت إلى ما هى عليه بالفعل. خاصة، وأن طبيعة بناءات المحتمع ووحداتها تلزم وجود أنماط معينة من النظم والمؤسسات الاجتماعية. علاوة على تأكيده على أهمية

---

(١) ارجع إلى المرجع التالى للمزيد من التحليلات:

- Fletcher, R., Op. Cit., 125-

(٢) Ibid, P. 117.

دراسة بعد السكان Population factor فى أحداث التغير الاجتماعى اختيار كل من النظم السياسية والاقتصادية، ونوعية الحكومات ونظمها الإدارية المختلفة. بالاضافة إلى وسيلة مقارنة أنماط هذه الحكومات حسب نسق الشرعية والقوة والسلطة ونوعية وطبيعة السكان والبعد التاريخى.

ومن ثم، نجد أن مونتسكيو يعد من المفكرين المعدودين الذين ركزوا على أهمية تحليل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمعات البشرية، مع ضرورة الاستعانة بدارسة تاريخ هذه المجتمعات وتفسيرها بصورة واقعية. كما أهتم أيضاً، بدراسة الأبعاد الايكولوجية (البيئية) والمناخ وطبيعة النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمعات البشرية، وهذا ما أهتم به غيره من المفكرين الذين سبقوه فى هذه الفترة. خاصة، وأن كثير من مفكرى هذه المرحلة كانوا يعتقدون وجود علاقة مقربة بين التأثيرات المناخية والبيئية على طبيعة هذه النظم وعلى تشكيل نوعية المجتمعات البشرية ذاتها.

ولكن نلاحظ أن اهتمامات مونتسكيو ربطت بين مدى تأثير هذه العوامل المناخية والبيئية وتشكيلها للظروف.الاقتصادية مثل انماط التجارة، ونوعية الانتاج، وطبيعة العمل، وأيضاً ما يسمى بتشكيل العقلية القومية National mentality، وأنساق العلاقات والعادات والمعاملات والتقاليد، وعملية استمرار المجتمع وتماسكه بصورة عامة. ويعتبر مؤلف مونتسكيو روح القوانين Esprite des lois الذى نشر عام ١٧٨٤م، أحد المؤلفات التى توصف بأنها أفضل المؤلفات التى وضعت فى دراسة الفكر السوسيولوجى. وهذا ما ظهر فى تحديده لطبيعة ومعالم القانون وتأثيره على الأفراد والجماعات والمجتمع أو الحياة الاجتماعية ككل. وعلاوة على اهتمامه بالقانون ركز على ضرورة دراسة السياسة والاقتصاد وغيرها من العوامل التى تفسر دراسة الظواهر الاجتماعية. ولهذا يعد مونتسكيو أحد أفراد مدرسة التطور الاجتماعى التى ظهرت خلال القرن الثامن عشر.

(د) امانويل كنت I. Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤ م) : تميزت كتابات كنت عن غيره من مفكرى فلسفة التاريخ بأنها لم تأخذ الطابع الوصفى أو التحليلى فقط، ولكنها ركزت على اتجاه النقدى، ولذا يعتبر كثير من محللى ومفكرى فلاسفة التاريخ (كنت) بأنه أول من أرسى قواعد الاتجاه النقدى فى دراسة الواقع الاجتماعى، ووضع نظريات مميزة حول المعرفة والفلسفة الاخلاقية. كما سعى لدراسة حركة التاريخ وليس بدراسة العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فقط ولكن ركز أيضاً على دراسة الشخصية الفردية والفعل البشرى فى فهم الواقع

الذى يعيش فيه. كما ركز على دراسة الأبعاد النفسية والانفعالية والمواقف والرغبة المشتركة والدوافع والطموح، وغير ذلك من عوامل متعددة تلعب دوراً مميزاً فى تشكيل طبيعة الشخصية والعقل البشرى.(١)

كما ظهرت مقولة الصراع كثيرة فى كتابات (كنت) عند تحليله لأبعاد وأسباب ظهور الحضارات الانسانية، ولاسيما ظهور ما أسماه بالصراع بين الطبيعتين الشرية الاجتماعية وللاجتماعية، وتمثل الأخيرة فى الشق الذاتى والخاص بالانسان، (الأولى) الرغبة فى الحياة والألفة الاجتماعية. وهذا ما جعل كتاباته تشير إلى أفكار أخرى مثل التعاون، والتقدم، والتغير، والتطور، ولاسيما تطور كل من الأفراد والمجتمعات، والأسباب التى تؤدى إلى ظهور التطور واستمراريته عموماً مثل نمو العلاقات البشرية الكامنة بصورة تدريجية. كما وضع (كنت) مجموعة من القوانين والقواعد التى تحدد عمليات التطور سواء بالنسبة للأفراد والمجتمعات، مستخدماً فى ذلك الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاوة على الأبعاد النفسية، وهذا ما تميزت به تحليلات (كنت) فى فلسفة التاريخ.

(هـ) هيجل G. Hegal : تعتبر كتابات كل من (كنت وهيجل) من الكتابات التى تصنف ضمن كتابات فلسفة التاريخ ذات الأبعاد المثالية والواقعية، والتى تتصف بها المدرسة الألمانية عن غيرها من المدارس الأوربية التى ظهرت سواء خلال عصر النهضة أو خلال العصر الحديث. وهذا ما سوف نشير إليه لاحقاً عند معالجتنا للعديد من كتابات علماء المدرسة الألمانية ولاسيما ماكس فيبر وكارل ماركس على سبيل المثال لا الحصر.

حقيقة لسنا فى موضع لدراسة أفكار هيجل بصورة مستفيضة بقدر ما نشير هنا إلى اسهامات هذا المفكر كغيره من علماء ومفكرى فلسفة التاريخ، الذين مهدوا بالفعل لظهور علم الاجتماع مع أواخر القرن التاسع عشر، فلقد ناقش هيجل طبيعة النسق الفكرى وحلل كيفية تطور كل من الأفراد أو العقل البشرى والمجتمعات الانسانية ولقد استخدم المنطق أو العمليات المنطقية والعقلية فى تفسيره لعمليات التطور وكيفية واساليب اكتساب الحقيقية. ولهذا، نجد أن هيجل ركز على أهمية دراسة العقل Reason، واعتباره قوة فعلية مادية لديه القدرة على تفسير الحقائق وأسباب الظواهر وظهور المشكلات والنتائج المصاحبة لها.

---

(١) أنظر، محمد على محمد، مرجع سابق، ص ٣٩ - ٤٠.
وأيضاً المرجع التالى :

- Fletcher, Op. Cit., PP. 126-151

علاوة على ذلك، أكد هيجل على أن عمليات التغير أو احداث تغيرات فى التاريخ فى الحاضر أو فى الماضى، نتج عن إرادة الإنسان، لأن طبيعة العملية التاريخية شكلاً ومضموناً من أعمال الإنسان ذاته. كما استخدم هيجل نهج الجدل أو ما يسمى بالعملية الجدلية فى دراسة الواقع وتفسير الحقائق، ودراسة النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ولذا، اتسمت كتاباته بدراسة هذه الأشياء، بأن لها بعداً سوسيولوجياً مميزاً ولاسيما عند دراسته للمجتمع الدينى وكيفية تطوره، وهذا ما اشار إليه أيضاً عند دراسته لفكرة الدولة، والروح العالمية، والفن، والقانون، والأخلاق، والادراك، والشعور، والابداع، والتنظيم الاجتماعى بصورة عامة. هذا بالاضافة، إلى أن تحليلات هيجل عن التاريخ الاجتماعى للحضارات والشعوب تعتبر اضافة سوسيولوجية هامة، ولاسيما عند تقسيمه التاريخ البشرى إلى أحقاب تاريخية مميزة وهى حقبة العالم الشرقي، والحضارة اليونانية والرومانية، والحضارة الألمانية الاوربية، وهذا ما أثار جدلاً كبيراً حول تصوراته بالرغم من أهميتها فى وضع أسس الفكر الاجتماعى خلال العصر الحديث، ومهدت لظهور مجموعة من رواد علم الاجتماع الأوائل.

ثانياً : البدايات الأولى لنشأة علم الاجتماع :

شهد القرنين السابع عشر والثامن عشر تطورات فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية متعددة، مهدت بدورها إلى ظهور مجموعة من العلماء المتخصصين فى علم الاجتماع، والذين قاموا بعمليات تحديد ماهية هذا العلم، والسعى إلى فصله عن الفلسفة باعتباره العلم الأول الذى ظل مهيمناً على العديد من العلوم الاجتماعية كما تم تسميتها أخيراً. وكما لاحظنا بوضوح نوعية تطور الفكر الاجتماعى عبر العصور التاريخية، وكيف أن كل عصر من العصور له نمط معين من التفكير، وهذا ما جعل رائد علم الاجتماع الفرنسى أوجست كونت من طرح مجموعة من الأفكار التى حدد فيها مراحل تطور الفكر البشرى والتى أسماها بقوانين المراحل الثلاث.

ولم تظهر هذه التحليلات بصورة فجائية ولكن بطريقة تدريجية استغرقت عقوداً طويلة، وهذا ما ظهر على سبيل المثال، عندما بدأ الفكر الاجتماعى يأخذ أسلوب مغايراً عن الأسلوب التقليدى الذى كان سائداً خلال العصور الوسطى. ولاسيما، من أن ظهرت مجموعة من المفكرين والفلاسفة الذين نادوا بعمليات الاصلاح والاهتمام بالعلم والتجربة ودراسة الحقائق بصورة واقعية والبعد عن الغيبيات والتفسير اللاهوتى. وهذا ما أدى إلى تقلص دور الكنيسة وهيمنة كل من الدين واحلالهم بالسلطة السياسية، كما كانت لظهور القوميات والتجمعات البشرية التى

تنادى بالمساواة والحرية والعدالة والديموقراطية وغيرها. ولقد كشفت تصورات وآراء هوبز ولوك وروسو وكنت ومنتسكيو وهيجل وغيرهم آخرون من أمثال بودان وسيمون الذين اسهموا بصورة مباشرة فى تطور الفكر البشرى والسعى إلى استخدام الأساليب العلمية والحديثة فى دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية.

وفى اطار اهتمامنا الحالى، بالتعرف على البدايات الأولى لظهور علم الاجتماع ونشأته خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، نسعى لطرح مجموعة من الآراء التى وضحها مؤسسى هذا العلم (علم الاجتماع) - وذلك بصورة موجزة - حتى نعطى خلفية مبسطة للقارئ فى علم الاجتماع انماطاً من تصورات وآراء علماء الاجتماع الأوائل تمثل تناولهم موضوعات هذا العلم ومجالاته المختلفة.

١ - أوجست كونت A. Comte (١٧٩٨ - ١٨٥٧م):

ظهرت آراء كونت فى مرحلة فكرية كانت شبة ممهدة بظهور أفكار وتصورات جديدة، مهد لها الطريق العديد من تصورات وآراء علماء وفلاسفة التاريخ المعروفين، الذين فتحوا المجال أمام أوجست كونت وغيره من رواد علم الاجتماع بأن يسهموا فى ظهور علمهم الجديد. وبالطبع، تجئ تصورات كونت التى سميت بالفلسفة الوضعية، كمحاولة أولى لتخليص علم الاجتماع من الفلسفة وسعيه لأهمية وجود علم جديد مستقل يهتم بدراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية بصورة واقعية.

وجاءت آراء كونت(١) عندما نادى بضرورة ظهور علم اجتماع أو ما أسماه 'بالفيزياء الاجتماعية'، نظراً لوجود علم مثل الفيزياء الطبيعية، والفيزياء السماوية، والفيزياء الأرضية، والكيمياء، والأحياء وغيرها من العلوم التى تهتم بدراسة الطبيعة الخارجية دون وجود علم مستقل يهتم بدراسة الانسان ومشكلاته الاجتماعية، ولاسيما أن هذه المشكلات تأخذ طابع التعقيد ومتعددة الأسباب والنتائج، كما اهتم كونت بضرورة تحديد الأسس والقوانين التى يجب أن يهتم بها الباحث عند دراستة للمشكلات الاجتماعية أسوة بما يهتم به نظيره من الباحثين فى العلوم الطبيعية الأخرى. وان كان كونت قد استعار تسميته للعلم الحديث من آراء بعض العلماء الأوربين وخاصة من الباحث البلجيكى (أدولف كتليه A. Quetelet)، عندما نشر دراسة احصائية عن المجتمع وأسماها (بالطبيعة الاجتماعية)، وبعدها أطلق كونت على العلم الجديد بالسوسيولوجيا La Sociologie.

---

(١) Aron, R, Main Current in Sociological Thought, Benguran Books, 1965.

وبايجاز، سعى كونت فى علمه الجديد لبحث الظواهر والمشكلات الاجتماعية على غرار دراسة الظواهر الطبيعية، وناقش عمليات التطور الاجتماعى العقل خلال مراحله الثلاث كمحاولة منه لاستخدام العقل والمنطق والعلم الحديث فى دراسة المجتمع الحديث عموماً. كما جاءت ظروف العصر الحديث وتعدد مشكلات المجتمع الصناعى لاعطاء دور أكبر لعلم الاجتماع ليهتم بدراسة هذه المشكلات بصورة واقعية. كما ناقش كونت أهمية علم الاجتماع وعلاقته بالعلوم الاجتماعية الأخرى وتناول قضايا متعددة مثل المصالح الاجتماعية، والقانون، والدين، والأخلاق، والعرف والعادات والتقاليد، والعلاقات الاجتماعية، والتغير والتطور والتقدم الاجتماعى وغيرها من القضايا المتعددة.

٢ - كارل ماركس K. Marx (١٨١٨ - ١٨٨٣م) :

شهدت أوربا خلال القرن التاسع عشر تطورات فكرية متعددة، وظهرت أيديولوجيات متصارعة نتيجة لظهور القوميات المتعددة التى لم تشهدها أوربا خلال العصور الوسطى، ولاسيما أن السلطة الموجودة بها كانت سلطة ذات طابع دينى كنسى. وهذا بالفعل ما شهدته بلدان أوربا وأقطارها المختلفة، فظهرت فى فرنسا مجموعة من العلماء الذين كان لهم التميز العلمى وخاصة عند اهتمامهم بدراسة المجتمع من أمثال بودان، وسيمون، وكونت، ودوركايم، وغيرهم. وهذا ما ظهر بالفعل أيضاً فى بريطانيا من أمثال هربرت سبنسر، أو فى المانيا مثل كنت وهيجل وأيضاً ماركس.

وجاءت تصورات ماركس فى المانيا عندما شعر بنوع من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والايديولوجية، التى لم تشهدها أوربا من قبل، وخاصة ظهور مشكلات العمل والانتاج نتيجة لظهور المجتمع الصناعى المتمايز عن المجتمع الاقطاعى الذى كان سائداً خلال العصور الوسطى. كما ظهرت طبقات اجتماعية لم تكن معروفة من قبل، والتى اسماها بالطبقات الرأسمالية، وطبقات أخرى اسماها بطبقة العمال أو طبقة البروليتاريا. ونظرية ماركس عن الصراع تعتبر من النظريات الهامة التى تشغل اهتمام الفكر البشرى لفترات طويلة، نظراً لوجود تعارض فى المصالح والغايات والأهداف التى تسعى إليها كل من الطبقتين الاجتماعيتين التى ظهرت خلال العصر الحديث (الصناعى).

وفى الواقع، لم يتناول ماركس مفهوم علم الاجتماع وتسميته بصورة أخرى، ولكن أسماه بعلم المجتمع، الذى يجب أن يهتم بدراسة المشكلات الاجتماعية المتعددة، وهذا ما ظهر بوضوح فى تصوراته حول المادية التاريخية، التى اهتمت بدراسة المجتمع والانسان معاً. كما ركز ماركس على دراسة النسق الفكرى والايديولوجى الذى شكل كل شئ فى المجتمع سواءاً كانت المصالح المادية

أو اللامادية. وكما أهتم بتحليل العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي، ويعتبر عموماً من أسس نظريات محددة عن الصراع، والتغير والتطور، والتقدم الثوري، وغير ذلك من قضايا متعددة مثل الاغتراب والأيديولوجيا، التي لا تزال تشغل الفكر البشري حتى الوقت الراهن.

٣ - أميل دوركايم E. Durkiem (١٨٥٧ - ١٩١٧م):

يعد دوركايم من أبرز رواد علم الاجتماع الأوائل الذين أسسوا معالم هذا العلم وأكملوا مسيرة رائده الأول أوجست كونت. كما أسهم دوركايم في تأسيس المدرسة الفرنسية السوسيولوجية الذي وضع معالمها سان سيمون خلال القرن التاسع عشر. وان كانت كتابات دوركايم تتميز عن كل من سيمون وتلميذه كونت، لأنها اصطبغت بالطابع السوسيولوجي الواقعي، وهذا ما اتسمت به تحليلات دوركايم على وجه الخصوص. وربما أثرت ظروف المرحلة التاريخية التي عاشها دوركايم وهي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من معاصرته للعديد من التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي ظهرت في المجتمعات الغربية الأوربية، وكانت دافعاً قوياً لتناول القضايا والمشكلات المصاحبة لعمليات التغير والتطور المستمر.

ومن أبرز القضايا التي تناولها دوركايم تأكيده على أهمية تناول دراسة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء واقعية أو حقائق موجودة بالفعل، كما سعى لضرورة الفصل بين التحليلات والتفسيرات السوسيولوجية والسيكولوجية عن دراسة الظواهر الاجتماعية، هذا بالرغم من تناوله قضايا سوسيو–سيكولوجية مثل الانتحار على سبيل المثال، كما اهتم بعقد المقارنات السوسيولوجية بين المجتمع والحياة العضوية، أو ما سميت 'بالمماثلة العضوية' ودراستها على أساس وظيفي. كما تناول دراسة طبيعة البناء الاجتماعي وعمليات التطور الاجتماعي وتحديد العوامل المسببة له. ويعد صاحب نظرية التضامن الاجتماعة عند دراسة الروابط والعلاقات الاجتماعية والتي عرفت بالتضامن الآلي والعضوي عند تمييزه بين المجتمعات البدائية والمجتمعات المتقدمة[1].

---

(١) أنظر من مؤلفات دوركايم على سبيل المثال

- Durkeim, E, Sociology and Philosophy, Tr. by D. E. Pocok, Intro. by J. Peristihg & Cohan West, 1953.
- Durkeim, E, The Rules of Sociological Method (Ed. G. C. Coltion) Free Press, 1962.

ولقد صدرت إلى الكاتب الأخير ترجمة باللغة العربية وهي:

- محمد قاسم، دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمد قاسم، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٦١.

فى نفس الوقت، اهتم دوركايم بكل من الدين والأخلاق كأساس قوى لفهم عمليات التغير التى تحدث فى كل من البناءات والنظم الاجتماعية، واستند إلى تبرير وجهة نظره بدراسة التاريخ والاستشهاد بالأمثلة التاريخية الواقعية. علاوة على ذلك له اهتمامات متعددة فى مجال التربية، والقانون، والفن والعادات والتقاليد، والوعى الجمعى ووسائل الاتصال واللغة، نظم الدولة والحكم، والنقابات والمهن الاجتماعية، والاتحادات المهنية وتقسيم العمل، والانتحار، والطبقات الاجتماعية وغيرها.

٤ - ماكس فيبرر M. Weber (١٨٦٤ - ١٩٢٠م):

ينتمى فيبر إلى المدرسة الالمانية فى علم الاجتماع والتى اسسها قبل ذلك مجموعة من أعلام الفكر الاجتماعى من أمثال كنت وهيجل وماركس وغيرهم، والذين اسهموا فى تطوير وتحديث وتناول الكثير من قضايا المجتمع البشرى الذى نعيش فيه. وان كانت تتميز كتابات فيبر السوسيولوجية عن غيره من رواد علم الاجتماع الالمان نتيجة لاستخدامه مناهج مميزة للبحث الاجتماعى التى ترتبط بتصوراته وكيفية تناوله لدراسة المشاكل والظواهر الاجتماعية. كما جاءت ظروف العصر الذى عاش فيه فيبر والتى بدأت مع ظهور دولة بسمارك ونشأة القومية الالمانية[1].

حقيقة يصعب علينا حالياً أن نوضح اسهامات فيبر المتعددة سواء فى علم الاجتماع وفروعه المختلفة أو الكثير من العلوم الاجتماعية الأخرى مثل الاقتصاد والسياسة على سبيل المثال. كما جاءت تصورات فيبر فى فترة زمنية تكاد تكون معاصرة أو لاحقة بعد ذلك لكتابات ماركس، والتى وضح فيها كيفية اختلافه مع الكثير من القضايا التى طرحها الأخير (ماركس)، ولاسيما قضايا مثل الدين والصراع الطبقى والاغتراب والايديولوجية. ويجيئ هذا الاختلاف نتيجة توسع فيبر لدراسته الأديان السماوية والأرضية فى نفس الوقت، ولتوكيده على أهمية الدين فى دراسة وتفسير الظواهر والحياة الاجتماعية المختلفة.

وكما أشرنا سابقاً، لقد تعددت اسهامات فيبر فى مجال علم الاجتماع الدينى، والاقتصادى، والسياسى، والقانونى والتربوى، وغيرهم من فروع علم الاجتماع المختلفة. كما اهتم بمعالجة القضايا السوسيولوجية من خلال استخدامه لمقولة الفهم والمعنى عند تفسير هذه القضايا واعتمد على دراسة التاريخ والاحداث التاريخية أو ما يسمى بالمنهج التحليل التاريخى، الذى استخدمه كثيراً فى دراسته للعديد من الظواهر والمشكلات الاجتماعية سواء التى ظهرت فى العصور السابقة أو العصر الحديث. من

---

(١) أنظر:

Weber, M, The Theory of Social and Economic Organization, NY, The Free Press, 1047.

ناحية أخرى، ارتبطت عملية تطور النظرية السوسيولوجية فى علم الاجتماع عموماً بطبيعة المنهج الواقعى الذى استخدمه فيبر عند دراسته لكثير من المشكلات الاجتماعية التى ظهرت فى المجتمع الالمانى خاصة وان فيبر كان مؤسس لمنظمة اجتماعية تهتم بدراسة هذه المشكلات وتقديم الحلول لعلاجها وفهمها بصورة واقعية.

ثالثاً : عوامل ظهور علم الاجتماع :

كشفت طبيعة الفكر الاجتماعى الذى ظهر مع البدايات الأولى لظهور المجتمعات البشرية عن مدى تطور نوعية هذا التفكير نتيجة لمجموعة الظروف والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التى وجدت فى هذه المجتمعات. وهذا ما ظهر بوضوح من خلال تحليلنا لأنماط الفكر الاجتماعى الذى ظهر فى حضارات الشرق القديم، أو التى ظهرت فى الحضارة الاغريقية (اليونانية)، أو التى تطورت بعد ذلك خلال العصور الوسطى المسيحية أو الاسلامية. كما تباينت أنماط التفكير الاجتماعى خلال مرحلة عصور الاصلاح والتنوير نتيجة لاختلاف نوعية البناءات والنظم الاجتماعية والدعوة إلى استخدام العقل والعلم والتجربة لدراسة الحقائق والوقائع الموجودة بالفعل، والبعد عن التفسيرات اللاهوتية أو الميتافزيقية.

كما جاء ذلك التغير نتيجة لتضافر مجموعة من العوامل الفكرية والسياسية والاقتصادية التى ظهرت خلال مراحل تحول المجتمع الحديث من مراحل العصور الوسطى، والتى عبر عنها بوضوح مفكرى وفلاسفة التاريخ الذين عكست ارائهم نوعية الدعوة لدراسة المجتمع بصورة أكثر واقعية. وضرورة تبنى العلم الحديث عند دراسة الظواهر الاجتماعية، حتى يمكن معرفة أسباب هذه الظواهر وطبيعة المشاكل والنتائج المترتبة عليها. ومن ثم، جاءت الدعوى صريحة مع نهاية القرن الثامن عشر لأهمية وجود علم جديد، ألا وهو علم الاجتماع، يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية ووضع قوانين ومبادئ عامة يمكن الاستعانة بها عند دراستها وتحليلها، حتى يمكن تحديدها بصورة أكثر عمية، مقارنة بما وصلت إليه دراسة الظواهر الطبيعية.

وهذا ما ظهر بوضوح من خلال مجموعة اسهامات متميزة لعدد من رواد علم الاجتماع المؤسسين أو ما يعرفون بمجموعة الرواد الأوائل والذين أشرنا إليهم فى عجالة سريعة، فى اطار تحليلنا للبدايات الأولى لظهور ونشأة علم الاجتماع فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى (العشرين). وبالطبع، هناك مجموعة من التغيرات التى حدثت على طبيعة دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين، نتيجة لاختلاف نوعية المشكلات وأسبابها وطبيعة الظواهر الاجتماعية ذاتها.

وعموماً، نسعى حالياً لتناول بعض العوامل[1] التى مهدت لظهور علم الاجتماع، حتى يمكن للقارئ التعرف على كيفية تضافر هذه العوامل فى وضع أسس هذا العلم، ليسهم فى دراسة المجتمع البشرى كغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى.

١ - العوامل الفكرية :

تشكل مجموعة العوامل الفكرية طبيعة الآراء والاتجاهات والأفكار والأيديولوجيات والمذاهب والتيارات النقدية والراديكالية، التى ظهرت فى أوربا خلال عصر التنوير والمراحل الأولى من العصر الحديث، والتى لعبت دوراً أساسياً فى تشكيل آراء واتجاهات ونظريات علماء الاجتماع وتصوراتهم عند دراستهم للظواهر والمشكلات الاجتماعية. كما أثرت هذه العوامل فى تكوين آراء العلماء والباحثين المتخصصين فى علم الاجتماع، وطبيعة النزعات والمذاهب والمدارس الفكرية والأيديولوجية التى ينتمون إليها بالفعل. من ناحية أخرى، لقد مهدت العوامل الفكرية إلى ظهور مجموعة من مناهج وطرق وأساليب البحث الاجتماعى، التى اسهمت فى دراسة النظريات السوسيولوجية وتطويرها من أجل دراسة الظواهر والحياة الاجتماعية التى ظهرت مع ظهور المجتمع الصناعى الحديث.

فلقد أدت آراء فلاسفة التاريخ التى ظهرت بصورة خاصة خلال عصر الاصلاح والتنوير، إلى نقد أساليب التفكير التى كانت سائدة خلال العصور الوسطى. ولاسيما، اتجاه هذه الأساليب إلى الايمان بالغيبيات والتفسير اللاهوتى والميتافيزيقى الذى يبحث فيما وراء الطبيعة دون ابداء الأسباب الفعلية. كما أدت طبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى ظهرت فى أوربا وظهور القوميات والدعوة إلى السيطرة وتكوين المستعمرات فيما وراء البحار عن أهمية اتباع الأساليب العلمية لتحقيق المزيد من الاكتشافات الطبيعية ودراسة ظواهر الحياة الطبيعية بصورة أكثر واقعية. كما كان لظهور بعض المذاهب الاقتصادية، ولاسيما التى ظهرت فى كل من بريطانيا وفرنسا مثل مذهب التجاريين، من تحرير العقل البشرى والدعوة إلى المزيد من حرية العمل والنقل والاتصال. كما كانت لحركات الاصلاح الدينى ذاتها، أثر بالغ فى تطوير آراء ومعتقدات رجال الدين الكنسى أنفسهم والدعوة إلى تبنيهم لاستخدام أساليب العلم الحديثة. كما ظهرت على سبيل المثال، فى أفكار المذهب البروتستانتى والعمل على اعلاء منزلة كل من العقل والحرية الفردية والتفكير العلمى الرشيد.

كما أدت العوامل الفكرية أيضاً إلى تكوين اتجاهات وايديولوجيات أكثر طموحاً ورغبة فى التغيير واكتساب المزيد من الديموقراطية والحرية الفردية

(١) عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٢، الفصل الأول.

والمساواة فى العمل والانتاج ورأس المال. كما كان لظهور هذه العوامل أثر بالغ فى تكوين الوعى الطبقى، وظهور المعارضين والمؤيدين لكل من الطبقات البرجوازية والرأسمالية والعمالية. وبالطبع، ان هذه العوامل لم تظهر من فراغ بقدر ما كانت للأفكار التى ظهرت خلال عصر التنوير من أصداء كثيرة فى تشكيل هذا الوعى، وتغير النسق العقائدى والفكرى ونمو الاتجاهات الحديثة التى تتلاءم مع نوعية المجتمع الصناعة الحديث.

من ناحية أخرى، تمثلت مجموعة العوامل الفكرية من ظهور مجموعة من المذاهب الفكرية المفسرة للظواهر الاجتماعية والتى تعرف بمذاهب العقليين ومذاهب التجريبيين، تلك المذاهب التى ركزت وبررت أهمية استخدام العقل أو التجربة فى دراسة الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية فى نفس الوقت. حقيقة، لقد اتخذ علماء الاجتماع الأوائل مواقف متعارضة ومتوافقة مع مجموعة هذه المذاهب عند دراستها للواقع الاجتماعى أو لتفسيرها للظواهر والمشكلات الاجتماعية. واسهم ذلك بالطبع، فى تطوير وتحديث كل من النظريات السوسيولوجية الأولى، والمناهج وطرق الدراسة التى تفسر هذه النظريات وتحاول اختبارها عند دراسة الواقع. علاوة على ذلك، لقد شكلت مجموعة العوامل الفكرية فى ظهور الاتجاهات الراديكالية النقدية خلال القرن التاسع عشر، أو الاتجاهات الليبرالية المحافظة، والتى لعبت كل منها (الاتجاهات) فى تحديد أنماط القضايا والمشكلات التى انطلق منها علماء الاجتماع الأوائل عند تأسيسهم علمهم الجديد خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

٢ - العوامل الاقتصادية :

شهد القرن الثامن عشر مجموعة من العوامل الاقتصادية التى مهدت لظهور علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى، ومن أهم هذه العوامل قيام الثورة الصناعية فى بريطانيا خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر، ثم ما لبثت وانتقلت بعد ذلك إلى العديد من الدول الأوربية المجاورة وبقية دول العالم الحديث بعد ذلك. كما أدت بعض العوامل الاقتصادية الأخرى إلى حدوث تغيرات متعددة على طبيعة البناءات والنظم الاجتماعية والسياسية ومن أهم هذه العوامل نمو المستعمرات والصراع بين الدول الأوربية من أجل تكوين ثروات اقتصادية كبيرة تتركز فى السيطرة على موارد الطبيعة و المواد الخام التى جاءت بها الدول الأوربية من دول الجنوب وكونت بموجبها ثروات اقتصادية كبيرة، وهيمنة سياسية وعسكرية لا تزال موجودة فى دول المستعمرات حتى البدايات الأولى من القرن الحادى والعشرين.

وكما يحلل العديد من علماء الاجتماع المعاصرين لطبيعة هذه العوامل الاقتصادية، بأنها ارتبطت فى نفس الوقت ببعض الأفكار والاتجاهات، التى مهدت

لظهور الثورة الصناعية نفسها. ولاسيما ظهور كتاب آدم سميث A. Smieth، عن (ثورة الأمم)، الذى ظهور فى بريطانيا عام ١٧٧٦م، والذى غير كثيراً من آراء علماء الاقتصاد والسياسة والاجتماع سواء فى بريطانيا أو فى فرنسا أو المانيا وغيرهم من الدول الأوربية. وبالطبع، لقد صاحبت الثورة الصناعية بعض المظاهر الاقتصادية التى لم تكون موجودة من قبل مثل طبيعة الانتاج، ورأس المال، والعمل، ونظام الملكية، والتقدم التكنولوجى، وظهور نظام المصنع الحديث، وظهور الطبقات الاجتماعية العمالية والطبقات الرأسمالية البرجوازية، ونمو الرأسمالية من المدن إلى الريف، وظهور مشكلات التحضر، وتغير أساليب المعيشة والحياة الحديثة. كما أحدثت الثورة الصناعية أو ما ترتب على نشأة المجتمع الصناعة الحديث من تغيرات اقتصادية متعددة، أدت بدورها إلى تغير نمط البناءات والنظم الاجتماعية مثل التغير الذى طرأ على النظام العائلى أو القبلى، الذى كان سائد فى العصور الاقطاعية، وتغير نمط النظام الأسرى، وعلاقة الرجل بالمرأة، وظهور العديد من المشكلات المصاحبة لهذه التغيرات المتنوعة.

٣ - العوامل السياسية :

ما من شك، أن عملية الفصل بين العوامل الفكرية والاقتصادية والسياسية، يعد أمراً صعباً للغاية عند دراسة مدى تأثير هذه العوامل مجتمعة على ظهور علم الاجتماع بصورة خاصة. وإن كانت عملية فصل هذه العوامل تساعد الباحثين على الدراسة والتحليل ومعرفة هذه العوامل بصورة أكثر دقة. وهذا بالفعل ما ينطبق على تحليل العوامل السياسية التى مهدت لظهور علم الاجتماع، وتعتبر عملية قيام الثورة الفرنسية التى قامت فى عام ١٧٨٩م من أهم الأحداث السياسية التى ظهرت خلال العصر الحديث بعد الثورة الصناعية التى ظهرت فى بريطانيا وأثرت كل منهما فى تأسيس علم الاجتماع وتطويره وتركيزه على تناول العديد من المشكلات التى صاحبت كل من الثورتين (الصناعية والسياسية) كغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى.

وبالطبع، ان قيام الثورة الفرنسية لم يحدث من فراغ بقدر ما أثرت مجموعة آراء مفكرى وفلاسفة عصر التنوير من التمهيد للقيام بهذه الثورة، وتغير النسق الفكرى الذى ارتبط بنظريات الحق الطبيعى، التى اعطت لكل من رجال الدين أو أصحاب السلطة الدينية، أو نظريات الحق الطبيعى التى أعطيت بعد ذلك للحكام السياسيين. وكما يحلل الكثيرون لطبيعة الثورة الفرنسية أنها لم تكن ثورة سلمية بقدر ما كانت ثورة دموية وشهدت حرب عقائدية وفكرية واجتماعية متعارضة، ولهذا ظهر علم الاجتماع كمطلب ضرورى كغيره من العلوم الاجتماعية، التى تهتم بدراسة المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى ظهرت فى المجتمع الصناعى الحديث.

عموماً، لقد مهدت العوامل السياسية كغيرها من العوامل الفكرية والاقتصادية لقيام علم الاجتماع وظهوره، وإلى تنوع نظريات واتجاهات وأفكار رواد هذا العلم وايديولوجياتهم، وتفسيرهم للمشكلات والقضايا والظواهر المجتمعية. كما أسهمت مجموعة هذا العوامل على تحديث وتطوير أساليب التفكير والبحث الاجتماعي ومناهجه المختلفة. علاوة على ذلك، لقد فتحت هذه العوامل إلى نمو وظهور مجموعة من التيارات الفكرية المتباينة عند تفسيرها لقضايا المجتمع الحديث، والتي غيرت كثير من موضوعات علم الاجتماع وميادينه ومجالاته المختلفة وهذا ما سنعالجه في الفصول القادمة.

خاتمة :

في الواقع، إن دراسة أنماط التفكير الاجتماعي - ولو بصورة موجزة - التي سبقت مرحلة ظهور علم الاجتماع من شأنها أن تعطي للقارئ أو الباحث تصور مسبق عن ماهية هذا العلم، وكيف نشأ وتطور خلال القرنين الماضيين. فلقد كشفت طبيعة البناءات والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ظهرت في المجتمعات البشرية سواء في العصور القديمة الشرقية أو الاغريقية، عن مدى اختلاف هذه البناءات والنظم المصاحبة، عما كانت عليه خلال العصور الوسطى، سواء أكانت مسيحية أم اسلامية، وخلال عصور الاصلاح والتنوير.

كما عكست تصورات وآراء ومفكري فلاسفة التاريخ الذين ظهروا خاصة خلال القرن السادس عشر والسابع عشر إلى التمهيد لظهور مجموعة من التيارات الفكرية والعقائدية والسياسية والاقتصادية، والتي أدت في مجملها إلى ظهور المجتمع الصناعي الحديث. كما كان لظهور هذا المجتمع تأثيراً هاماً ودعوة صريحة لقيام ونشأة علم الاجتماع ذاته، لدراسة المشكلات الناتجة عن طبيعة المجتمع الصناعي. وهذا ما جعل الكثير من علماء الاجتماع يعرفون علم الاجتماع، بأنه العلم الذي يهتم بدراسة المجتمع الصناعي الحديث. وبالطبع، ان مهمة علم الاجتماع كرست من أجل دراسة مشكلات المجتمع الحديث وطبيعة التغيرات التي طرأة على نوعية الفرد والجماعة والعلاقات والحياة الاجتماعية ككل.

بايجاز، لقد كرست جهود رواد علم الاجتماع الأوائل، نحو دراسة مشكلات المجتمع الصناعي الحديث. وهذا ما هدف إليه أوجست كونت عند معاصرته كغيره من رواد هذا العلم لطبيعة التغيرات التي شهدتها المجتمعات الغربية الأوربية، وضرورة وجود علم اجتماعي، يهدف لدراسة الظواهر والمشكلات والشخصية الفردية والسلوك والعلاقات الاجتماعية، التي اختلفت وتنوعت وتعقدت عما كانت موجودة في العصور والمجتمعات الاقطاعية، وهذا في حد ذاته يعتبر هدفاً من أهداف علم الاجتماع التي وضع من أجلها بواسطة مؤسسيه الأوائل.

الفصل الثانى
تعريف علم الاجتماع وأهميته وموضوعه ومجالاته

* مقدمة :

أولاً : تعريف علم الاجتماع ومفهوماته.

١- التعريف بعلم الأجتماع.

٢- المفهومات الأساسية.

ثانياً : أهمية دراسة علم الاجتماع.

١- أسباب دراسة علم الاجتماع.

٢- علم الاجتماع كمهنة.

ثالثاً : موضوع علم الاجتماع ومجالاته.

١- موضوع علم الاجتماع.

٢- مجالات علم الاجتماع.

* خاتمة

مقدمــة :

تعكس طبيعة النشأة والتطور لأى علم من العلوم الطبيعية أو الاجتماعية، مدى التغيرات التى ارتبطت عند ظهور هذا العلم حتى أن وصل إلى ما هو عليه حالياً. فالعلوم الطبيعية أو الانسانية قد تطورت بصورة ملحوظة، ولاسيما فى العصر الحديث، ولكن تمتد جذور هذه العلوم منذ أن عرفت المجتمعات البشرية لغة العلم والبحث عن الظواهر والمشكلات الطبيعية والانسانية. ولذا، نجد أن طبيعة وخصائص العلوم تركز على دراسة قضايا ومشكلات معينة مثل طبيعة العقل البشرى، ونوعية وأهداف وأسباب سعيه لدراسة هذه القضايا والمشكلات. وبالطبع، فالعلوم الاجتماعية أو الانسانية دائماً فى حالة من التغير المستمر نتيجة تطور العقل البشرى، ونوعية القضايا والمشكلات والظواهر التى يسعى لدراستها وتحليلها بمرور الوقت.

وهذا، بالفعل ما ينطبق على كل من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، فلقد اختلفت وتنوعت وتطورت كل من المسميات والتعريفات لهذه العلوم نتيجة لتطور العقل البشرى، أو لأهتمامات الباحث المتخصص فى هذه العلوم. فنجد على سبيل المثال، أن طبيعة كل من العلوم الطبيعية والانسانية خلال العصور الوسطة الأوربية، كان يسيطر عليها غالباً الطابع اللاهوتى أو لسيطرة الفكر الدينى على تفسير الحقائق الطبيعية والانسانية. وهذا ما ظهر أيضاً، خلال العصور الوسطى الاسلامية، حيث ارتبطت بعض العلوم بالعلوم الدينية إلى أن تبلورت الحضارة الاسلامية، فظهرت علوم الفلك، والطب، والأحياء، والكيمياء، وظهر منها مؤسسيها وإن كانت تسمى كتاباتهم بالطابع الموسوعى.

ولكن مع ظهور المجتمع الحديث، والذى ظهر نتيجة تقدم العلم سواء كان علماً طبيعياً أم انسانياً (اجتماعياً)، وتطورت خصائص وسمات هذه العلوم نظراً لتطور الموضوعات والمناهج والنظريات والقضايا والمشكلات المطروحة للمناقشة والدراسة والتحليل. كما جاء هذا التطور نتيجة لاستقلال بعض العلوم عن بعضها البعض، كما حدث على سبيل المثال، فى تطور بعضها مثل الأحياء والكيمياء وانفصال العلوم الاجتماعية عن الفلسفة، مثل الاقتصاد، والسياسة، وعلم الاجتماع. عموماً، لقد حدثت تغيرات فى طبيعة هذه العلوم وتطورها، نتيجة تغير فى مسمياتها وتعريفاتها نتيجة لتغير خصائصها ووظائفها وأهدافها المحددة.

وهذا ما ينطبق على علم الاجتماع، كعلم من العلوم الاجتماعية الذى ظهر حديثاً مقارنة بغيره سواء من العلوم الاجتماعية الأخرى مثل الاقتصاد والسياسة

أو العلوم الطبيعية مثل الطب، والهندسة، والكيمياء على سبيل المثـال. فلقد تنوعت مسميات هذا العلم وتعريفاته المختلفة، حيث نجد أن خلال البدايات الأولى لنشأة هذا العلم تعددت مفاهيم علم الاجتماع، والمصطلحات التى كانت تطلق عليه. وهذا ما كشفت عنه تحليلات وكتابات رواد هذا العلم ومؤسسيه الأوائل. وإن كانت ظلت تسمية علم الاجتماع Sociology، منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى البدايات الأولى للقرن الحالى (العشرين).

وعموماً، يهدف هذا الفصل لطرح عدد من القضايا والموضوعات التى تشغل اهتمام القارئ والباحث المتخصص فى علم الاجتماع، حول طبيعة هذا العلم وماهيته، ونوعية التسميات والتعريفات ومشكلة تصنيفها، وإلى أى حد ارتبطت بعملية تطور علم الاجتماع ونظريته وفهمه وعلمائه أيضاً. كما نركز حالياً، لتحليل عدد من المفاهيم الأساسية التى ارتبطت بعلم الاجتماع وتعتبر من المفهومات الضرورية، التى يجب أن يهتم بها الباحثين فى علم الاجتماع، نظراً لأهميتها فى الدراسة ولتحليل ووضوح المعانى والأفكار العامة لهذا العلم، فى نفس الوقت، يعالج هذا الفصل، أهمية وأسباب دراسة هذا العلم، وطبيعة ومهام علماء الاجتماع والمجالات التى يهتمون بدراستها، باعتبارهم من الأكاديميين المهنيين والمتخصصين فى أحد فروع العلوم الاجتماعية. كما نسعى لطرح عدد من الموضوعات والمجالات، التى يهتم بها علم الاجتماع، محاولين التعرف على هذه الموضوعات والمجالات حتى نعطى فكرة مبسطة للقارئ لطبيعة هذا العلم بصورة مبسطة.

أولاً : تعريف علم الاجتماع ومفهوماته :

١ - التعريف بعلم الاجتماع :

قبل الاشارة إلى أهم تعريفات علم الاجتماع التى تم تحديدها لهذا العلم خلال القرن الحالى (العشرين)، ينبغى أن نوضح أن علم الاجتماع تنوعت مسمياته والمصطلحات التى اطلقت عليه، ولاسيما خلال النشأة الأولى لهذا العلم. وهذا ما حدده بالفعل اوجست كونت، عندما وضح أسباب استعارته لهذا المصطلح، ولماذا تم تسمية علم الاجتماع بهذا المسمى، من قبل كونت، وغيره من علماء علم الاجتماع الأوائل. ولذا نوضح أولاً، بعض التسميات التى اطلقت على علم الاجتماع بصورة موجزة كما يلى :

أولاً : التسـميات :

ارتبطت تسمية علم الاجتماع Sociology بهذا الأسم من قبل اوجست كونت A. Comt، الذى اشار إلى استخدامه أولاً مصطلح الفيزياء الاجتماعية

La physique sociate، نظراً لوجود العديد من الفيزياء مثل الفيزياء الطبيعية التى تهتم بدراسة العالم الطبيعة الخارجي. ولما كانت مهمة العلم الجديد (الفيزياء الاجتماعية)، تتركز حول دراسة الانسان ومشكلاته وبيئته الاجتماعية التى تحيط به، فيجب أن تكون مهمة هذه (الفيزياء الاجتماعية)، أن تبحث فى كيفية تقديم الحلول اللازمة لتكيف الانسان والعمل على استمراريته ووجوده. ولقد جاءت هذه التسمية من قبل اوجست كونت كنوع من غيرته لوجود مجموعة من العلوم الطبيعية، التى كرست لدراسة المشاكل والظواهر البيئية والطبيعية الخارجية، ولا يوجد علم محدد أو مميز يركز على دراسة الانسان والمشكلات الاجتماعية التى ارتبطت به. ومن ثم، تكمن أهمية وجود هذا العلم لدراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية على أسس علمية مدروسة.

ولكن فى عام ١٨٣٨، غير كونت تسمية علم الفيزياء أو الطبيعة الاجتماعية، ولاسيما بعد أن نشر الباحث البلجيكى (أدولف كيتليه A. Quetelet)، دراسة احصائية مميزة ترتبط بدراسة المجتمع سماها بالطبيعة الاجتماعية. وأطلق كونت تسمية جديدة على علمه الجديد وأسماه بالسوسيولوجيا La Sociologie. وتتضمن هذه الكلمة الفرنسية قسمين اساسين مشتقين من كلمتين الأولى Societas، وهى كلمة لاتينية يقصد بها الجماعة، والثانية Logos، وهى كلمة يونانية المصدر ويقصد بها العلم أو الدراسة والبحث على المستوى العلمي الدقيق. ومن ثم، نجد أن المعنى العام المقصود بكلمة السوسيولوجيا هو العلم الذى يدرس الجماعات[1].

ولكن ظهرت بعض الآراء التى رأت أن تصورات كونت وتسميته لعلم الاجتماع بهذا الاسمى يكون بعيداً نسبياً عن مهمة هذا العلم. وهذا ما وضحه (جون ستيورات مل) الذى تصور ان اشتقاق كلمة Sociology من كلمتين مختلفين المصدر (لاتينى ويونانى) قد يكون غريباً إلى حد ما. وحدد (مل) تصور أخر يسمى به علم الاجتماع واختار كلمة يونانية وهى كلمة اثولوجى Ethology، ويقصد بها العلم الذى يدرس نفسية الشعوب أو المجتمعات. ولكن بالطبع لم تلق هذه التسمية أى نوع من الاهتمام أو الانتشار مقارنة بتسمية اوجست كونت السابقة.

---

(١) أرجع فى هذا الصدد على سبيل المثال:

- Aron, R, Op. cit.
- Bottomore, T. B. Sociology, Unwin Univ Book, 1972, P. 19.
- Bilton, T, (et. uls) Introductory Sociology (Foreword by A. Gidden), London, The MacMillan Press, 1982, P. 1.

وأيضاً – عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع، مرجع سابق، الفصل الأول.

وهذا ما أيده بالطبع رائد علم الاجتماع البريطانى هربرت سبنسر H. Spencer، الذى استخدم كلمة سوسيولوجى، ووضع مؤلف جديداً يحمل هذه التسمية فى كتابه بعنوان مبادئ علم الاجتماع. ولقد وضح سبنسر ان استخدامه مصطلح كونت لعلم الاجتماع يعكس بالفعل المضمون الحقيقى بكلمة وليس مدلولها اللفظى. وهذا ما أيد سبنسر وغيره من علماء علم الاجتماع بعد ذلك إلى استخدام هذا المفهوم وذيوعه وانتشاره فى العديد من اللغات العالمية. وهذا بالفعل، ما جعل العلم الجديد يدرس فى الجامعات والمعاهد الأوربية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الوقت الراهن.

ولكننا لدينا أيضاً ملاحظات على استخدام كونت لمصطلح علم الاجتماع:

١ - تأثر كونت باستاذه الفرنسى سان سيمون S. Simon (١٧٦٠ - ١٨٢٥)، الذى نادى أولاً بضرورة وجود علم يركز على دراسة الانسان وسمى هذا العلم (بالعلم السياسى) أو (علم الفسيولوجيا الاجتماعية). وطالب بأهمية أن يركز هذا العلم على دراسة الظواهر الاجتماعية واستخدامه للمناهج والأساليب التى تهتم بدراسة العلوم الفسيولوجية، والسعى إلى اكتشاف الحقائق والقوانين الذاتية أو التى تؤدى إلى تفسير التغير والتقدم.

٢ - ومن ثم، فلقد جاءت تصورات سيمون لتؤكد على أهمية المماثلة بين علم السياسة والفسيولوجيا وإلى ضرورة تصور المجتمع بأنه كائن حى حقيقى، لا يمكن أن يستمر دون قيام اغضائه ونظمه باهدافه الأساسية وبصورة منظمة ودقيقة. وهذا ما أكده أيضاً عالم الاجتماع البريطانى المعاصر (بوتومور).

٣ - ان تحليلات عبد الرحمن بن خلدون، تكشف عن سبقه العلمى لاستخدامه خلال القرن الرابع عشر الميلادى وفى مقدمته الشهيرة مسميات متعددة ومحددة لعلم الاجتماع الحديث، عندما حدد أن دراسة الظواهر الاجتماعية والتى سماها (مواقعات العمران) أو (أحوال المجتمع الانسانى). ولذا، أكد على أهمية وجود علم يدرس هذه الواقعات أو الأحوال وأطلق على علمه الجديد (بعلم العمران البشرى) أو الاجتماع الانسانى.

٤ - حقيقة، لم تلق بالطبع تسمة ابن خلدون ذيوعاً وانتشاراً فى ايامه نظراً لطبيعة الاهتمام بعلم الاجتماع وبالفارق الزمنى بين كتابات ابن خلدون وكونت. إلا أننا نلاحظ، أن السنوات الأخيرة، تشهد الأوساط الأكاديمية لعلم الاجتماع ولاسيما فى فرنسا موطن رأس كونت ذاته، الدعوة لأهمية اعادة دراسة وتحليل علم الاجتماع والرجوع إلى كتابات ابن خلدون، وخاصة بعد أن تم ترجمة مقدمته ليس فقط إلى الفرنسية ولكن للعديد من اللغات الأخرى العالمية.

وتشير بعض التحليلات الأكثر حداثة، عن وجود عدد من الاعتراضات كما حدد ذلك بوتومور وغيره من علماء الاجتماع، حول تسمية علم الاجتماع طبقاً لآراء كونت: فقد اعترض على سبيل المثال، كارل ماركس K. Marx، وتصور كونت ورأى ضرورة أن يكون العلم الجديد له مسمى آخر وهو علم المجتمع Science of society، وجاء هذا الاعتراض الماركسي نتيجة لاعتراضه (ماركس) عموماً على الفلسفة الوضعية Phylosophy positive التي اتسمت بها تحليلات اوجست كونت عموماً(١).

وكما يرى بعض العلماء البريطانيين الذين تتسم تحليلاتهم بالطابع النقدى هو انطونى جيديز A. Giddigs، الذى يرى أنه يمكن قبول تسمية كونت لعلم الاجتماع ولكن يمكن اضافة وصف آخر لهذا العلم ليكون في مسمى جديد، وهو علم الاجتماع الاستقرائى Inductive sociology. كما نجد أيضاً بعض الآراء السوسيولوجية الحديثة نسبياً والتى تمثلت في تصورات عالم الاجتماع الفرنسى رينيه مونيه R. Maunier، الذى يؤكد على أهمية الاحتفاظ بتسمية اوجست كونت، وتعديل المسمى فقط ليكون علم الاجتماع المقارن Comparative sociology.

وفى الواقع، أننا نرى ان عملية التعديل على تسميات كونت لعلم الاجتماع لم يحدث لها الذيوع والانتشار، بالرغم من أن البعض منها لها تبريرها العلمى. وهذا ما ظهر في تحليلات انطونى جيدينجز البريطانى أو موينه الفرنسى. ولاسيما، أن (الأول) يؤكد على علم الاجتماع ووصف اهتماماته النظرية والمنهجية المتطورة، والثانى (موينه) يتصور اسم جديد وهو علم الاجتماع المقارن، ليزد أو يضيف خاصية أخرى من خصائص ووظائف علم الاجتماع ودراساته المتعددة التى تأخذ الطابع التحليلى المقارن عند دراسته للمشكلات والظواهر الاجتماعية وليس الاعتماد على الوصف والتبرير فقط. أما تصورات ماركس حول التسمية لعلم الاجتماع تؤكد في حد ذاتها على جعل هذا العلم أكثر شمولاً ليدرس المجتمع ككل، وليصبح علم المجتمع وهذا ما توضحه تعريفات العلم الحديثة.

ثانياً: تعريفات علم الاجتماع:

لا تزال مشكلة وضع تعريف محدد لعلم الاجتماع من العمليات أو المشكلات التى تواجه الباحثين فى علم الاجتماع، بالرغم من مرور قرابة قرنين من الزمان

---

(١) أنظر،

- على جلبى وآخرون، علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الفصل الثانى، وللمزيد من التحليلات إرجع إلى :

Mills, C. R, The Marxsiste, N.Y Dell Comp. 1962.

علـى نشـأة هـذا العلـم. وترجـع طبيعـة هـذه المشكلة نتيجـة مجموعـة مـن العوامـل المختلفة من أهمها :

١ - تنوع تراث علم الاجتماع منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الوقت الراهن، وتطور هذا التراث وتعدد مشكلاته وقضاياه المختلفة.
٢ - اختلاف علماء الاجتماع حول طبيعة المحور الأساسى الذى يقوم عليه علم الاجتماع ذاته، والذى يحدد نقطة اهتماماتهم وانطلاقتهم الأساسية.
٣ - تبـاين نوعيـة النظريـات والمنـاهج وطـرق البحـث والأسـاليب التـى يتبناهـا الباحثين، عند تناولهم القضايا ومشـكلات علـم الاجتمـاع وعنـد دراسـتهم لهـا على المستوين النظرى أو الميدانى (الأمبيريقى).
٤ - اختلاف الاتجاه الايديولوجى الذى يعتنقه الباحثين والعلماء عند تحديد اهـداف دراستهم وتناولهم للمشكلات والظواهر الاجتماعيـة والتـى تدخـل فـى عمليـة اعداد اهداف البحث السوسيولوجى عامة.

وبالرغم من هـذه العوامـل وطبيعـة مشـكلة التعريـف لعلـم الاجتمـاع، إلا أن محاولات تصنيف التعريفات التى ظهرت فى علم الاجتماع، تـزداد يومـاً بعـد يـوم، والسبب يرجع إلى رغبة الباحثين المتخصصين فـى هـذا العلـم، إلـى التعـرف علـى المزيد من قضاياه ومشكلاته البحثية النظريـة والميدانيـة. هـذا بالاضافـة إلـى تطلـع كثير من الباحثين وأهداف الفروع الحديثة لعلم الاجتماع مثل علـم اجتمـاع المعرفـة Sociology of knowledge على سبيل المثـال، مـن تنـاول ميـادين علـم الاجتمـاع المختلفة، دراسة النظريـات والمنـاهج وطـرق البحـث والدراسـة سـواء مـن الناحيـة الوصفية أو النقديـة، بهـدف التعـرف علـى مـدى تطـور هـذه النظريـات أو المنـاهج أو القضايا أو المجالات التى يهتم بها بصورة مستمرة.

من هذا المنطلق، نجـد أن تـراث علـم الاجتمـاع ملـئ بـالتحليلات والمحـاولات سواء لتعريف هذا العلم، أو التـى تسـعى إلـى تحديـد وتصنيـف هـذه التعريفـات سـواء بالنسبة لموضوع علم الاجتماع، أو بالنسبة للقضايا أو المشـكلات التـى يهتـم بهـا علـم الاجتماع أو من ناحية أخرى بالنسبة لوجهـة نظـر علمـاء الاجتمـاع انفسـهم ورؤيتهـم الذاتية والموضوعية لهذا العلم. وقبل الاشارة إلى أهم هذه التعريفات نوضـح أولاً، أن هناك شبه اتفاق بيـن علمـاء الاجتمـاع سـواء التقليديـن أو المعـاصرين علـى ضـرورة وضع تعريف محدد - ولو بصورة تقريبية لعلم الاجتماع - ليساعد على التقريب بيـن وجهات النظر السوسيولوجية المتضاربة، هذا بالرغم من وجود تباين حول النظريـات والمذاهب التى توجه عمليات البحث والدراسة واهتمامات العلماء والباحثين انفسهم.

عموماً، ومن خلال تصنيف لتعريفات علم الاجتماع، نجد ان هناك ثلاث أنواع أو تصنيفات مميزة لهذه التعريفات وهى :

١ - التعريف حسب وجهة نظر العلماء(١).
٢ - التعريف حسب المداخل العامة لعلم الاجتماع.
٣ - تعريف علم الاجتماع حسب الموضوعات والقضايا(٢).

ولسنا فى وضع لتناول هذه التعريفات - بصورة تفصيلية - أو طبيعة تصنيفها فى الوقت الراهن - بقدر ما نشير بصورة موجزة - بالنسبة للقارئ - أمثلة لأهم هذه التعريفات حسب الأنواع الثلاث السابقة، التى استخلصت بواسطة الباحث من خلال تحليله لتراث علم الاجتماع منذ نشأته الأولى حتى الوقت الراهن.

أولاً : التعريف حسب وجهة نظر علماء الاجتماع :

١ - **اوجست كونت A. Comte**: لم يضع اوجست كونت تعريفاً محدداً لعلم الاجتماع، بقدر ما نجده أكد على أهمية وجود هذا العلم ليدرس كل الظواهر التى تدرسها العلوم التى سبقت على ظهور علم الاجتماع. كما تصور صعوبة تحديد الظاهرة الاجتماعية بصورة محددة نظراً لتداخل العوامل المشكلة لها، وارتباط الظاهرة الاجتماعية بالظاهرة أو العوامل النفسية. واعتبر عموماً أن الظواهر البشرية أو الانسانية هى موضوع العلم الجديد والبحث عن الحقيقة.

٢ - **هربرت سبنسر H. Spencer**: يتصور أن تحديد علم الاجتماع بأنه العلم الذى يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية مثل الأسرة، والضبط الاجتماعى والعلاقات بين النظم المختلفة. علاوة على أن علم الاجتماع يقوم بمقارنات متعددة بين المجتمعات على اختلاف انواعها لمعرفة تطورها. كما يتناول علم الاجتماع دراسة البناء والوظيفة التى توجد فى المجتمعات عامة.

---

(١) أنظر مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه (الكتاب الأول)، القاهرة، لجنة البيان العربى، ١٩٥٨، ص ١٣٢ وما بعدها.

(٢) محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف، ص ٤٢.

٣ - **اميل دوركايم E. Durkheim**: يؤكد على أن الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع هو دراسة الظواهر الاجتماعية. كما سعى فى نفس الوقت، للتمييز بين الظواهر الاجتماعية والظواهر الطبيعية وغير الانسانية الأخرى. كما حدد فى كتابه المميز (قواعد المنهج فى علم الاجتماع)، أن علم الاجتماع شأنه شأن كثير من العلوم الاجتماعية، يهتم بدراسة جميع أنماط الحياة والظواهر والمشكلات الاجتماعية بصورة عامة[1].

٤ - **ماكس فيبر M. Weber**: يضع تعريف مميز لعلم الاجتماع، بأنه العلم الذى يحاول الوصول إلى فهم تفسيرى للفعل الاجتماعى وذلك من أجل الوصول إلى تفسير سببى لمجراه ونتائجه[2].

٥ - **فلفريتو باريتو V. Pareto**: يرى ان علم الاجتماع هو العلم الذى يدرس الظواهر الاجتماعية عندما تتفاعل مع بعضها بصورة عامة، أو العلاقات المتداخلة بينها، علاوة على أنه يدرس الوظيفة التى تؤديها هذه الظواهر نتيجة تداخلها أو ارتباطها كل منها بالأخرى.

٦ - **تالكوت بارسونز T. Parsons**: يتصور بارسونز أن مهمة علم الاجتماع تتركز فى دراسة الأنساق الاجتماعية Social systems، وفى ضوء تعريفه وضع نظرية مميزة عن الأنساق الاجتماعية والتى ارتبطت بتحليلاته البنائية الوظيفية عامة.

٧ - **ميلتون بارون M. Barron**: يؤكد أن علم الاجتماع هو العلم الاجتماعى الذى يقوم بالبحث عن الحقيقة والمعرفة المرتبطة بانماط التفاعل الاجتماعى Social interactions، أو دراسة أنواع الأنساق الاجتماعية Social systems، علاوة على دراسة مدى تأثير هذه الأنساق على نوعية استجابات الأفراد وسلوكهم.

---

(١) لمزيد من التفاصيل، أرجع:
- اميل دوركايم، قواعد المنهج فى علم الاجتماع، ترجمة محمد قاسم، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٦١.

(٢) جاءت بعض هذه التعريفات فى المرجع التالى :
- على جلبى وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٢ - ٣٣.

٨ - أوسيبوف G. Ocipov: يحدد أن علم الاجتماع هو العلم الذى يدرس البناء الاجتماعى للمجتمع وما يرتبط هذا البناء من علاقات مميزة مثل العلاقات التى توجد بين الطبقات الاجتماعية Social classes. بالاضافة إلى أن مهمة علم الاجتماع، تكمن فى دراسته لأنماط التغير والتفاعل بين الأنساق والتنظيمات التى توجد فى المجتمع(١).

٩ - وليكنز E. Wilkins: يهتم علم الاجتماع بدراسة مجموعة الأنشطة البشرية Human activities وعلاقاتها المختلفة، وطبيعة أسبابها وحدوثها ونتائجها، ومجموعة القواعد والقوانين التى تنظمها وتتحكم فيها. وعموماً، يهتم علم الاجتماع بدراسة جميع مظاهر السلوك البشرى فى المجتمع(٢).

١٠ - توم بوتومور T. Bottomore: يرى أن علم الاجتماع يعتبر علم دراسة الحاضر، ونشأ نتيجة الحاجة الماسة لوجود علم يهتم بدراسة الحياة العصرية ونوعية البناءات والنظم المتغيرة التى ظهرت فى هذه الحياة. ومن ثم، فان علم الاجتماع هو العلم الذى يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية، سواء أكانت بناءات أن نظم أو أفراد أم جماعات اجتماعية(٣).

ثانياً: التعريف حسب المداخل العامة لعلم الاجتماع :

يرى أصحاب هذه المحاولة التصنيفية لتعريفات علم الاجتماع ان هناك ثلاث مداخل عامة لعلم الاجتماع، يحدد على ضوئها موضوع هذا العلم، وطبيعة الاهتمامات الخاصة لعلماء الاجتماع أنفسهم وهى(٤):

١ - **المدخل التاريخى:** ويتضمن هذا المدخل مجموعة الموضوعات والقضايا التى طرحها رواد علم الاجتماع الأوائل، وهذا المدخل له أهميته عند دراسة القضايا والموضوعات التى يعالجها علماء الاجتماع فى الوقت الراهن، ولاسيما عند الرجوع إلى المعالجات السوسيولوجية التقليدية التى اهتم بها رواد هذا العلم انفسهم.

ويندرج تحت هذا المدخل من الناحية التصنيفية اهتمامات ابن خلدون عند معالجته لقضايا الاجتماع الانسانى ودراسته للظواهر الاجتماعية، وطبيعة وأنواع

---

(١) اوسيبوف، أصول علم الاجتماع، ترجمه إلى العربية دار التقدم، موسكو، ١٩٩٠، الفصل الأول.

(٢) E. J. Wilkins, An Introduction to Sociology, Op. cit., P. 35.

(٣) ت. بوتومور، تمهيد فى علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهرى وآخرون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣، ص ٤١.

(٤) أنظر، عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، الفصل الرابع.

العمران البشرى. كما تجئ اهتمامات كونت ودعوته لتحديد مناهج علم الاجتماع ومعالجته لقضايا السوسيولوجيا. وأيضاً كتابات دوركايم واهتماماته حول المورفولوجيا والفسيولوجيا الاجتماعية واهتماماته حول الاستاتيكا والديناميكا الاجتماعية. وكتابات ماركس واهتماماته حول تكريس مهمة علم الاجتماع فى دراسة جوانب الحياة الاجتماعية التى توجد فى المجتمع الحديث ككل. وينطبق ذلك أيضاً على كتابات فيبر ورؤيته أهمية علم الاجتماع لدراسة وفهم وتفسير السلوك والفعل الاجتماعى، كما ينطبق ذلك بالفعل على كتابات سبنسر حول المماثلة البيولوجية أو مماثلته بين المجتمع والكائن العضوى (الحى).

٢ - **المدخل المعاصر:** يشير هذا المدخل إلى تحليلات علماء الاجتماع المعاصرين للتعرف على ارائهم، ويعد هذا المدخل امتداداً طبيعياً للمدخل السابق (التاريخى)، ويركز عموماً للتعرف على التطورات التى طرأت على موضوعات وميادين علم الاجتماع المختلفة.

ويستند تصنيف تعريفات هذا المدخل إلى المحاولات التى قام بها اليكس انجليز A. Inkeles، الذى وضع اطاراً عاماً اقترح فيه نوعية الموضوعات التى يعالجها علم الاجتماع المعاصر، ورجع فيها إلى مجموعة الكتب التراثية لعلم الاجتماع العام والتى ظهرت خلال الفترة من ١٩٥٢ إلى نهاية الستينيات تقريباً، بالاضافة إلى رجوعه إلى مجموعة المجالات التى يهتم بها المتخصصين فى علم الاجتماع سواء التى يهتموا بها فى البحوث الميدانية أو التدريس الأكاديمى بالجامعات والمعاهد العليا. علاوة على اعتماده على تحليل كتابات علماء الاجتماع المشهورين والذين تنشر أعمالهم فى الأبحاث التى تقدم إلى المؤتمرات القومية والعالمية.

٣ - **المدخل التحليلى:** ويركز هذا المدخل على تصنيف التعريفات التى وضعها علماء الاجتماع ومناقشتها بصورة موضوعية وذلك بهدف معرفة نواحى الاتفاق والاختلاف فيما بينها. ومعرفة الوحدة أو الموضوع الاجتماعى، الذى يركز عليها كل منهم، أو التى يتبنها باعتبارها وحدة التحليل السوسيولوجى أو نقطة انطلاقه الأساسية.

ويستمد هذا المدخل تصوراته حول طبيعة التعريفات المختلفة وذلك عند الرجوع إلى الموضوعات الرئيسية، التى يركز عليها علماء الاجتماع من خلال طرحهم للمشكلات والقضايا التى يرون أنها بؤرة اهتمام المجتمع فى ظروفه الحالية أو الواقعية. ومن أهم هذه الموضوعات دراسة العلاقات الاجتماعية Social relationships، كما جاءت فى تحليلات كل من ماكيفر Mciver، واليوت Elliot،

وميريل Merrill، وبارسونز Parsons. أو دراسة الجماعة الاجتماعية Social group، كما جاء فى تحليلات برووم Broom، وسوروكين Soroken، أو دراسة الأنساق الاجتماعية Social systems أو دراسة المجتمع كما جاءت فى دراسات واهتمامات العديد من علماء الاجتماع بصورة عامة.

ثالثاً : تعريف علم الاجتماع حسب موضوعاته وقضاياه الأساسية :

يرتبط هذا التصنيف لتعريفات علم الاجتماع بصورة نسبية بالتصنيف السابق للمدخل التحليلى، والذى يركز أيضاً على نوعية الموضوعات التى يهتم بمعالجتها علماء الاجتماع. وعموماً، نسعى حالياً للاشارة الموجزة إلى عدد من هذه التعريفات حسب الموضوعات التى تبناها أصحابها من علماء الاجتماع.

١ - **الحياة الاجتماعية Social life** : ويتبنى هذا التعريف كل من أوجبرن ونيمكوف Ogburn & Nimkoff، عندما ركزا على أن مهمة علم الاجتماع تكمن فى أنه الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية. خاصة، وأن هذه الحياة تقوم على التفاعل الذى يؤدى إلى التنظيم الاجتماعى وإلى تكوين وخلق الثقافة بمفهومها العام.

٢ - **الثقافة Culture** : حيث تعتبر الثقافة من أهم الخصائص العامة لعلم الاجتماع، وأن علم الاجتماع هو العلم الذى يقوم بدراسة الثقافة والمجتمع أو العلاقات الانسانية أو التفاعل الاجتماعى أو صور العلاقات الاجتماعية المختلفة.

٣ - **العلاقات الاجتماعية Social relationships** : وهذا ما تمثل فى كتابات (ماكيفر)، الذى يرى أن علم الاجتماع يهتم بدراسة شبكة العلاقات الاجتماعية التى يتكون من نسيجها المجتمع. كما يستطيع علم الاجتماع تحديد موضوعاته التى يتناولها مع العديد من العلوم الاجتماعية الأخرى.

٤ - **الجماعات الاجتماعية Social groups** : فعلم الاجتماع هو العلم الذى يتناول دراسة الجماعات من حيث صور أو نماذج تنظيمها الداخلى والعمليات التى تؤدى إلى استقرارها أو تغييرها والعلاقات المختلفة بين هذه الجماعات. وتمثل كتابات جونسون Jonson نموذجاً لهذا النوع من التحليلات، حيث نادى بأهمية وجود علم الجماعات الاجتماعية.

وأخيراً، وبعد أن تناولنا لأهم المحاولات التصنيفية لتعريف علم الاجتماع، نلاحظ ما يلى :

١ - وجود نوع من التداخل بين هذه المحاولات التصنيفية لتعريف علم الاجتماع وبالطبع هذا يعكس مشكلة التصنيف بصفة عامة فى علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية.

٢ - من الصعوبة فى الواقع أن نحدد مجموعة التعريفات العامة التى يتفق حولها علماء الاجتماع، نظراً لنوعية القضايا والتحليلات ومراكز الاهتمام التى ينطلق منها الباحثين عند معالجتهم الواقعية والميدانية.

٣ - تكمن أهمية وضع تصنيفات أو تعريف لعلم الاجتماع (كمحاولة تقريبية) لمعرفة وجهات نظر العلماء حول عدد من القضايا العامة والمشتركة والتى يتناولون معالجتها عند دراستهم للمجتمع الحديث ككل.

٤ - ان الاختلاف بين علماء الاجتماع سواء حسب موضوع الدراسة أو القضية الأساسية التى ينبغى أن يهتم بها علمهم يكون اختلافاً فى الشكل لا فى المضمون، نظراً لاهتمامهم عموماً بدارسة المجتمع ككل.

٥ - تسهم عملية تصنيف وتحديد تعريفات علم الاجتماع فى تطوير العديد من مجالات هذا العلم وتحديد موضوعاته الأساسية، ومعرفة أسباب هذا التطور فى اهتمامات العلماء أنفسهم.

٦ - ان عملية تحديد تعريفات علم الاجتماع تساعد على تحديد التصورات والمفاهيم الأساسية التى يستخدمها العلماء، وكمحاولة لخلق نوع من الفهم المشترك بينهم، أو لغة متخصصة ذات طابع سوسيولوجى مميز.

٧ - يساعد تحديد تعريفات علم الاجتماع ليس فقط فى وضوح المفاهيم وبعدها عن الغموض، كما يسهم فى تحديد كل من النظريات والمناهج وطرق البحث الاجتماعى، واعطاء فرصة كبيرة لاختبارها عند دراسة المشكلات الواقعية التى تحدث فى المجتمع الحديث.

٢ - المفهومات الأساسية :

كشفت التحليلات السابقة لمجموعة التعريفات المختلفة لعلم الاجتماع ومحاولة تصنيف هذه التعريفات بقدر الإمكان عن وجود عدد من المفاهيم السوسيولوجية Sociological concepts الرئيسية التى ترتبط بعلم الاجتماع، ومن هذه المفاهيم على سبيل المثال لا الحصر[١]:

---

(١) بعض هذه المفهومات جاءت فى المرجع التالى؛

Wilkins, E., Op. cit., PP. 3 - 40.

١ - **المجتمع Society**: يعد مفعوم المجتمع من المفاهيم السوسيولوجية الرئيسية التى ترتبط بتحليلات علم الاجتماع، خاصة وأن مفهوم المجتمع يقصد به مجموعة شبكة العلاقات الاجتماعية التى تنتج عن سلوك الأفراد والجماعات وعلاقتهم ببعض. والمجتمع فى حد ذاته يقوم وينشأ من خلال الرغبة المشتركة للأفراد والجماعات للعيش معاً فى حالة من التعاون من أجل الاستمرار والوجود. ولا يوجد عالم من علماء الاجتماع، إلا أن أشار إلى مفعهوم المجتمع عند دراسته لقضايا علم الاجتماع، الأمر الذى عرف البعض منهم ماهية علم الاجتماع عموماً بأنه علم دراسة المجتمع.

٢ - **الجماعات Groups**: تعرف الجماعات بأنها مجموعة الأفراد الذين يرغبون فى اقامة علاقات بين كل منهم والآخر، خاصة وأن بينهم نوع من العلاقات المميزة والمتعارف حولها، كما يوجد بينهم نوع من التفاهم والاتصال، وكما تتميز الجماعة بأن لها نوع مميز من البناء أو الشكل العام. كما توجد العديد من أنواع الجماعات التى يتشكل منها المجتمع والتى تعكس المظاهر المختلفة للحياة الاجتماعية، ويتحدد شكل الجماعات حسب حجمها، واستمرارها، والأسلوب الذى حدد من أجله، وهدفها العام الذى نظمت له.

٣ - **المجتمعات المحلية Communites**: هى مجموعة من السكان الذين يعيشون فى منطقة معينة، وترتبط هذه المجموعة من السكان بنوع معين من الروابط والمصالح، وكما تنظمهم مجموعة من القواعد والقوانين والأعراف وتحدد العلاقات فيما بينهم. كما تتكون مجموعة من المحليات الصغيرة داخل المجتمعات المحلية الكبيرة والذين يقطنون مناطق جغرافية محددة. وتهدف المجتمعات المحلية إلى إشباع الحاجات الضرورية للأفراد والجماعات التى يعيشون فيها.

٤ - **النظم Institutions**: تعرف النظم بأنها مجموعة من الممارسات والأعراف الموجودة التى تحكم العلاقات بين الأفراد أو الجماعات، والتى تكون أيضاً مجموعة من الاجراءات والأشكال والقواعد التى تحدد أنشطة كل من الأفراد والجماعات. كما تتكون النظم بواسطة المجتمعات المحلية أو الاتحادات، والتى لا تستطيع أن تعمل أو تقوم بوظائفها دون وجود هذه النظم. وهذا يتضح من خلال الاشارة لأمثلة هذه النظم مثل النظم الدينية والاقتصادية والسياسية، والعائلية مثل الزواج وغيرها.

٥ - **البناء الاجتماعى Social structure**: يتميز البناء الاجتماعى بأنه جميع العلاقات التى يتكون منها الأفراد والجماعات، مثل وجود البناء القرابى الذى يوجد فى أى مجتمع ويحدد العلاقات القرابية الموجودة بالفعل مثل العلاقة الزواجية بين الرجل والمرأة، أو الأب أو الوالدين أو الأبناء أو كما توجد هذه العلاقة فى المجتمعات التقليدية بين أبناء العمومة والأخوال. كما يتحدد نوعية البناء الاجتماعى حسب الاختلاف والتباين بين الأفراد والجماعات طبقاً لنوعية الأدوار والمكانة الاجتماعية Social status والولاء والتبعية والسيطرة ونظم تقسيم العمل وغيرها.

٦ - **الأنساق الاجتماعية Social systems**: تتحدد جميع أنماط السلوك المعيارية أو المثالية داخل المجتمع بواسطة وجود الأنساق الاجتماعية، كما تتميز هذه الأنماط المثالية للسلوك عن السلوك الفعلى أو الواقعى ويعتبر جزء من النمط الثقافى الذى يوجد فى المجتمع وينتقل من جيل إلى آخر. كما تقوم أنماط السلوك المثالية فى المجتمع بدورها فى تدريب الأفراد والجماعات وكمرشد هام للامتثال للقواعد والقوانين والأعراف الاجتماعية. كما يختلف أنماط الأنساق الاجتماعية فى المجتمعات المتقدمة عن المجتمعات التقليدية نتيجة للتغير والتطور الاجتماعى.

٧ - **الثقافة Culture**: يتكون السلوك الفردى فى المجتمع من ثلاث عناصر أو أجزاء، هى السلوك الذى يتكون من مجموعة الغرائز والعناصر البيولوجية، والسلوك الذى يتشكل حسب نوعية خبرة الفرد الذاتية، والسلوك الذى يتكون من خلال اكتساب الفرد عن طريق التعلم. وهذا النوع الأخير، يتكون من مجموعة العادات، والتقاليد، والأعراف، والقيم، والدين، والفن، والأخلاق، وكل ما يكتسبه الفرد فى المجتمع باعتباره عضو فيه. وهذه الأشياء عموماً تصف الثقافة كما أشار إلى ذلك تايلور فى تعريفه المميز عن الثقافة. كما تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل، وتوصف بأنها التراث الاجتماعى الذى ينتقل بين الأجيال أو من خلال الاتصال الثقافى بين الشعوب بواسطة الهجرة أو اللغة أو وسائل الاتصال المختلفة.

٨ - **الحضارة Civilization**: يستخدم هذا المفهوم كثيراً خلال الاستعمال العادى للأفراد، ولكن يمكن تحديد هذا المفهوم بصورة دقيقة، حينما توضح بأن الحضارة يقصد بها مجموعة الأنشطة البشرية المتعددة، التى ترتبط بنوعية الحياة الاجتماعية والتى توجد فى مجتمع منظم. كما تتضمن مجموعة

الأنشطة البشرية ليست الجوانب والانجازات الاجتماعية فقط ولكن كل ما يميز الكائنات البشرية عن غيرها من المخلوقات، أو يميز البشر بعضهم البعض. وهذا ما يوضح استعمال كلمة (متحضر) عن كلمة (بدائي أو متخلف) على سبيل المثال، ويرتبط بهذا المفهوم مفاهيم متعدد أخرى مثل التقدم والتطور والتغير والتحديث وغيرها.

٩ - **الوعى أو الضمير الاجتماعى Social consciousness**: يعتبر الوعى الاجتماعى عنصراً هاماً لوجود المجتمع واستمراريته، لأنه يؤكد على أهمية وجود الروابط والعلاقات الاجتماعية والعواطف والانفعالات بين أفراد المجتمع. كما يعتبر أحد العوامل التى تؤدى بالأفراد إلى التضحية من أجل الآخرين، والتضحية بمصالحهم الذاتية أو الشخصية فى سبيل المصالح الجمعية أو المجتمعية أو تحقيق الصالح العام. كما تعكس أنماط الالتزام وتحمل المسئولية والقيام بالواجبات تجاه الفرد نفسه أو الجماعة أو المجتمع الذى يعيش فيه.

١٠ - **الاتحادات Associations**: تتكون الاتحادات نتيجة لتلبية حاجات معينة سواء للمجتمع المحلى أو الجماعات أو مجموعة من الأفراد الذين ينظمون أنشطة هذه الاتحادات لتحقيق أهداف أو أغراض محددة. ويمكن قيام هذه الاتحادات عن طريق الاعداد أو التخطيط أو نتيجة لوجود ضغط اجتماعى أو بيئة معين وتحقق نوع من التعاون بين الأفراد أو الجماعات، التى تسعى إلى تشكيلها ووجودها مثل الاتحادات المهنية العمالية والنقابات واتحادات رجال الأعمال، أو المهن المختلفة.

ثانياً : أهمية دراسة علم الاجتماع :

تجئ أهمية دراسة علم الاجتماع كأحد العلوم الاجتماعية التى ظهرت خلال القرن التاسع لتسهم فى دراسة وتحليل المجتمع الصناعى الحديث، ولا سيما بعد أن تعددت مشكلات هذا المجتمع وتنوعت القضايا والموضوعات التى يمكن أن يعالجها علماء هذا العلم الحديث نسبياً مقارنة بغيره من العلوم الاجتماعية، وبالأخص علم الاقتصاد وعلم السياسة. وتعكس لنا تحليلات تراث علم الاجتماع التقليدى النشأة التطورية لظهور هذا العلم على أيدى رواده الأوائل من أمثال اوجست كونت، ودوركايم، وسبنسر، أن الهدف الأساسى لهذا العلم تكمن فى ضرورة دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية بصورة علمية ومنتظمة ومدروسة.

وهذا ما وضحه أيضاً (كونت) فى تحديده للأغراض العامة لقيام علم الفيزياء الاجتماعية ثم السوسيولوجيا، خاصة بعد أن تقدمت العلوم الطبيعية وحققت المزيد من الانجازات العلمية، وذلك عن طريق استخدامها للمناهج وطرق الدراسة والتحليل والنظريات العامة الموجهه لهما، ولاسيما اختبار صحة البيانات والتحقق منها بصورة علمية محددة. كما أفرد (دوركايم) على سبيل المثال، أهمية علم الاجتماع كعلم مستقل يهتم بدراسة الأشياء والظواهر الاجتماعية ومعالجتها على أنها حقائق As facts. وسعى (هربرت سبنسر) إلى ضرورة تكريس جهود هذا العلم لدراسة وتحليل العلاقات المتشابهة أو المتماثلة المختلفة بين المجتمع وغيره من الكائنات العضوية الأخرى. وهذا ما ظهر فى نظريته المعروفة عن المماثلة البيولوجية، وضرورة أن يتبنى علماء الاجتماع مناهج العلوم الطبيعية مثل البيولوجيا والكيمياء فى دراسة أنماط التفاعل والعلاقات والعوامل المسببة لظهور المشكلة وأعراضها ومظاهرها ونتائجها المختلفة.

وبالطبع، ان نشأة علم الاجتماع وأهميته جاءت مواكبة لظهور المجتمع الصناعى الحديث، خاصة وأن هذا المجتمع له مجموعة من السمات المتباينة عن غيره من المجتمعات التقليدية السابقة، ولاسيما بعد أن أحدثت كل من الثورة الصناعية فى بريطانيا، الثورة الفرنسية (السياسية) تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية، لم تكن موجودة من قبل. ومن ثم، جاءت الحاجة ماسة لظهور علم الاجتماع ليهتم بدراسة المشكلات والظواهر الاجتماعية التى تعددت وتباينت نتيجة للتغيرات السريعة التى طرأت على البناءات والنظم الاجتماعية ونوعية الوظائف العامة التى تؤديها فى المجتمع الحديث.

وبايجاز، نسعى حالياً لتناول أهم الأسباب التى أدت إلى دراسة علم الاجتماع كغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى، التى تهتم بدراسة المشكلات والظواهر الاجتماعية. ولاسيما، بعد أن تفاقمت هذه الظواهر عن غيرها فى المجتمعات السابقة، وأيضاً بعد تزايد حدة هذه المشكلات التى توجد في السنوات الأخيرة من القرن العشرين عما كانت عليه خلال القرنين الماضيين. وعموماً، سنوضح فيما يلى،أولاً، أهم أسباب دراسة علم الاجتماع، وثانياً، طبيعة علم الاجتماع كمهنة، والدور الذى يقوم به علماء الاجتماع كمتخصصين أكاديميين يحترفون مهنة العمل بهذا العلم فى المجتمع الحديث.

١ - أسباب دراسة علم الاجتماع :

حقيقة تعددت أسباب دراسة علم الاجتماع منذ أن ظهر خلال القرن التاسع عشر حتى الآن، وان كانت مجموعة هذه الأسباب قد تنوعت نظراً لتعدد المشكلات والظواهر الاجتماعية وأصبحت أكثر تعقيداً، كما تنوعت بناءات المجتمع الحديث

وتشابكت علاقته المختلفة. وتتمثل مجموعة هذه الأسباب فيما يمكن تحديده بصورة أكثر دقة وظيفة علم الاجتماع وعلمائه بصورة عامة، ومن أهم هذه الأسباب ووظائف علم الاجتماع باختصار:

١ - يكرس علم الاجتماع مهمته منذ نشأته الأولى نحو دراسة المشكلات والظواهر الاجتماعية التى ظهرت فى المجتمع الحديث، واستخدام الطرق والأساليب والمناهج العلمية التى تهدف إلى تفسير الحقائق بصورة واقعية، والعمل على التحقق منها بصورة علمية مدروسة.

٢ - يقوم عام الاجتماع بدراسة نسق العلاقات الاجتماعية وتحليل أنماطها وأنواعها المختلفة، والأسباب التى تؤدى إلى زيادة هذه العلاقات أو إلى تفككها سواء بين الأفراد أو الجماعات أو داخل المجتمعات المحلية الصغيرة والكبيرة.

٣ - يتناول علم الاجتماع معالجة ودراسة السلوك البشرى وأنماط الشخصية الفردية، وطبيعة الأنشطة المترابطة على هذا السلوك، وما هى أنماط السلوك والتفاعل الاجتماعى المعيارى أو الأمثل أو تحديد أنماط السلوك السوى وغير السوى.

٤ - يعالج علم الاجتماع كل من البناءات والنظم الاجتماعية ومعرفة التغيرات التى تحدث على نوعيتها، والوظائف التى يجب أن تقوم بها، ولاسيما أنها تعتبر من المكونات الأساسية لدراسة المجتمع ومهمة علم الاجتماع ككل.

٥ - يهتم علم الاجتماع بدراسة التنظيمات الاجتماعية Social organizations، والتى تتمثل فى العديد من التنظيمات الحديثة، مثل المصانع والشركات والجيوش، والمستشفيات، والسجون، والمدارس والجامعات ومراكز الرعاية الاجتماعية المختلفة، والشركات العالمية، وذلك بهدف تحقيق أهدافها وإدارتها وتنظيم علاقتها مع الأفراد والجماعات وزيادة فاعليتها بصورة عامة.

٦ - يدرس علم الاجتماع طبيعة الحياة الاجتماعية وأساليبها المختلفة، وانماط المعيشة ونوعية اختلاف هذه الحياة عن غيرها من الكائنات الحية الأخرى، أو تباين أنماط هذه الحياة وتغيرها فى المجتمعات الحديثة عن غيرها من المجتمعات التقليدية.

٧ - يتناول علم الاجتماع دراسة أنماط التغير والتحديث والتطور والتنمية وغير ذلك من قضايا متعددة تدخل فى نطاق علم الاجتماع وفروعة المتخصصة المختلف.

٨ - يستطيع علم الاجتماع تقديم المشورة والخبرة لكل من رجال السياسة الاجتماعية والقائمين على وضع الاستراتيجيات العامة والتخطيط وصناع القرار وغيرهم، عند قيامهم بدورهم تجاه المشكلات الاجتماعية التى توجد فى المجتمع الحديث.

٩ - يكرس علم الاجتماع نظرياته ومناهجه وطرق وأساليب جمع البيانات لدراسة مشكلات المجتمع الحديث فى الوقت الراهن، والتنبؤ بالنتائج العامة لهذه المشكلات فى المرحلة المستقبلية نتيجة لتطور الدراسات المستقبلية فى علم الاجتماع.

١٠ - يمكن لعلم الاجتماع أن يصل إلى مجموعة من القوانين والقواعد العامة التى يمكن الاستفادة منها عند دراسة المشكلات والظواهر الاجتماعية، وذلك من خلال الوصول إلى عدد من التعميمات، التى تعتمد على نتائج الدراسات الميدانية أو التطبيقية.

بإيجاز، لقد تعددت وتنوعت مجالات اهتمامات علم الاجتماع ولا توجد أى مؤسسة أو تنظيم اجتماعى أياً كان نوعه فى المجتمع الحديث يبعد عن اهتمامات علماء الاجتماع ودائرة تخصص علم الاجتماع. الأمر، الذى أدى إلى تنوع ومجالات وموضوعات هذا العلم، ولاسيما فى السنوات الأخيرة، ونتيجة لزيادة عدد المتخصصين، وتنوع اهتماماتهم واتساع دائرة التخصص التى يقوم بها علم الاجتماع عند دراسة المجتمع الحديث بصورة عامة.

٢ - علم الاجتماع كمهنة :

كشفت التحليلات السابقة عن مدى تنوع مجالات علم الاجتماع أو الأسباب التى تستوجب دراسة علم الاجتماع سواء من المتخصصين أو من يهتم عموماً بعلم الاجتماع، ولاسيما أن يعتبر علم دراسة المجتمع. وهذا يكشف عموماً، مجموعة الوظائف العامة التى يقوم بها علم الاجتماع باعتباره واحداً من أهم العلوم الاجتماعية. وعموماً، سنشير حالياً إلى طبيعة علم الاجتماع - كمهنة اجتماعية - يقوم بها المتخصصين والباحثين فى هذا العلم والذى يمكن معالجتها كما يلى :

١ - **التدريس Teaching**: منذ أن نشأ علم الاجتماع فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر واستقرت أهم نظرياته ومناهجه بدأ العمل بمهنة التدريس العديد من علماء الاجتماع فى الكثير من جامعات العالم. فلقد بدأت الجامعات الأمريكية تدريس علم الاجتماع فى عام ١٨٧٦، وفى فرنسا عام ١٨٨٩، وفى انجلترا عام ١٩٠٧، وفى بولندا والهند فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، وفى مصر والمكسيك عام ١٩٢٥، وفى السويد عام ١٩٤٧. ثم توالت بعد ذلك جميع أو معظم دول العالم المتقدم والنامى وجامعتهم ومعاهدهم العليا تهتم بدراسة وتدريس علم الاجتماع.

٢ - **التدريب Training:** منذ أن ظهر علم الاجتماع، بدأ المتخصصين فيه القيام بمهام التدريب على اجراء البحوث الاجتماعية واعداد الباحثين المتخصصين فى هذا المجال، ولاسيما أن عملية اجراء الدراسة على المستوين النظرى والميدانى يتطلب اعداد كبيرة وتأهيل العاملين فى مجال العلم الاجتماعى. كما تركز كثير من الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحث العلمى على تقديم الدورات التدييبة فى مجال البحوث الاجتماعية المختلفة، ولاسيما بعد أن اتسعت نطاق ومجالات العمل الاجتماعى فى جميع المؤسسات الاجتماعية دون استثناء(١).

٣ - **البحوث Researches:** تنطوى أهمية علم الاجتماع ومهام المتخصصين فى هذا العلم، فى تطبيق الدراسات الميدانية واجرائها فى المجتمع ومؤسساته وتنظيماته المختلفة. وهذا ما جعل مهمة علم الاجتماع منذ نشأته الأولى مكرسة لإجراء البحوث، واختبار النظريات والفروض التى يطرحها العلماء بغرض التحقق منها أو تعديلها أو تحديثها أو الوصول إلى قوانين أو تعميمات بصددها. وهذا ما ظهر على سبيل المثال، منذ أواخر القرن الماضى وخلال النصف الأول من القرن الحالى، عندما ظهرت أهمية علماء الاجتماع فى اجراء البحوث الميدانية فى الشركات الصناعية كما حدث عند قيام مدرسة شيكاغو باجراء البحوث الميدانية فى العديد من المصانع الأمريكية.

٤ - **الاستشارات Consulting:** قد يرى البعض أن مهنة علم الاجتماع تقتصر على التدريس أو التدريب أو اجراء البحوث، ولكن زادت أهمية علم الاجتماع على نوعية المهام الملقاة على عاتق المتخصصين فيه ولاسيما فى السنوات الأخيرة. حيث تلجأ الشركات الصناعية، والإدارات الحكومية، والسجون، والمستشفيات، والمحاكم، ومراكز الشرطة، ومراكز البحث والتطوير، والمؤسسات الالزامية ووسائل الاتصال بالاستفادة من خبرة علماء الاجتماع لما لديهم من امكانات علمية ومهنية متخصصة لدراسة المشكلات التى يستشارون فيها ككل. وإن كان ذلك المجال الاستشارى لعلم الاجتماع يمتد جذوره إلى أواخر القرن الماضى وحتى العشرينات من القرن الحالى، عندما أسس ماكس فيبر M. Weber منظمة السياسة الاجتماعية Social policy organization لتقديم الاستشارات الاجتماعية المهنية فى المانيا فى المجال الزراعى، والاقتصادى، والصناعى، والعائلى(٢).

---

(١) Cuber, J., F., Sociology, N. Y, Appleton - Cencury, 1963, PP. 14 - 16.

(٢) للمزيد من التفاصيل، أنظر :

- عبدالله عبدالرحمن، علم اجتماع التنظيم، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦، الفصل السادس.

ثالثاً : موضوع علم الاجتماع ومجالاته :

كشفت تحليلات وتصنيف تعريفات علم الاجتماع عن تعدد نوعية الموضوعات والمجالات التى يهتم بها هذا العلم. ولقد تغيرت بالفعل نوعية الموضوعات والقضايا التى يتم معالجتها وتحليلها بواسطة علماء الاجتماع نظراً لتغير المجتمع، وزيادة طبيعة وأنواع المشكلات الاجتماعية والقضايا التى تطرحها ظروف العصر الحديث الذى يتسم بالتعقيد، وزيادة مظاهر وأسباب حدوث المشاكل الانحرافية والاجرام فى العالم الحديث. وعموماً نحاول حالياً، تقديم أهم الموضوعات والمجالات التى يهتم بها علم الاجتماع وفروع المختلفة والتى توجد بالفعل فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين. وبالطبع، ان هذه الموضوعات والمجالات تتغير بمرور الوقت وهذا ما سوف تشهده العقود الأولى من القرن الحادى والعشرين.

١ - موضوع علم الاجتماع :

يعكس تحليل التراث لعلم الاجتماع عن تعدد نوعبة الموضوعات التى يهتم بها هذا العلم منذ نشأته الأولى نظراً لتنوع هذه الموضوعات حسب اهتمامات العلماء. وعموماً، سنوضح أهم هذه الموضوعات طبقاً للتطور التاريخى لها، ثم نوضح بصورة عامة؛ أهم الموضوعات التى يتفق حولها العلماء فى الوقت الراهن.

أولاً : موضوعات علم الاجتماع حسب تصور العلماء :

١ - **ابن خلدون:** حدد ابن خلدون مهمة علم العمران البشرى وجعل موضوع هذا العلم دراسة المجتمع الانسانى ككل، إلا أنه صنف مجموعة فرعية من موضوعات هذا العلم وهى:
   ١ - العمران البشرى بصورة عامة، ويشمل دراسة التجمعات البشرية.
   ٢ - العمران البدوى، ويشمل دراسة القبائل والأمم الوحشية.
   ٣ - الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية.
   ٤ - العمران الحضرى والبلدان والأمصار.
   ٥ - الصنائع والمعاش والكسب وأنواعه.
   ٦ - دراسة التغير الاجتماعى.

٢ - **اوجست كونت:** ركز كونت على مهمة علم الاجتماع (السوسيولوجيا) وجعل من دراسة الظواهر الاجتماعية موضوعاً عامة للدراسة، إلا أنه قسّم مهمة هذا العلم إلى موضعين فرعيين هما :
   ١ - الاستقرار الاجتماعى Social statics.
   ٢ - التطور الاجتماعى Social Dynamics.

ولقد وجدت تحليلات وتصنيف كونت اتفاق كبيراً من جانب العديد من علماء الاجتماع، وان كانت تسميات الفرعين السابقين لموضوع علم الاجتماع سميتا بمسمى آخر وهما (البناء الاجتماعى Social structure) والثانى بالتعير الاجتماعى Social change.

٣ - **اميل دوركايم:** قرر أن موضوعات علم الاجتماع تشمل دراسة جميع مظاهر الحياة الاجتماعية ودراسة قضايا العلوم الأخرى ما عدا العلوم الرياضية والطبيعية. إلا أنه قسَّم موضوعات العلم إلى شعبتين هما :

١ - الاستاتيكا الاجتماعية La statique sociale.

٢ - الديناميكا الاجتماعية La dynamique sociale.

وتهتم الشعبة الأولى بدراسة المجتمع من ناحية استقراره، والثانية تهتم بدراسة المجتمع من ناحية تغيره. وهذا يكشف نوع من الاتفاق بين دوركايم واوجست كونت حول موضوعات علم الاجتماع.

٤ - **هربرت سبنسر:** ركز على أن موضوع علم الاجتماع الأساسى هو التعرف على نشأة المجتمع وتطوره وعناصر ومراحل تطوره، ثم صنف عدد من الموضوعات الفرعية التى يهتم بها هذا العلم وهى :

١ - الأسرة.

٢ - التنظيم السياسى.

٣ - النظام الدينى.

٤ - نسق الضبط الاجتماعى.

٥ - المجتمع الصناعى.

٦ - سوسيولوجيا المعرفة.

٧ - علم الاجتماع العلمى.

٨ - الفن والجمال.

٩ - التمايز الطبقى.

١٠ - التنظيمات والهيئات.

١١ - المجتمعات المحلية.

٥ - **ماكس فيبر:** اهتم فيبر بجعل مهمة علم الاجتماع وموضوعه العام هو تفسير الفعل الاجتماعى Social action بهدف الوصول إلى معرفة أسبابه ونتائجه وتتركز موضوعات فيبر لعلم الاجتماع فيما يلى:

١ - دراسة العلاقة بين الدين والنشاط الاقتصادى.

٢ – دراسة العلاقة بين الدين والوضع الطبقى.
٣ – تحديد الخصائص المتميزة للحضارة الغربية.

وبعد الإشارة إلى موضوعات علم الاجتماع، كما عرضناها حسب تصور بعض رواده الأوائل، إلا أن تحليلات علماء الاجتماع المعاصرين لم تخرج بعيداً عن نطاق هذه الموضوعات، ولاسيما أنها تركز على دراسة المجتمع الحديث. ونظراً لصعوبة عرض تصورات جميع العلماء المعاصرين والمحدثين حالياً حول طبيعة موضوعات علم الاجتماع، إلا أننا نستطيع أن نعرض هذه الموضوعات كما يتفق حولها معظم علماء الاجتماع فى الوقت الراهن كما يلى(١):

١ – التحليل السوسيولوجى
- الثقافة الانسانية والمجتمع.
- المنظور السوسيولوجى.
- المنهج العلمى فى العلوم الاجتماعية.

٢ – الوحدات الأولية للحياة الاجتماعية
- الأفعال والعلاقات الاجتماعية.
- الشخصية الفردية.
- الجماعات والسلالات والطبقات الاجتماعية.
- المجتمعات المحلية (الريفية والحضرية).
- الهيئات والمنظمات.
- السكان.
- المجتمع.

٣ – النظم الاجتماعية الأساسية
- الأسرة والقرابة.
- النظام الاقتصادى.
- النظام السياسى والقانونى.
- النظام الدينى.
- النظام التربوى والتعليمى.

---

(١) أنظر المرجع التالى لمزيد من التفاصيل:

- Inkeles, A, What is Sociology, An Introduction to the Descipline and Profession, N. J, Prentich, 1964, P. 42.

- نظام الترويج والدعاية.
- النظام الجمالى والتعبيرى.

٤ - العمليات الاجتماعية الأساسية
- التباين والترتيب الطبقى.
- التعاون والتوافق والتمثيل.
- الصراع الطبقى.
- الاتصال والرأى العام.
- التنشة الاجتماعية.
- القيم الاجتماعية.
- الانحراف الاجتماعى والجريمة والانتحار.
- التكامل الاجتماعى.
- التغير الاجتماعى.

وعموماً، يمكن الإشارة إلى الأفكار الرئيسية التى تدور حولها الموضوعات السابقة لعلم الاجتماع سواء أكانوا من رواد العلم التقليدين أو المعاصرين[1]:

١ - **الجماعات الاجتماعية Social groups**: وتشمل دراسة الجماعات التى يتكون منها البشر، وطبيعة بناءاتها ووظائفها فى المجتمع ككل.
٢ - **العمليات الاجتماعية Social processes**: وهى أنماط الأفعال الاجتماعية وأهدافها وتشمل هذه العمليات نماذج مختلفة مثل التعاون، التنافس، الصراع، التكيف وغيرها.
٣ - **الثقافة Culture**: وهى مجموعة العناصر المادية واللامادية والنتاج العام للفكر والحضارة الانسانية وتشمل أنماط التفكير والعلوم والفنون والآداب والتكنولوجيا.
٤ - **الشخصية Personality**: وتشمل دراسة موضوع التفاعل Interaction ودراسة السلوك الفردى والجماعى ونماذج العلاقات المتداخلة بين الأفراد، وكيفية تكوينها وتغييرها وتكيفها فى المجتمع.
٥ - **التغير Change**: ويعتبر هذا الموضوع هو جوهر اهتمام علماء الاجتماع، لأن التغير هو القانون الذى يفسر حياة المجتمعات وتطورها، وتشمل دراسة التغير جميع جوانب الحياة الاجتماعية وبناءاتها ونظمها ومؤسساتها المختلفة.

---

(١) أنظر:
- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٣٦ - ٣٧.

فى الواقع، لقد شملت الأفكار العامة والموضوعات السابقة لعلم الاجتماع العديد من الموضوعات الفرعية التى قد تندرج تحتها، والتى كشفت عنها كتابات متعددة أخرى اهتمت بتصنيف موضوعات علم الاجتماع كما سنوضح ذلك عندما نشير إلى مجالات علم الاجتماع التى هى أعم وأشمل وتندرج تحتها العديد من الموضوعات الفرعية والرئيسية، وتعكس فى نفس الوقت، الكثير من فروع علم الاجتماع المتخصصة والتى ظهرت بصورة خاصة خلال النصف الثانى من القرن العشرين.

٢ - مجالات علم الاجتماع :

كشفت تحليلات رواد علم الاجتماع عن موضوعات هذا العلم، كما ارتبطت عملية تصنيف تعريفات علم الاجتماع بدورها عن مدى تنوع هذه الموضوعت وتعددها. ولقد استمدت عملة التغيير فى تراث علم الاجتماع وتطورت وتنوعت موضوعاته ومجالاته سواء فى مرحلة عصر الرواد الأوائل، أو فى مرحلة المعاصرة والمدنية. فنجد على سبيل المثال، أن تصورات مؤسس هذا العلم (اوجست كونت) ركزت على مجالات علم الاجتماع حسب نوعية الموضوعات التى حددوها فى كل من دراسته لعملية الاستقرار الاجتماعى وعملية التطور الاجتماعى.

ولكن اتخذ دوركايم مدخلاً أكثر تفصيلاً فى تحديده لموضوعات علم الاجتماع والتى شملت على كل من الاستاتيكا والديناميكا الاجتماعية، ولكنه يقسم هذه الموضوعات فى مجالين أساسين هما :

١ - المورفولوجيا الاجتماعية Social morphology: وتشمل دراسة موضوعات مثل دراسة جغرافية البيئة وسكانها وعلاقتهم بالتنظيم الاجتماعى وتوزيعهم على سطح الأرض.
٢ - الوظائف الاجتماعية Social physiology: وتشمل دراسة ظواهر الدين والأخلاق والقانون والاقتصاد والجمال والفن واللغة.

إلا أن طبيعة مجالات علم الاجتماع أخذت أنماطاً وأشكالاً متعددة أخرى، والتى تدخل فى نطاق تخصص علم الاجتماع العام General sociology، وخاصة بعد مضى أكثر من قرن من الزمان تقريباً على تحديد دوركايم لمجالات علم الاجتماع. وبالطبع جاء هذا التطور نتيجة لزيادة أعداد المتخصصين وتشعب الفروع الأكاديمية لعلم الاجتماع واستقلالية علم الاجتماع عموماً، بالإضافة إلى

تداخله مع العديد من التخصصات الأخرى. ويمكن فيما يلى الإشارة إلى هذه المجالات وهى[1]:

١- علم الاجتماع التطبيقى	Applied sociology
٢- السلوك الجمعى	Collective behavior
٣- المجتمع المحلى	Community
٤- علم الاجتماع المقارن	Commparative sociology
٥- الجريمة والأحداث	Crime and delinquency
٦- علم الاجتماع الثقافى	Cultural sociology
٧- السكان	Demography
٨- السلوك الانحرافى	Deviant behavior
٩- التعليم	Education
١٠- التنظيمات الكبرى والرسمية	Formal and complex organizations
١١- الأيكولوجيا البشرية	Human ecology
١٢- علم الاجتماع الصناعى	Industrial sociology
١٣- القانون والمجتمع	Law and society
١٤- الفراغ، الرياضة، الترفيه، والفنون	Leisure, Sports, Recreution, Arts
١٥- الزواج والأسرة	Marriage and family
١٦- علم الاجتماع الرياضى	Mathematical sociology
١٧- علم الاجتماع الطبى	Medical sociology
١٨- مناهج البحث والاحصاء	Methodology and statics
١٩- علم الاجتماع العسكرى	Military sociology
٢٠- المهن والحرف	Occupation and professions
٢١- علم الاجتماع السياسى	Political sociology
٢٢- الجنس والعلاقات العنصرية	Race and ethnic relations
٢٣- علم الاجتماع الريفى	Rural sociology
٢٤- الدين	Religion
٢٥- الجماعات الصغيرة	Small groups
٢٦- التغير الاجتماعى	Social change
٢٧- الضبط الاجتماعى	Social control

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر، مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، مرجع سابق، ص ٢٤٣ وما بعدها.

٢٨- التدرج والحراك	Stratification and mobility
٢٩- علم اجتماع المعرفة	Sociology of knowledge
٣٠- علم النفس الاجتماعى	Social psychology
٣١- النظرية	Theory
٣٢- علم الاجتماع الحضرى	Urban sociology
٣٣- الاتصال الجمعى	Mass communication
٣٤- الاقتصاد والمجتمع	Economic and society
٣٥- التنظيم الاجتماعى	Social organization

تلك أهم المجالات التى تندرج تحت مظاهر علم الاجتماع العام، وإن كانت هناك بعض المجالات الفرعية التى انبثقت من بعض التخصصات الفرعية لعلم الاجتماع المختلفة، والتى لم يشر إليها التصنيف السابق مثل:

١- علم اجتماع دراسات المستقبل	Sociology of futurisim
٢- علم اجتماع المجتمعات النامية	Sociology of developing cuntries
٣- سوسيولوجيا الأزمات	Sociology of disasters

وان كانت قد اختلفت بعض المسميات الحديثة لبعض مجالات علم الاجتماع، ولكنها تتضمن بصورة مباشرة وغير مباشرة فى المجالات السابقة. كما بالطبع، أن ديناميكية التغير فى المجتمع الحديث والتى تأخذ طابع السرعة لم يتوقف بعد عن امكانية ظهور مجالات أخرى قد تكون مستقلة تماماً أو ترتبط بعلم الاجتماع، أو تكون مرتبطة ببعض العلوم الاجتماعية الأخرى، ولم تظهر فى التصنيف السابق مثل سوسيولوجيا اللغة Sociology of languistcs، والتى تكشف عن الصلة القوية بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم اللغة. وهذا ما سوف نشير إليه لاحقاً عندما نعرض للعلاقة المتبادلة بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى مثل التاريخ، والسياسة، والاقتصاد، والأنثربولوجيا، والجغرافيا، والإدارة، وغيرها.

وأخيراً، يجب أن نوضح حقيقة هامة مؤداها: إن طبيعة مجالات علم الاجتماع وتحديدها يكشف عن نوعية موضوعات هذا العلم، ونوعية التعريفات التى ميزت اهتماماته وقضاياه ومشكلاته التى يهتم بمعالجتها. وبالطبع، ان تنوع التعريفات لعلم الاجتماع ومجموعة التصنيفات السابقة لها، انما تعكس مدى اهتمام علماء الاجتماع انفسهم بتحليل تراث علم الاجتماع بصورة مستمرة. ويدخل هذا الاهتمام سواء من ناحية دراسة تاريخ العلم وتطوره، أو فى اطار علم اجتماع

المعرفة، أو تحت تحليلات النظرية السوسيولوجية التى تتطور وبصورة مستمرة نتيجة للخصائص العلمية التى تتسم بها، أو عن طريق تطور مناهج وطرق وأساليب البحث التى تعالج قضايا علم الاجتماع ومشكلاته على المستوى النظرى والامبيريقى (الميدانى).

خاتمة :

ما من شك، لقد كرس علماء الاجتماع خلال النصف الأخير من القرن الحالى (العشرين) جهودهم من أجل تحديد مسميات علم الاجتماع، ووضع تعريفات محددة له، لكى تسهم فى معرفة التطورات التى ظهرت على تاريخ العلم ذاته. ويعد هذا الاهتمام نوع من اهتمامات علماء الاجتماع والتى زادت فى السنوات الأخيرة، وسعت لتحليل تراث هذا العلم حتى يمكن للمتخصصين فيه معرفة الأصول التطورية لأحد العلوم الاجتماعية الهامة. كما يسهم ذلك فى اعطاء فرصة للقارئ فى علم الاجتماع أن يتعرف بصورة سريعة على خلفية هذا العلم من الناحية التاريخية، وكيف تطورت مفاهيمه ومصطلحاته كلغة متخصصة يستعملها علماء الاجتماع بصورة واسعة فى المجتمع الحديث.

فى نفس الوقت، ان دراسة مفاهيم وتصورات علم الاجتماع تكشف عن نوعية موضوعاته ومجالاته المختلفة، ونوعية التداخل بين هذه الموضوعات والمجالات التى تنتمى إلى فروع متخصصه وتتسم بالخصائص العلمية التى تتميز بها العلوم الاجتماعية. فى نفس الوقت، ان دراسة مفاهيم وتصورات علم الاجتماع تكشف الكثير من جوانب الغموض واللبس، التى قد تكتنف بعض المفاهيم والبعد عموماً عن الخلط، خاصة بعد أن تزايدت عدد هذه المفاهيم فى السنوات الأخيرة.

عموماً، جاءت التحليلات المرتبطة بدراسة الأسباب التى ادت لزيادة الاهتمام بعلم الاجتماع ولاسيما فى السنوات الأخيرة، عن مدى أهمية هذا العلم وخاصة أن مهمته تكمن فى دراسة المجتمع، تلك المهمة التى حددها له مؤسسه الأول اوجست كونت خلال فترة القرن التاسع عشر، تلك الفترة التى لازمت نشأة المجتمع الصناعى الحديث. وبايجاز، تكمن أهمية دراسة علم الاجتماع فى الكشف عن جوانب الحياة الاجتماعية المعقدة والمتغيرة، ونوعية الظواهر والمشكلات الاجتماعية والنتائج المترتبة عليها وذلك بصورة واقعية وعلمية مدروسة.

الفصل الثالث
علاقة علم الاجتماع بالعلوم الطبيعية والاجتماعية الأخرى

* مقدمة :

أولاً : علم الاجتماع والعلوم الطبيعية .

١ - الطب.
٢ - الهندسة.
٣ - الطبيعة.
٤ - الأحياء.

ثانياً : علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية .

١ - الاقتصاد.
٢ - السياسة.
٣ - التاريخ.
٤ - الجغرافيا.
٥ - علم النفس.
٦ - الانثربولوجيا.
٧ - الخدمة الاجتماعية.
٨ - الإدارة.
٩ - اللغة.

* خاتمة

مقدمـة :

كشفت تحليلات تـراث علم الاجتمـاع ونشـأته التطوريـة، طبيعـة هذا العلـم، وكيف تطور الفكر البشرى إلى أن أصبح فى مرحلة متقدمة خلال العصـر الحديث الذى نعيش فيه. كما تعددت موضوعاتـه وقضايـاه ومشـكلاته التـى يهتـم بدراسـتها ومعالجتها، ولاسيما فى السنوات الأخيرة، وهذا ما ظهر من خلال تصنيف تعريفات وموضوعات علم الاجتماع والتى تميزت بالتنوع، نظراً لتعدد القضايـا والمشـكلات التى تم طرحها بواسطة علماء الاجتماع، وتنوعت كثيراً خلال العقـود الأخـيرة مـن القرن العشرين، واختلفت بصورة نسبية عما كانت عليه خـلال نشـأة علـم الاجتمـاع فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر.

وبالطبع، لقـد وضحـت أيضـاً معالجتـا لمجـالات علم الاجتمـاع عـن طبيعـة الاطار العام لهذا العلم، ونوعية القضايا والموضوعات التـى تنـدرج تحـت مجالاتـه المختلفـة. وكمـا أظهـرت تحليـلات الرعيـل الأول مـن علمـاء الاجتمـاع طبيعـة الموضوعات والمجالات التى تندرج تحت علم الاجتمـاع، والتـى اختلفـت وتنوعـت خلال النصف الثانى من القرن الحالى (العشرين)، نتيجـة لتعـدد كـل مـن اهتمامـات الباحثين والعلماء المحدثين فى علم الاجتماع، وإلى تعدد طبيعة المشكلات والقضايـا والموضوعات التى طرحتها ظروف العصر الحديث والمجتمـع المعقد الـذى يتغير بصورة سريعة. كما جاءت هذه التطـورات الأكاديميـة فـى مجـالات علـم الاجتمـاع نتيجة لتعدد وتعمق الأبعاد النظرية السوسيولوجية، وأيضـاً نوعيـة المنـاهج وطـرق البحث الاجتماعى المختلفة التى يستخدمها علماء الاجتماع.

لكن هذا التقدم فى مجـالات علـم الاجتمـاع وموضوعاتـه لـم تـأت مـن فـراغ أو بواسطة جهود علماء الاجتماع أنفسهم، بقدر ما جاء هذا التطـور نتيجـة لتضـافر جهود كـل مـن علمـاء العلـوم الطبيعيـة والعلـوم الاجتماعيـة الأخـرى والتـى نسـعى لتناولهـا فـى هـذا الفصـل، محـاولين التعـرف علـى طبيعـة العلاقــة المتداخلـة بيـن اهتمامـات أولاً علـم الاجتمـاع والعلـوم الطبيعيـة الأخـرى مثـل الطـب، والهندسـة، والطبيعة، والأحياء وغيرها. ولاسيما، أن هذه العلوم قد قطعت شوطاً كبيراً نتيجـة لاحرازها العديد من مظاهر التقـدم فـى ابحاثهـا لمشـكلات المجتمـع الواقعيـة والتـى ترتبط بدراسة لظواهر المشكلات الطبيعية عموماً. كما جاء هذا التقدم نتيجـة لتقدم كل من النظريات والمناهج وطرق البحث التى استخدمت المقاييس الكمية الدقيقة.

كما سنعالج فى هذا الفصل، العلاقة المتداخلة بين اهتمامات علماء الاجتمـاع والعلـوم الاجتماعيـة الأخـرى مثـل الاقتصـاد، والسياسـة، والتـاريخ، والجغرافيـا،

والانثربولوجيا، والإدارة، وعلم النفس، والخدمة الاجتماعية، واللغة. خاصة، وأن هذه العلاقة تمتد جذورها إلى البدايات الأولى لنشأة علم الاجتماع ذاته، حيث كانت جميع هذه العلوم مرتبطة فى اطار واحد من العلوم وهى الفلسفة، التى كانت تعتبر العلم الرئيسى الذى يجمع بين هذه الاهتمامات. إلا أن جاءت ظروف العصر الحديث لتغير طبيعة الاهتمامات والمجالات المختلفة، ويركز علماء العلوم الاجتماعية جهودهم لضرورة التخصص العلمى، الذى يعتبر فى حد ذاته سمة وخاصية المجتمع الحديث ذاته.

أولاً : علم الاجتماع والعلوم الطبيعية :

جاءت كتابات مؤسس علم الاجتماع (اوجست كونت) لتؤكد على أهمية وجود الفيزياء الاجتماعية كما ظهر ذلك من خلال تحديد المسميات الأولى لعلم الاجتماع، وجاء هذا التحديد نظراً لوجود الفيزياء الأرضية، والسماوية وغيرها، التى تهتم بدراسة العالم الطبيعى الخارجى الذى يعيش فيه الانسان، ولايوجد علم مستقل يهتم بدراسة الظاهرة الاجتماعية وعلاقة الانسان بذاته ومع الآخرين. كما جاء التطور والتقدم العلمى الذى احرزه علماء العلوم الطبيعية فى مجالات الفلك، والطبيعة، والكيمياء، والأحياء، والطب، والهندسة، والرياضيات وغيرها، لتحدث غيرة علمية قوية لدى (اوجست كونت) من ضرورة وجود علم يهتم بمعالجة مشكلات الانسان ودراسة الحياة الاجتماعية بصورة علمية مدروسة. وهذا فى حد ذاته يعتبر الهدف الأساسى من نشأة علم الاجتماع كما حدد له مؤسسه الأول وأيده العديد من رواد علم الاجتماع الأوائل بصورة مؤكدة.

كما يعكس تحليل تراث علم الاجتماع خلال القرنين الماضيين، أن علاقة علم الاجتماع بالعلوم الطبيعية لم تنقطع أبداً، نظراً لأن الاهتمامات العلمية سواء أكانت طبيعية أم انسانية تظهر فى المجتمع ذاته ويتأثر بها كل من الانسان والطبيعة. بل إن العلوم الطبيعية وما حققته من أهداف وانجازات علمية، إنما تهدف بالدرجة الأولى من سيطرة الانسان على العالم الطبيعى الخارجى، والعمل على تكييف هذه البيئة بصورة عامة من أجل راحة الإنسان واستقراره ورفاهيته عموماً كما نلاحظ ذلك فى السنوات الأخيرة.

من ناحية أخرى، ان العلوم الانسانية بما فيها من علوم الفلسفة، والمنطق، والأخلاق كما ظهرت فى العصور القديمة وفى المجتمعات الشرقية أو فى بلاد الاغريق، توضح أن السبق العلمى كانت لهذه العلوم، دون علوم الفلك أو الطبيعة أو الكيمياء أو الطب، وهذا ما يؤيده علماء العلوم الطبيعية أنفسهم. كما جاءت عملية التطور خلال العصور الوسطى أحد مراحل الانتقال منها إلى العصور

الحديثة، لتؤكد أن جميع نظريات ومناهج العلوم الطبيعية، كانت فى البداية مجرد فكرة أو خيال أو تصور من أجل خدمة الانسان ووجوده واستمراريته.

فى نفس الوقت، نجد أن جهود علماء العلوم الطبيعية بدون استثناء كرست لتحقيق غايات وأهداف يقصد بها خدمة الانسان وتطوره وتقدمه وسيطرته على الطبيعة والحد من آثارها أو مشكلاتها المتعددة. وجاءت الدعوة صريحة فى السنوات الأخيرة من جانب علماء العلوم الطبيعية، بضرورة التعاون العلمى بينهم وبين علماء العلوم الاجتماعية بصورة عامة. خاصة، وان هدف كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية انما تركز على تحقيق مزيداً من التطور والتقدم وسعى الانسان إلى سيطرته على بيئته الطبيعية وحل مشكلاته الاجتماعية عامة.

ويؤيد ذلك علماء المناهج فى الوقت الراهن من ضرورة تبنى ما سمى بمدخل التداخل بين العلوم Inter-Disciplinary approach، سواء أكانت هذه العلوم الطبيعية أم العلوم الاجتماعية أم بين العلوم الأخيرة وبينها البعض. وان كانت العلوم الطبيعية قد قطعت شوطاً كبيراً فى تحقيق المزيد من مظاهر التعاون نتيجة لاعتبارات منهجية ونوعية دراسة الظاهرة الطبيعية، وسهولة دراستها عموماً عن الظاهرة الاجتماعية التى تتميز بالتعقيد وعدم خضوعها بسهولة للدراسة التجريبية أو المعملية أو استخدام الوسائل الكمية فى تحليلها أو معرفة الاسباب المتداخلة فيها.

كما نود أن نشير إلى حقيقة هامة، ألا وهى ان تحليل التراث العلمى لنشأة العلوم سواء أكانت علوم طبيعية أم علوم اجتماعية انسانية، يوضح لنا أن العلوم الأخيرة هى التى ظهرت مسبقاً، وهذا ما حللناه فى مواضع متعددة منها على سبيل المثال، دراسة تطور ونشأة الجامعات عبر العصور التاريخية والتى جاءت دراسة منشورة بعنوان سوسيولوجيا التعليم الجامعى[1] Sociology of higher education، والتى توضح أن طبيعة الجامعات والمعاهد العليا فى العالم وعبر العصور التاريخية ركزت أولاً على تدريس العلوم الانسانية ثم العلوم الطبيعية، أو فى بعض الأحيان كانت تدرس كلاً منهما فى نفس الوقت.

وقبل أن نوضح ملامح العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الطبيعية نود أن نعطى فكرة مسبقة القارئ عن طبيعة الاختلاف والتشابه بين دراسة الظاهرة الاجتماعية Social phenomena، والظواهر الطبيعية Natural phenomena، حيث تعتبر هذه الظواهر جوهر اهتمام كل من علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية وأيضاً العلوم الطبيعية.

---

(١) أنظر،

عبدالله محمد عبدالرحمن، سوسيولوجيا التعليم الجامعي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩.

كما تعكس هذه الظواهر نوعية الموضوعات والقضايا والمجالات التى تهتم بها هذه العلوم مجتمعة. حقيقة، ان تعريف العلم يمكن تحديده ببساطة، فالعلم Science يفيد المعرفة Knowledge، والمعرفة تحدد عموماً الأشياء أو الظواهر أو الحقائق التى يمكن التحقق منها أو التأكد منها. لأن طبيعة العلم والمعرفة تتميزان بخصائص محددة ألا وهى البحث عن الحقيقة بكل معانيها. ولكن ذلك يتطلب من الانسان أو الباحث أن يعرف جيداً كيفية الوصول إلى الحقيقة أو المعرفة العلمية Scientific knowledge، سواء عن طريق تعلمها بواسطة الخبرة Experience، أو معرفتها من خلال الآخرين عن طريق الحصول عليها بواسطة المعلومات الثقافية عامة.

ويمكن فيما يلى أن نوضح ملامح التشابه والاختلاف بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية، للتمييز بينهما ومعرفة بعض عوامل وأسباب تطور دراسة الظاهرة الأخيرة عن الأولى، أو معرفة لماذا حققت العلوم الطبيعية تقدماً يفوق بكثير ما حققته العلوم الاجتماعية والانسانية؟. وبالطبع يرجع ذلك إلى تباين وتمايز كل من طبيعة الظاهرتين واختلافهم فى كثير من الجوانب وهى بايجاز:

١ - **النظرية Theory:** ان طبيعة أى علم تقوم على وجود مجموعة كبيرة من الأفكار والتصورات العامة والتى يطلق عليها بالنظريات Theories، والتى توضع مسبقاً كمحاولة لتفسير ودراسة ظاهرة أو مشكلة معينة، وتحليل واختبار عناصرها وجمع المعلومات والبيانات حولها. ومن ثم، فالباحث أو العالم يهتم عموماً ليس فقط بدراسة النظرية فى حد ذاتها، بقدر ما يهتم بجمع البيانات حول هذه النظرية ومعرفة مقدار صدقها أو كذبها. وفى حالة تواتر الأدلة حول صدق النظرية يمكن فى هذه الحالة قبولها والعكس صحيح.

ولكننا نلاحظ كما هو موجود فى الواقع، ان العالم الطبيعى لديه الفرصة الكبيرة أو فى موقع أكثر تحقيقاً من فرصة العالم الاجتماعى، نظراً لأن الأول يستطيع بسهولة جمع بياناته والتحقق منها وتحت ظروف تجريبية محددة. ولكن هذا لا ينفى على الاطلاق أن العالم الاجتماعى لا يوجد لديه نظرية مسبقة أو تصور محدد قبل اجراء بحوثه أو دراساته، ولكن المشكلة فى التحقيق واختبار هذه النظريات أو الأفكار أو الفروض مقارنة بالعالم الطبيعى.

٢ - **الموضوعية Objectivity:** تتميز العلوم الطبيعية بأن موضوعاتها ومجالات دراستها مستقلة تماماً عن الباحثين أنفسهم. فعالم الفلك لا يستطيع أن يكون مندمجاً من الناحية الذاتية أو الشخصية عند دراسته الظواهر الفلكية مندمجاً من الناحية

الذاتية أو الشخصية عند دراسة الظواهر الفلكية مثل كسوف وخسوف الشمس والقمر على سبيل المثال. أما العالم الاجتماعى تكون لديه مشاعر وانفعالات وعواطف وانتماءات دينية وقومية وسياسية عن قضايا مثل الجنس والنوع، والجريمة والفقر، والتمايز الطبقى، والسلالات، والتمايز العنصرى والدين وغيرها. وهذا ما يجعل الباحثين فى العلوم الطبيعية أكثر تحرراً ودقة وموضوعية والبعد عن الذاتية أو الأهواء الشخصية مقارنة بغيرهم من علماء العلوم الاجتماعية الذين يجدون أنفسهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة متداخلين فى القضايا والموضوعات البحثية التى يهتمون بدراستها ومعالجتها.

٣ - **التعقيد Complexity**: تعكس طبيعة الظاهرة الاجتماعية أنها تتميز بالتعقيد بصورة كبيرة مقارنة بطبيعة الظاهرة الطبيعية. وهذا ما يعكس طبيعة عمل كل من علماء العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية. فدراسة العلاقة بين تمدد المعادن مثل الحديد أو النحاس أو انكماشها يرجع بالطبع إلى درجة الحرارة والبرودة، وهذا ما يسهل الباحث عموماً من معرفة السبب المباشر وراء حدوث هذه الظاهرة الطبيعية. أما دراسة الباحث الاجتماعى لمشكلة الفقر أو الجريمة، فهل يمكن رجوعها إلى سبب واحد فقط مثل درجة الحرارة أو البرودة المؤثرة فى تمدد أو انكماش الحديد مثلاً؟. فالجريمة وانتشارها يمكن رجوع سببها على عدة عوامل، مثل الفقر، والقوانين والتشريعات، والتفكك الاجتماعى والأسرى، والبطالة، والظروف الاقتصادية، وزيادة عدد السكان، والدين، والأخلاق، وظروف الحياة والمجتمع وطبيعة العصر عموماً.

٤ - **القياس والتجريب Measurement & Experiment**: تتضمن خواص العلم الحديث ضرورة خضوعة للقياس أو التجريب وهذا ما أدى إلى تقدم العلوم الطبيعية بدون استثناء مقارنة بالعلوم الاجتماعية. وهذا بالطبع، يوضح طبيعة الظاهرة المدروسة وخضوعها للتجريب أو جعلها قيد البحث المعملى والقياس الكمى الدقيق. وهذا ما تتميز به خواص الظاهرة الطبيعية أياً كان نوعها فلكياً أو بيولوجياً، وهندسياً، وكيميائياً، ولكن هذا لا ينفى على الاطلاق إمكانية القياس والتجربة فى العلوم الاجتماعية مثل علم النفس، والاجتماع على سبيل المثال. ولقد أحرزت العلوم الأخيرة تقدماً ملحوظاً عندما استعارت العديد من طرق وأدوات جمع البيانات واستخدام الاحصاءات والحاسبات (الكمبيوتر) بطريقة ملحوظة فى السنوات الأخيرة.

٥ - **امكانية التطبيق Applicability**: بالطبع ان الظاهرة الطبيعية قابلة للدراسة والتجريب والتطبيق وخاصة عند اجراء المزيد من التجارب عليها، ومحاولة اختبار النتائج التى توصلت إليها بحوث معينة على فترات زمنية أو فى مختبرات معملية

فـى أمـاكن متفرقـة. وهـذا مـا أدى إلـى تفـوق العلـوم الطبيعيـة ودراسـتها للظـواهـر الطبيعية مقارنة بالظواهر الاجتماعيـة. ولكـن مـع تطـور أسـاليب العلم الاجتمـاعى الحديث سـواء مـن حيث النظريـة والمنـاهج وأسـاليب وطـرق البحث الاجتمـاعى، واستخدام وسـائل مثـل المقابلـة، والملاحظـة، أو اسـتمارات البحث وغيرهـا أمكـن تطبيق كثير من الدراسات واجرائها بل اخضاعها للبحث التجريبـى أو العلمـى فـى نفس الوقت. وهذا ظهر على سبيل المثال منذ العشرينات من القرن الحالى واجـراء الدراسات النفسية والاجتماعية فى العديد من المؤسسات الصناعية فى العـالم. وحـل الكثير من مشاكل العمل والانتاج عامة.

٦ - **القوانين والتعميمات Laws & Generalization**: مـا مـن شـك أن للعلـوم الطبيعية قوانينها المحددة التـى يمكـن التحقيـق منهـا واسـتخدامها بعد ذلك بصـورة كبيرة، وجعل هذه القوانين بمثابة المبادئ والأسس العامة التى تقوم عليهـا نظريـات العلوم الطبيعية مثل قوانين الجاذبية، والطفو، والحرارة، وغيرها. كما يتم الوصـول إلى تعميمات حول الظاهرة الطبيعية، والتى لا يمكن تغييرها إلا عن طريق حـدوث تغيرات علميـة فـى مجـال التخصص ذاتـه. ولكـن يتعـذر فـى العلـوم الاجتماعيـة الوصـول إلـى قوانيـن محـددة مثـل قوانيـن تحديـد النسـل، وحجـم السـكان والأسـرة والزواج، أو التقدم أو التحضر، يمكـن تطبيقهـا فـى المجتمعـات البشـرية أو قوانيـن محددة حول الفقر والجريمة أو الوصول إلى تعميمات شاملة لهـا. فمـا ينطبـق علـى الهند مثلاً بالنسبة لحدوث الجريمـة لا ينطبـق علـى المملكـة العربيـة السـعودية مـن حيث التشريعات، وطبيعة الدين، والحياة الاجتماعية والاقتصادية عموماً.

٧ - **التنبـؤ Predictability**: حققـت العلـوم الطبيعيـة درجـة كبـيرة مـن التقـدم والانجـاز العلمـى وجـاء هـذا التقدم نتيجـة قدرتهـا علـى التنبـؤ بحـدوث الظـاهرة أو عدمة. وهذا ما يظهر على سبيل المثـال فـى علـم الفلـك حيـث يمكـن للعلمـاء أن يتنبؤا بحدوث كسوف أو خسوف الشمس والقمر فى فـترة مسـتقبلية محـددة بصـورة دقيقة أو ظهور هذه الظاهرة فى أماكن معينة دون غيرها. كمـا أن تكـرار الظـاهرة الطبيعيـة بصـورة متماثلـة يسـاعد علمـاء العلوم الطبيعية فـى امكانيـة التنبؤ لهـذه الظواهر قبل حدوثها بفترة معينة. ولكن العلوم الاجتماعية لاتـزال تواجـه مشـكلات معقدة نظراً لصعوبة تكرار الظواهر بصـورة متماثلـة مقارنـة بـالظواهر الطبيعيـة. فحدوث الجرائم فى فترة معينة هذا لا يعنى حدوثها فى فترات حاضرة أو مسـتقبلية كما هى بالفعل. كما أن دراسة الأحداث التاريخية تعتبر مجالاً حياً على ذلك، حيـث لا يمكن أن تتكرر الأحداث التاريخية مرة أخرى بالضبط فى الحاضر أو المستقبل.

بالرغم من ذلك، فعلماء الاجتماع والنفس والجغرافيا والاقتصاد والسياسة يستطيعون أن يتنبؤا كثيراً جول المشكلات أو الظواهر الاجتماعية التى يدرسونها بالفعل. وهذا ما أدى إلى تطور ما يعرف بالدراسة المستقبلية Futurism studies والتنبؤ بصورة نسبية بحدوث بعض الظواهر أو المشكلات الاجتماعية أو نتائجها السلبية فى المجتمع. فيمكن لعالم الاجتماع أن يتنبأ بزيادة معدلات الطلاق مثلاً نتيجة لمعرفة نتائج التفكك الأسرى أو فى البناءات الاجتماعية التقليدية، كما أن زيادة الطلاق يؤدى إلى حدوث مشكلات أخرى مثل انحراف الأحداث وزيادة معدلات الجريمة. وهذا ما يرتبط بمشكلات أخرى والتنبؤ بنتائجها السلبية مثل مشكلات البطالة، والفقر وغيرها.

عموماً، بالرغم من تقدم العلوم الطبيعية أو امكانية دراسة الظاهرة الطبيعية واخضاعها للتجربة والقياس والدراسة والتحليل والتنبؤ، إلا أنه لا يمكن على الاطلاق أن يتقدم علماء هذه العلوم (الطبيعية) ودون الرجوع إلى نتائج الدراسات الاجتماعية والاستفادة منها، وهذا ما ينطبق على علماء الطب عندما يدرسون مرض (الايدز) مثلاً ونتائجه فى المجتمع أو التنبؤ بزيادة معدلاته فى مجتمع معين أو فى فترة مستقبلية محددة، ولماذا تزداد معدلات هذا المرض فى مجتمعات دون الأخرى؟ فالاجابة على ذلك، تكون موضوع اهتمام علماء الاجتماع والنفس الذين يهتمون بدراسة الأحوال والظروف الاجتماعية والأخلاقية والقانونية التى تؤدى إلى انتشار هذا المرض فى مجتمعات معينة دون الأخرى، وهذا ما يفسر عموماً أهمية التعاون والاستفادة من العلوم الطبيعية والاجتماعية، وهذا ما سنهتم به حالياً.

١ - الطب :

يرتبط علم الطب بعلم الاجتماع باعتبارهما أولاً علمان يدرسان مشكلات الانسان فى المجتمع، ويسعى كل منهما لاستخدام نظرياته ومناهجه وطرق بحثه وأدوات جمع بياناته الخاصة لدراسة المشكلات والقضايا التى يهتم بها. كما يهتم عالم الطب والطبيب الممارس بدراسة علم الاجتماع، نظراً للضرورة الملحة التى يمكن عن طريق الاسترشاد بطرق البحث الاجتماعى وأساليب دراسته وتحليله لدراسة الظواهر الاجتماعية. وهذا ما جعل معظم دول العالم من عقود طويلة تدرس فى كليات الطب بها علم الاجتماع، وهذا ما طبق بالفعل فى العديد من جامعات الدول العربية والدول النامية. وأصبح علم الاجتماع الطبى Medical sociology، من أهم فروع علم الاجتماع المتخصصة التى يلتقى من خلالها فكر وتصورات وآراء كل من علماء الاجتماع والطب فى نفس الوقت.

كما أصبحت فروع أخرى متخصصة فى علم الاجتماع الطبى[1] والتى يطلق عليها سوسيولوجيا المستشفى Sociology of hospitals أحد المجالات الهامة التى تهتم بدراسة الأمراض المتوطنة وغير المتوطنة، ونظم إدارة المستشفيات، وأساليب رعاية المرضى، والطاقة الانتاجية المثلى لكل من الفئات العاملة بالمستشفى مثل الأطباء، وهيئة التمريض، والفئات المهنية المعاونة الأخرى. ويهتم علماء الطب والاجتماع عموماً بالاستفادة المتبادلة من خبرات تخصصاتهم المهنية والأكاديمية. فعالم الطب أو الطبيب العادى لا يمكن أن يشخص حالة مرضاه دون الرجوع إلى كثير من المتغيرات السوسيولوجية: مثل التاريخ المرضى للمريض واسرته، وما يعرف بالحالة المرضية، والوضع الطبقى، والمهنة، والدخل، والأسرة، ومستوى التعليم والثقافة وغير ذلك من متغيرات ضرورية قبل أو خلال مراحل العلاج التى تقدم إلى المريض ذاته.

وعند دراسة الأمراض وتوطنها فى المجتمعات وكيفية القضاء عليها أو التخفيف من حدتها يلجأ الأطباء إلى الاستعانة بخبرات علماء الاجتماع. وهذا ما أكده الكثير من المتخصصين فى علم الاجتماع الطبى مثل فردسون Friedson، وجلاسر Glasser وغيرهم، أو ما اهتم به دوركايم عند دراسته للانتحار[2] Suicidie وغيره من العلماء الذين أكدوا على ضرورة استخدام المداخل السوسيولوجية المختلفة عند تشخيص الأمراض سواء للمرضى أو بدراسة طبيعة الأمراض التى توجد فى المجتمع، والأسباب التى تؤدى إلى تفاقمها أو الحد من سلبياتها. وهذا ما ظهر أخيراً عند دراسة الأمراض مثل الايدز، والسرطان، والكوليرا، والتيفود، والبلهارسيا وغيرها. خاصة، وأن هناك أنواع معينة من الأمراض تكون متوطنة فى مناطق معينة دون الأخرى مثل انيميا وأمراض البحر المتوسط، وفقر الدم وغيرها. ومن ثم، فإن دراسة الأمراض من قبل علماء الطب أو الاجتماع تلزم التعرف بوضوح على البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والشخصية للمرضى حتى يمكن تقديم سُبل العلاج اللازمة.

علاوة على ذلك، إن استجابات المرضى للعلاج أو التماثل للشفاء أو الاستعداد لاجراء العمليات الجراحية تلزم الأطباء، ضرورة التعرف على أساليب سوسيولوجية معينة للتعامل مع مرضاهم والتى يطلق عليها علماء الاجتماع الطبى علاقة الطبيب بالمرضى Doctor - Paitent relationship والتى على ضوئها يتم معرفة آراء

---

(١) أنظر، عبدالله محمد عبدالرحمن، سوسيولوجيا المستشفى، دراسة فى علم الاجتماع الطبى، الاسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٧.

(٢) للمزيد من التفصيلات، أرجع إلى :

- Durkiem, E., Suicide (Tran. By: J. Spaulding), N.Y, Free Press, 1951.

المرضى وتحليل استجاباتهم نحو معالجتهم من الأطباء أو هيئات الطب المختلفة، كما نجد كثيراً من الأفراد المرضى أو البسطاء يرفضون أخذ العلاج الذى حدده الطبيب لأن مدخل الطبيب أو اسلوبه أثناء العلاج، لم يكن أسلوباً اجتماعياً، وهذا ما يفسر مدى اقبال المرضى على طبيب معين دون الآخر، بالاضافة طبعاً إلى متغيرات الخبرة الطبية والتشخيص الجيد.

عموماً، بعد انتشار كليات الطب المختلفة والمنظمات العالمية مثل منظمة الصحة العالمية (Wold Health Organization (W H O وغيرها من المنظمات على المستويات الاقليمية والقومية، التى تؤكد دراساتها على ضرورة تبنى المداخل السوسيولوجية من قبل الأطباء عند معالجة مرضاهم، أو دراسة أسباب حدوث وانتشار الأمراض فى مناطق معينة من العالم دون الأخرى وكيفية الحد من الآثار السلبية للأمراض الاجتماعية مثل الايدز على سبيل المثال، والتى لا يمكن معرفة أسبابها دون الرجوع إلى العوامل الاجتماعية البيئية المحلية والعوامل الاخلاقية والدينية التى توجد فى المجتمع، وهذا بالطبع يدخل فى مجال اختصاصات عالم الاجتماع.

٢ - الهندسة :

يكشف تحليل تراث علم الهندسة وفروعه المختلفة مثل العمارة، وتخطيط المدن، والانشاءات، والانتاج، الميكانيكا، وغيرها عن مدى العلاقة بين اهتمامات علماء الهندسة وعلماء الاجتماع ولاسيما فى السنوات الأخيرة، فعلم التشييد، أو تخطيط المدن والبناء والعمارة لايمكن أن يتجاهل على الاطلاق البيئة الاجتماعية والوضع الاقتصادى، والمهنى، والطبقى، والمستوى الثقافى وغير ذلك من محكات سوسيولوجية عند القيام بانشاء المشروعات الهندسية مثل اقامة مناطق صناعية أو سكنية، أو مشروعات هندسية أخرى مثل اقامة مناطق سكنية أو عمارات لمحدودى الدخل أو الطبقات العليا أو المتوسطة فى المجتمع على سبيل المثال.

كما أن فنون تسويق الانتاج الهندسى بصفة عامة مثل تسويق المشروعات الهندسية أو هندسة الانتاج أو تصميم الآلات أو غيرها، تضع فى اعتبارها مجموعة من الاعتبارات السوسيولوجية والاجتماعية. ولاسيما أن المشروعات الصناعية أو الانتاج الهندسى بصورة عامة لا يمكن أن يسوق أو ينشأ إلا لمجموعة من الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات المحلية. ومن هذا المنطلق، أصبح علم الاجتماع أحد العلوم الهامة التى تدرس ليس فقط على المستوى العالمى، ولكن أيضاً فى العديد من المجتمعات العربية ومنها المجتمع المصرى. كما نجد الكثير من الباحثين وطلاب الهندسة يقومون بدراسة المجتمع دراسة مستفيضة قبل قيامهم باجراء المشروعات

الهندسية أو المعمارية، وهذا ما ينطبق على سبيل المثال لا الحصر، قيام طلاب العمارة وتخطيط المدن باجراء دراسات اجتماعية مستفيضة على طبيعة المجتمع المحلى قبل انشاء أى مشروع هندسى ليتعرف عموماً على طبيعة الحياة الاجتماعية، ونوعية السكان والوضع الاقتصادى والأسرى ' الطبقى عامة '.

علاوة على أن دراسة تاريخ العمارة والهندسة أو نوعية الانشاء والبناء فى المجتمع الحديث، لا يمكن أن يتجاهل مجموعة العوامل والمؤشرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمهنية والطبقية والتشريعات القانونية التى ارتبطت بها طبيعة نماذج العمارة والهندسة التى وجدت بالفعل كما توصف كثير من فنون العمارة والبناء إلى مجتمعات معينة مثل العمارة الفرعونية أو الاسلامية أو المسيحية، أو أيضاً حسب طبيعة المجتمعات مثل البريطانية والايطالية وغيرها.

وعموماً، إن اقامة أى مشروع هندسى حتى لو كان تشييد معبر صغير أو كوبرى على ترعة أو نهر لعبور المشاة أو غيرها، أو حتى مشروعات ما يعرف بهندسة المرور لا يمكن أن تتجاهل نوعية احتياجات السكان فى المجتمع المحلى لهذا المشروع واحتياجات المستفيدين منه. وهذا ما يطلق عليه عموماً بدراسات الجدوى Feasibility studies للمشروعات الهندسية كغيرها من المشروعات الاجتماعية أو الاقتصادية أو الانتاجية. فى نفس الوقت، ان تصميم المبانى مثل المستشفيات والمدارس، أو المصانع، أو الإدارات الحكومية أو غيرها يتطلب اعداد المشروع حسب نوعية الفئات الاجتماعية التى سوف تعمل أو تستفيد منه على وجه الخصوص. وهذا بالطبع، يعتمد كثيراً على الدراسات والمداخل السوسيولوجية التى تعزز من قيمة هذه المشروعات قبل تنفيذها أو بعدها أيضاً.

٣ - الطبيعة :

يرتبط علم الطبيعة أو الفيزياء بعلم الاجتماع منذ أن ظهر علم الاجتماع ذاته، وهذا ما يعكس عموماً أسباب استخدام اوجست كونت مصطلح الفيزياء الاجتماعية، ليهتم بدراسة المشكلات والظروف الاجتماعية التى ترتبط بالانسان ووجوده فى المجتمع، ولاسيما أن هناك الكثير من العلوم الفيزيائية التى تهتم بدراسة مشكلات الكون والبيئة الخارجية. ويهتم عالم الطبيعة أو الفيزياء بدراسة البيئة الطبيعية، وأيضاً التعرف على الكائنات والمخلوقات التى تعيش فيها بما فيها أيضاً المخلوقات البشرية. ولاسيما، أن هدف علوم الطبيعة المختلفة محاولتها لاعداد الطبيعة أو خضوعها والسيطرة عليها من قبل الانسان للمساهمة فى وجوده وتكيفه ورفاهيته فى نفس الوقت.

ومن هذا المنطلق، ظهرت علوم مشتركة بين علم الطبيعة والعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع على وجه الخصوص مثل علم الايكولوجيا Ecology، الذى يكرس عموماً لدراسة البيئة الطبيعية والاجتماعية بمفهومها العام. ويشترك بالطبع مع علم الاجتماع علوم الاجتماعية أخرى مثل الجغرافيا وغيرها فدراسة توزيع السكان وكثافتهم واقامتهم فى المدن أو الحضر أو الريف إنما يرجع إلى مجموعة من الظروف البيئية الايكولوجية والتى تتحكم فى هذا التوزيع أو معدلات الثقافة. كما أن دراسة أسباب الهجرة وأنواعها المختلفة ترتبط بطبيعة الظروف البيئية والايكولوجية، علاوة على حدوث التوازن الطبيعة أو عوامل الطرد والجذب للسكان لا يمكن تفسيرها، إلا عن طريق الاستعانة بالكثير من الأساليب الاجتماعية والايكولوجية والطبيعية فى نفس الوقت، وهذا ما يفسر عموماً أهمية التعاون المشترك بين العلوم الطبيعية والاجتماعية عامة.

حقيقة، ان علم الطبيعة يهتم بالدرجة الأولى بدراسة عناصر البيئة المكانية أو الكونية، ولكن علم الاجتماع كأحد العلوم الاجتماعية يهتم بدراسة مكونات وأسباب وعوامل ومظاهر البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها الانسان ذاته. ومن ثم، فإن مهمة علم الاجتماع توجه لدراسة الظروف البيئة المكانية والاجتماعية والثقافية عموماً التى تحيط بالانسان والتى عن طريقها يتم تفسير سلوكه وأنماط شخصيته وتفكيره وتعايشه مع الآخرين. وهذا ما جعل على سبيل المثال، كثير من علماء ومفكرى علم الاجتماع الأوائل يركزون على دراسة العوامل البيئية والاجتماعية - الطبيعية فى نفس الوقت مثل أثر توزيع السكان فى المناطق الجبلية أو السهول أو الوديان، أو تأثير درجات الحرارة والبرودة على الأنشطة الاقتصادية، أو حتى أنماط العمل والانتاج. كما يهتم علماء الاجتماع بدراسة العوامل البيئية المكانية وتأثيرها على الوضع الاقتصادى، ومستويات الجريمة والانحراف، والبطالة، وطبيعة الاقامة والمستوى المعيشى وغيرها ولاسيما عند دراسة المناطق العشوائية أو المتخلفة Slums areas على سبيل المثال.

بإيجار، ان علاقة علم الطبيعة بعلم الاجتماع يفسر مهمة هذين العلمين معاً وأهدافهم لكيفية اعداد كل من البيئة الطبيعية (المكانية) والاجتماعية والثقافية لخدمة الانسان ومحاولة تكيفه عموماً ليعيش بصورة مرضية، تجعله قادراً على الاستمرار فى البقاء والوجود، وتسعى لحل مشكلاته التى تظهر بصورة مستمرة، والحد من نتائجها السلبية. وهذا ما ينادى به كثير من المتخصصين فى العلوم الطبيعية والاجتماعية من ضرورة تبنى المدخل المتعدد بين العلوم عند دراسة المجتمع وبيئته الطبيعية والايكولوجية الاجتماعية فى نفس الوقت.

٤ - الأحياء :

يعتبر علم الأحياء أو البيولوجيا Biology من العلوم الطبيعية المميزة التى لاقت اهتماماً ملحوظاً من قبل علماء الاجتماع عند دراستهم لمشكلات المجتمع الحديثة. ولقد ظهرت تحليلات متعددة للعديد من رواد علم الاجتماع الأوائل من أمثال كونت، وسبنسر، ودوركايم وغيرهم آخرون الذين تبنوا أفكار بيولوجية محددة مثل وضع سبنسر Spencer على سبيل المثال نظريته المعروفة عن 'المماثلة البيولوجية'، ومحاولته للكشف عن نواح التشابه والاختلاف بين المجتمع والكائن العضوى، حتى يحدد نوعية الوظائف والمهام التى يقوم بها أعضاء كلاً من الاثنين ومعرفته أيضاً طبيعة الخلل الوظيفى لهذه الأعضاء.

كما جاءت أفكار العديد من علماء الاجتماع أو العلوم الاجتماعية الأخرى لتأخذ من أفكار دارون Darwn ونظرياته عن أصل الأنواع و البقاء للأصلح، لتطور مفاهيم ونظريات سوسيولوجية ترتبط كل منها بعلم البيولوجيا فنظريات النشوء والتطور الاجتماعى Social Evaluations والتى ترتبط بالجنس أو النوع أو السلالة تستمد أصولها من هذا العلم (البيولوجيا). وهذا لا ينكره أحد من علماء الاجتماع المعاصرين أو المحدثين فى الوقت الحاضر. كما أن ظهور المداخل العضوية، ودراسة قضايا الاستقرار والديناميكا والاستاتيكا الاجتماعية وغيرها ترتبط بعلوم أكثر تطوراً وتقدماً من العلوم الاجتماعية مثل علم الطبيعة والبيولوجيا.

عموماً، لقد جاءت الكثير من التحليلات السوسيولوجية الحديثة لتهتم مرة أخرى باحياء النظريات الدارونية عن التطور، أو نظرية المماثلة البيولوجية عند سبنسر، وتطلق على نفسها بالدارونية المحدثة أو النظريات التطورية الحديثة(١) والتى اهتمت بمعالجة العديد من التطورات سواء فى المجال الاقتصادى أو التكنولوجى أو الديموجرافى أو الدينى، كما ظهرت فى كتابات سمول Small، وسمنر Sumner، وفيبلين Veblen وغيرهم التى تعتبر خير نموذج على مدعى الاستفادة المستمرة من علم الاحياء وعلاقتها بعلم الاجتماع.

ثانياً : علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية :

تتركز طبيعة المعرفة العلمية فى ثلاث ميادين رئيسية هى : العلم الاجتماعى، والعلم الطبيعى، والانسانيات، وتشمل هذه الميادين مجموعة كبيرة من العلوم المتخصصة، والتى تهدف إلى تسهيل المزيد من الدراسات المركزة للوصول إلى الحقائق السليمة. فالعلم

---

(١) أنظر :

- نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، ترجمة محمود عودة وآخرين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، الفصول ٥ - ٧.

الاجتماعى، يتميز بأنه العلم الذى يتناول جميع أنماط المعرفة الانسانية Human Knowledge المرتبطة بالحياة الاجتماعية للانسان، كما يتناول العلم الطبيعى، بدوره جميع عناصر المعرفة الانسانية التى ترتبط بالبيئة الطبيعية Physical Environment وتشمل مجموعة العلوم التى تهتم بدراسة الكيمياء والطبيعة وتعالج قوانين المادة، والحركة والطاقة والمكان، كما تدرس جميع عناصر ومكونات الحياة البيولوجية.

أما العلوم الانسانية فإنها تتميز بأنها أكثر العلوم ارتباطاً بالانسان، كما ترتبط بالعلم الاجتماعى على اعتبار أن هدفهما المشترك هو دراسة الانسان ذاته ومعرفة ثقافته ومدى تأثير العناصر الثقافية فى توجيه سلوكه وأنشطته المختلفة. علاوة على ذلك، تعالج العلوم الانسانية الكثير من مظاهر الثقافة البشرية، وتسعى لتقصى الحقائق حول طبيعة وسبل ومحاولات الانسان أو الجنس البشرى عموماً عند التعبير عن قيمه الروحية والجمالية من خلال دراسة فنونه وآدابه ودينه وفلسفته. هذا بالاضافة إلى الجوانب الثقافية المادية الأخرى، التى تشتمل على المكونات والعناصر التكنولوجية المختلفة.

ومن ثم، فإننا لا نستطيع فهم حياة الانسان الاجتماعية، إلا عن طريق دراستها من كافة جوانبها المختلفة التى تشمل على كل من البيئة الطبيعية والاجتماعية فى نفس الوقت. وهذا يكشف عن التطور التاريخى لعلم الاجتماع وتحليل تراثه المختلف، والذى يكشف عن مدى اهتمام علماء الاجتماع وفلاسفته ومفكريه ونظرياتهم لتصوراتهم المختلفة، وكيف ارتبطت بتفسير الحياة الاجتماعية عند دراستهم للتطورات والأحداث التاريخية والاجتماعية، والتى عبرت عنها نظريات محددة وواضحة بصورة عامة. وهكذا، نجد أن جميع عناصر الثقافة البشرية وكل من البيئة الاجتماعية والطبيعية التى يعيش فيها الانسان مرتبطة كل منهما بالآخر ومتساندة وهذا هو هدف المعرفة الانسانية التى تشمل كل من ميادين العلوم الطبيعية والاجتماعية فى نفس الوقت.

إن عملية تقسيم العلوم بين العلوم الطبيعية والاجتماعية جاءت نتيجة زيادة التخصصات العلمية وتوجيه جهود العلماء نحو المزيد من اجراء الدراسات والبحوث للسعى لاكتشاف المزيد من المعرفة الانسانية. وهذا ما يوضح فى كثير من الأحيان صعوبة الفصل بين العلوم الطبيعية أو بين العلوم الاجتماعية أو بين كل من مجموع هذه العلوم المشتركة. وهذا ما يكشف بعض التصورات السوسيولوجية من جانب عدد من علماء الاجتماع من أمثال كنجزلى ديفيز[1] K. Davis،

---

(١) للمزيد من التحليلات أنظر،

Kingsley, D, Human Society, N.Y, 1955, PP. 6 - 7.

– وأيضاً أرجع إلى، محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٥٢.

الذى يتصور أن انقسام البحث فى جميع نواحى المجتمع إلى عدة أقسام، يهدف إلى توسيع الرؤى أمام الباحثين المتخصصين ومعالجتهم لمشكلاتهم والبحث عن الحقيقة والمعرفة الانسانية وذلك بصورة أفضل عما لو تركت جميع هذه العلوم مشتركة ومتداخلة. ومن ثم، فلقد جاءت عملية تقسيم العلوم من الناحية العلمية أمراً ضرورياً، ومن متطلبات زيادة الاتجاه نحو التخصص Specialization، أو تقسيم العمل Division of labour، وبهدف إنماء واثراء معلوماته عن طبيعة المجتمع وقوانينه ومبادئه التى تتحكم فيه.

ومن هذا المنطلق، نجد أن طبيعة الحدود الفاصلة بين العلوم الاجتماعية غير واضحة المعالم من حيث الواقع الفعلى أو من حيث المبدأ وقد تنشأ كثيراً من الخلافات العلمية بين علماء هذه العلوم مماثلة لما يحدث لمشكلات الحدود بين الدول المتجاورة. ولكن النظر بصورة علمية إلى هدف هذه العلوم يدعوا العلماء عامة إلى حل هذه الخلافات، ولاسيما إذا اعترفت جميعها بأنه لا حدود لأى علم، وهذا ما يكشف عامة من ظهور العديد من الخلافات بين علماء العلوم الاجتماعية التى لا ترتبط بقضايا المعرفة، وأفضل طريقة لفهم طبيعة وأهداف هذه العلوم الاهتمام بما يدرسه العلماء ونوعية أهدافهم الحقيقية لدراسة حقائق الحياة الاجتماعية، وهذا ما نسعى إليه حالياً لمعرفة علاقة علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى ودراستهم للحياة الاجتماعية.

١ - الاقتصاد :

يعتبر علم الاقتصاد من العلوم الاجتماعية التى سبقت نشأتها العديد من العلوم الإجتماعية الأخرى، ومنها بالطبع علم الاجتماع، ولذا جاءت الاهتمامات الأولى لعلم الاقتصاد مرتبطة كثيراً بالقضايا المنطقية والفلسفية، نظراً لارتباط هذا العلم وقبل استقلاله بالعلم الأساسى وهى الفلسفة. ولكن تطور بعد ذلك ولاسيما خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ليطبع بطابع سياسى وأطلق على الاقتصاد عامة بالاقتصاد السياسى Political Economy. إلا أن تبلورت معالم هذا العلم، ولاسيما بعد أن ظهر فى العصر الحديث مجموعة من العلماء البارزين من أمثال آدم سميث A. Smith الذى عرف الاقتصاد بعلم الثروة ووضع مؤلفه الشهير ليشير لنفس هذا التعريف ذاته.

ومن ثم، بدأ علم الاقتصاد يتطور ليأخذ أبعاداً اجتماعية ويتحدد صورة العلم الاجتماعى، ويركز على دراسة الأنشطة الاقتصادية للانسان وتأثيرها على الحياة الاجتماعية بصورة عامة. لقد أدى ذلك الاهتمام إلى ارتباط تحليلات وكتابات علماء الاقتصاد باهتمامات وكتابات علماء الاجتماع أنفسهم، ولاسيما خلال النصف الأخير

من القرن الحالى (العشرين). وبدأ توجيه اهتمامات كل من علماء الاقتصاد والاجتماع ليس فقط لدراسة المسائل النظرية والاقتصادية والاجتماعية بقدر ما يهتم بدراسة المشاكل التطبيقية والمشكلات الواقعية التى ترتبط عموماً بطبيعة الحياة الاجتماعية.

فدراسة الاقتصاد للأنشطة الاقتصادية ترتبط عموماً بتحليل نوعية هذه الأنشطة ووجودها فى المجتمع، ولاسيما أن الاقتصاد يعتبر وسيلة لبلوغ أهداف المجتمع ذاته وتحقيق الرفاهية. وهذا ما جعل كثير من علماء الاجتماع والاقتصاد يأخذون مدخلات مشتركة، عندما وضعا أسس علم الاجتماع الاقتصادى(1) Economic Sociology ليهتم بدراسة جميع مظاهر الانشطة الاقتصادية فى المجتمع، مثل دراسة الدخل، والأجور، والنفقات والقيمة، والعمل، ومستوى المعيشة، والأسعار، والنقود، وعناصر الانتاج، والتوزيع، والاستهلاك، والادخار، والاستثمارات، والعمالة والبطالة وغيرها من مشكلات اقتصادية واجتماعية يصعب على كل من علماء الاقتصاد أو الاجتماع وحدهم، أن يهتموا بدراستها، دون الرجوع إلى المداخل الاقتصادية والسوسيولوجية، وهذا ما يهدف إليها علم الاجتماع الاقتصادى فى السنوات الأخيرة.

٢ - السياسة :

يرتبط علم السياسة بعلم الاجتماع باعتبارهما من العلوم الاجتماعية المتداخلة، ويكشف التطور التاريخى لكل من العلمين وجود اهتمامات مشتركة تتمثل فى نوعية الموضوعات والمشكلات والميادين التى يقومان بدراستها وتحليلاتها(2). وبالطبع، فإن دراسة النظام أو البناءات والمؤسسات السياسية يعتبر فى حد ذاتها من نتاج المجتمع، أو من الممارسات والأنشطة الاجتماعية، التى يقوم بها الأفراد لتحديد هويتهم وأهدافهم وعلاقاتهم بعضها البعض. كما جاء علم السياسة منذ أن وضع معالمه الأولى علماء الفلسفة اليونانية من أمثال أفلاطون وأرسطو بطرح العديد من القضايا التى لا تزال تشغل اهتمامات المفكرين السياسيين والاجتماعيين فى نفس الوقت، مثل نماذج الحكم وطبيعة الحكومات وأفضلها، وعلاقة الحاكم بالمحكومين، وشرعية السلطة، وطبيعة الامتثال والخضوع لها من جانب المحكومين، ومقومات الديموقراطية، وطبيعة الاستبداد السياسى وغيرها من القضايا التى ترتبط بطبيعة البناءات والنظم الاجتماعية ككل.

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر،

عبدالله محمد عبدالرحمن، علم الاجتماع الاقتصادى (جـ ١، جـ٢)، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٤.

(٢) للمزيد من التحليلات أنظر على سبيل المثال،

- Broom, L, & P. Selznik, Sociology, N.Y: Harper Raw Public, 1986, P. 3.

وتكشف اهتمامات علماء الاجتماع والسياسة معاً عن أهمية تضافر جهودهم والاستفادة من المداخل السياسية والاجتماعية عند درساة قضايا المجتمع ومشكلاته بصورة عامة. وتمثل هذا الجهد فى ظهور أحد فروع علم الاجتماع المميزة وهى علم الاجتماع السياسى Political Sociology، ويضع معالم واضحة للنظرية السياسية، ودراسة أنماط الحكومة، ونوعية السياسات العامة، ويعالج طبيعة النظم والمؤسسات السياسية ليس فقط على المستوى المحلى أو الاقليمى، ولكن على المستوى العالمى.

كما يهتم علم الاجتماع السياسى بدراسة أنماط وأشكال الديموقراطية، والتنظيمات السياسية المختلفة الممثلة فى الأحزاب والبرلمانات السياسية، وشرعية السلطة، وطبيعة القيادات السياسية، ونظم الانتخابات والتصويت، والتمثيل السياسى، والمشاركة السياسية، والتنمية السياسية وغير ذلك من قضايا مشتركة بين علماء الاجتماع والسياسة وغيرهم من العلوم الاجتماعية الأخرى.

٣ - التاريخ :

يمثل التاريخ أحد العلوم الاجتماعية التى ترتبط اهتماماتها بجميع كتابات واهتمامات علماء هذه العلوم مجتمعة. ولايمكن لعالم من علماء العلوم الاجتماعية، أن يهتم بدراسة قضاياه وموضوعاته دون الرجوع إلى التاريخ، فدراسة التاريخ تكشف عن طبيعة التطور الذى حدث فى الفكر البشرى عامة، ويختلف فى موضع فهم الحاضر أو أيضاً التنبؤ بالمستقبل ولو بصورة تقريبية. وهناك كثير من علماء الاجتماع ومفكريه الأوائل الذين ركزوا على دراسة التاريخ، وهذا ما تمثل فى تحليلات (ابن خلدون)، الذى ركز على أهمية تحليل الحوادث التاريخية بصورة اجتماعية ومرتبطة بالواقع، كما حدد ذلك عن تفسيره على سبيل المثال، لطبيعة قيام الحضارات أو انهيارها ووصفه لقضايا المجتمع الاسلامى أو الدولة الاسلامية فى فترة ندرت فيها التحليلات الاجتماعية التاريخية المميزة.

وجاءت اهتمامات علماء الاجتماع والتاريخ وغيرهم من علماء العلوم الاجتماعية، لتؤكد على ضرورة وجود استفادة وتعاون مشترك بين هذه الجهود، وهذا ما تمثل فى ظهور أحد فروع علم الاجتماع وهو علم الاجتماع التاريخى Historical Sociology، الذى يكشف عن الكثير من المعالجات والاهتمامات التى تجمع بين جهود علماء الاجتماع والتاريخ. علاوة على ذلك، أن مناهج علم الاجتماع ترتبط بالتاريخ بصورة عامة ولاسيما أن المنهج التاريخى يعتبر من المداخل السوسيولوجية التى تهتم بدراسة الظواهر والمشكلات والقضايا الاجتماعية. فلقد جاءت اهتمامات كل من اوجست كونت، دوركايم، فيبر، وسبنسر، وغيرهم من

رواد علم الاجتماع لنأخذ المدخل التحليلي التاريخي المقارن. وهذا ما أصبح أيضاً موضوع اهتمامات الكثير من علماء الإجتماع المعاصرين أنفسهم، والذين يؤكدون على أهمية الاعتماد على التاريخ فى دراسة الأحداث الاجتماعية بصورة عامة.

٤ - الجغرافيا :

تعتبر دراسة الظواهر الجغرافية من الدراسات الهامة التى يهتم بها علماء الاجتماع لاعتبارها جزء من البيئة الخارجية التى تحيط بالانسان ذاته. ولقد كرست اهداف المعرفة الانسانية والتى تشمل مجموعة العلوم الطبيعية والاجتماعية من أجل زيادة سبل ومصادر هذه المعرفة ومحاولتها للحصول على الحقائق وبصورة واقعية ومدروسة. فدراسة البيئة الجغرافية من قبل علماء الاجتماع يجعلهم يتعرفون على كثير من الجوانب المتداخلة أو المسبقة لحدوث الظاهرة الاجتماعية ذاتها وهذا ما يعتبر فى حد ذاته موضع اهتمام لعلماء الجغرافيا أنفسهم.

فدراسة الظاهرة السكانية أو الهجرة أو النشاط الاقتصادى مثلاً يجعل من عالم الاجتماع أن يتعرف على طبيعة وأثر البيئة الجغرافية والعوامل المناخية والتضاريس، والعوامل الاقتصادية وغيرها التى تؤثر فى توزيع السكان أو الكثافة السكانية، أو نوعية النشاط الاقتصادى، وعمليات الطرد أو الجذب عند دراسة الهجرة، سواء أكانت داخلية أو خارجية أو دائمة أو مؤقتة. كما أن دراسة التركيب السكانى والديموجرافى للسكان يجعلنا نهتم بدراسة جميع العوامل المتداخلة مع نوعية تركيب السكان، والوضع الطبقى، والمهنى، وجميع الأنشطة الاقتصادية. كما أن دراسة قضايا النمو السكانى أو الزيادة السكانية، تجعلنا نهتم أيضاً بقضايا سوسيولوجية وسكانية مثل المواليد، والوفيات، والحد الأمثل للسكان، وعلاقة الموارد والغذاء بالسكان، نوعية الفقر وغير ذلك من قضايا جاءت فى الكثير من اهتمامات علماء الجغرافيا وفروعها المختلفة مثل الجغرافيا البشرية، والاقتصادية، والطبيعية. وبايجاز، ان عالم الاجتماع يهتم كثيراً بدراسة اهتمامات وموضوعات علماء الجغرافيا من أجل الاستفادة من مداخلهم ومناهجهم وتفسيرهم للظواهر الجغرافية وهذا ما ينطبق أيضاً على سعى علماء الجغرافيا للاستفادة من تحليلات علماء الاجتماع ولاسيما وأن الجميع يهتم بدراسة المجتمع ككل.

٥ - علم النفس :

تمتد جذور العلاقة بين علم الاجتماع وعلم النفس إلى البدايات الأولى من القرن الحالى، وخاصة، أن موضوع اهتمام علم النفس يتركز فى دراسة الفرد والجماعة ونوعية السلوك والأنشطة التى يمارسونها فى المجتمع. وإذا كانت جوهر اهتمام العلوم الطبيعية تتركز فى دراسة البيئة أو العالم الطبيعى الخارجى، ومحور

اهتمام العلوم الاجتماعية والانسانية يتركز عموماً فى دراسة البيئة الاجتماعية. إلا أننا نجد أن علم النفس يتركز فى دراسة البيئة الذاتية للفرد، وهذا ما جعل البعض يصفون هذا العلم بأنه علم دراسة السلوك أو دراسة الشخصية الفردية، وهذا ما جعل البعض أيضاً يتصورون بأن هذا العلم يتناول الجوانب السيكولوجية الذاتية للأفراد والجماعات من خلال تفاعلهم مع المجتمع ككل.

حقيقة، ان موضوعات وميادين ومجالات علم النفس تشعبت وتنوعت شأنها شأن مجالات وميادين علم الاجتماع ولاسيما فى السنوات الأخيرة. وهذا ما جعل هذه الاهتمامات المتداخلة فى دائرة اختصاصات كثير من علماء الاجتماع، والنفس فدراسة السلوك، والانفعالات والعواطف، والشعور، والكبت، والذكاء، والإدراك، والدوافع، والتفاعل وغيرها من الموضوعات الأخرى تكون موضع اهتمام العديد من المتخصصين فى فروع علم الاجتماع المختلفة. ومن هذا المنطلق، ظهر علم النفس الاجتماعى Social Psycology ليكون من الفروع المتخصصة لالتقاء اهتمامات علم النفس والاجتماع معاً. فدراسة قضايا التنشئة الاجتماعية، والذكاء، وتطور الانتاج، وظروف العمل، والبيئة الأسرية، والعلاقات الإنسانية، والانحراف والجريمة، والدعاية والإعلان، وأساليب الرعاية الاجتماعية تكون جزء من موضوعات اهتمامات هذا العلم.

بايجاز، ان دراسات الجماعة الاجتماعية Social groups كما جاءت فى تحليلات جورج هومانز G. Homans أو الجماعات الصغيرة Small groups، ودراسة الشخصية Personality وغيرها تعد موضع اهتمامات العديد من علماء الاجتماع الذين طرحوا نظريات سوسيولوجية ترتبط بالجانب السيكولوجى مثل نظرية ماكس فيبر M. Weber عن الفعل الاجتماعى Social action أو تحليلاته عن الفهم والمعنى لطبيعة السلوك البشرى. أو اهتمامات تالكوت بارسونز T. Parsons عن الانساق الاجتماعية Social systems وغيرهم من العلماء المعاصرين تكون خير دليل على مدى الاهتمامات المشتركة بين تحليلات كل من علماء الاجتماع والنفس معاً.

٦ - الأنثربولوجيا :

تعتبر الانثربولوجيا من العلوم الاجتماعية التى لم تدخل دائرة العلوم الاجتماعية الأكاديمية منذ نشأتها الأولى، أو بمعنى آخر، لم يدرس هذا العلم فى المعاهد والجامعات العلمية بقدر ما نشأ فى إطار الجيوش، وخاصة عندما سعت الدول الغربية لتكوين المستعمرات فيما وراء البحار خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر. فلقد اهتمت الدول الغربية بدراسة الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد واللغة والنشاط الاقتصادى والسياسى فى الدول التى كانت تريد استعمارها، وذلك بهدف التعرف بصورة مدروسة على كيفية

التعامل مع شعوب هذه المجتمعات وأفضل السبل للسيطرة عليها.

ولكن مع تطور نشأة الأنثربولوجيا والاهتمام بها فى الأوساط الأكاديمية وخاصة مع البدايات الأولى على أيدى كل من (السير جميس فريزر)، الذى حدد تعريف الأنثربولوجيا بأنها علم دراسة المجتمعات الانسانية ولاسيما المجتمعات البدائية أو البسيطة. وهذا ما أكد عليه ايفانز بريتشارد E. Pritchard والذى حدد ذلك التعريف بصورة أكثر على الأنثربولوجيا الاجتماعية(١). ولكن ما لبث أن تعدد أنواع وأقسام ومجالات الأنثربولوجيا فى الوقت الراهن وأصبح هناك الأنثربولوجيا الثقافية، بالاضافة إلى الأنثربولوجيا الاجتماعية. وأصبح المنهج الأنثربولوجى من المناهج الاجتماعية المميزة التى يستخدمها كل من علماء الانثربولوجيا والاجتماع وغيرهم من العلوم الاجتماعية الأخرى. خاصة، وأنه يعتمد على الملاحظة المباشرة أو عن طريق المعايشة التى يقوم بها الباحث لمجتمع الدراسة للوصف والدراسة والتحليل بصورة أكثر دقة، وقد تمتد هذه الفترة إلى سنوات.

وعموماً، لقد ارتبطت تحليلات دراسات الأنثربولوجيا بمجموعة كبيرة من رواد علماء الاجتماع والأنثربولوجيا من أمثال راد كليف براون R. Brawn، ومالينوفسكى Malinowski، وكروبر Krober، وغيرهم آخرون. ولقد تأثر بهذه التحليلات كثير من رواد علم الاجتماع من أمثال دوركايم وغيره من رواد الاتجاه البنائى الوظيفى فى دراسة الحياة الاجتماعية فى المجتمعات الحديثة. كما تعددت اهتمامات الأنثربولوجيا فى الوقت الراهن ولم تقتصر على دراسة المجتمعات البدائية أو البسيطة فقط ولكن أصبحت أيضاً تهتم بدراسة مشكلات المجتمع الحديث وخاصة المناطق المتخلفة Slums areas، والمناطق الصناعية، وتحليل مشكلات الجريمة والاعراف فى المجتمعات المتحضرة لتشارك عموماً مجموعة اهتمامات علماء الاجتماع والعلوم الاجتماعية فى الكثير من الميادين والمجالات المختلفة.

٧ - الخدمة الاجتماعية :

ترتبط الخدمة الاجتماعية وفروعها وميادينها المختلفة بعلم الاجتماع، وفى كثير من الأحيان نوع من الخلط فى طبيعة الاهتمامات بين هذين العلمين، إلا أننا نلاحظ اختلاف بين ما هو موجود بالفعل حول طبيعة هذه العلوم. فعلم الاجتماع يركز على استخدام النظريات السوسيولوجية فى تحديد وتوجيه البحث الاجتماعى ومناهجه وأدوات جمع بياناته المختلفة بالاضافة إلى استخدام كل ذلك فى كيفية تطبيق واختبار

(١) أنظر، ايفانز بريتشارد، البناء الاجتماعى، ترجمة أحمد أبو زيد، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦٠. وأنظر أيضاً،

Goldthorpe, J. E, An Introduction to Sociology, Cambridge Univ. Press, 1969.

هذه النظريات فى الواقع. أما علم الخدمة الاجتماعية وأقسامه المختلفة مثل خدمة الفرد، وخدمة الجماعة، وتنظيم المجتمع وغيرها بأنها تهتم بتوصيف أنماط الخدمة من الناحية العملية الواقعية وما ينبغى أن يقوم به دور الاخصائين أو الممارسين أو القائمين على التخطيط الاجتماعى لأساليب الرعاية المختلفة.

وبالطبع، قد يجد الباحث غير المتخصص أو القارئ العادى أنه لا توجد ثمة اختلافات جوهرية بين العلمين وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية. ولكن بالطبع هناك مجموعة من الاختلافات التى قد ترجع إلى طبيعة النظريات السوسيولوجية والتراث الاكاديمى المميز لعلم الاجتماع ونوعية مناهجه وطرق بحثه وأدوات جميع بياناته. وان كانت توجد ثمة اتفاق حول طبيعة طرق البحث وأدوات جمع البيانات والتى يهتم بها كل من علماء الاجتماع والخدمة الاجتماعية ولاسيما أن هدف كل منهما هو دراسة المجتمع وجمع الحقائق والبيانات الواقعية بصورة علمية مدروسة.

٨ - الإدارة :

يعتبر علم الإدارة من العلوم الاجتماعية التى استقلت حديثاً عن علم الاقتصاد وأخذت مفاهيم مثل Management أو Administration وان كان المفهوم الأخير يطلق ليس فقط على طبيعة إدارة المؤسسات أو التنظيمات الصناعية الإنتاجية ولكن أيضاً على التنظيمات السياسية أو الحكومات. ولقد ارتبط علم الإدارة كغيره من العلوم الاجتماعية ذات الحداثة النسبية مقارنة بالعلوم الاجتماعية التقليدية أو الكلاسيكية، بعلم الاجتماع نظراً للاهتمامات المتزايدة لعلماء هذا العلم والمتخصصين منه ولاسيما فى السنوات الأخيرة، وأصبح مجالاته وميادينه تتداخل على الكثير من العلوم وفروع العلوم الاجتماعية ذاتها.

فلقد جاءت اهتمامات عالم الاجتماع، لتدرس جميع المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية Social organizations، كاملة وان علم الاجتماع يدرس الأفراد والجماعات ليس فقط باعتبارهم أفراد مجردين، ولكن أيضاً عن طريق وجودهم كأعضاء داخل تنظيمات ومؤسسات اجتماعية مميزة. ويعتمد علم اجتماع التنظيم Sociology of organizations(١) أحد المجالات الهامة لعلم الاجتماع، والتى يهتم بدراسة طبيعة الإدارة داخل التنظيمات الاجتماعية المختلفة والتى يقوم بدراستها علماء الاجتماع بدء من الشركات العالمية والشركات العملاقة حتى دراسة جماعة أو تنظيمات عصابات الأحداث أو الجناح.

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر،

- عبدالله محمد عبدالرحمن، علم اجتماع التنظيم، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.

وعموماً، ان مهمة علم الاجتماع لا تكرس فقط لدراسة الأفراد والجماعات باعتبارهم أفراد عاديين، ولكن تفسير سلوكهم وأنشطتهم وتفاعلهم داخل التنظيمات الاجتماعية التى يولودن، ويتربون، وينشأون، ويعملون، ويرفهون، فيها أو يوقع عليهم الجزاء والعقاب أيضاً. فهى أنماط من التنظيمات الاجتماعية التى تلعب دورا فى تشكيل السلوك والنشاط حسب طبيعة أهدافها وقواعدها التى تحددها معايير التنظيم الاجتماعى الذى يتكون من الأفراد والجماعات. بايجاز، ان تعدد اهتمامات عالم الاجتماع وتنوع مجالات اختصاصاته جعلته تشارك كثير من علماء العلوم الاجتماعية وفروعها المختلفة فى الكثير من الموضوعات والقضايا والمشكلات الاجتماعية التى توجد فى المجتمع الحديث.

٩ - اللغـــة :

يعد علم اللغة من العلوم الاجتماعية التى يهتم بدراسة الكثير من أنشطة الانسان خلال تفاعله وعلاقاته وانفعالاته وسلوكه أو رد الفعل الفردى تجاه الآخرين. وتعتبر اللغة رمز الاتصال بين الكائنات الحية بما فيها البشر وكما تعتبر جزء من مكونات الثقافة وعناصرها المختلفة والتى لا يهتم بها علماء اللغة فقط، ولكن الكثير من علماء العلوم الاجتماعية بما يهتم علم الاجتماع، والنفس، والأنثربولوجيا، والسياسة، والاقتصاد، وغيرهم – ولقد اهتم الكثير من علماء تراث علم الاجتماع بأهمية تحديد مفهومات وتصورات هذا العلم وذلك فى ضوء متطلبات تحديد المعانى والأفكار العامة التى يطرحها الباحثين والمتخصصين فى مجالاتهم المختلفة.

ولقد ظهر منذ عدة عقود مضت فى الجامعات الغربية والعالمية أهتماماً ملحوظاً بعلم اجتماع اللغة Sociology of linguistics كأحد الفروع التى تربط بين اهتمامات كل من علماء الاجتماع وعلماء اللغة ولكن للأسف لايزال الاهتمام بهذا الفرع فى الجامعات والمعاهد العليا العربية بعيداً كل البعد عن الاهتمام والترحيب شأنه شأن الكثير من التخصصات الأخرى التى لم تظهر لحيز الوجود لأسباب متعددة. المهم، أن اهتمامات علم اجتماع اللغة تركز على دراسة طبيعة مكونات وتراكيب اللغة، وأسباب انتشارها أو ما يسمى بالانتشار الثقافى لرموز الاتصال، واختلاف وتباين اللغات العالمية، ونوعية اختلاف اللغات واللهجات المحلية مثل اللهجات الساحلية عن الداخلية، أو أهل الريف عن أهل الحضر، أو التطور اللفظى لمفردات اللغة واشتقاقاتها المختلفة.

علاوة على ذلك، يعد علم اجتماع الأدب Sociology of literature من التخصصات السوسيولوجية الحديثة كالتى تشارك اهتمامات كل من علماء الاجتماع واللغة والأدب والفنون والتى تتميز عن كثير من الجهود العلمية وأساليب دراسة التراث البشرى. ولاسيما أن مجال الأدب والفنون يعتبر من المجالات التى تشمل

موضوعات عن القيم والعادات والتقاليد والأساطير ونسق المعتقدات والدين والأخلاق والحياة الاقتصادية والاجتماعية عموماً، وهى جوهر اهتمامات عالم الاجتماع وغيرها من علماء اللغة والعلوم الاجتماعية الأخرى.

خاتمة :

ما من شك، أن دراسة علاقة علم الاجتماع بالعلوم الطبيعية والاجتماعية الأخرى تكشف الكثير عن تراث هذا العلم، وتوضح الكثر للقارئ للتعرف على طبيعة ومكانة علم الاجتماع بين هذه العلوم، وإلى أى حد وصف مؤسسه الأول (أوجست كونت) بأن مكانة هذا العلم بين العلوم الاجتماعية توضع على قائمة هذه العلوم مجتمعة. وان كنا لا نوافق حالياً على تصورات كونت التقليدية والتى جاءت فى فترة ممتلئة بالصراع الأكاديمى حول أحقية وشرعية وجود علم الاجتماع بصورة عامة. بقدر ما نلاحظ فى نفس الوقت، أهمية علم الاجتماع ومكانته الأكاديمية بين التخصصات العلمية سواء كانت طبيعية أم اجتماعية.

كما كشفت تحليلاتنا حول طبيعة الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية ونوعية خصائص كل من الظاهرتين ونوعية التشابه والاختلاف بينها من حيث البساطة والتعقيد، والموضوعية، والقوانين والتعميمات، والتنبؤ وغيرها وكيفية دراسة كل منها وطبيعة اهتمامات كل من علماء العلوم الاجتماعية والطبيعية ولكن بالرغم من ذلك، ان هدف دراسة كل من العلوم الاجتماعية والطبيعية مكرساً لدراسة المعرفة الانسانية، والسعى إلى معرفة الحقائق التى ترتبط بكل من مكونات البيئة الاجتماعية والطبيعية فى نفس الوقت. كما يعكس تحليل تراث علم الاجتماع وعلاقته بالعلوم الطبيعية، أنها تمتد إلى الجذور الأولى لنشأة علم الاجتماع ذاته، وهذا ما جاء فى مسميات اوجست كونت حول علم السوسيولوجيا أو الفيزياء الاجتماعية على سبيل المثال.

وعموماً ان طبيعة العلم الحديث تأخذ أشكالاً وأنماطاً متعددة الجوانب وتتمثل فى خصائص مثل التعقيد، والتداخل بين العلوم الاجتماعية أو دراسة طبيعة المعرفة الانسانية وتحليلها بصورة عامة. هذا بالرغم من زيادة سمات التخصص التى تغلب على طبيعة المجتمع الحديث، ونوعية العلم وظروف العصر بصورة شاملة، وتكشف جهود علماء علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية من ناحية، والعلوم الطبيعية من ناحية أخرى، لضرورة تضافر هذه الجهود نحو مزيد من التعاون والاستفادة من مناهج ونظريات البحث العلمى أو نبنى ما يعرف بالمدخل التعددى بين العلوم Multi - Dicspilianry Approach، والذى تزايد اهتمام الباحثين والدعوة له من أجل الكشف عن المزيد من جوانب المعرفة الانسانية، ولاسيما الجانب الاجتماعى كنوع من المماثلة بين العلوم الطبيعية التى احرزت تقدماً ملحوظاً فى مجال البحث ومعرفة الحقيقة بصورة واقعية.

الباب الثانى

علم الاجتماع: النظرية، والمنهج، وطرق البحث الاجتماعى

الفصل الرابع : نظرية علم الاجتماع

الفصل الخامس : مناهج وطرق البحث فى علم الاجتماع

الفصل الرابع
نظرية علم الاجتماع

* مقدمة :

أولاً : تعريف النظرية وخصائصها.
١ - تعريف النظرية.
٢ - خصائص النظرية.

ثانياً : تصنيف النظرية وأنواعها.

ثالثاً : تطور النظرية السوسيولوجية.

رابعاً : النظريات التقليدية فى علم الاجتماع.
١ - النظرية البنائية الوظيفية.
٢ - النظرية الماركسية.

خامساً : المداخل النظرية الحديثة فى علم الاجتماع.
١ - المدخل النقدى.
٢ - مدخل الصراع البنائى.
٣ - مدخل الفعل الاجتماعى.
٤ - المدخل التفاعلى الرمزى.
٥ - المدخل الفينومينولوجى.
٦ - المدخل الاثنوميثودولوجى.

* خاتمة

مقدمــة :

يرتبط مفهوم العلم الحديث بعدد من السمات والخصائص التى تحدد طبيعة هذا العلم وهويته، وهذا ما يميز طبيعة العلوم الطبيعية أو الانسانية فى العصر الحديث عما كانت عليه قبل ذلك فى المراحل السابقة. فالعلم الحديث يجب أن تتوفر له نظرية Theory أو مجموعة من النظريات والنماذج التصورية التى تحدد وتوجه جهود البحث والباحثين نحو تحقيق أهداف هذا العلم، والسعى إلى اثبات الحقيقة والإدراك المعرفة الانسانية. ومن ثم، أصبح الحديث كثيراً حول مضمون النظرية فى العلوم الاجتماعية أو الطبيعية موضع اهتمام مستمر للعلماء والمتخصصين فيها، ولاسيما أن النظرية تعيد الاطار التصورى الذى يحدد موضوعات ومجالات وميادين هذا العلم بصورة مستمرة.

كما توجد مجموعة من الخصائص والسمات الأخرى التى تتحدد بها النظرية العلمية Scientific theory، سواء من حيث البناء أو المكونات أو مجموعة المفاهيم Concepts التى تتكون منها، ومن حيث شروطها، وخصائصها، ووظائفها أيضاً. وهذا، ما ينطبق على النظرية السوسيولوجية Sociological theory، التى توجه الاطار الفكرى والتصورى العام لجهو علماء الاجتماع وبحوثهم سواءاً كانت على المستويين النظرى أم الميدانى (الامبيريقى). ونظراً لأهمية نظرية علم الاجتماع أو ما يعرف بالنظرية السوسيولوجية أصبحت مجالاً متخصصاً من مجالات أو موضوعات ميادين علم الاجتماع، والتى تهدف عموماً للتعرف على دراسة وتحليل التطور التراثى لهذا العلم.

خاصة، وأن من شروط النظرية العلمية ومنها بالطبع النظرية السوسيولوجية، أنها لابد وأن تتسم بالتغير والتطور، حيث من خصائص النظرية عموماً أنها تتسم أو توصف بالمرونة Fielxabilty، كشرط أساسى للاعتراف بها فى الأوساط الاكاديمية، بأنها تقبل التغير، والتعديل والتطوير المستمر لأن ذلك ليس فقط من خصائص النظرية الحديثة ولكن من صفات وخصائص التى توصف بها العلوم الحديثة ومنها علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى، ولقد ارتبطت عملية تطور النظرية السوسيولوجيةخلال مراحل تطور علم الاجتماع ذاته، هذا ما اهتم به كثير من مؤرخى ومنظرى هذا العلم بدءً من المرحلة الأولى لرواد علم الاجتماع، وحتى الوقت الراهن حيث جهود العلماء المعاصرين والمحدثين.

عموماً، يركز هذا الفصل لمعالجة عدد من النقاط الهامة التى يجب أن يتعرف عليها القارئ عند دراسته لأسس ومبادئ علم الاجتماع وهى تتمثل فى: تحديد معنى النظرية وأهم التعريفات المرتبطة بها، وخصائصها العامة من حيث

المكونات، أو الشروط، أو الوظيفة أو غيرها من الخصائص الأخرى. كما نحاول، أن نحلل عدد من التصنيفات العامة للنظرية وعلى أى أساس تم تصنيف هذه النظريات والمشاكل التى تواجه عملية التصنيف للنظريات السوسيولوجية، وكيف تطورت النظرية فى علم الاجتماع إلى ما وصلت إليه فى الوقت الحاضر.

وبالاضافة إلى ذلك، يلقى هذا الفصل الضوء ولو بصورة مبسطة على أهم النظريات السوسيولوجية التقليدية والتى تندرج عموماً تحت اطار النظريات البنائية الوظيفية والنظريات الماركسية، التى ارتبطت بمرحلة النشأة الأولى لعلم الاجتماع ذاته. وأخيراً، نشير بايجاز، إلى أهم المداخل النظرية السوسيولوجية التى تسيطر على اهتمامات وتصورات وأفكار الباحثين وتوجه اهتماماتهم عند اجراء دراساتهم على المستوى النظرى أو على المستوى الميدانى (الامبيريقى). ولاسيما، بعد أن تزايدت نوعية هذه المداخل وارتبطت بعمليات التخصص الاكاديمى المتنوع لعلم الاجتماع خاصة فى السنوات الأخيرة.

أولاً: تعريف النظرية وخصائصها:

تجئ أهمية النظرية السوسيولوجية وتحديد معانيها وتعريفاتها المختلفة، ولاسيما بعد أن ركزت تحليلات كثير من علماء الاجتماع حول توجيه مهمة هذا العلم (علم الاجتماع) نحو دراسة الواقع وهذا ما حدث فى الولايات المتحدة فى فترة مابعد الحرب العالمية الأولى حتى الخمسينات وحدوث كثير من الدراسات الامبيريقية التى طبقت فى كثير من الشركات والمصانع والمدارس والمستشفيات بهدف دراسة المشكلات الواقعية والتعرف على أهم أسبابها ونتائجها فى المجتمع الحديث.

وكما يضيف نيقولا تيماشيف[1] N. Timasheff فى كتابه المميز (نظرية علم الاجتماع) ان السبب وراء اهمال علماء الاجتماع دراسة النظرية فى هذه الفترة، يرجع إلى وجود اعتقاد خاطئ، ألا وهو أن الدراسة النظرية ارتبطت بعلم الفلسفة، والاهتمام بالتحليلات النظرية يفيد شيئاً مجرداً بعيداً عن دراسة الواقع ويتصف عموماً بالتأمل العقيم. أما نتائج الدراسات الواقعية فهى أكثر موضوعية وتكون موضع اهتمام للجميع ومن ثم يجب أن يركز عليها علم الاجتماع بالدرجة الأولى.

ولكن خاصية العلم سواء كان علم الاجتماع أو أى علم انسانى وطبيعى، لابد وأن لايركز فقط على دراسة الواقع فقط، ولكن يجب أن يهتم بالاطار النظرى الذى يوجه دراسة هذا الواقع. الأمر، الذى يوجب وجود نظرية محددة المعالم تكشف

---

(١) أنظر،

نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٧.

عموماً عن مدى عمق وزيادة نضج علم الاجتماع كغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى. ولاسيما، أن طبيعة النظرية ومفاهيمها وتصوراتها تلعب دوراً أساسياً فى توجيه البحث والملاحظة الأمبيريقية (الميدانية)، وتعزز عموماً من نتائج الدراسات التى تجرى لوصف الواقع ومشكلاته المختلفة. ومن هذا المنطلق، اهتم كثير من علماء الاجتماع بضرورة دراسة أبعاد النظرية السوسيولوجية وابراز دورها فى توجيه البحوث والباحثين فى نفس الوقت.

وقبل الإشارة إلى طبيعة النظرية السوسيولوجية وما تتسم به من خصائص متعددة ترتبط عموماً بطبيعة النظرية العلمية، يجب أن نوضح ما المقصود بمعنى النظرية أو ما هى أهمية أهم التعريفات التى ارتبطت بالنظرية السوسيولوجية وذلك بصورة مختصرة.

١ - تعريف النظرية :

حقيقة لقد تعددت تعريفات النظرية السوسيولوجية كما تنوعت تعريفات علم الاجتماع ذاته، كما ارتبطت عملية تعريف النظرية بكتابات علماء النظرية والمناهج وتصوراتهم حول مدلول النظرية السوسيولوجية. ومن أهم تعريفات النظرية تعريف تيماشيف، الذى جاء تقريباً مع نهاية عقد الستينات ليشير إلى أنها " مجموعة من القضايا التى يجب أن تتوافر فيها الشروط التالية: أولاً، ينبغى أن تكون المفهومات التى تعبر عن القضايا محددة بدقة. وثانياً، يجب أن تتسق القضايا الواحدة مع الأخرى. وثالثاً، أن توضع فى شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقاً استنباطياً. رابعاً، أن تكون هذه القضايا مثمرة وتكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى، وتعميمات تنمى مجال المعرفة "(١).

ويعكس لنا التعريف السابق الذى طرحه تيماشيف، تصوره لمجموعة من الشروط التى ينبغى أن تكون عليها النظرية السوسيولوجية، والتى تركز على وضوح المفاهيم، والاتساق، وأن تصل إلى تعميمات، وأن تكون ذات طابع مثمر من الناحية العلمية. وإن كنا نلاحظ، أن هذا التعريف لم يشر إلى بعض الخصائص الأخرى التى يجب أن تتسم بها النظرية السوسيولوجية كغيرها من النظريات العلمية الأخرى سواء للعلوم الطبيعية والاجتماعية. ومن أهم هذه السمات، ضرورة اخضاع النظرية ومفهوماتها وفروضها للبحث والتجريب، وأن تكون لديها خاصية المرونة فى التعديل والتغير والتطور. وإن كان تيماشيف، اعترف فى تحليلاته بصورة غير مباشرة بأن النظرية السوسيولوجية ليست نهائية على الاطلاق بقدر ما يجب أن تخضع للبحث الامبيريقى بصورة مستمرة.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٧.

ويرى بعض علماء مناهج البحث من أمثال براتويت R. Braithwaite[1] الذى يتصور أن النظرية تشمل على مجموعة من الفروض التى تكون نسقاً استنباطياً، بمعنى أنها تنظم فى ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقة تلحق بعض الفروض المتقدمة. أو بعبارة أخرى تعد النظرية بمثابة مجموعة من القضايا أو الفروض على المستوى الأعلى مكانة المقدمات المنطقية وتكون فيه الفروض على المستوى الأدنى، بمثانة نتائج لما يتقدمها من فروض.

وهناك عدد من التعريفات الأخرى التى قد تمزج بين كل من النظرية Theory أو النموذج Model، ومن أهم هذه التعريفات تعريف ديفيد ويللر D. Willer، الذى يحدد النموذج بأنه ' تصور لمجموعة من الظواهر يتم تكوينه على أساس عقلانى، ويكون هدفه النهائى تزويد النسق الصورى – الذى عندما يتم تحقيقه أصبح نظرية، بالحدود والعلاقات والقضايا ' [2]. وإن كنا نلاحظ، أن هذا التعريف السابق الذى يركز على فكرة النموذج ومماثلته بالنظرية يرتبط بصورة أو بأخرى، بفكرة ماكس فيبر M. Weber عن فكرته للنموذج المثالى[3] Ideal type والذى حدده بأنه تصور عقلى Mental concept وبناء فكرى يطرحه الباحث مسبقاً لتوجيه البحث ومتطلباته واجراءاته الميدانية. كما أنه (النموذج) يرتبط بذهن الباحث وتصوره حول دراسة الواقع بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

بالإضافة إلى ذلك، يوضح كل من روزنتال Rosental[4] ويادين Yudin، إلى أن النظرية تعتبر بمثابة نسق من المعرفة التعميمية وتفسير للجوانب المختلفة للواقع، وأنها ترتبط بأشياء ومصطلحات أخرى مع أنها تختلف عنها فى بعض الجوانب والوظائف، وإذا كانت كل نظرية أو نسق أو اطاراً فكرياً، فهى بصورة عامة نسق معقد. ويتضح من هذا التعريف، ارتباطه بصورة نسبية بالطابع الفلسفى فى تحديد أنساق المعرفة وتحديد النظرية العلمية التى يجب أن تكون محددة المعالم بصورة واضحة.

---

(١) جاء هذا التعريف السابق فى المرجع التالى :

C. Selltize (etal) Research Methods in Social Relation, Holt Rienchat, 1961, P. ???.

ولكننا اعتمدنا على المرجع التالى، على جلبى وآخرون، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢) Willer, D, Scientific Sociology: Theory and Method, N. J: Prentice - Hall, 1967, P.17.

(٣) Weber, M., Theory of Social Organization, Op. cit.

(٤) Rosental & P. Yudin, A Dictionary of Philosophy, Mosco, Progress Pub. A67, P. 440.

وربما يجئ تحديد بوتومور T. Bottomore لطبيعة النظرية في علم الاجتماع من خلال أهمية أثرها نحو اقامة تعميمات واسعة من الارتباطات الامبيريقية التي أمكن التوصل إليها، بحيث تخضع هذه التعميمات للاختبار عن طريق بحوث مستقبلية[1]. ويتركز التصور السابق لعالم الاجتماع البريطاني المعاصر (بوتومور) من خلال تحليله لمجموعة من القوانين التي يمكن أن يتوصل إليها علم الاجتماع والتي يستند إلى استخلاصها من نتائج البحث الامبريقي وهذا ما أكد عليه مسبقاً تيماشيف عندما حدد أهمية البحث السوسيولوجي لتكوين النظرية وعلم الاجتماع، وإلى أي حد يمكن لهذه النظرية أن توجه مجريات البحوث الامبريقية والنظرية معاً، مما يؤدي إلى زيادة نضج واثراء النظرية السوسيولوجية ككل، وهذا يعتبر في حد ذاته أحد أهداف علم الاجتماع العامة.

٢ - خصائص النظرية : (٢)

بعد تحديد معنى النظرية السوسيولوجية، والتي لا تخرج بعيداً عن مفهوم أو تصور النظرية العلمية بصورة عامة. طرح عدد من علماء الاجتماع مجموعة من الخصائص العامة التي تكشف عن طبيعة ومكونات هذه النظرية ووظائفها العامة وكذلك شروطها التي يجب أن تكون عليه وهي بصورة موجزة كما يلي:

١ - **المكونات** : تتحدد طبيعة مكونات النظرية باعتبارها نسق استنباطي يتضمن مجموعة من الفروض التي تحتل مكانة للمقدمات وأخرى للنتائج التي يتوصل إليها. كما تشمل النظرية أيضاً مجموعة من المفاهيم، والقضايا، والقوانين التي يمكن التوصل إليها أو صياغة تعميمات حولها.

٢ - **الشروط** : يجب أن تكون النظرية واضحة ومحددة وموجزة وشاملة وقابلة للاختبار وقادرة على التنبؤ العلمي. ولعل من أهم الشروط التي حددت للنظرية، تلك الشروط التي صاغها علماء المناهج والبحث الاجتماعي، الذين ركزوا على وضوح المفاهيم، واتساق الأفكار والتصورات، واستنتاج القوانين.

٣ - **الخصائص** : تعتبر النظرية بمثابة الاطار الفكري التصوري الذي يجمع الحقائق والمعرفة والنتائج التي يتوصل إليها الباحثين بصورة غير مرتبة ودقيقة.

---

(١) بوتومور، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) أنظر كل من، علي جلبي، وآخرون، ص ٦٥.

- وغريب سيد أحمد وآخرون، علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص ٩٤.

ومن ثم، تجئ خاصية النظرية وسماتها العامة، بأنها تقوم بتجميع هذه الحقائق والمعرفة والنتائج، بصورة يسهل عن طريقها اعادة دراستها أو تحليلها، وذلك من أجل تطويرها أو تحديثها حتى تكون مرتبطة بالواقع المتغير. كما تتسم النظرية بخاصية أخرى. ألا وهى، أن صياغة النظريات لا تكون صياغة استاتيكية جامدة بقدر ما تتسم بالمرونة والتجديد والتطبيق والممارسة.

٤ – **الوظائف** : للنظرية السوسيولوجية مجموعة من الوظائف التى تؤديها لخدمة الباحثين والبحث العلمي، ولقد عبرت أو طرحت هذه الوظائف فى كتابات العديد من علماء البحث والنظرية الاجتماعية من أمثال كل من جود وهات Goode & Hait الذان اشارا إلى مجموعة من الوظائف وهى:(١)

١ – تحديد أنواع البيانات وتجريدها.
٢ – تقديم اطار تصورى يقوم بتنظيم وتصنيف الظواهر المدروسة.
٣ – الوصول إلى الحقائق واصدار التعميمات حولها.
٤ – تساعد على التنبؤ.
٥ – تساعد على تحقيق المزيد من المعرفة الانسانية بصورة مستمرة.

بصفة عامة، تلك أهم السمات والخصائص العامة التى تحدد طبيعة النظرية السوسيولوجية، من حيث مكوناتها وشروطها وخصائصها ووظائفها المختلفة. ومن هذا المنطلق، يجئ دور علماء ومنظرى النظريات السوسيولوجية للعمل بصورة مستمرة لبلورة هذه النظريات وتحديد خصائصها ووظائفها، والتى أصبحت فى الوقت الراهن مجموعة من المبادئ والأسس العامة التى يتفق حولها كل من علماء النظرية السوسيولوجية ومناهج البحث الاجتماعى ككل. خاصة، بعد أن تعددت مجالات وميادين علم الاجتماع وتخصصاته الفرعية الأخرى، والتى تلزم الاهتداء بصورة مستمرة بطبيعة الاطار العام للنظرية السوسيولوجية من حيث شروطها وأهميتها ككل، ومن أجل اثراء المعرفة والحقائق التى يسعى إليها باحثى علم الاجتماع، ومعالجتهم للمشكلات النظرية والمنهجية، التى تواجه الباحثين عند اجراء دراساتهم النظرية أو الميدانية (الامبريقية).

---

(١) للمزيد من التفاصيل ارجع إلى،

- Goode, W & Hait, Methods in Social Researches, London, McGrow - Hall Inc., 1956, P. 8

ولكننا اعتمدنا على المرجع التالى، غريب سيد أحمد وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٤.

ثانياً: تصنيف النظرية وأنواعها:

ما من شك، أن عمليــة التصنيـف Classification تعد مـن المشـكلات التـى لاتزال تواجه الباحثين فـى علم الاجتمـاع وغيره من العلـوم الاجتماعيـة الأخـرى ومرجع ذلك، إلى طبيعة التداخـل الشـديد بيـن موضوعـات وقضايـا ومجـالات علـم الاجتماع ذاته أو بينه وبين مجالات العديد من التخصصـات فـى العلـوم الاجتماعيـة الأخرى. وهذا ما ظهر أيضـاً علـى سـبيل المثـال، عنـد محاولـة تصنيـف تعريفـات وموضوعات ومجالات علم الاجتماع ككل. ولكن هذا لا ينفى على الاطـلاق، البعد عن التصنيف واعتباره مشكلة بدون حل، بقدر ما يتصور بصـورة أكيـدة، أن هـدف التصنيف مـن الدرجـة الأولـى، ترتيـب البيانـات والحقـائق المرتبطـة بالقضايـا المدروسة، من أجل سهولة تحليلها، وفهمهـا ودراسـتها سـواء عـن طـريـق البـاحثين المتخصصين فى مجال الدراسة ذاته أو غيرهم من التخصصات العلمية الأخرى.

ومن ثم، فان هدفنا الحالى يكمن فى طـرح عدد مـن التصنيفـات، التـى ارتبطـت بالنظريـة السوسـيولوجية، وذلـك للتعـرف علـى طبيعـة الـتراث السوسـيولوجى لهـذه النظريات، وعلى أى أساس تم تصنيف هذه النظريات بالصورة، التى ظهرت عليها كمـا جاءت فى تحليلات كثير من المنظرين السوسيولوجيين لعلم الاجتماع وفروعه المختلفة.

(١)

١ - التصنيف على أساس البعد التاريخى:

يعتمد أصحاب هذا التصنيف على ترتيب النظريات السوسيولوجية من خـلال ظهورها من الناحية التاريخية ووفقاً للمراحل الزمنية التى ظهرت فيها. كمـا يمكـن تقسيم كل مرحلة إلى مجموعة من النظريات العامـة والتـى تنـدرج تحتهـا نظريـات فرعية أخرى. ولقد استخدم هذا التصنيف كل مـن ليختنـبرجر Lichtenberger فـى كتابـه (تطـور النظريـة الاجتماعيــة)، وهــاويس Hauss فــى كتابــه (تطــور علــم الاجتماع). كما اعتمد أيضـاً، نيقـولا تيماشـيف Timasheff فـى كتابـه المميـز عـن (النظرية السوسيولوجية) على هذا التصنيف بصورة كبيرة.

فلقد تناول على سبيل المثال، تيماشيف طبيعة التطور التاريخى لنظريات علم الاجتماع وقسمها إلى أربعة مراحل:(٢)

١ - جاءت **المرحلة الأولى** وتتضمن نظريات علماء الاجتماع الأوائـل منـذ نشـأة هذا العلم حتى عام ١٨٧٥، ومن أهم نظريات هذه المرحلة نظريات كونـت، وسبنسر، ولويلى، وماركس، وفيبر، وتايلور، ومورجان وغيرهم.

---

(١) أنظر، عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٨٣ - ٩٠.

(٢) أرجع إلى، تيماشيف، مرجع سابق، الفصول من ٢ - ٢٠.

٢ - **المرحلة الثانية**، وتتحدد من الناحية التاريخية بالربع الأخير من القرن التاسع عشر، وتشمل النظريات الداروينية الاجتماعية، والسيكولوجية، والتطورية الاقتصادية، والتكنولوجية، والديموجرافية، والمدرسة الاجتماعية، والنزعة الذاتية الروسية.

٣ - **المرحلة الثالثة**، وتمتد خلال الربع الأول من القرن العشرين، وتتضمن مرحلة انقسام النظرية التطورية إلى أقسام فرعية، لتشمل جوانب اجتماعية، وسيكولوجية ومثالية.

٤ - **المرحلة الرابعة والأخيرة**، وهى التى تظهر تقريباً قرب القرن العشرين وتتميز بظهور مجموعة كبيرة من المدارس والاتجاهات الحديثة مثل الوضعية المحدثة، والايكولوجية البشرية، والاتجاه الوظيفى، وعلم الاجتماع النظرى، وعلم الاجتماع التاريخى والفلسفى، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الاتجاهات العقلية والامبريقية.

٢ - التصنيف على أساس البعد الجغرافى :

ويعتمد هذا التصنيف عن طريق استخدام المناطق والدول التى ظهرت فيها النظريات السوسيولوجية كمقياس لعرضها وتصنيفها. وفى هذا الاطار يمكن تصنيف النظريات السوسيولوجية فى فرنسا وتشمل نظريات كونت ودوركايم على سبيل المثال. والنظريات الالمانية مثل ماركس وفيبر أو النظريات البريطانية مثل تحليلات سبنسر وفى الولايات المتحدة من نظريات بارسونز وغيره. ولقد استخدم كل من جورج جرفتش[1] G. Gurvitch وبارتز هذا التصنيف.

وان كنا نلاحظ أيضاً، أن تصنيف النظريات السوسيولوجية وفق للمناطق الجغرافية، أو إلى القوميات ونوعية الدول فيها لم يقتصر علي ذلك فقط. بقدر ما نلاحظ أن هناك اهتمامات أخرى لتصنيف علم الاجتماع طبقاً إلى القومية مثل علم الاجتماع البريطانى، وعلم الاجتماع الالمانى، وعلم الاجتماع الامريكى، وغير ذلك من تصنيفات لطبيعة اهتمامات علماء هذه الدول.

٣ - التصنيف على أساس المنهج :

ويعتمد هذا التصنيف على أساس اختيار بعد المنهج، أو مدى التزام النظريات بالأبعاد المنهجية العلمية فى دراستها وتحليلاتها. ومن أهم أصحاب هذا التصنيف على سبيل المثال، هلموت فاجنر، الذى صنف النظريات إلى ثلاثة وهى :

---

(١) للمزيد من التحليلات، أرجع إلى :

- Gurvitch, G & Moore, Twentieth Century Sociology, 1946.

١ - **النظريات الوضعية** : وتقوم هذه النظريات على تصور أن علم الاجتماع ينبغى أن يعالج موضوعاته وقضاياه باعتباره علماً طبيعياً، وتتضمن هذه النظريات كل من النظريات الوضعية المحدثة، والايكولوجية البشرية، والوظيفية البنائية، والسلوكية الاجتماعية، وأيضاً النظريات النفسية والبيولوجية.

٢ - **النظريات التفسيرية** : وتشمل التحليلات التى تتمسك بالقواعد المنهجية العامة للعلم، ودون الاستعانة بالمناهج العلمية التى توجد فى العلوم الأخرى. وتتضمن هذه النظريات كل من نظريات الفهم الثقافى، والنظرية التفسيرية للفعل والتفاعل، ثم نظرية الفينومينولوجيا الاجتماعية.

٣ - **النظريات التقويمية** : وهى النظريات التى تهدف إلى الربط بين علم الاجتماع والفلسفة عن طريق استخدام أحكام القيمة والتكامل الثقافى.

٤ - التصنيف على أساس النماذج المستعارة من العلوم الأخرى :

كما يظهر ذلك التصنيف من خلال تصنيف النظريات السوسيولوجية حسب استعارتها من العلوم الطبيعية والاجتماعية الأخرى مثل المدرسة الميكانيكية فى علم الاجتماع، والمدرسة البيولوجية، والمدرسة السيكولوجية، والمدرسة الجغرافية (الايكولوجية).

ويعتبر بيترم سوروكن P. Sorokin من أبرز العلماء الذين لجأوا إلى هذا التصنيف فى تناولهم للنظريات السوسيولوجية حيث عرض لطبيعة المدرسة الميكانيكية. والتى تتناول تفسير الظواهر الاجتماعية فى ضوء مفاهيم الطبيعة والكيمياء والميكانيكا. والمدرسة الجغرافية، فى تحديد للعلاقة بين البيئة الجغرافية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والدين والاقتصاد والأسرة، والمدرسة البيولوجية، عند محاولة عقد نوع من المماثلة البيولوجية بين الكائن العضورى وبناءات المجتمع ووظائفه واستخدام مفاهيم مثل الوراثة، والانتخاب والبقاء للأنسب أو الأصلح. ثم المدرسة النفسية (السيكولوجية) عند تفسير السلوك فى ضوء الخصائص والعوامل النفسير المتعددة. المدرسة السوسيولوجية، تهدف إلى تفسير الظواهر الاجتماعية وارجاعها إلى أصولها الاجتماعية مثل تفسيرها للعلاقة المتبادلة بين العامل الاقتصادى كعامل رئيسى الذى يؤثر على جميع مظاهر الحياة الاجتماعية.

٥ - التصنيف على أساس الأصول الفلسفية :

ويعتبر من أبرز علماء النظرية السوسيولوجية الذين اعتمدوا على مقياس ارجاع النظريات إلى أصولها الفلسفية دون مارتنديل Don Martindale فى كتابه المعروف عن (النظرية السوسيولوجية: طبيعتها وأنماطها)، حيث أشار إلى خمس

نظريات رئيسية ومجموعة أخرى من المدارس الفرعية التى تندرج تحتها وهى[1]:

(١) المدرسة العضوية الوصفية Positvistic Organicism :

تمتد أصول هذه المدرسة ومصادرها الأساسية إلى الفلسفة المثالية، التى تركز على دراسة الواقع عن طريق اعتباره شيئاً متضمناً فى نوعية الأفكار، ولذا تكون الأفكار أكثر الأشياء وضوحاً وتعبيراً عن الواقع ذاته. أما الوضعية، فأنها تشمل الاتجاه الفكرى الذى يهدف إلى تفسير العالم عن طريق الخبرة. وتمتد جذور النزعة أو المدرسة الوضعية إلى فلاسفة اليونان القدماء، ولكنها تبلورت على أيدى كل من فرنسيس بيكون، ولوك، وهيوم، وفولتير.

وبالرغم من تأثر هذه المدرسة بالتقدم الذى حدث فى علم البيولوجيا واعتماد الكثير من روادها على استخدام المماثلة البيولوجية فى تفسير الظواهر الاجتماعية، إلا أن لاقت معارضة شديدة، وأدت إلى اهمال هذا الاتجاه لفترة محدودة، وما لبثت أن تطورت بعد ذلك من خلال ظهور الوضعية المحدثة على أيدى مجموعة من العلماء ومن أهمهم شبنجلر، وتوبينى، وسوروكن.

(٢) مدرسة الصراع Conflict School :

ترجع جذور هذه المدرسة إلى أصول فلسفية يونانية قديمة، ويعتبر صاحبها الأول الفيلسوف هيراقليطس، الذى يعد أول صاحب نظرية عن التغير، وتنظر إلى الصراع عموماً على أنه ظاهرة أساسية ومحورية فى جميع جوانب الحياة الاجتماعية. ولكن انتقلت هذه الأفكار إلى رواد الفكر السياسى والاجتماعى خلال العصور الوسطى وعصر الاصلاح التنوير، وظهرت على أيدى ميكافيللى، وبودان، وهوبز.

ولكن هذه المدرسة أو النظرية لم تتبن الاتجاه الفلسفى أو العقلى فقط عند تفسيرها للصراع، ولكنها انتقلت إلى الجانب الامبريقى واجراء الدراسات الميدانية، وذلك بفضل تحليلات كل من هيوم، وفيرجسون عن النظم السياسية، ومع بداية القرن التاسع عشر تطورت الأفكار الثورية، والتى تبنت اتجاه الصراع فى تحليلاتها. وهذا ما ظهر فى الماركسية، والدارونية الاجتماعية عن طريق تركيزها على دراسة كل من الطبقات الاجتماعية، كما ظهرت عند ماركس أو اهتمامها بالطابع المحافظ كما ظهرت فى تحليلات كل من هربرت سبنسر H. Spencer، ووليام سمنر W. Suminr.

---

(١) للمزيد من التحليلات، إرجع إلى

- Don Martindale, The Nature and Typesof Sociological Theory, London, 1967.

(٣) الصــورية أو الشــكلية الســوســيولوجية Sociological Formalism :

ارتبطت هذه النظرية بالأصول الفلسفية العقلية التى تمتد بصورة خاصة إلى الفلاسفة اليونانين، ولكنها ما لبثت أن تبلورت فى شكلها الجديد على أيد كانط Kant، الذى سعى لتخليص العلم من النزعة الشكية، وتبنى النزعة العقلية وذلك عن طريق الاعتماد على دراسة أنواع معينة من القضايا وهى القضايا التحليلية والتركيبية، واللذان يكونا طبيعة المعرفة عن كانط، وتهدف عموماً إلى ضرورة الربط بين الاتجاه العقلى والاتجاه الواقعى الامبريقى فى تفسير المعرفة الانسانية عموماً.

ولكن ما لبث أن تطورت هذه النظرية وأخذت أشكالاً جديدة خلال القرن التاسع عشر، ولاسيما بعد ظهور ما يعرف بالكانطية المحدثة والتى تتمثل فى ظهور ما يعرف بالاتجاه الفينومينولوجى Phenomenology، كما ظهر فى تحليلات رينوفيه Renouvier فى فرنسا أو كتابات بارك Park وسانتايان Santayana فى الولايات المتحدة، أو تحليلات جورج زيمل G. Simmil فى المانيا.

(٤) الســلوكية الاجتماعيــة Social Behaviorism :

وترجع هذه النظرية أصولها الفلسفية إلى كل من الفلسفة المثالية والبراجماتية فى نفس الوقت، وتعتمد أيضاً على كل من المدخل السلوكى فى تفسير الظواهر الاجتماعية، وتحليلها لموضوعات وقضايا علم الاجتماع بشكل متعارض مع كل من المدرسة الوضعية وأصحاب نظرية الصراع، وأيضاً المدرسة الصورية أو الشكلية الاجتماعية. وتركز المدرسة السلوكية الاجتماعية على استخدامها مناهج امبريقية جديدة فى الدراسة السوسيولوجية، وذلك من أجل تجنب الأخطاء أو المشكلات المنهجية كما حدث للمدارس والنظريات السابقة الأخرى.

عموماً، لقد تطورت النظرية السلوكية الاجتماعية وانقسمت إلى ثلاث مدارس فرعية وهى: السلوكية الجمعية، والتفاعلية الرمزية، ونظرية الفعل الاجتماعى، وتركز الأولى على تبنى مجموعة من المقاييس الاجتماعية الكمية، لدراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية واهتمت كثيراً بمعالجة قضايا مثل التغير والضبط الاجتماعى والشخصية. أما التفاعلية الرمزية، فترجع جذورها إلى الجمع بين البرجماتية (الواقعية) والمثالية المحدثة، وتهتم بدراسة العلاقة المتبادلة بين الشخصية الفردية والبناء الاجتماعى. كما أن نظرية أو مدرسة الفعل الاجتماعى Social Action Theory، ترتبط بتعليمات ماكس فيبر M. Weber على وجه الخصوص، ولكنها تبلورت أيضاً على أيدى كل من فيبلن Veblen، وماكيفر Maciver، وبارسونز Parsons، وميرتون Merton وآخرون.

(٥) الوظيفيــة الســوســيولوجية Sociological Functionalism :

ترتبط هذه المدرسة بتحليلات مجموعة من رواد علم الاجتماع التـى تـتركز على دراسة الوظيفة السوسيولوجية عنـد دراسـتها للأنسـاق أو البنـاءات الاجتماعيـة سواء تلك الأنساق أو البنـاءات أو الوحـدات كبيرة الحجـم أو الوحـدات أو البنـاءات صغيرة الحجم. ولقد جعلت هذه البناءات أو الوحدات بمثابة وحدة التحليـل الرئيسـية أو التى يطلق عليها بالتحليلات الكبرى والصغرى Macro & Micro Analysis.

ولقد جاءت تحليلات كـل مـن بـروان، ومالينوفسكى، وبـاريتو، وبارسـونز، وليفى، ومـيرتون، وهومـانز، لتمثـل دراسـة الانسـاق أو المجتمعـات الكبـيرة. بينمـا تندرج كتابات كل من ليفـن، وزانـدر وغيرهـم عـن طريـق تبنـى المدخـل المصغـر أو دراسـة المجتمعـات الصغـيرة. ولكننـا نلاحـظ، أن كتابـات روبـرت مـيرتون R. Merton جمعت بين استخدام المدخل الوظيفى عند دراسته للظواهر الاجتماعيـة وتحديده لطبيعة النظرية السوسيولوجية الأمثل لدراسة المجتمع الحديث أو ما أسماه: بالنظريـات المتوسـطة Middle Range Theories، والتـى تجمـع بيـن النظريــات الكبرى والصغرى عامة.

٦ - التصنيف على أساس البعد السوسيولوجى :

يعتمـد هـذا التصنيـف بالدرجـة الأولــى علــى ضـرورة اسـتخدام المدخـل السوسيولوجى فى دراسـة الظواهـر والموضوعـات الاجتماعيـة. ولقـد اسـتخدم هـذا التصنيف أحد منظرى النظرية السوسيولوجية وهو والتر والاس[1]، عندما أشار إلى ضرورة الأخذ فى الاعتبار مجموعة من الملاحظات عند تصنيف النظريـات والتـى يجب أن يقوم بها الباحث قبل تفسيره للظواهر الاجتماعية أو الوصول إلى تعميمات حولهـا بصـورة كليـة. ومـن أهـم هـذه الملاحظـات هـى البعد عـن الذاتيـة وتحـرى الموضوعية عند دراسته وتفسيره للظواهر والمشكلات الاجتماعية.

ومن أهم النظريات التى تندرج تحت اطار هذا التصنيـف وهـى، النظريـات الايكولوجيـة، والسـكانية، والسـيكولوجية، والتكنولوجيـة، والبنائيــة الوظيفيــة، والصراع، والتفاعل الرمزى، والفعل الاجتماعى. كما أكـد (والاس) علـى ضـرورة معرفة جوانب الاتفـاق بيـن هـذه النظريـات دون الاهتمـام بالاختلافـات بينهـم فقـط، خاصة لعدم وجود نظرية عامة تشمل هذه النظريات فى اطار نظرى واحد.

---

(١) إرجع إلى ،

- Wallace, W, Sociological Theory, London: Heinman, 1971.

٧ - التصنيف على أساس البعد الايديولوجى :

ارتبطت النظرية السوسيولوجية خلال النصف الأخير من القرن العشرين بطبيعة الايديولوجيا العالمية أو النظام العالمى خلال هذه الفترة. وهذا ما جعل هذه النظريات تصنف على أساس مدى تبنيها للاتجاه المحافظ الليبرالى، أو الاتجاه الماركسى أو اتجاه الصراع. ويستطيع الباحث أو المتتبع للتراث النظرى السوسيولوجى خلال النصف الثانى من القرن الحالى أن يتعرف بوضوح على نشأت المدارس والنظريات والمذاهب وعلاقتها بالنظام الايديولوجى أو تبنيها اتجاهاً ايديولوجياً معيناً توصف به عامة.

وربما تعتبر تحليلات زيتلين Zeitlin المميزة للنظرية السوسيولوجية وتصنيفاتها فى ضوء علاقتها بالايديولوجيا خير مثال على ذلك، حيث رجع بأصول النظريات إلى الأصول الفلسفية وخاصة فلسفة التاريخ ولاسيما آراء فلاسفة التنوير، وأيضاً تميزه للاتجاه المحافظ الذى ظهر فى الدول الغربية مثل تحليلات سيمون، وكونت، وفيبر، وميشلز، ودوركايم، وبارسونز. كما تفيد تحليلات الفن جولدنر[1] A. Gouldner وكتابه المميز عن (الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى) The Coming Crisis in Western Sociology، من أهم التحليلات التى ربطت بين النظرية السوسيولوجية والبناء الأيديولوجى، واعتبار الاطار الايديولوجى أحد العوامل المسيطرة على فكر المنظرين الاجتماعيين مما يهدد نظرتهم الموضوعية عند دراسة الظواهر الاجتماعية وتفسيرهم للواقع.

بعد العرض الموجز لتصنيفات النظرية السوسيولوجية وأنواعها المختلفة، نستطيع أن نصل إلى مجموعة من الملاحظات على النحو التالى :

١ - إن عملية تصنيف النظريات لاتزال مشكلة صعبة تواجه الباحثين والقائمين على عملية التصنيف ذاتها نظراً لطبيعة التداخل بين هذه النظريات وأنواعها المختلفة.

٢ - يكشف التراث التحليلى للنظريات السوسيولوجية عن طبيعة الصراع بين هذه النظريات، وان كانت حدة هذا الصراع ووجود النظريات المتصارعة خفت حدته مع نهاية القرن الحالى.

٣ - تعكس طبيعة النظريات السوسيولوجية وأنواعها المختلفة طبيعة التطور التاريخى الذى حدث على مكونات وعناصر هذه النظريات منذ أن ظهر علم الاجتماع حتى الوقت الحاضر.

---

(١) Gouldner, A, The Coming Crisis in Westren Sociology, London, Heineman, 1971.

٤ – لم يظهر اتفاق عام بين علماء الاجتماع ومنظريه حتى الآن، حول وجود نظرية عامة وشاملة تجمع كل النظريات السابقة فى اطار واحد.

٥ – ارتبطت معظم النظريات السوسيولوجية ولاسيما منذ منتصف هذا القرن بطبيعة البناء الايديولوجى الذى يوجد فى المجتمع الحديث، وأثر بصورة جوهرية على مكونات النظرية السوسيولوجية وأهدافها.

٦ – لم تشهد التصنيفات للنظريات السوسيولوجية عن وجود اتفاق أو تقارب حول النظريات السوسيولوجية المتصارعة سواء كانت نظريات ليبرالية أو رديكالية، كما حدث فى ظهور المدخل الصراع البنائى، كما سنوضح ذلك لاحقاً.

ثالثاً : تطور النظرية السوسيولوجية :

يكشف تحليل تراث النظرية السوسيولوجية ليس فقط دراسة معنى النظرية ومعرفة خصائها، ومكوناتها وشروطها ووظائفها، بقدر ما يوضح أيضاً طبيعة التطور الذى طرأ على هذه النظريات، منذ نشأ علم الاجتماع وأصبح علماً له شرعية فى الأوساط العلمية والأكاديمية. كما يكشف تطور النظرية السوسيولوجية عن مضمونها العام الذى وضعت من أجله والهدف منها فى توجيه البحث والباحثين للسعى لدراسة الواقع وجمع المعلومات اللازمة حول دراسة المعرفة الانسانية.

وكما يؤكد تيماشيف Timasheff، ويماثل بين نمو النظريات السوسيولوجية ونمو النبات، حيث تنمو نظريات سوسيولوجية وتتطورى وأخرى تنهار وتذبل. وهذا ما يفسر سر تطور النظرية وتقدمها وقابليتها للتعديل والتغير المستمر. كما أن النظرية لها طابع التراكمية من حيث جمع البيانات واعتمادها على النظريات السابقة التى ظهرت سواء فى علم الاجتماع أو العديد من العلوم الاجتماعية الأخرى أو الطبيعية أيضاً، وهذا ما حدث على سبيل المثال، فى استعادة النظريات العلمية البيولوجية أو الميكانيكية أو العضوية أو التطورية على سبيل المثال.

كما يعكس طبيعة تطور النظرية السوسيولوجية ارتباطها بطبيعة الاتجاهات والتيارات الايديولوجية التى ظهرت فى العالم، وهذا ما يرتبط بتأثير النظام الايديولوجى العالم على طبيعة ومكونات النظرية السوسيولوجية، وتحديدها للاطار الفكرى لمنظرى علم الاجتماع وعلمائه منذ نشأته حتى الوقت الراهن. وهذا ما ظهر على سبيل المثال، من خلال معرفتنا للتيارات والاتجاهات الايديولوجية المتصارعة، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وظهور الحرب الباردة، واغتراب النظرية السوسيولوجية وعلماء علم الاجتماع عامة، إلى تبنى تيارات ايديولوجية معينة، تعبر بوضوح عن الخط الفكرى والانتماءات السياسية والظروف

العصرية التى تصبغ أفكار العالم وتصوراته وآرائه حول القضايا المجتمعية التى يعيش فيها ويتأثر بها بصورة مباشرة وغير مباشرة.

وربما كشفت تحليلات علماء النظرية السوسيولوجية من أمثال تيماشيف، أو مارتندال أو زايلتن أو جولدنر أو غيرهم آخرون عن طبيعة المراحل التطورية للنظرية السوسيولوجية. فلقد أشار تيماشيف عن البدايات الأولى لظهور النظريات السوسيولوجية التى جاءت منذ نشأة علم الاجتماع حتى عام ١٨٧٥م، والتى شملت نظريات رواده الأوائل من أمثال كونت، وسبنسر، وكيتليه، ولوبلى، وماركس، وتايلور، ومورجان وغيرهم. أما المرحلة الثانية، فلقد تحددت فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وشملت مجموعة من النظريات والمدارس السوسيولوجية المتصارعة مثل الداروينية الاجتماعية، والتطورية السيكولوجية، والتطورية الاقتصادية، والتكنولوجية، والديموجرافية. علاوة على ظهور المدارس الأولى التحليلية، والمدرسة الاجتماعية عند دوركايم، والمدرسة الذاتية الروسية(١).

وظهرت المرحلة الثالثة خلال البدايات الأولى من القرن العشرين، حيث تفرعت بعض النظريات ولاسيما النظرية التطورية إلى عدد من المدارس، وركز أصحابها على ضرورة توجيه علم الاجتماع نحو البحث الميدانى (الامبيريقى)، والاعتماد على الشواهد الواقعية عند صياغة النظريات والأطر التصورية التى تقوم عليها، وربما تصنف كتابات كل من باريتو Parito وتوماس Thomas كمثلاً على هذا التطور والاسترشاد ببعض النظريات الطبيعية الأخرى، والتى تعتمد على الملاحظة والاستدلال العقلى فى نفس الوقت. وهذا ما أكد عليه أيضاً ماكس فيبر M. Weber، فى تحليلاته وامكانية استخدام المنهج شبه التجريبى Quasi - Experimental عند دراسته للانماط المثالية Ideal Types، أو دراسته عن الفهم والمعنى الذاتى.

وتجئ المرحلة الأخيرة والرابعة، وحتى تقريباً قرب نهاية القرن العشرين لتعكس مجموعة من المدارس والنظريات الحديثة مثل الوضعية المحدثة، والايكولوجية البشرية، والاتجاه الوظيفى، وعلم الاجتماع النظرى، والقياس الاجتماعى، بالاضافة إلى مجموعة أخرى من القضايا السوسيولوجية، التى تستند إلى التبرير الواقعى والمستمد من استخلاص النتائج الميدانية، والتى تجمع بين كل من الاتجاهات الواقعية والعقلية فى نفس الوقت.

---

(١) أنظر، عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٨٣ - ٨٤.

وبالرغم من أهمية التصورات السابقة حول تطور النظرية السوسيولوجية، والتى تثرى بالطبع التراث الفكرى لتطور علم الاجتماع بصورة عامة والنظرية السوسيولوجية بصورة خاصة. إلا أننا نلاحظ، أن هذا التحليل كما جاءت فى كتابات تيماشيف، لم تتناول بالتحديد التطورات النظرية التى ظهرت خلال الربع الأخير من القرن العشرين. ولاسيما أن (تيماشيف) وضع مؤلفه المميز عن (النظرية السوسيولوجية: طبيعتها وتطورها) فى أواخر الستينات وبالتحديد عام ١٩٦٧. فلقد ظهرت العديد من الدراسات والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع وتصبح فى الوقت الراهن أحد الاهتمامات الأساسية لدى علماء الاجتماع والمتخصصين فيه.

فلقد، ظهرت عدد من المداخل النظرية والتى تعكس جزئتيها طبيعة المظاهر الحديثة التى طرأت على بعض النظريات التقليدية الرائدة فى علم الاجتماع مثل البنائية الوظيفية أو الماركسية. خاصة، بعد أن تم بلورة كثير من أفكار هذه النظريات وطرحت تصورات أكثر حداثة ومرتبطة بتفسير الواقع، والبعد بصورة ملحوظة عن ظهور الأفكار المتصارعة ذات الطابع التقليدى الذى ظهرت عليه النظرية السوسيولوجية وحتى نهاية الستينات. وعموماً، تحول الصراع النظرى الايديولوجى إلى حدوث تقارب فى وجهات النظر السوسيولوجية حول الكثير من القضايا، وعبر عن ذلك ظهور ما يعرف بالاتجاه أو مدخل الصراع البنائى، الذى يعكس طبيعة التقارب الفكرى والايديولوجى. كما ظهرت تطورات على المداخل السلوكية الاجتماعية، وظهور المداخل الفينومينولوجية والراديكالية، وتبلورت أيضاً الاتجاهات أو المداخل الاثنوميثودولوجية، وهذا ما سنعالجه لاحقاً خلال هذا الفصل.

رابعاً : النظريات التقليدية فى علم الاجتماع :

تمثلت اهتمامات علم الاجتماع وموضوعاته وقضاياه ومجالاته المختلفة فى التركيز على دراسة طبيعة المجتمع الحديث، ولاسيما أن هذا العلم نشأ من أجل دراسة المشكلات الاجتماعية أو الحياة الاجتماعية الجديدة، التى ظهرت فى هذا المجتمع، واختلفت عن طبيعة الحياة الاجتماعية ومكوناتها التى كانت سائدة فى العصور الوسطى. ومن ثم، يمكن القول أن علم الاجتماع جاء كتلبية طبيعية للاحتياج لدراسة الظواهر الاجتماعية والمشكلات التى طرحتها حياة الصناعة والتنوع فى النشاط الاقتصادى والسياسى، وأنماط وأشكال المؤسسات التنظيمات والنظم الاجتماعية التى ظهرت خلال العصر الحديث.

كما أفرزت طبيعة الحياة الاجتماعية العصرية العديد من أنماط العلاقات الانسانية Human Relationships، التى ظهرت فى المجتمع وأصبحت من أهم

أهداف ومجالات علم الاجتماع، ومحاولة علمائه دراسة هذه العلاقات، وسعيهم للاجابة على العديد من التساؤلات التى تدور مثل حول لماذا تحدث تباينات فى العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة؟ ولماذا يحدث نوع من التمييز فى العلاقات داخل المجتمع الواحد أو المجتمعات المحلية؟ وما هى أسباب حدوث التمييز بين الأفراد من خلال الجنس، والنوع، والسلالة، أو العنصر، أو الدين؟. وما هى علاقة الحاكم بالمحكومين؟ وما طبيعة ودور نظم الحكم والإدارة، والتعليم، والاقتصاد، ووسائل الاعلام وغيرها من النظم المتعددة فى المجتمع؟ وما هى أنماط وأشكال العلاقات الاجتماعية المرتبطة بقضايا أخرى مثل العمل، والانتاج، والثروة، والملكية، والأجور؟ ولماذا تأخذ أشكال العلاقات الاجتماعية مظاهر حادة من الصراع والتنافس أو أشكالاً أخرى من التوافق والتعاون والتكامل؟، ولماذا يحدث انواع من الامتثال والطاعة أو التمرد والرفض فى علاقات الأفراد بأنفسهم أو بالجماعات والمؤسسات التى يصبحون فيها أعضاء بالفعل؟.

حقيقة، ان اجابة تلك التساؤلات تكون من اهتمامات علماء الاجتماع وهدفهم الأساسى، ولاسيما أن من وظائف هذا العلم دراسة نسق العلاقات الاجتماعية، وطبيعة الحياة الاجتماعية ككل. كما أن اجابات العلماء وتصورات تدور حول التساؤلات السابقة أو القضايا المطروحة، حيث لا يمكن أن حولها اجابات واحدة، أو يتفق عليها العلماء المتخصصين فى علم الاجتماع، بقدر ما تجئ هذه الاجابات فى صورة متعددة من الأفكار والتصورات العامة التى تؤخذ فى مجملها خطاً فكرياً محدداً. وهذا ما تم تصنيفه فى مجموعة من النظريات التى تندرج تحتها تصورات وآراء وأفكار علماء الاجتماع حينما يعالجون قضايا المجتمع ومشكلاته.

ومنذ نشأة علم الاجتماع فى أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت نظريات متعددة ومتنوعة كشفت عنها تحليلاتنا السابقة، حول تصنيف النظريات السوسيولوجية، ووضحت كيف تطورت هذه النظريات خلال هذه الفترة. ونسعى حالياً، لأن نوضح للقارئ – بصورة موجزة – طبيعة الأطر العامة والأفكار التصورية التى قامت عليها أهم النظريات التقليدية أو الكلاسيكية الرائدة فى علم الاجتماع، والتى وانقسمت إلى نظريتين هما: (١) النظرية البنائية الوظيفية، (٢) والنظرية الماركسية. علاوة على ذلك، الاشارة إلى طبيعة التطورات التى طرأت على أفكار هذه النظريات وأدت إلى تعديل أفكار ومسار اتجاهاتها النظرية فى السنوات الأخيرة، مقارنة عما كانت عليه خلال النصف الأول من القرن العشرين على سبيل المثال.

١ - النظرية البنائية الوظيفية Funcational - Structural Theory :

١ - مسميات وتعريف النظرية :

تعددت مسميات هذه النظرية، وأطلق عليها اسم البنائية الوظيفية، أو النظرية الوظيفية التقليدية Traditional Theories، أو النظرية المحافظة Conservative Theories، أو النظرية الليبرالية Liberal Theories[١]. وإن كانت التسمية الأخيرة تعتبر من التسميات الأكثر حداثة، وتعكس فى كثير من الأحيان التطورات الحديثة التى ظهرت على مضمون وأفكار البنائية الوظيفية كاحدى النظريات السوسيولوجية الرائدة فى علم الاجتماع.

أما تعريف البنائية الوظيفية فينعكس من خلال رؤيتها وتصورها العام لدراسة المجتمع الحديث، حيث اعتبرت المجتمع نسقاً عاماً، يشمل مجموعة من النظم الاجتماعية والثقافية، وترتبط هذه النظم بطبيعة الأفعال الاجتماعية التى تكرس من أجل خدمة الانسان، وقضاء حاجاته الأساسية Basic Needs. كما أن عملية اتمام هذه الخدمات تتطلب درجة عالية من ترابط المشاعر والقيم والاخلاقيات المشتركة التى تحدث نوع من التضامن الاجتماعى Social Solidarity. علاوة على ذلك، يركز علماء البنائية الوظيفية على ضرورة الاهتمام بالثقافة، باعتبارها المادة الروحية والعقلية التى ترتبط بالنظم ارتباطاً شديداً. وبايجاز، فإن الثقافة Culture، تعكس عمليات التحول نحو النظامية أو المؤسساتية Institualization.

وكما يحدد تيماشيف[٢] Timashaff، المعنى العام للبنائية الوظيفية، باعتباره من أهم المنظرين السوسيولوجيين، الذين ظهروا خلال النصف الثانى من القرن العشرين. حيث يتصور أن المعنى العام للوظيفية يكمن فى القضية الرئيسية التي يدور حولها اهتمامات علمائه وهى: أن النسق الاجتماعى Social System يمثل نسقاً حقيقياً، وهذا بفضل وجود نوع من التكامل والتساند والتعاون بين هذه الأنساق بصورة كبيرة.

٢ - التطور التاريخى للبنائية الوظيفية :

يرجع كثير من منظرى علم الاجتماع إلى أن أفكار البنائية الوظيفية، تمتد جذورها إلى ما قبل نشأة علم الاجتماع ذاته. ولاسيما، فى أفكار المدرسة الفرنسية والبريطانية والالمانية والتى ظهرت فى مرحلة التنوير ومهدت لظهور علم الاجتماع من أمثال أفكار مونتسكيو، وبودان، وهوبز، وسان سيمون، وان كان الأخير ينتمى

---

(١) يمكن الرجوع إلى المرجع التالى للمزيد من التفاصيل :

- Sherman H. J & J. Wood, Traditional and Radical Perspectives, N. Y, Harpe, Raw Pub. P. 4.

(٢) تيماشيف، مرجع سابق، ص ٣٢٨.

إلى المدرسة الوضعية الفرنسية. وبالطبع، لا أحد ينكر التصورات التطورية الداروينية التى ارتبطت بأفكار دارون حول أصل الأنواع والبقاء للأصلح التى حدثت لكثير من أفكار الوظيفية وربطتها بالتصورات البيولوجية والطبيعية فى نفس الوقت.

ولكن ترجع كثير من تحليلات علماء النظرية السوسيولوجية (البنائية الوظيفية) إلى رواد علم الاجتماع الغربيين الذين ظهروا خلال القرن التاسع عشر، ومهدوا لظهور علم الاجتماع من أمثال اوجست كونت، وسبنسر، ودوركايم، وفيبر، وباريتو، وسمول وغيرهم. هؤلاء يمكن أن نصفهم بالجيل الأول من رواد البنائية الوظيفية، والتى جاءت تصوراتهم في الفترة من أواخر القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين.

ولكن تقريباً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، تطورت البنائية الوظيفية ولاسيما بين ظهور علم الاجتماع الأمريكي، والذى عزز كثيراً من أفكار البنائية الوظيفية، وجاءت تصورات هذه النظرية خاصة على أيدى تالكوت بارسونز T. Parsons، وروبرت ميرتون R. Merton، وكنجزلى دايفيذ K. Davis، ونيل سملسر N. Smelser وغيرهم آخرين، من الذين ينتمون إلى المدرسة البريطانية من أمثال توم بيتومور T. Botomore، وجيدنجر Guddings، هذا بالاضافة إلى مجموعة كبيرة من العلماء السوسيولوجيين الذين ظهروا فى فرنسا والمانيا وايطاليا وغيرها من الدول الأوروبية الأخرى.

٣ - الأفكار العامة للبنائية الوظيفية :

١ – حقيقة، لقد انطلقت الأطر التصورية العامة للبنائية الوظيفية من خلال تصورات الجيل الأول(١) من علماء هذه النظرية والتى تحتل كتابات كونت، ودوركايم، وباريتو، وفيبر على سبيل المثال. فلقد جاءت آراء هؤلاء العلماء من خلال نظرتهم العامة لاعتبار المجتمع وبناءاته ونظمه ومؤسساته وأنساقه الاجتماعية ترتبط كل منها الآخر وتهدف الغايات الأولى من هذه النظم والمؤسسات والأنساق الاجتماعية، إلى تحقيق نوع من التكامل والتعاون فيما بينها لأداء وظيفتها العامة من أجل المحافظة على النسق الأكبر وهو المجتمع العام. وهذا التكامل يتمثل فى تصورات العلماء حول ما يسمى بالتساند البنائى والوظيفى من أجل المحافظة على البناءات الاجتماعية العامة.

---

(١) للمزيد من التحليلات أنظر مثلاً :

- Durkheim, E, Division of Labour in Society (Trans. by: G. Simpson), N.Y, Free Press, 1969, Chap. 2 - 3.
- Weber, M, Op. cit, Chap. 2 - 4.

٢ - ارتبطت تصورات الجيل الأول من رواد البنائية الوظيفية فى نظرتها الشمولية عند دراسة المجتمع، وذلك من خلال تبنيها ما يعرف بالاتجاه السوسيولوجى الكلى فى دراسة المجتمعات أو الوحدات الكبرى Macro Sociological Analysis، والذى يركز بصورة عامة على معالجة قضايا المجتمع ومشكلاته، من خلال التركيز عموماً على طبيعة المجتمع ككل، وذلك عن طريق تحليل النسق الأكبر (المجتمع) واعتباره وحدة التحليل الاجتماعى.

٣ - استندت النظرية البنائية الوظيفية إلى مفهومات متعددة مثل البناء Structure، والوظيفة Function، والتضامن الاجتماعى Social Soildarity، والعلاقات الاجتماعية Social Relationships وغيرها من المفاهيم الأخرى التى تعمل على المحافظة على النسق أو البناء الاجتماعى دون حدوث أى خلل فى مكونات كل من بناءاته ووظائفه المختلفة.

٤ - جاءت تصورات الجيل الثانى من رواد البنائية الوظيفية ولاسيما فى تحليلات بارسونز، وديفيز، وميرتون، وسملسر وغيرهم آخرون ليضيفوا أبعاداً جديدة عند دراسة قضايا المجتمع ومشكلاته المختلفة ولقد كشفت هذه التحليلات طبيعة التغيرات السوسيولوجية التى حدثت ولاسيما خلال النصف الأخير من القرن العشرين.

٥ - بالاضافة إلى المفهومات السوسيولوجية السابقة، التى استخدمها الجيل الأول من رواد البنائية الوظيفية، استخدم العلماء أيضاً من رواد الجيل الثانى مفهومات مثل الخلل الوظيفى Dysfunction، التوازن الاجتماعى Social Equlburim، الوظيفة الكامنة والظاهرة Latent & Manifest Functions، تحقيق الهدف Goal Achievent، المحافظة على النمط Pattern Maintenance، التكيف والمواءمة Adaptation وغيرها من المفاهيم والتصورات الأخرى التى تحرص على وحدة النزعة المحافظة واعادة التوازن فى المجتمع نتيجة لحدوث التغيرات الاجتماعية المستمرة.

٦ - جاءت تصورات الجيل الثانى من رواد البنائية الوظيفية لتبنى مدخلاً أقل شمولية من مدخل الرواد الأوائل عند معالجتهم لدراسة المجتمع. ولاسيما، بعد أن ظهرت نظريات فرعية ترتبط برواد هذا الجيل الثانى مثل نظرية النسق الاجتماعى Social System، كما ظهرت فى تحليلات بارسونز على سبيل المثال. وتبنى النظريات متوسطة المدى Middle Range Theories،

كما ظهرت في تحليلات روبرت ميرتون. وعموماً تبنى رواد البنائية الوظيفية المحدثين ما يعرف بالمدخل السوسيولوجي للوحدات الصغرى Micro Sociological Approach[1].

٧ - ركزت تصورات كل من رواد البنائية الوظيفية انتقليديين أو المحدثين على دراسة المجتمع الصناعي الحديث، ولاسيما تركيزهم على دراسة الأنماط والأشكال الجديدة لكل من الطبقات والعلاقات الاجتماعية ومؤسساتها المختلفة. فجاءت تصوراتهم للمجتمع الرأسمالي الصناعي لتأكد على أهمية هذا النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يحقق معدلات أعلى من الانتاجية، ووجود العدالة والديموقراطية الاجتماعية، وحدوث نوع من التمايز الطبقي، بهدف استمرار العمل وتوزيع الانتاج. وبايجاز، ان هدف هذا المجتمع الصناعي الرأسمالي موجه إلى تحقيق الرفاهية الاجتماعية، وظهور ما يعرف بمجتمعات الرفاهية Welfare Societies.

٨ - اهتمت البنائية الوظيفية بشكل عام بدراسة الأنساق الفرعية التي توجد في المجتمع، وطبيعة النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تسعى إلى تحقيق المزيد من الحرية الفردية، وذلك انطلاقاً من تصورات آدم سميث الاقتصادية. علاوة على أن حرية العمل والانتاج، تزيد من دور المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية باعتبارها أنساقاً فرعية، تهدف إلى استمرارية النظام الرأسمالي الاقتصادي والسياسي بصورة عامة.

٤ - نقد البنائية الوظيفية :

تعرضت هذه النظريات لمجموعة من الانتقادات التي ظهرت سواء من رواد النظريات السوسيولوجية الأخرى ولاسيما النظرية الماركسة، أو من بين رواد البنائية الوظيفية أنفسهم وشملت جملة هذه الانتقادات بصورة عامة، في تصورات البنائية الوظيفية للمجتمع الرأسمالي الغربي والذي يسوده نوع من التجانس، والتكامل، والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى واقع هذا المجتمع الذي يمتلئ بالمزيد من التناقضات سواء بين الطبقات الاجتماعية أو السلالات والأقليات الاجتماعية، وحددت الكثير من مظاهر الصراع الذي يوجد بين هذه الطبقات كشئ طبيعي وكمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية العصرية.

---

(١) للمزيد من التحليلات يمكن الرجوع إلى :

- Parsons, T, The Structure of Social Action, N. Y, The Free Press, 1981.
- Merton, R, Social Theory and Social Structure, N.Y, The Free Press, 1957.

علاوة على ذلك، ظهرت آراء جديدة من بين رواد البنائية الوظيفية التى رأت ضرورة تحديث الأفكار العامة التى تقوم عليها هذه النظرية، والعمل على تغيير تصوراتها ورؤيتها واطارها العام ولاسيما نظرتها للمجتمع الحديث. فطبيعة هذا المجتمع وحياته الاجتماعية ومؤسساته ونظمه وطبقاته قد أختلفت كثيراً عما كان عليه فى أواخر القرن التاسع عشر، حيث وضع كونت وزملاؤه تصورات هذه النظرية بصورة عامة. وهذا ما تمثل فى مجموعة من المداخل النظرية الحديثة التى عملت على إعادة تشكيل البنائية الوظيفية وتصورها إلى المجتمع الحديث ككل.

٢ - النظرية الماركسية Marxisim Theory :

١ - مسميات وتعريف النظرية :

ارتبط مسمى هذه النظرية بمؤسسها الأول كارل ماركس K. Marx، الذى وضع أفكارها العامة خلال أواخر القرن التاسع عشر. ولقد اخذت هذه النظرية مسميات أخرى مثل نظرية الصراع Conflict Theory وذلك من خلال تصورها المحدد نحو الطبقات الاجتماعية Social Classes. كما أن هناك كثير من المفاهيم والمسميات الأخرى التى ارتبطت بهذه النظرية مثل المادية التاريخية Historical Materialism[1]، أو النظرية الريديكالية Radical Theory، وان كان هذا المصطلح قد أطلق بعد ذلك على الكثير من الاتجاهات التى أخذت الطابع النقدى عند دراستها للمجتمع.

وتتركز هذه النظرية بصورة عامة حول تعريفها لدراسة المجتمع من منظور المدخل الماركسى أو مدخل الصراع، ولاسيما ان المجتمع الحديث ملئ بالتناقضات وأنماط الصراع داخل جماعات المجتمع وطبقاته المختلفة، وينتج هذا الصراع نتيجة التعارض فى المصالح والاهتمامات الفردية والجمعية، وسعى الانسان إلى السيطرة على الآخرين. وان كان ماركس لم يقدم تعريفاً محدداً لعلم الاجتماع ولكنه أكد على مهمة هذا العلم فى دراسته للمجتمع الحديث.

٢ - التطور التاريخى للنظرية الماركسية :

ترتبط الماركسية بكتابات ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م)، والتى ظهرت خلال البدايات الأولى من القرن التاسع عشر، والتى عاصرت تقريباً فترة نشأة البنائية الوظيفية. وتعتبر اهتمامات ماركس المميزة وكتابه الشهير عن (رأس المال) The Capital أهم المحاور الأساسية التى قامت عليها هذه النظرية، ولقد عاصر ماركس

(١) يجد القارئ تحليلات مستوفية حول هذه النظرية فى المرجع التالى :

- عبد الباسط عبد المعطى، اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

زميله فرديدك انجلز[1] F. Engels (١٨٢٠ - ١٨٩٥)، وواصل انجلز مهمة استكمال وطبع ونشر كتب زميله ماركس، حتى ان ظهرت إلى الوجود، واحدثت اصداء عالمية، وغيرت كثير من ملامح البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى عامة وظهور المجتمع الاشتراكى.

ومع البدايات الأولى من القرن العشرين، وخاصة بعد قيام الثورة البلشفية فى روسيا ١٩١٧، وانهيار الحكم العنصرى وقيام الثورة الاشتراكية، اهتم لينين Lenin مؤسس الاتحاد السوفيتى بأفكار ماركس واستخدمها كثيراً فى قيام الاتحاد السوفيتى والكتلة الاشتراكية بعد ذلك والتى امتدت خارج روسيا إلى كثير من دول أوروبا الشرقية (سابقاً) والكثير من دول العالم ولاتزال توجد الاشتراكية الماركسية - بعد التعديلات طبعاً - وتحكم أكبر دولة فى العالم وهى الصين. كما اتخذت أيضاً الأفكار الماركسية فى التعديل المستمر نتيجة لتغير طبيعة المجتمع الحديث، ولاسيما خلال القرن العشرين وهذا ما أدى إلى ظهور الماركسية المحدثة Neo - Marxism، والتى ظهرت أفكارها ليس فقط داخل الاتحاد السوفيتى أو الكتلة الاشتراكية سابقاً، بل أيضاً فى العديد من الدول الأوربية الرأسمالية حيث نشطت أفكار الماركسية المحدثة بها.

٣ - الأفكار العامة للنظرية الماركسية :

١ - انطلقت الماركسية من الفكرة الايديولوجية القائلة، بأن المجتمع الحديث يتكون من بنائين هما (١) البناء الفوقى Super Structure (٢) البناء التحتى Infra Structure ويتمثل النوع الأول من البناء فى نسق الأفكار والمعتقدات والقيم السائدة التى بموجبها أو من يسيطر عليها، يستطيع أن يمتلك البناء التحتى ويشمل البناءات والمؤسسات والنظم الاقتصادية والسياسية فى المجتمع[2].

٢ - تبنت الماركسية تصوراتها على هذا الاعتقاد الايديولوجى ومن وجود فكرة الصراع Conflict Idea، والتى توجد بين الطبقات الاجتماعية، منذ أن ظهر الانسان على سطح الأرض أو عرفت المجتمعات البشرية حياة الاستقرار. وتزداد مظاهر الصراع الطبقى فى المجتمع الرأسمالى، نتيجة لوجود طبقات مسيطرة وهى الرأسمالية والمالكة لوسائل الانتاج، وطبقات أخرى محكومة وهى طبقة العمال ولا تملك أى شئ من هذه الوسائل.

(١) أنظر للمزيد من التحليلات :
- Marx, K. & F. Engles, Basic Writings (ed.) by: L. S. Feuer, London, Fontana Publis. Comp. 1981.

(٢) أنظر للمزيد من التحليلات :
- عبد الله عبد الرحمن، علم اجتماع التنظيم، مرجع سابق.
- عبد الله عبد الرحمن، علم الاجتماع الاقتصادى، جـ ١ - جـ ٢، مرجع سابق.

٣ - ان الصراع الطبقي يكشف حقيقة وواقع التناقض الذى يعيشه المجتمع الرأسمالى وطبقاته المختلفة، والذى يعد مصدره الأول (نظام الملكية)، هذا النظام الذى يعد مصدر الشرور الاجتماعية كلها. ومن ثم، يجب الغاء الملكية الفردية أو الخاصة وتحويل كل وسائل الانتاج إلى الملكية العامة حتى يسود نوع من التكامل والمساواة الاجتماعية.

٤ - ان تحديد علاقات الانتاج Production Relationship، بين من يملك من الطبقات الراسمالية وبين الطبقات العمالية التى لا تملك لا يمكن أن تستمر إلى الأبد كما هى، ولكن بعد الغاء الملكية وظهور الملكية العامة، يجب على الطبقة العاملة (الأغلبية) أن تسيطر على وسائل العمل والانتاج والمجتمع ككل، وتصبح هذه الطبقة فى صورتها الجديدة وهى طبقة البلوريتاريا.

٥ - يجب أن تقوم الطبقة العمالية (البروليتاريا) وتأخذ بزمام المبادرة من أجل السيطرة على المجتمع، ولو لزم الأمر أن يكون مصدر السيطرة عن طريق الثورة أو الدم وليس بالوسائل السلمية. والعمل أيضاً، على تصدير هذه الثورة فى خارج حدود الاتحاد السوفيتى وإلى جميع أنحاء العالم حتى يظهر نوع من الطبقات العمالية العالمية.

٦ - ان النظام الرأسمالى وما يمتلكه من وسائل الانتاج والتكنولوجيا والعمل ووسائل الاعلام والاتصال والمؤسسات التعليمية والدينية والاقتصادية عموماً، موجه لخدمة مصالح الطبقة الرأسمالية، والتى تملك مكونات الانتاج الثقافى عموماً، وتعمل على توجيهه لمصالحها وخلق طبقة من العمال بصورة مستمرة للعمل فى مؤسساتها ومصانعها وشركاتها الخاصة(١).

٧ - ان طبيعة جملة التناقضات والصراع والنسق الايديولوجى فى المجتمع الرأسمالى ممكن أن تكون مصدراً لهدم هذا النظام، ويتبنى أساليب المجتمع الاشتراكى الذى يعد أقل شروراً ويعمل على تحقيق المساواة والحرية والديموقراطية للجميع. كما أن المجتمع الرأسمالى يعمل على حدوث نوع من الاغتراب Alienation بين أفراده(٢)، سواء نتيجة لنسق العلاقات الاجتماعية وعلاقات الانتاج، أو لطبيعة تأثير التكنولوجيا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية عامة.

---

(١) أرجع إلى المرجع التالى للمزيد من التحليلات حول الانتاج الثقافى الرأسمالى :

- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التربية، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧.

(٢) أنظر :

- Sherman, J, Op. cit, PP. 10 - 11.

٤ - نقــد النظــرية الماركســية :

حقيقة، ان الماركسية كنظرية سوسيولوجية اتسمت فى تصوراتها بالكثير من الرؤى التى عالجت الواقـع فـى المجتمـع الرأسمالى، ولاسيما فـى فـترة أو مرحلـة ازدهار البنائية الوظيفية. لكن لقد تعرضت الماركسية من جانب رواد هذه المدرسـة الأخيرة، أو من بين روادها الماركسيين أنفسهم. ولاسيما، أن الماركسية ركـزت علـى تفسير بعض الجوانـب الواقعية فـى المجتمـع الرأسمالى والحديث وأغفلـت البعض الآخر. كما أنها طرحت كثيراً من الأفكار المثالية الخيالية مثل تصورهـا لانهيار الرأسمالية وظهور المجتمع الشيوعى العـالمى، ولكن حدث العكس تماماً، وانهار الاتحاد السوفيتى والكتلة الاشتراكية نتيجة لبعد أسس هذا النظـام عن الواقـع وتحريم أو الغاء أحد الحقوق الأساسية للفرد وهى حق الملكية التى شرعتها الأديـان السماوية وغيرها من الحريات الأخرى.

علاوة على ذلك، لقد انتقدت الماركسية كثيراً فى استخدامها لمفاهيم الصراع، والاغتراب، والثورة، والدين، والسيطرة، والوعى والوجود الاجتماعى وغيرها مـن المفاهيم، التى جاءت بصورة خيالية نسبياً وبعيدة عن واقـع المجتمـع الرأسمالى ونشأته ليس فقط فى المجتمعات الغربية ولكن فى المجتمعات الأسيوية علـى سبيل المثال. الأمر، الذى أدى إلى تعديل هذه النظرية من جانب الماركسية المحدثة والتى تبنت خطاً أيديولوجياً أقل حدة من التصورات الماركسية التقليدية، التى وضعها كـل من ماركس وانجلز وطبيقها لينين وستالين فى الاتحاد السوفيتى سابقاً.

عموماً، ان الماركسية كنظريـة سوسيولوجية أو كنظـام اجتمـاعى اشتراكى تركت بصماتها واضحـة المعـالم علـى الفكر البشـرى، الـذى لايمكن أن يتجاهلـه بمرور الوقت. ولاسيما، أن هذا الفكر دائماً فى حالة من التحديد والتعديل والتطويـر المستمر، وهـذا مـا سوف تكشـف عنـه طبيعـة الـتراث الاجتمـاعى البشـرى خـلال القرون القادمة، وخاصة أن حركة التاريخ مستمرة وتوضح لنـا كيف تطـور الفكر الانسانى عبر العصور التاريخية، إلى أن وصل إلى ما هو عليه فى العصر الحديث ليشمل الكثير من الاتجاهات والأفكار والايديولوجيات المتصارعة.

خامساً : المداخل النظرية الحديثة فى علم الاجتماع :

كشفت الانتقادات التى وجهت إلـى كـل مـن النظريـات البنائيـة الوظيفيـة والماركسية، عن طبيعة تحليلات أصحاب هذه النظريات التى ظهرت فــى فـترة من الفترات التاريخية التى تتسم بالايديولوجية المتصارعة ووجهـة نظرهـا إلـى طبيعـة المجتمـع الحديـث. وبـالطبع، ان معظـم هـذه الانتقـادات جـاءت مـن

الاتجاهات النظرية ذات الطابع المعتاد والمغاير للخط الفكرى الذى تقوم عليه، كما قدم كثير من أعضاء هذه النظريات انتقاداتهم المستمرة لنظرياتهم التقليدية. وهذا ما حدث بالفعل فى الربع الأخير من القرن الحالى نتيجة لمجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية التى حدثت فى العالم أو المجتمع الحديث، وأدت إلى تباين البناءات والنظم والوظائف التى كانت موجودة فى المجتمع الصناعى فى مطلع القرن العشرين.

على أية حال، لقد ظهرت مجموعة من المداخل أو المنظورات السوسيولوجية التى قد ترتبط من حيث النشأة بالاتجاهات النظرية السوسيولوجية التقليدية، ولكن جاءت فى صورة متغايرة تماماً عن خطها الفكرى والايديولوجى أو التصور العام الذى تحلل به المجتمع الحديث وتدرس مشكلاته وظواهره وقضاياه من رؤى مختلفة. ومن أهم هذه المداخل التى سوف نشير إليها بإيجاز؛

١ - المدخل النقدى Critical Approach :

ارتبط تطور المدخل النقدى ونشأته منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، ولاسيما بعد أن ظهرت مدرسة فرانكفورت Frankfurt School، لتحليل طبيعة النظريات السوسيولوجية التى ظهرت فى العالم الغربى وسواء فى الكتلة الشرقية أو الغربية. كما ظهرت آراء هذه المدرسة وذلك بعد أن خاب ظنها فى الأفكار البراقة التى طرحتها الماركسية خاصة بعد الخمسينات على الساحة العالمية والتى ركزت فيها لتخليص الطبقات العمالية والغلبية من السيطرة والتحكم من الطبقات الحاكمة أو المالكة الرأسمالية. ومن ثم جاءت، هذه الحركة أو المدرسة لتنفذ ما وصلت إليه الماركسية من آراء وتصورات حول طبيعة المجتمع الرأسمالى، وأيضاً تصورات البنائية الوظيفية وتصوراتها حول هذا المجتمع أيضاً.

ومن أبرز رواد هذه المدرسة النقدية كل من فرووم Fromm، وماركيوز Marcuse، وأدورنو Adorno، هابرماس Habermas[1]. وان كانت تصورات هذه المدرسة النقدية لم تنقد فقط تصورات الماركسية أو الماركسية المحدثة، ولكنها ركزت أيضاً على نقد البنائية الوظيفية والمدارس والمذاهب الفرعية التى تندرج تحتها. خاصة، وان معظم رواد هذه المدرسة هاجروا إلى أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، واستقر بهم المقام فى الولايات المتحدة، وسمحت لهم الظروف للعيش بصورة واقعية ودراسة المجتمع الرأسمالى عن قرب.

(١) أنظر، عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التربية، مرجع سابق، خاصة الفصل السابع.

من أهم القضايا النقدية التى كانت مصدراً للجدل بين كل من المدخل النقدى والنظريات السوسيولوجية الوظيفية أو الماركسية، تصورات الأخيرة حول الطبقات الاجتماعية، والانتاج وعلاقات العمل، والديموقراطية، والاغتراب، وحقيقة دولة الرفاهية والنشاط السياسى والتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية التى توجد فى كل من المجتمعات الاشتراكية السابقة أو أيضاً المجتمعات الرأسمالية الغربية. علاوة على دراستها إلى أفكار أخرى مثل اللامساواة، والتمييز العنصرى، ودولة المؤسسات والثقافة ككل.

كما لم تقتصر تصورات المدخل النقدى على مدرسة فرانكفوت وحدها، ولكن ظهرت أيضاً العديد من الكتابات النقدية السوسيولوجية التى ظهرت داخل المجتمع الرأسمالى الغربى ومنها تصورات كل من زايلين Zitlin والفن جولدنر[١] A. Gouldner، ولاسيما بعدما نشر مؤلفه الأخير، عن (الأزمة القادمة فى علم الاجتماع الغربى)، والذى ظهر مع البدايات الأولى من الربع الأخير من القرن العشرين. هذا بالاضافة إلى ظهور آراء أخرى اتخذت طابعاً نقدياً وتنتمى إلى فروع علم الاجتماع المتخصصة المختلفة.

٢ - مدخل الصراع البنائى Structure Conflict Approach :

يعكس تحليل التراث النظرى السوسيولوجى الحديث لعلم الاجتماع ولاسيما فى السنوات الأخيرة، وجود تنوع ملحوظ فى الاتجاهات النظرية التى ظهرت مع نهاية فترة القرن الحالى (العشرين) والتى تتباين مع الاتجاهات النظرية الكلاسيكية التى نشأت خلال النصف الأول من القرن الحالى ذاته. وكشفت تحليلات هذا التراث أيضاً، عن وجود نظريات سوسيولوجية متصارعة نتيجة للتباين والاختلاف الفكرى والايديولوجى الذى تنطلق منه وتبنى عليها تصوراتها وتحليلاتها عند دراسة قضايا المجتمع ومشكلاته المختلفة.

علاوة على ذلك، لم تعرف الأوساط الاكاديمية السوسيولوجية أو حتى فى العلوم الاجتماعية، أى نوع من التقارب الفكرى، ولاسيما بين أقطاب البنائية الوظيفية والتى تبنت الخط الرأسمالى، وبين الماركسية التى تبنت الخط الاشتراكى فى تفسيرها لواقع المجتمع الحديث. حيث دافعت كل منها عن تصوراتها بصورة شديدة ولايقبل النقد أو التعديل، نظراً لسيطرة الفكر الايديولوجى وامتداد جذوره فى عقول أصحاب هذه المدارس وانتماءاتهم الفكرية والثقافية والمجتمعية. ولكن

---

(١) Gouldner, A, Op. cit.

بالطبع، لقد تأثرت النظريات السوسيولوجية بالايديولوجية العالمية أو بالنظام العالمى، الذى تغير وتباين كثيراً خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين عن فترات ما بعد الحرب العالمية الثانية أو الحرب الباردة.

ومع انهيار الاتحاد السوفيتى (سابقاً) أو قبل ذلك بفترة. وبالتحديد خلال السبعينات، ظهر نوع من التقارب الفكرى والأيديولوجى بين تصورات الماركسية المحدثة والبنائية الوظيفية الجديدة، تلك الفترة التى يمكن أن نطلق عليها بفترة المهادنة الأكاديمية، والتى بالطبع تأثرت بالفكر الايديولوجى العالمى، ونتيجة لظهور الحركات الراديكالية واليسارية والماركسية المحدثة والليبرالية الجديدة، التى عملت على حدوث نوع من التقارب الفكرى أو التداخل بين الاهتمامات ومعالجة القضايا بصورة مشتركة. بايجاز، لقد سعى أنصار هذا المدخل (الصراع-البنائى) من أمثال كييف[1] Guff، وهيستر Hester، وإجلين Eglin من اعادة فهم ودراسة المجتمع الحديث على أساس فكر متقارب بين التصورات البنائية الوظيفية وتصورات الماركسية فى نفس الوقت.

٣ - مدخل الفعل الاجتماعى Social Action Approach :

يرتبط هذا المدخل بنظرية الفعل الاجتماعى التى تمتد جذورها عند ماكس فيبر M. Weber وتطورت عند أحد شراحه الأساسين وهو بارسونز Parsons. ولكن مع تطور المداخل النظرية السوسيولوجية ظهرت مجموعة من العلماء من أمثال بلومر Blomer، ودوجلاس Dougles، وجوربت Gorbutt، وويلسون Wilson وآخرون. الذين سعوا لأحياء التراث الفيبرى (نسبة إلى فيبر) مرة أخرى ولكن فى اطار جديد ومحدث. كما ظهر ذلك فى الكثير من تصورات العلماء واحياء بعض النظريات السوسيولوجية التقليدية مثل المماثلة البيولوجية عند هربرت سبنسر H. Spencer.

ويركز هذا المدخل بايجاز، على كيفية استخدام تصورات فيبر فى دراسة الأفعال الاجتماعية وسلوكيات الأفراد والأنشطة الاجتماعية، ونوعية النباءات والنظم الاجتماعية المختلفة، وتحليل مكونات العناصر الثقافية والتكنولوجية والبناء المعرفى بصورة عامة التى توجد فى المجتمع، ومحاولة دراستها بصورة واقعية. كما سعت أيضاً، كتابات واهتمامات أصحاب هذا المدخل بتبنى المدخل التاريخى المقارن فى دراسة الظواهر والمشكلات والقضايا الاجتماعية وهو نفس المدخل الذى استعان به فيبر فى طرح تصوراته عن نظرية الفعل الاجتماعى.

---

(١) للمزيد من التحليلات، أنظر

- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع القانونى، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، الفصل الرابع.

٤ - المدخل التفاعلى الرمزى Symbolic Interaction Approach :

تمتد جذور هذا المدخل من الناحية التطورية إلى اسهامات علماء النفس الاجتماعى ولاسيما رواد المدرسة النفسية الاجتماعية الأمريكية من أمثال، جورج ميد G. Mead وتشارلز كولى C. Cooly، وجورج هومانز G. Homans، والذين اسهموا في استخدام المدخل السلوكى فى دراسة الظواهر الاجتماعية والمشكلات والقضايا المجتمعية بصورة عامة(١). كما جاءت تصورات أصحاب المدخل التفاعلى الرمزى الحديث ليتبنى نفس الاتجاه العام لأفكار هؤلاء الرواد السيكولوجيين عند دراسة قضايا المجتمع، ولكن فى اطار جديد متغاير بصورة نسبية. وخاصة، ان العناصر الثقافية التى تتمثل فى تعقل الأشياء الخارجية وانماء الخبرات الانسانية وتحديث المعرفة البشرية، ونوعية السلوك البشرى، ومجموعة العواطف والانفعالات والدوافع والشعور واللاشعور وغيرها قد تطورت فى اطار جديد ومتغاير عن المجتمعات الصناعية التقليدية، أو المجتمعات الصناعية الرأسمالية والاشتراكية فى مراحل تطورها.

خاصة، بعد أن أفرزت مظاهر الحياة الاجتماعية الحديثة الكثير من المشكلات والمظاهر والنتائج المتعددة على كل من الفرد، والأسرة، والمجتمع المحلى، والقومى، والمجتمع العالمى أيضاً. فلقد تباينت البناءات الاجتماعية وشبكة العلاقات الاجتماعية، وتغيرت طبيعة سيكولوجية الأفراد وأنماط الشخصية، وتعدد المشكلات النفسية العصرية. كما تباينت أيضاً، واختلفت المؤثرات الفكرية والثقافية والأخلاقية والتربوية التى توجد فى المجتمع الحديث. الأمر، الذى جعل من الضرورى تبنى مداخل سوسيو-سيكولوجية متطورة فى دراسة مثل هذه التغيرات مع ضرورة تبنى نتائج الدراسة الميدانية التى تعزز من الاطار النظرى والتصورى لها.

٥ - المدخل الفينومينولوجى Phenomenology Approach :

خلال الربع الأخير من القرن العشرين تم استحداث كثير من الأفكار والتصورات الكلاسيكية النظرية فى علم الاجتماع، نتيجة لظهور تصورات أكثر واقعية وتهتم لتحديث آراء وأفكار النظريات التقليدية فى علم الاجتماع. وهذا، ما يوصف به المدخل الفينومينولوجى كأحد المداخل السوسيولوجية الحديثة، التى لاقت انتشاراً ملحوظاً خلال السنوات الأخيرة. ولاسيما، تركيز أصحاب هذا المدخل على دراسة نسق المعرفة وتحليل المعانى والأفكار والتصورات أو ما يعرف عموماً بالدراسة الظاهراتية Phenomonan. كما سعى أصحاب هذا المدخل إلى ضرورة

(١) أنظر المرجع التالى للمزيد من التحليلات :

- Bilton, T (etuals) Introductrory to Sociology, Op. cit, P. 734 - 735.

اختيار البدائل الجديدة فى دراسة السلوك البشرى ودراسة أنماط التفاعل ونوعية المواقف، وعمليات الشعور والادراك وذلك عن طريق الاعتماد على خبرات الأفراد وقدراتهم المعرفية وقدراتهم الحياتية وتصوراتهم وانطباعاتهم عموماً حول حقائق الأمور والظواهر الاجتماعية والمعرفية.

وبايجاز، يمكن تحديد المقصود بالمدخل الفينومينولوجى بأنه وسيلة لاستخلاص ما نلاحظه فى الواقع لفهم جوهر الأشياء وتحليلها وربطها بالصورة الذهنية والعقلية للأفراد بطريقة علمية مدروسة. وعموماً، لقد شكك أنصار هذا المدخل فى قدرات النظريات البنائية الوظيفية والماركسية وفى ادراكها حقيقة هذه التصورات أو الركائز التى يقوم عليها المدخل الفينومينولوجى ومن أبرز رواد هذا المدخل ميشيل يونج[1] M. Young عالم الاجتماع البريطانى وكتابات كرابل Karabel، وهالس Halsey، وجيرالد Gerald، ولاتون Lawton وغيرهم آخرون.

٦ - المدخل الاثنوميثودلوجى Ethnomomethodology Approach :

ترجع نشأة هذا المدخل إلى تصورات هارولد جارفنكل H. Garfinkel والتى نشرت فى كتابه بعنوان (بدراسات فى الاثنوميثودولوجيا Studies in Ethnomomethodology) ويقصد بهذا المفهوم، دراسة الطرق وأساليب الأفراد التى يستخدمونها فى فهم وتحليل الأشياء ومحاولة اعادة أختبارها ودراستها لاعادة بناء وتقديرهم لفهم الحياة الاجتماعية والمجتمع الذى يعيشون فيه. وكما ترجع جذور هذا المدخل إلى التصورات الفلسفية الفينومينولوجية والأفكار العامة التى وضعها المفكر الاجتماعى الفريد شويتز A. Schutz، ولهذا يتصور البعض من منظرى علم الاجتماع ان هذا المدخل ينطوى أو يتدرج بصورة أو بأخرى من المدخل السابق وهو المدخل الفينومينولوجى.

وعموماً، يهدف هذا المدخل لاعادة دراسة طرق وأساليب الأفراد الذين يقومون بتنفيذ أفعال وسلوكيات معينة ومحاولة إعادة انتاج هذه الأفعال والسلوكيات فى مواقف معينة يسهل دراستها وتحليلها مرة أخرى بواسطة الأفراد أنفسهم أو أفراد آخرين. وبايجاز، لقد نجح هذا المدخل فى إعادة دراسة وتحليل الكثير من سلوكيات الأفراد من أجل الاستفادة من طريقة تنفيذها والوسائل التى تم عن طريقها اختيار أفعال أو سلوكيات دون الأخرى[2]. ومع تطور محاولات علم

(١) أرجع إلى المصدر التالى للمزيد من التفاصيل :

- Young, M (ed.) Knowledge and Control, London: MacMillan, 1971.

(٢) أنظر المرجع التالى :

- Garfinkel, H, Studies in Ethnomethodology, London: Englewood, 1967.

الاجتماع، ولاسيما مجالات علم الاجتماع القانوني، ودراسة الانحراف والجريمة، والمشكلات النفسية، وكيفية كتابة التقارير العلمية بواسطة الخبراء والمتخصصين، زاد الاهتمام بهذا المدخل الذى يعيد اختبار ودراسة وتفسير وتعليل السلوك البشرى وفهم الجوانب الغير واضحة منها للأفراد أنفسهم أو للآخرين. وتعد دراسة زيدرمان Zimmerman على ممارسات استخدام الدور Practicalities of Rule Use من أهم الدراسات التى أجريت على العاملين فى مكاتب خدمات المواطنين بالولايات المتحدة. كما تم استخدامه فى دراسة المحاكم وتفسير عمليات ارتكاب الجرائم بواسطة المجرمين والتعرف على حالات الاشتباه وتفسير غموض الجرائم وغيرها.

خاتمة :

كشفت التحليلات السوسيولوجية لنظرية علم الاجتماع عن مدى تطور هذه النظرية، وتعدد معانيها وتعريفاتها بالنسبة لاهتمامات العلماء وتصوراتهم الفكرية حول القضايا التى تم معالجتها بالفعل من مثل هؤلاء العلماء. كما لاحظنا أيضاً، كيف ارتبطت النظرية السوسيولوجية بمجموعة من الخصائص والشروط والمكونات والوظائف العامة التى تكون عليها النظرية العلمية بصورة عامة. كما جاءت تصنيفات النظريات السوسيولوجية لتعكس لنا مشكلة أزلية فى تراث المعرفة الانسانية وعلومها المختلفة، سواء أكانت علوماً طبيعية أم علوم اجتماعية، وهى مشكلة تصنيف النظريات أو المعلومات التى يتم جمعها بواسطة العلماء، ولاسيما بعد زيادة التراث الكمى المعرفى لهذا العلم، وهذا ما ينطبق على علم الاجتماع ونظرياته المختلفة.

علاوة على ذلك، لقد ارتبط تطور النظريات السوسيولوجية بنشأة علم الاجتماع ذاته منذ أواخر القرن الثامن عشر، وخاصة بعد أن وضع أول افكاره ومعالمه اوجست كونت وامتد قرابة قرنين من الزمان حتى الوقت الحاضر. فلقد ظهرت نظريات متعددة ومتنوعة كما تفرعت المذاهب والمدارس التى تنتمى إلى هذه النظريات، كما أختفت نظريات وظهرت أخرى جديدة، ولتعكس لنا مدى طبيعة النظرية السوسيولوجية وخضوعها لتعديل والتطوير والتغير والاختيار ذاته، وهذا ما تتصف به عموماً النظرية السوسيولوجية العلمية.

ما من شك، لقد تنوعت النظريات السوسيولوجية خلال القرنين الماضيين، وجاء هذا التنوع لطبيعة الاتجاه الايديولوجى والنسق الذكرى والمعرفى الذى انطلقت منه هذه النظريات، وهذا ما ينطبق بالفعل على البنائية الوظيفية والماركسية

على سبيل المثال. إلا أن الفكر الايديولوجي فـى المجتمـع البشرى لـم يسـتمر علـى نمط واحد طول الوقت بقدر ما يحدث نوع من الصراع الفكرى، وأيضاً يحدث نوع من التقارب والالتقاء بين الأفكار الايديولوجية المتصارعة. وهذا مـا حـدث بالنسبة للنظريات السوسيولوجية، ولاسيما مداخلها الحديثـة التـى كشفت كثيراً عـن طبيعـة ومكونات النظرية السوسيولوجية فى الوقت الراهن. وهـذا هـو موضـع اهتمامـات علماء النظرية السوسيولوجية وبحثهم عن الأسباب التى تؤدى إلى زيادة خلـق نـوع من وجهات النظر المتقاربة، من أجل تعزيز أهداف علم الاجتماع، والتى تتمثل فـى دراسة المجتمع بصورة علمية مدروسة، والعمل على تطوير مناهج وطـرق البحـث المختلفة لهذا العلم، وهذا هو موضع اهتمامنا فى الفصل القادم.

الفصل الخامس
مناهج وطرق البحث فى علم الاجتماع

* مقدمة :

أولاً : تطور الاهتمام بالبحث الاجتماعى.

ثانيـاً : انواع البحوث الاجتماعى.

ثالثـاً: مناهج البحث الاجتماعى.

رابعـاً: طرق البحث الاجتماعى.

خامساً: أدوات جمع البيانات.

سادساً: خطوات البحث الاجتماعى.

* خاتمة

مقدمـــة :

منذ أن ظهر علم الاجتماع وتأسس خلال القرن التاسع عشر، وبدأ يهتم علماؤه بتكوين شرعية هذا العلم واكتسابه مكانته العلمية والاكاديمية بيـن العلـوم الإجتماعيـة والطبيعية الاخرى. ولا سيما، اهتمام الجامعات والمعاهد البحثيه العلميـة بطبيعـة هذا العلم الذى اعلن صراحة اهدافه نحـو دراسـة المجتمـع الحديث الذى نعيش فيه. وبـالطبع، لقد كرست جهود علماء الاجتماع على تحديد ماهيه هذا العلم وطبيعته وهويته الاكاديمية والمجتمعيه عموماً، ومعرفة طبيعة موضوعاته وقضاياه ومشكلاته التى يعالجها سواء بصورة نظرية أو عن طريق الدراسات الميدانية (الامبريقية).

من هذا المنطلق، سعى علماء الاجتماع نحو بلورة نظرياته باعتبارها الاطار التصورى والنسق الفكرى الذى يوجه ابحاث وجهود علماء الاجتماع، وتحديد القضايا والموضوعات والمجالات التى يهتم بها بصورة علمية، ولا سيما أن اهتمام علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية تبلورت فى البحث عن الحقائق العامة للمعرفة الإنسانية. إلا ان طبيعة النظرية السوسيولوجية وتحديد خصائصها العلمية من حيث الشروط والبناء والمكونات والوظائف لا يمكن ان تتبلور إلا عن طريق وجود مجموعة من المناهج أو الأدوات المنهجية Methodological Procedures التى عن طريقها يمكن اختبار النظريات السوسيولوجية أو فروضها أو تصوراتها العامة التى تقوم عليها.

ومن ثم، اصبح علماء الاجتماع يهتمون ببلورة مناهجه التى يستخدمونها فى دراسة الموضوعات والقضايا والمشكلات والظواهر المجتمعية ككل، ولا سيما، ان المنهج يعتبر الطريقة التى يوجه بها البحث نحو تحقيق اهدافه التى تسعى لها، ولذا، لقد تعددت انواع المناهج التى يستخدمها علماء الاجتماع في إجراء بحوثهم ودراساتهم المتنوعة. خاصة، وان طبيعية البحوث الأجتماعية هى ايضاً متنوعة ومتعددة، كما تختلف هذه البحوث من حيث المناهج وطرق وادوات جمع البيانات التى يستخدمها علماء الاجتماع عند اجرائهم البحوث الميدانية أو النظرية فى نفس الوقت.

على اية حال، ان تحليل التراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع يعكس لنا مدى اهتمام علمائه بكل من نظرياته ومناهجه وادوات جمع البيانات التى يسعى لجمعها لدراسة طبيعة الظواهر والمشكلات الاجتماعية المعقدة. وهذا ما جعل علم الاجتماع يأخذ مكانة علمية مميزة بين العلوم الاجتماعية والطبيعية فى نفس الوقت. كما ادى اثراء كل من النظريات السوسيولوجية والمناهج العلمية التى يستخدمها علم الاجتماع من تمكين علمائه والمتخصصين فيه من دراسة العديد من المجالات والموضوعات والقضايا التى قد تصعب كثيراً دراستها على عدد من العلوم

الاجتماعية الأخرى. علاوة على ذلك، ان تطور مناهج علم الاجتماع وطرق ابحاثه وانواعها المختلفة، سهلت له كثيراً من زيادة فروعه المتخصصه وتداخله بين التخصصات والفروع المختلفة للعلوم الطبيعية والاجتماعية فى نفس الوقت. وهذا ما كشفت عنه سابقا، عند تحديده للعلاقة بين علم الاجتماع والطب، والهندسة، والطبيعة، والبيولوجيا علاوة على العديد من العلوم الاجتماعية الاخرى.

وهكذا، يتركز اهتمامنا الحالى لاعطاء صورة مبسطة للقارئ المبتدئ فى علم الاجتماع، ان يتعرف بصورة موجزة ايضاً، اولا، على طبيعة تطور الاهتمام بالبحث الاجتماعى منذ ان نشأ علم الاجتماع حتى الوقت الراهن، وتحليل الاسباب التى ادت إلى هذا التطور وتحقيق المكانه العلمية لعلم الاجتماع وقيمته العملية فى دراسة قضايا المجتمع ومشكلاته. وثانياً نحاول ان تحدد انواع البحوث الاجتماعية وكيفية تصنيفها وتحديد انماطها كما يحددها بالفعل علماء المناهج فى علم الاجتماع؛ ونهتم ايضاً بدراسة حجم مناهج البحث الاجتماعى المستخدمة فى إجراء ابحاثه الميدانية والنظرية. ثم نركز للتعرف على اهم طرق البحث وأدوات جمع البيانات التى يستخدمها الباحثين فى علم الاجتماع. وأخيرا، نحدد أهم الخطوات المنهجية العامة التى يجب ان يتبعها الباحثين عند اجراء بحوثهم ودراساتهم السوسيولوجية.

أولاً: تطور الاهتمام بالبحث الاجتماعى :

١- تطور البحث الاجتماعى قبل القرن التاسع عشر:

يوضح تحليل تراث الفكر الاجتماعى أن طبيعة العقل البشرى دائماً يسعى للبحث عن الحقيقه وادراك الاشياء والظواهر التى تحيط به. كما ظلت المعرفة الانسانية مبعثاً قوياً لسعى الانسان واكتسابه المزيد منها بصورة مستمرة، ولهذا استطاعت المجتمعات البشرية القديمة تقيم لها حضارات عريقة ظلت حتى يومنا هذا، بفضل سعيها للبحث عن المعرفة بمختلف أنواعها. ولعل ما تركته هذه الحضارات من تسجيل معالم حضارتها خير دليل على ادركنا فى الوقت الحاضر إلى أى حد انشغل الفكر الانسانى منذ القدم فى دراسته وتعرفه على البيئة الاجتماعية والطبيعية التى يعيش فيها.

ويحدثنا فى هذا الصدد المؤرخ الاجتماعى (هيرودت)(١) عندما اشار إلى حدوث أول مسح اجتماعى فى مصر الفرعونية منذ اكثر ما يقرب من خمسة آلاف سنه، وشمل هذا المسح أنشطة الأنسان المختلفة والتى تمثلت فى طريقة الحياة الاقتصادية والانماط الثقافية وطبيعة العادات والتقاليد. ونوعية المعتقدات الدينية

---

(١) زيدان عبد الباقى، قواعد البحث الاجتماعى، القاهرة، مطبعة السعادة ١٩٨٠، ص ٣١.

وطبيعة الحروب وانواعها والثورات، علاوة على عدد السكان. ويكشف هذا المسح نوعية التسجيل التاريخى الاجتماعى الذى استطاع المصريون القدماء أن يتركوا معالمهم على جدران معابدهم ومسجلاتهم المختلفه.

كما يعكس لنا دراسة التاريخ الاغريقى القديم اهتمام مفكريه وفلاسفته من أمثال سقراط، وارسطو وافلاطون وهيراقليطس وغيرهم فى بحثهم المستمر حول دراسة وتحليل الاشياء ومحاولة تفسيرها بصورة علميه، مستخدمين فى ذلك كافة الوسائل العلمية مثل العقل والمنطق، والبحث عموما ليس فقط حول ما يحيطهم من ظواهر طبيعية وكونية وبيولوجية، ولكن ايضاً تحليلهم فيما وراء الطبيعة ذاتها، ومحاولتهم المستمرة لاكتشافهم البيئة الاجتماعية والذاتيه للإنسان. ولذا اهتموا بدراسة واقع الاشياء، ونوعية تحليل الذات البشرية، ومعرفة الانسانية واستخدام العقل والمنطق وتحليل مقرراتها ومعانيها المختلفة إلى حد دراستهم للمثل والاخلاق والقيم والدين والفنون والتراث البشرعى عموماً.

وتجئ تحليلات ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦م)، لتبرز مدى اهتمام هذا المفكر العربى بالبحث الاجتماعى، وهذا ما يلاحظه القارئ عندما يحلل مقدمته ويستنتج منها رؤيته لمعالجة ودراسة الظواهر الاجتماعية. ولقد استطاع ابن خلدون ان يسجل التاريخ الاجتماعى وطبيعة الحياة الاجتماعية والعمرانية للمجتمع العربى فى فترة ندرت فيها تماماً دراسة هذا المجتمع[1]. كما تجئ اهمية اسهامات ابن خلدون فى البحث الاجتماعى من خلال انتقاده لطرق البحث التى تبناها المفكرين والعلماء السابقين عليه، والتى لم تبرز على حد تحليلاته طبيعة التغيرات التى حدثت على البحث الاجتماعى أو دراستها للظواهر والحوادث الاجتماعية.

ومن هذا المنطلق، نجد ان ابن خلدون حدد ماهية علم العمران البشرى، وجعل دراسة هذا المجتمع، واعتباره علماً مستقلاً. كما تعد رؤيتهة المنهجية للبحث الاجتماعى من خلال تركيزه مثلاً على ضرورة تمحيص الاخبار وتصحيح الوقائع التاريخية، وتصوره الطريقة المثلى لتحقيق ذلك هو اهتمام الباحث والمؤرخ والماحه باحوال المجتمع ليستطيع اصدار احكامه على الوقائع الاجتماعيه. كما يجب على الباحث وان يكون ملماً بدراسة شئون العمران المختلفة. ومن ثم، نلاحظ مدى سبق التاريخ لابن خلدون على علماء الغرب بما فيهم (فرنسيس بيكون) وقواعده المنطقية فى الكشف عن الحقائق.

وبعد قرابة أكثر من ثلاثة قرون من الزمان على تحليلات ابن خلدون جاءت كتابات بيكون Bacon لتسهم فى وضع جذور البحث الاجتماعى، ومحاولته لوضع

(١) أنظر، ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق.

اسس المنهج الاستقرائى بصورة علمية وثيقه، والتى استخدمها فى دراستة للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التى عاصرها بيكون بصورة واقعية كما كان لتطور العوامل الاقتصادية، ولا سيما نمو الحركة التجارية من استخدام الاحصاء. واصبح مجال البحث الاحصائى من المجالات الهامة التى ادت إلى تطور الدراسات الديموجرافية بعد ذلك ولا سيما ظهور نظرية مالتوس عن السكان فى بريطانيا. وخلال هذه الفترة ايضاً، استطاع هوادر (١٧٢٦ - ١٧٩٠) ليبدأ اول محاولة علمية وموضوعية لاجراء مسح اجتماعى عن حالة السجون فى كل من بريطانيا وويلز.

(١)

٢- البحث الاجتماعي خلال القرن التاسع عشر:

* فى بريطانيا :

تطور البحث الاجتماعى بصورة سريعة مع نشأة علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية النظرى، خاصة بعد أن اهتمت الاوساط البريطانية بالبحوث الاحصائية منذ عام ١٨٠١، التى تركزت حول المسوح السكانية، وجاء تعداد ١٨٣٠ كأول تعداد سكانى منظم ويضم العديد من البيانات الديموجرافية الأخرى. ثم تحولت البحوث الاجتماعية إلى القطاع الريفى وذلك فى اعقاب الثورة الزراعية، واجرت أرثر يونج Ayoung العديد من هذه البحوث دلتهم ايضاً بالعادات والتقاليد والثقافات الشعبية والتى تهدف عموماً إلى تطوير هذه المناطق.

وتطور علم الاحصاء بعد ذلك على ايدى جون سينكلار J. Sinclaire الذى أدخل الأساليب الكمية واجرى تعداد لاسكتلندا. واستغرق سبع سنوات ونشره فى اكثر من ٢١ مجلداً حول (دراسة احصائيه لاسكتلندا) وصمم استمارة للبحث Questionaire، لتتناول البيانات الاساسية ودراسة حالات الانتحار والقتل، ومعدلات الجريمة عموماً والبطاله ونوعية العاملة الموجودة، والانتاج الزراعى، والملكية، والاجور، والدخل وغيرها.

كما كانت لجهود مجموعة من الباحثين الاجتماعيين الذين اسهموا فيما يعرف ببحوث الاصلاح الاجتماعى Social Reform، التى ظهرت فى انجلترا فى العقود الاولى من القرن التاسع عشر، من اثراء حركة البحث الاجتماعى من أمثال هوارد J. Howard، وايدن E.Eden وشاوقك E. Chadwick وكاى شاتلورث K. Shuttleworth، الذين اهتموا بدراسة واجراء العديد على السجون البريطانية، ومشكلة التضخم، واحوال الفقر، والفقراء، ومجال الصحة العامة، ودراسة الاحوال

---

(١) محمد على محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمى، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦، ص ٣٤ - ٣٢.

الاقتصادية والاخلاقية للطبقة العاملة ولا سيما فى المناطق الصناعية من منطقه مانشستر وذلك عام ١٨٣٢.

ومع بداية عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر، تأسست مجموعة من الجمعيات الاحصائية التى اهتمت بالإصلاح الاجتماعى، والتى ظهرت فى لندن ومانشستر مثل الصحيفة البريطانية لتقدم العلوم، والتى تأسست عام ١٨٣٣ على ايدى كل من باباج Babbage، ومالتوس Malthus، وكوتيلية Quetelet، والتى ركزت على اجراء العديد من البحوث والدراسات الاجتماعية، واستخدام الاساليب الكمية لحل المشكلات الاجتماعية. ومن ابرز الدراسات الاجتماعية ما يعرف بمسوح الفقر التى اجراها تشارلز بوث C. Booth والتى جمعت بين اهتمامات الباحثين الاجتماعيين والاقتصاديين والانثربولوجية.

* **فى فرنسا:**

تطورت حركة البحث الاجتماعى خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ولاسيما بعد تأسيس الاكاديمية الفرنسية للعلوم والتى اهتمت بتطوير ميادين البحث الاجتماعى وذلك عن طريق استخدام البيانات الاحصائية الكمية مثل اهتمام لابلاس La place، عن معدلات المواليد والوفيات والزواج. كما ركزت اهتمامات هذه الاكاديمية على الاستعانه بالباحثين الاجتماعيين لاجراء الدراسات الفنية والواقعية فى مجال الصحة وتنظيم المستشفيات، والتى استقرت اكثر من اربعة سنوات، واستندت إلى دراسة الحقائق، واستمارات البحث، والملاحظات المباشرة.

وجاء تأسيس المعهد القومى للعلوم والفنون عام ١٧٩٥ ليهتم بنوع آخر من البحوث الاجتماعية مثل البحوث السياسية والايديولوجية، وتشجيع مجال البحث عموماً فى المجال الاثنوجرافى الذى يهتم بدراسة العلاقة بين اللغة، والرموز، والعوامل الاخلاقية والطبيعية. ويعد (فالنى) Volney، من ابرز من قاموا بهذا النوع من الدراسات ومن ابرز دراسته الدراسة الوصفية التى قام بها ونشرها بعنوان رحلة فى مصر وسوريا Voyage en Egypte et en syrie.

ومع بداية القرن التاسع عشر وفى عام ١٨٠١م تأسست الاحصاءات الجمهورية فى فرنسا وزادت حركة نشر دوريات احصائية عن الدراسات التى قامت باجرائها مثل دراسة شابتال Chaptol، التى اهتمت بدراسة احوال المواطنين الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية، عموماً كما اجرى اول تعداد عن السكان فى شرت ١٨٠١. كما احدثت ثورة يوليو عام ١٨٣٠ من دفع عملية البحث الاجتماعى

فى فرنسا وشخصية الباحثين على إجراء دراسات اجتماعية متعددة ومن أهم هذه الدراسات على سبيل المثال(١):

١ - دراسة جيرى Guerry عن الاحصاءات الأخلاقية عام ١٨٣٣.
٢ - دراسة بانت شاتيلة P. Duchatelet عن البغاء عام ١٨٣٤.
٣ - دراسة فيلرميه Villerme عن عمال النسيج عام ١٨٣٧.
٤ - بحوث المركز القومى الفرنسى عن العمل الصناعى والزراعى عام ١٨٤٨.
٥ - دراسات فريدرك لوبلاى ١٨٦٠ - ١٩٤٠.

* **فى المانيا:**

شهدت المانيا خلال القرن التاسع عشر حركة بحثية نشطة نتيجة لقيام مجموعة من الباحثين الأكاديميين فى المعاهد والجامعات الالمانية بدراسة العديد من المشكلات الاجتماعية الواقعية. وتأثرت هذه الحركة بأعمال العلماء الفرنسيين والبريطانيين من أمثال كوتيليه Quetelet، وارنست انجل E. Engel، ولاسيما فى المجال الاحصائى وتحليل البيانات الكمية فى مجالات الجريمة، والانتحار، والاسرة، والزواج، والمهن، والحراك الاجتماعى، والانتخابات، والتعليم العالى، والصفوات العسكرية والسياسية.

وتعد دراسات عالم الاجتماع الالمانى فرديناند تونيز F. Tönnies، من أهم العلماء الذين أسهموا فى وجود علم اجتماع امبريقى، وذلك من خلال فكرته حول ما أطلق عليه اسم السوسيوجرافيا Sociography، الذى اهتم فيها باستخدام كل من المناهج وطرق البحث السوسيولوجية والاحصائية الديموجرافية فى نفس الوقت.

كما ظهرت دراسات مستفيضة حول المشاكل الواقعية ولاسيما مشكلات القطاع الريفى، الصناعى مثل دراسات كل من أدولف ليفينشين A. Levenstien فى الفترة من (١٩٠٧ - ١٩١١) وتعد من الدراسات التى اهتمت بدراسة المشكلات الواقعية فى هذا المجال. وبالطبع، لا أحد ينكر جهود عالم الاجتماع الالمانى ماكس فيبر M. Weber وتأسيسه لمؤسسة السياسة الاجتماعية Social Policy Organization، والتى جاءت بتكليف من الحكومة الالمانية لاجراء بحوث متعددة ومن أهم هذه الدراسات التى أشرف عليها ماكس فيبر واستخدم فيها جميع المناهج السوسيولوجية وأدوات طرق جميع البيانات المختلفة. والتى اطلقت على هذه الدراسات (الجانب غير الرسمى "الميدانى") فى دراسات ماكس فيبر ومن أمثلة

(١) للمزيد من التفاصيل حول هذه الدراسات: انظر، المرجع السابق ص ٣٠ - ٣٢.

هذه الدراسات[1]:

١ - دراسة مشكلة العمال الصناعيين.
٢ - دراسة ظاهرة تقييم الانتاج.
٣ - دراسة مشكلة العمل والعمال الزراعيين.
٤ - دراسة مشكلة تبادل السلع واقتنائها.

٣ - تطور حركة البحث الاجتماعى خلال القرن العشرين :

فى الواقع، من الصعوبة أن نحصى جميع البحوث الاجتماعية التى ظهرت خلال القرن الحالى فى سطور بسيطة حالياً، بقدر ما نشير إلى طريقة التطور الذى حدث فى مجال حركة البحث الاجتماعى ومحاولة تصنيفها حتى يسهل للقارئ التعرف على هذا المجال الهام من مجالات واهتمامات علماء الاجتماع. كما لاحظنا، ان جزءاً من البحوث التى اجريت فى القرن العشرين قد اشرنا إليها خلال القرن التاسع عشر وتحت اطار موطن هذه الدراسات.

مع بداية القرن العشرين، تطورت حركة البحث العلمى فى جميع الدول الأوربية وأيضاً فى الولايات المتحدة الامريكية نتيجة لاسهامات وجهود عدد من العلماء الاجتماعيين من أمثال دوركايم وتحليلاته على الانتحار Suicide والتى نشرت فى أوائل القرن الحالى. بالاضافة إلى تطور البحث الاجتماعى عن طريق اجراء التجارب الاجتماعية، وتطوير النماذج Models والنظريات السوسيولوجية Sociological Theories، وأيضاً المناهج Methods التى عززت من الدراسات والتجارب الاجتماعية. ويمثل هذا النوع من الدراسات، الدراسات التى اجراها علماء النفس الاجتماعى والصناعى والتى ظهرت فى الولايات المتحدة واجريت على العديد من الشركات الصناعية مثل تجارب هاوثرون ويسترن اليكتريك، وظهور مدارس سوسيولوجية متخصصة مثل مدرسة العلاقات الانسانية Human Relationships وحركة الادارة العلمية عند فريدريك تايلور F. Tyloyer فى مجال القطاع الصناعى والانتاج عموماً.

كما ظهرت الجمعيات العلمية الاجتماعية التى ظهرت فى كل من بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، والولايات المتحدة، وألمانيا لتعزز عمليات البحث الاجتماعى واجراء المسوح الاجتماعية مثل دراسات وادر، وجيدنجر، وتوماس، وسيمل،

---

(١) يجد القارئ عرضاً مفصلاً لهذه الدراسات فى المرجع التالى :

- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التنظيم، مرجع سابق، الفصل السادس.

وهندرسون، وباريتو، وميشيلز وغيرهم من الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما نشطت حركة البحث فى القطاعات الحضرية والريفية مثل دراسات روبرت بارك R. Park، وبيرجس Burgess وغيرهم آخرون من الذين ينتمون إلى المدارس السوسيولوجية الامريكية مثل مدرسة شيكاغو لتهتم بدراسة مشاكل الحياة الحضرية وأساليب المعيشة والفقر، والبطالة، والجريمة.

علاوة على ذلك، تطور الاهتمام بالمناهج السوسيولوجية التى عززت كيفية اختيار اساليب البحث الاجتماعى والقياس السوسيومترى ولتعالج المشاكل على مستوى الوحدات أو المجتمع ككل أو المشكلات الصغيرة.

عموماً، يعكس النصف الثانى من القرن العشرين ثورة علمية فى مجال البحث الاجتماعى، والتى تولى أمرها مجموعة من رواد علم الاجتماع الامريكى من أمثال بارسونز، وميرتون، وسملسر أو فى بريطانيا من أمثال بوتومور وجيدنجز، ويونج، وفى فرنسا من أمثال بوردو هذا بالاضافة إلى تطور البحث العلمى فى العديد من الدول الاوربية والكتلة الاشتراكية سابقاً. علاوة على ذلك، كان لظهور الجامعات والمعاهد الاكاديمية والبحثية فى دول العالم النامى بدون استثناء من أهمية خاصة لتعزيز البحث الاجتماعى لدراسة مشكلات هذه المجتمعات النامية، ولتسهم فى تطوير حركة البحث الاجتماعى مستخدمة أفضل أساليب البحث العلمية، ولاسيما بعد تطبيق انجازات الحاسبات وتطوير نظم البحث الاجتماعى والاحصائى عامة.

ثانياً : أنواع البحوث الاجتماعية :

تعددت أنوع البحوث الاجتماعية مع تطور علم الاجتماع ونظرياته ومناهجه وطرق وأدوات جمع بياناته بصورة عامة. كما جاء هذا التعدد نتيجة لتنوع مجالات وميادين وموضوعات وقضايا علم الاجتماع، التى يهتم بها خلال السنوات الأخيرة. وان كان هذا التنوع ظهر بصورة ملحوظة مع البدايات الأولى من القرن العشرين ولكنه إزداد بصورة مطردة نتيجة لتعدد الخبرات والتخصصات العلمية والاكاديمية وفروع علم الاجتماع ككل.

كما جاءت عملية تنوع أنواع البحوث الاجتماعية نتيجة لحرص علماء الاجتماع والمتخصصين فى مجالاته وفروعه المختلفة وسعيهم المستمر، لضرورة الاستفادة من الخبرات والجهود العلمية الأخرى التى يبذلها كل من علماء العلوم الطبيعية والاجتماعية فى نفس الوقت. ويعكس هذا تحليل التراث السوسيولوجى لتطور علم الاجتماع والحركة البحثية فى مجالاته المختلفة. مدى حرص رواده الأوائل على ضرورة الاستعانة بعلوم

الفيزياء مثل اهتمامات اوجست كونت A. Comte أو استخدامات هربرت سبنسر H. Spencer بعلم البيولوجيا واستعارته للمماثلة البيولوجية على وجه الخصوص. أو كتابات فيبر M. Weber عالم الأجتماع الالمانى عند تركيزه على أهمية استخدام التحليل السوسيولوجى التاريخى المقارن فى دراسته لكثير من الظاهر والأحداث والقضايا الاجتماعية التى اهتم بمعالجتها ككل أو تحليلات باريتو V. Pareto عالم الاجتماع الايطالى لكل من علم النفس أو الرياضيات على سبيل المثال وغير ذلك من التحليلات التى سعت للاستفادة من خبرات العلوم الطبيعية والاجتماعية ومحاولتها لاثراء تراث علم الاجتماع وتطوره بصورة مستمرة.

على أية حال، نحاول حالياً أن نقوم بعملية تصنيف أنوع البحوث الاجتماعية، حتى نعطى للقارئ تصوراً مبسطاً لأهم هذه الأنواع، ولماذا تم تحديدها من جانب علماء مناهج علم الاجتماع ومنظرية السوسيولوجيين بصورة عامة، ومن أهم هذه الأنوع (البحوث الاجتماعية) ما يلى :

١ - البحوث الكشفية Exploratory Research :

يؤكد هذا النوع من البحوث والتى تعرف أحياناً بالبحوث الاستطلاعية، على التعرف على دراسة ظاهرة أو مشكلة محددة بغرض اكتشاف حقائق أو أفكار جيدة تساعد الباحثين على تحديد أبعاد مشكلة البحث بصورة دقيقة. كما تهدف هذه البحوث لوضع أو طرح بعض الفروض العلمية أو التساؤلات التى تدول حولها فكرة البحث الأساسية بغرض اختبارها أو دراستها بصورة تحليلية.

ومن ثم، يهدف هذا النوع من البحوث أو الدراسات للاجابة على التساؤلات أو الفروض المسبقة التى يطرحها الباحث ويجعلها موضع القيد والدراسة والبحث والتجربة بواسطة البحوث اللاحقة أو التالية لها. وعلى أية حال، يمكن أن نحدد أهداف هذا النوع من البحوث كما يلى[1]:

١ - صياغة المشكلة المراد بحثها بصورة دقيقة.
٢ - تحديد فروض البحث.
٣ - توضيح المفاهيم.
٤ - زيادة تعرف الباحث على موقف البحث أو الظاهرة المراد دراستها.

---

(١) غريب سيد أحمد وآخرون، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٥٦.
وللمزيد من التحليلات، أرجع إلى :
- جمال زكى والسيد يسن، أسس البحث الاجتماعى، القاهرة، دار الفكر، ١٩٦٢، ص ٥٦.

٥ - توضيح القضايا المفروضة للبحث مسبقاً.
٦ - جمع البيانات والمعلومات المرتبطة بدراسة المشكلة.
٧ - وضع قائمة بالمشكلات التى يحددها الباحثين والمرتبطة بميدان البحث.

وبصفة عامة، يعتمد هذا النوع من البحوث على مراجعة نتائج الدراسات والبحوث التى اجريت قبل ذلك وترتبط سواء بمجتمع الدراسة أو القضية نفسها أو الظاهرة ذاتها، حتى يوفر ذلك الكثير من المعلومات والجهد المبذول حول البحث ذاته، كما يسهم ذلك فى تنويع الفروض والتساؤلات التى يطرحها الباحث للاجابة عليها والتى توجه البحث ومتطلباته. كما يلزم هذا النوع من البحوث المزيد من المعلومات والبيانات المسبقة مثل اجراء البحث بهدف التعمق والوصول إلى نتائج ملموسة دقيقة.

٢ - البحوث الوصفية Descriptive Researches :

يمكن تمييز هذا النوع من البحوث أو الدراسات بأنها تشمل دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بظاهرة أو موقف أو عدد من الأفراد أو مجموعة من الأحداث أو الأوضاع أو المواقف الاجتماعية كما أن هذا النوع من الدراسات لايستلزم وجود فرض أو تساؤل مسبق يرتبط بتوقع حدوث الظواهر أو تحديد أسباب تكرارها فى الواقع. ومن ثم، تحدد مهام الباحثين فى وصف الواقع بدون فرض مسبق، وان كانت تثار فى أذهان الباحثين أفكار أو مشكلة معينة يراد الاجابة عليها، ولكن تنحصر مهمتهم فى وصف وتدوين البيانات التى يحصلون عليها فى الواقع أو فى السجلات والوثائق، أو عن طريق الاخباريون من كبار السن مثلاً.

وبالرغم من عدم اشتراط هذا النوع من البحوث أو الدراسات وجود فروض علمية محددة يطرحها الباحثين قبل اجراء بحوثهم من البحوث الأخرى. ولكن تتحدد الدراسات الوصفية، عما إذا كانت الظاهرة المدروسة تتكرر بصورة معينة أو تحدث نتيجة لوجود عامل أو مجموعة من العوامل المحددة. وعموماً توصف هذا النوع من الدراسات بأنها تكون دراسات شاملة ومستفيضة ويستلزم ذلك من الباحثين الدقة فى جمع ووصف الأشياء والحقائق. علاوة على ضرورة توافر خطة أو تصميم بحثى، حتى يقلل من الأخطاء الذاتية وعدم الموضوعية ولاسيما فى مرحلة جمع البيانات وتدوينها.

كما لا تقتصر أهداف هذه البحوث فى وصف الواقع أو تدوين البيانات والمعلومات التى يهدف البحث جمعها والمرتبطة بمشكلة البحث أو الظاهرة المدروسة. خاصة وأن طبيعة أهداف البحوث العلمية تلزم الباحثين أن يجعل البيانات والمعلومات ويرتبها بصورة دقيقة، ثم أيضاً يتعرف على أسباب حدوثها

ووجودها، وعلى الأقل أن يحاول الباحث أن يناقش ويفسر ويعلل طبيعة أنوع المعرفة والحقائق، وهذا بالطبع يستلزم من الباحث خبرة جيدة في مجال البحوث، والالمام التام بمجتمع الدراسة أو الظاهرة أو المشكلة سواء عن طريق الخبرة، أو التدريب الجيد، أو جمع البيانات المستفيضة، أو القدرة على التفسير العلمى لها.

وفى هذا الصدد، يؤكد بعض علماء البحوث الاجتماعية من أمثال ريتشارد ستيفن Richer Steven وزملاؤه، أن طبيعة البحوث الوصفية يتم اجراؤها فى الغالب على مرحلتين وهما[1]:

١ - مرحلة الاستكشاف أو الصياغة Explorative and Formulative Stage.
٢ - مرحلة التشخيص والوصف المتعمق Diagnostic and Intensive Stage.

ويرتبط كل من المرحلتين بالأخرى، خاصة وأن البحوث العلمية ومنها البحوث الوصفية تسعى لدراسة مشكلة معينة دراسة دقيقة، وتهدف إلى تحقيق أهداف وغايات محددة، ومن أهم هذه الأهداف، تفسير البيانات وتشخيصها ووصفها بصورة متعمقة وليس بصورة سطحية وسريعة. كما يوجد شرطان أساسيان لابد وأن يتوافرا فى هذا النوع من البحوث وهما:

١ - العمل على التقليل من احتمال التحيز فى وصف البيانات أو تقويمها.
٢ - اقتصاد الجهد المبذول للباحثين مع امكانية الحصول على أكبر قدر من البيانات أو تسجيل النتائج.

٣ - البحوث التشخيصية Diagnostic Researches :

فى بعض الأحيان يطلق على هذا النوع من الدراسات أو البحوث التى تختبر الفروض السببية، نظراً لأنها تتناول دراسة الأسباب المختلفة والمؤدية لحدوث الظاهرة أو المشكلة أو تكرارها. ولذا، يطلق عليها بالبحوث التى تهتم بدراسة العوامل العلّية أو السببية، كما أن حدوث هذه الظواهر أو المشكلات قد لا ترجع إلى وجود عامل سببى واحد، يكون سبباً فى حدوثها، ولكن قد تشترك مجموعة من العوامل المكونة أو المسببة لحدوثها فى الواقع. وهذا ما يفسر غالباً طبيعة حدوث

(١) أعتمدنا على هذا المرجع من المصدر التالى :
- محمد على محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمى، مرجع سابق، ص ١٨٩ - ١٩٠.
ويمكن الرجوع إلى المرجع ذاته للمزيد من التفاصيل :
- Foroese, D & S. Richer, Social Research Method: N. J, Prentisce Hell, 1973.

الظواهر والمشكلات الاجتماعية والتى قد ترجع حدوثها إلى أكثر من عامل واحد بالمقارنة بالظواهر الطبيعية الأخرى.

فحدوث مشكلة الزيادة السكانية فى دول العالم الثالث، لا يمكن رجوعها أو حدوثها نتيجة للعوامل الاقتصادية، أو السياسية، أو الاجتماعية، أو الثقافية. ولكن تفسر نتيجة لمجموعة هذه العوامل مشتركة وإلى طبيعة المجتمع ذاته، وإلى الفترة التاريخية نفسها. هذا بخلاف حدوث تمدد الحديد أو المعادن بالحرارة أو انكماشها، فالسبب هنا أحادى، أو سبب واحد فقط يؤدى إلى حدوث هذه الظاهرة فى كل زمان ومكان دون أى تعديل أو تغيير.

ومع تقدم البحوث الاجتماعية، تم الاستعانة بالملاحظة والتجربة واخضاع الكثير من دراسة الظواهر أو المشكلات الاجتماعية المراد بحثها قيد البحث والتجربة العملية. هذا عندما يسعى مثلاً الباحث الاجتماعى التعرف على أسباب قلة الانتاج فى أحد المصانع، نتيجة لحدوث الضوضاء أو قلة الاضاءة أو التهوية؟ يستطيع الباحث أن يجرى العديد من التجارب لاختبار العلاقة السببية بين قلة الانتاج وأحد هذه العوامل أو الأسباب من الظروف الفيزيقية للعمل (الضوضاء، التهوية، الاضاءة وغيرها). أو أن يقارن ذلك عندما يجرى تجاربه الميدانية على مصانع أخرى تتوافر فيها الظروف الفيزيقية المناسبة وبالطبع سوف يؤدى ذلك إلى زيادة الانتاجية مع توافر مقومات وعناصر العمل والانتاج الأخرى.

٤ - البحوث التقويمية Evaluation Researches :

مع تطور علم الاجتماع واتساع نطاق دائرته البحثية ظهر هذا النوع من البحوث ليضيف أبعادا جديدة على مجريات الحركة البحثية في العلوم الاجتماعية كافة وعلم الاجتماع على وجه الخصوص. ويمكن الاشارة أولاً إلى ' مصطلح التقويم Evaluation ' للاشارة لهدف محدد أو عملية من نوع خاص. أما الهدف، فهو تقرير الجدوى أو القيمة الاجتماعية لنشاط أو برنامج معين. أما العملية، فهى قياس الدرجة التى يحقق عندها هذا النشاط أو البرنامج أو الفعل المنسوبة إليه، أو المتوقع منه تحقيقها. وهذا، فان المنهج التقويمى من الناحيتين التصورية والمنهجية يتألف من شكلين متكاملين هما: تحديد القيمة أو الجدوى الاجتماعية، وقياس مدى تحقيقها(١).

كما قد ظهرت تعريفات متعددة للتقويم، منها على سبيل المثال تعريف رايكن Riecken بأنه (قياس النتائج المرغوبة وغير المرغوبة لبرنامج معين نفذ لتحقيق هدف نعتبره أنه ذات قيمة خاصة). كما يصف هايمان Hymann أن التقويم "يشير إلى

(١) نفس المرجع السابق، ص ٣١٢.

إجراءات اكتشاف الوقائع المتعلقة بنتائج العمل الاجتماعى المخطط"[1] ولذا، تعتبر البحوث التقويمية على أنها نوع من التجريب الاجتماعى Social Expermentation خاصة، وأن أى عمل أو برنامج أو خطة أو مشروع اجتماعى يكون موضوعة اجراء الدراسات التقويمية. ولاسيما، أن هدف المجتمع الحديث هو اجراء التغيير الاجتماعى المخطط وتنفذ البرامج المتعددة المقصودة من أجل عمليات الاصلاح، والنهوض بالمجتمع ورفاهيته. ومن هذا المنطلق، جاءت أهمية البحوث التقومية بصورة عامة.

هكذا، غير أن من أهم الخصائص المميزة للبحوث التقويمية، أنها تهدف مباشرة إلى تقرير انجازات البرامج المختلفة للعمل الاجتماعى، ويهدف إلى الحصول على معلومات وشواهد واقعية ترتبط بنوعية أو البرنامج أو الخطة المنفذة أو المشروع المراد تقييمة عامة. إذن فالبحث التقويمى بحث تطبيقى، كما يستند إلى خبرة الباحثين المدربين على هذا النوع من البحوث وتوجد مجموعة من المبادئ العامة للبحوث التقويمية وهى:

١ – صياغة أهداف البرامج وتحديد نتائجها المتوقعة وقياسها.
٢ – تصميم البحث ووضع معايير للفاعلية والكفاءة.
٣ – وضع مقاييس لأدوات جمع البيانات وتطبيقها بصورة موضوعية.
٤ – تحديد مؤشرات تقويم الأبحاث والفاعلية.
٥ – تفسير النتائج وتحديد مدى انجاز البرامج والمشروعات من حيث الهدف الذى وضع من أجله.

عموماً، يضيف هذا النوع من البحوث التقويمية خطوة جديدة فى مجال البحث الاجتماعى، ومعرفة معدلات ومستويات تحقيق الفاعلية، والكفاءة، والانجاز، والجهد، والأداء الوظيفى والمهنى عموماً للقائمين على المشروعات والبرامج وتحقيق الأهداف والغايات العامة لها ومحاولة دراستها بصورة مستمرة لتقييم مدى نجاحها أو فشلها من أجل تطويرها. ويستخدم هذا النوع فى برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية والرفاهية والرعاية الاجتماعية المختلفة سواء على المستوى المحلى، القومى، الاقليمى، العالمى.

ثالثاً: مناهج البحث الاجتماعى:

تعتبر مناهج البحث فى علم الاجتماع من المجالات التى يعطى لها المتخصصين وعلماء هذا العلم أهمية خاصة منذ النشأة الأولى خلال القرن التاسع عشر، كما يرتبط بهذا المجال أيضاً طبيعة طرق وأدوات جمع البيانات التى يستخدمها الباحثين عند اجراء بحوثهم النظرية والميدانية. ونظراً، لتعدد أنواع البحوث وتنوعها

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

بين البحوث الاستطلاعية الكشفية، أو التشخيصية، أو البحوث الوصفية أو التقويمية، نجد أن طبيعة كل نوع من هذه الأنواع تستلزم منهجاً أو مناهج معينة دون الأخرى، وهذا ما ينطبق مثلاً على البحوث الكشفية أو الوصفية فانها تستلزم المنهج التاريخى دون المنهج التجريبي. كما نجد أن البحوث التشخيصية، التى تبحث عن العلاقات السببية والعوامل العلية عند تفسيرها للظواهر أو المشكلات الاجتماعية ينطبق عليها بالطبع المنهج التجريبى دون المنهج التاريخى.

ولكن بالرغم من هذا التحديد، نجد أن هناك أنواع أخرى من الدراسات أو البحوث مثل البحوث التقويمية مثلاً تحتاج كل من المنهج التاريخى، أو المنهج التجريبى أو غيرها من المناهج الأخرى. إذن، توجد كثير من أنواع البحوث الاجتماعية تستلزم أكثر من منهج واحد عند دراستها وتفسيرها وهذا يحدده علماء المناهج فى علم الاجتماع ويطلقون عليه بمبدأ المرونة المنهجية Methodological Flexability وتعدد المناهج أهميتها عند اجراء الدراسات والبحوث حتى يستطيع الباحثين الحصول على بيانات مكثفة، وسهولة تفسيرهم وربطهم للعلاقات السببية، والكشف عن الحقيقة والوصول إلى نتائج دقيقة.

على أية حال، وفى ضوء اشارتنا الموجزة عن أهم أنوع المناهج المستخدمة فى علم الاجتماع، نجد أن هناك تعدد فى تصنيف هذه المناهج حسب اهتمامات الباحثين ورؤية علماء المناهج لها فهناك مثلاً، المنهج التاريخى، والمنهج التجريبى، والمنهج المقارن، والمنهج الوصفى، والمنهج الاحصائى. كما يوجد فى كثير من الأحيان تداخل بين هذه الأنواع عند تفسير العلماء لها، لما يحدث ذلك عند تصنيف أنوع البحوث المستخدمة، أو طرق وأدوات البحث الاجتماعى، وعموماً يقيس تحليل تراث علم الاجتماع ومناهجه عن وجود فهم منهجين يشاع استخدامهما فى علم الاجتماع عامة وهما المنهج التاريخى والمنهج التجريبى. ويمكن الاشارة إليهما بصورة سريعة ليتعرف القارئ، على طبيعة كل منهما وتعريفهما والقواعد والمبادئ العامة التى يستخدمها كل منهج على حدة.

١ - المنهج التاريخى Historical Method :

يكشف تحليل تراث علم الاجتماع وعلاقته بالعلوم الاجتماعية الأخرى، عن مدى علاقة هذا العلم بغيره من العلوم ومنها علم التاريخ، وهذا يكشف عنه استخدام المنهج التاريخى بصورة كبيرة عند إجراء الدراسات والبحوث الاجتماعية المختلفة. ولاسيما، أن دراسة التاريخ أو اهتمام علماء الاجتماع عموماً بضرورة تفسير الأحداث والظواهر التاريخية تفسيراً سوسيولوجياً، أو ربط الأحداث التاريخية

بالواقع الاجتماعى أو المجتمعى الذى ظهرت فيه يعد إجراءاً ضرورياً عند دراسة المشكلات والموضوعات التى يهتم بها علماء الاجتماع ككل.

١ - تطــور الاهتمــام بالمنهـــج التــاريخى :

وعندما يتحدث علماء الاجتماع وخاصة علماء مناهج علم الاجتمــاع، لايمكن أن ينكروا جهود المفكر العربى (ابن خلدون) خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر، عندما أكد فى مقدمته الشهيرة على ضرورة استخدام التاريخ فى دراسة الظواهر الاجتماعية، كما يجب تحليل الأحداث والوقائع التاريخية فى سياقها المجتمعى. وهذا، ما أهتم به بالفعل ابن خلدون، عندما درس التاريخ الاجتماعى ووصف الواقع الفعلى لحياة الدولة الاسلامية، وتناول أيضاً التاريخ عندما درس نظم الخلافة، والملك، والعلاقة بين الحاكم والمحكومين، وتطور الأمصار (المدن) والريف والبدو وانتقــالهم إلــى حياة الحضر. علاوة على استخدامه التاريخ لدراسة أنواع المهن الاقتصادية وتطورها. كما تجئ اهتماماته لدراسة كيفية انهيار الدولة الاسلامية لتكشف عن رؤيته للتاريخ وربطه بالواقع الاجتماعة عند تفسير أحداث المجتمع ومشكلاته المختلفة.

وبالطبع، لقد تطور ذلك الفكر الاجتماعى خلال العصور الوسطى، وكشفت اسهامات فيكو الايطالى وميكافيللى، وتوكفيل، وبودان، ومونتسكيو، وهوبز ولوك وروس وغيرهم من خلال تركيزهم على دراسة التاريخ عند دراستهم لطبيعة المشكلات والقضايا التى يهتم بمعالجتها بالفعل. إلا أن اهتمامات رواد علم الاجتماع بدءً من تحليلات (اوجست كونت) وتركيزه علــى دراســة المراحل التطورية (التاريخية) لكل من المجتمعات البشرية والعقل البشرى، والتى جاءت فى قانون المراحل الثلاث وهى المرحلة اللاهوتية، والميتافيزيقية، والمرحلة والوضعية أو العلمية والتى تعكس رؤية كونت وتركيزه على ضرورة استخدام المنهج التاريخى فى دراسة قضايا وموضوعات هذا العلم.

وينطبق ذلك أيضاً، على تحليلات كل من سبنسر، ودوركايم، وماركس، وفيبر على سبيل المثال، عندما أشار الأول (سبنسر) إلى كيفية تطور المجتمعات من المجتمعات الاقطاعية العسكرية إلى المجتمعات الصناعية، كما اهتم دوركايم بالتاريخ كمدخــلات لدراسة الكثير من المشكلات الاجتماعية مثل الأخــلاق، التربيــة، وظهــور الاتحــادات والنقابات المهنية وتطورها. وبالطبع، لقد استخدم (ماركس) مدخلاً تاريخياً لدراسته لقضية الصراع بين الطبقات والتى تعرف بالمادية التاريخية. كما تجئ تحليلات (فيبر) لتضيف بعداً مميزاً فى استخدامه للمنهج التحليلى التاريخى المقارن، عند دراسته لتطوير الرأسمالية الغربيــة، وتحليلــه المقــارن للأديــان السماوية والأرضيــة، ولدراسته لتطــور القــانون، والأقتصاد، والسياسة، وغيرها من المجالات التى اهتم بها بصورة أساسية.

كما جاءت اهتمامات كثير من علماء الاجتماع سواء من يندرجون تحت البنائية الوظيفية أو الماركسية تهتم بالتاريخ كمنهج لدراسة الواقع الاجتماعي مثل دراسات كولي Coley، وزنانيكي Znaniecki، وماكيفر Maciver، وسوروكن Sorokin، وميلر Millr، وجولدنر Gouldner وميرتون Merton، وبارسونز Parsons وغيرهم من رواد علم الاجتماع المعاصرين من خلال اعتمادهم على دراسة التاريخ. وعموماً، نستطيع القول لا يوجد حسب معرفة الباحث – عالم الاجتماع – واحد أنكر دراسة التاريخ إذ لم يتبنى وجهة نظر المنهج التاريخي عند دراسته للوقائع أو الأحداث أو الظواهر الاجتماعية أو المشكلات التي قام بدراستها وتحليلها وهذا ما أدى إلى تطور استخدامات علماء الاجتماع للمنهج التاريخي أو ما يعرف حديثاً بالمدخل التاريخي التحليلي المقارن.

٢ - القواعد المنهجية للمنهج التاريخي(١):

يحدد علماء مناهج علم الاجتماع مجموعة من القواعد العامة التي يجب أن يهتم بها الباحثين عند استخدامهم لهذا المنهج ومنها:

١ – تحليل الظاهرة موضوع الدراسة والوقوف على عناصرها.
٢ – التعرف على نشأة الظاهرة والرجوع إلى أصولها الأولية.
٣ – دراسة نمو الظاهرة وتطورها ومعرفة مظاهر التطور خلال كل مرحلة.
٤ – ضرورة دراسة ثقافة المجتمع عامة قبل اجراء البحث عن الظاهرة.
٥ – دراسة العلاقات القائمة بين الظواهر ومعرفة الآثار التي نتجت عن عمليات التفاعل بين هذه العلاقات.
٦ – يجب على الباحث الاجتماعي أن يوسع دائرة اهتمامه بتاريخ الشعوب ومقارنتها والعمل على الوصول إلى قوانين عامة حولها.

علاوة على ذلك، يجب أن تأخذ عناصر المقارنة صوراً ثلاثة وهي :

١ – المقارنة بين نظم وظواهر في مجتمع واحد.
٢ – المقارنة بين نظم سائدة في مجموعة من المجتمعات المتجانسة من حيث الدرجة والنوع.
٣ – المقارنة بين نظم سائدة في مجتمعات متمايزة وغير متشابهة، لا تنتمي إلى بناء اجتماعي آخر.

---

(١) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، مرجع سابق، ص.٥٧ – ٥٨.

٣ - مصــادر المنهــج التــاريخى[١]:

اتفق علماء مناهج البحث فى علم الاجتماع على طبيعة المصـادر التاريخيـة وهى تنقسم إلى :

أ – **المصادر الأولية** : ويشمل هذا النوع من المصادر كل من الآثار والوثائق وما يوجد مـن بقايـا وآثـار الحضـارات التاريخيـة تفيد البـاحثين فـى دراسـتهم وتحليلهم للتطـور التـاريخى للأحداث والظواهر الاجتماعيـة. أمـا الوثـائق، فهــى السـجلات المدونة لأحـداث ووقـائع ماضيـة قد تكون معروفـة وغـير مـدون (شفهية) أيضـاً. وتشـمل العنــاصر المدونــة، المخطوطـات، والرسـائل، والمذكـرات، والسـجلات المصـورة. أمـا العنـاصر الشـفهية (المنقولـة) مثـل الأمثـال، والأسـاطير، والفلكلـور والتراث الشعبى وجميعها تعتبر مصدراً للتعرف على الحياة الاجتماعية والثقافية.

ب – **المصادر الثانوية** : وتشمل المعلومات غير المباشـرة، وكـل مـا كتـب أو نقـل عـن المصــادر الأوليـة. وقـد تكشـف عـن نوعيـة المصـادر الأخيرة. ولاسـيما بعـد اختفائها أو اندثارها أو عدم العثور عليها بواسطة الباحثين.

وبصفة عامة، تستخدم المصادر التاريخية أو المنهج التاريخى عموماً فـى علـم الاجتماع ويكون منبعاً للمعرفة السوسيولوجية ومن أهم المجالات التى يمكن استخدام هذا المنهج فيهـا دراسـة مثـل، دراسـة أنمـاط البنـاء الاجتمـاعى، وتطـور المجتمعـات البشرية، والحضارات، وكيفيـة تطورهـا بـالذات فـى مرحلـة معينـة، ومعرفـة أسـباب التغير الاجتمـاعى، والظواهــر الاجتماعيــة مثـل نظــام الأسـرة والـزواج، والحيـاة الاقتصادية، والسياسـة، والتطـور السـكانى، والنظـام الـتربوى، والدينـى. عـلاوة علـى ذلك، يستفيد علماء الاجتماع من اهتمامات غيرهم من علماء العلوم الاجتماعيـة الذيـن يستعينون بالتاريخ مثـل علمـاء الانثربولوجيـا المنهجيـة خاصـة دراسـة الأنثربولوجيـا الاجتماعية والثقافية والأثنوجرافيا ودراسة التراث الشعبى والثقافات الفرعية.

٢ - المنهج التجريبى Experimental Method :

تعتبر "التجربة من أهم مناهج البحث فى العلوم الطبيعة والاجتماعية وإن كـانت قد تطورت العلوم الأولى بفضل استخدامها التجربـة كأسـاس للبحـث العلمـى، وسـاعد على ذلك سهولة اخضــاع الظواهر الطبيعيـة للتجربـة أو اسـتخدام المعـامل التجريبيـة المختلفة لدراستها. ولذا، يرى الكثيرون مـن علمـاء المنـاهج أن التقدم العلمـى مرتبـط

---

(١) محمد على محمد، مرجع سابق، ص ١٦٩.
وأيضاً، غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٧٧.

أساساً بالتجريب كأسلوب للبحث عن الحقائق أو المعرفة الطبيعية والإنسانية. ومن ثم، فالتجريب جزء من المنهج العلمي، ويسعى العلم إلى صياغة النظريات التي تختبرها الفروض التي تتألف منها للتحقق من مدى صحتها. وعموماً، تعرف التجربة ببساطة، بأنها الطريقة التي بواسطتها يمكن اختبار الفرض العلمي:

١ - تطور الاهتمام بالمنهج التجريبي :

يرجع استخدام المنهج التجريبي إلى فرنسيس بيكون F. Bacen، عندما حدد خطوات المنهج العلمي على أسس فلسفية ومنطقية وعقلية، وحاول عن طريق استخدام المنهج العلمي، أن يركز على كل من الملاحظة والتجربة عند دراسته الحقائق الكونية والبشرية. كما ترجع أصول المنهج التجريبي وتطوره إلى كتابات جون ستيوارت مل J. Mill، الذي حدد ثلاث طرق أساسية لاقامة البراهين والأدلة، والاعتماد عموماً على مبدأ السببية أو العلّية، والطريقة الأولى هي طريقة الاتفاق Method of Agreement، وتنحصر في المقارنة بين أكبر عدد ممكن من الظواهر أو الظروف، التي تحتوي على سبب الظاهرة الأولى. أما الطريقة الثانية، فهي طريقة الاختلاف Method of Difference، وهي على عكس الأولى، وتنحصر في المقارنة بين حالتين متشابهتين في جميع الظروف ما عدا ظرف واحد. أما الطريقة الثالثة، فهي طريقة التغير النسبي Method of Concomitant Variation، وهي أن الظاهرة تتغير كلما تغيرت ظاهرة أخرى بنحو خاص، لأنها تعد سبب أو نتيجة لهذه الظاهرة أو مرتبطة بها بنوع من العلاقة السببية.

ومع بداية القرن العشرين تطور الاهتمام بالتجريب وخاصة عن طريق استخدام علم النفس لها وعلم الاجتماع خاصة وأن علماء الاجتماع خلال القرن التاسع عشر كانوا يهتمون بدراسة الأحداث التاريخية، ولذا جاءت أكثر اهتماماتهم بالمنهج التاريخي. ويعتبر مجال علم النفس الاجتماعي أحد المجالات التي تطورت فيها دراسات التجريب بواسطة تحليلات جورج ميد G. Mead، ودراسته على التفاعل الاجتماعي والجماعات الصغيرة. ثم اهتم التون مايو E. Mayo بدراسة التجريبية الامبريقية، والتي أطلقت عليها بتجارب هاوثورن والتي اجريت على شركة ويسترن اليكتريك بشيكاغو في الفترة من ١٩٢٤ - ١٩٢٧. ثم توالت بعد ذلك اجراء التجارب بواسطة علماء الاجتماع الصناعي من أمثال دراسات ديكسون Dickson ووارنر Warner وتحليلهم للتنظيمات الرسمية وغير الرسمية. ثم اهتمت بعد ذلك مدرسة العلاقات الانسانية، والتي استخدمت التجربة والملاحظة لدراسة العوامل النفسية والاجتماعية والفيزيقية داخل التنظيمات الصناعية. علاوة على تطور هذا المنهج بواسطة مدرسة الجشطلت الالمانية في مجال علم النفس

الاجتماعى، وتوالت اهتمامات علماء الاجتماع لاستخدام التجربة والملاحظات المباشرة وغير المباشرة فى دراسة المؤسسات التربوية، والصناعية، والاقتصادية، بالاضافة إلى دراسة نسق العلاقات والتفاعل الاجتماعى.

١ - أسس المنهج التجريبى وحدوده :

يرى علماء المناهج أن المنهج التجريبى و البحث التجريبى لابد أن يتبع مجموعة من الخطوات وهى(١) :

١ - تحديد مشكلة وصياغة الفروض التى ترتبط بالمشكلة المراد دراستها.
٢ - تحديد المتغير المستقل Independent Variable.
٣ - تحديد المتغير التابع Dependent Vaariable.
٤ - كيفية قياس المتغير التابع.
٥ - تحديد الشروط الضرورية للضبط والتحكم والوسائل المتبعة فى إجراء التجربة.

ويطلق عادة على المتغير أو العامل الذى تريد معرفة أثر المتغير المستقل عليه بالمتغير التابع أو المعتمد. كما يستخدم الباحثين كافة الوسائل لمعرفة أثر التجربة مثل الملاحظة المباشرة وغير المباشرة لمعرفة العلاقات السببية بين الظواهر أو المشكلات المراد دراستها.

كما توجد مجموعة من الصعوبات التى تواجه إجراء التجارب الاجتماعية ويمكن عرض أهمها كما يلى :

١ - يصعب تحقيق الضبط التجريبى فى المواقف الاجتماعية نظراً لطبيعة دراسة الظواهر والكائنات البشرية.
٢ - استحالة ضبط جميع الظروف المؤثرة فى الموقف التجريبى.
٣ - ان طبيعة الضبط التجريبى يجعل الأفراد أثناء التجربة لا يتصرفون بصورة تلقائية أو عادية.
٤ - يتعذر عامة اخضاع العوامل السببية المشكلة للظاهرة ذاتها مثل صعوبة دراسة نظام الأسرة، والزواج والطبقة وغيرها.
٥ - فى بعض الأحيان توجد صعوبة فى تحديد المتغيرات المستقلة أو التابعة.
٦ - ان دراسة الظاهرة الاجتماعية البشرية واخضاعها للقياس الكمى يعد أمراً مشكوكاً فى صحته.

---

(١) أنظر، محمد علي محمد، مرجع سابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

كما يمكن أيضاً للقارئ التعرف على كيفية تصميم البحوث التجريبية فى المرجع التالى :

Chapin, F. S., Expermental Designs in P. Worsley (ed.) Modern Sociology: Introductory Reading. Penguin Book Ltd., 1971, PP. 77 - 81.

وفى اطار مجموعة الأسس والقواعد المنهجية لكل من المنهج التجريبى والتاريخى وأهمية استخدامها بواسطة علماء الاجتماع سواء عن اجراء الدراسات النظرية أو التطبيقية. فان مهمة علماء الاجتماع تتكرس فى تحديد طبيعة المنهج العلمى لهذا العلم. وما هى الملامح الهامة له سواء أكان منهجاً تاريخياً أم تجريبياً؟ وما هى أهدافه بصورة عامة فى علم الاجتماع؟ يجيب على هذه التساؤلات أحد علماء الاجتماع المعاصرين وهو توم بوتومور T. Borromore، عندما يحدد الملامح الهامة للمنهج العلمى المستخدم فى علم الاجتماع فى عدد من النقاط التالية(١):

أولاً : أن يهتم بدراسة الحقائق وليس اصدار أحكام قيمية حولها.
ثانياً : أن يكون موضوعياً، بمعنى أن يكون بعيداً عن الأهواء الذاتية.

وهذا ما يحدد عامة هدف علم الاجتماع فى نقطتين أساسيتين هما :

أولاً : الوصف الدقيق عن طريق تحليل خصائص الظاهرة الاجتماعية والعلاقات المرتبطة بها.
ثانياً : تفسير الظواهر الاجتماعية من أجل الوصول إلى أحكام وقوانين عامة حولها.

علاوة على ذلك، كما يضيف - بوتومور - إن علم الاجتماع كغيره من العلوم الاجتماعية التى تواجهها صعوبات متعددة عند استخدامها للمنهج العلمى، لأنه يهدف ليكون علماً، واقعياً، وامبريقياً، وموضوعياً، ووصفياً، وتفسيرياً. ولذا، يستطيع عالم الاجتماع عن طريق استخدامه للمناهج العلمية أن يصل إلى ما يلى :

أولاً : جمع بيانات واقعية تجعله قادراً على الحكم على المسائل العلمية، وبعيداً عن استخدامه للأفكار التقليدية.
ثانياً : يستطيع عالم الاجتماع أن يصل إلى تنبؤات معقولة، ولاسيما بعد تفسيره للظواهر بصورة علمية.
ثالثاً : يستطيع أيضاً عالم الاجتماع أن يفسر سبب ظهور بعض الظواهر الاجتماعية، ويصل بشأنها إلى مجموعة من القوانين والأحكام العامة.

وبايجاز، ان طبيعة استخدام المنهج العلمى فى غلم الاجتماع يساعد الباحثين والمتخصصين فى هذا العلم، على تعزيز تفسيرهم للظواهر الاجتماعية والمشكلات

(١) بوتومور، مرجع سابق، ص ٨٧ - ٨٨. كما يستطيع القارئ أن يجد تحليلاً مطولاً عن صعوبات المنهج العلمى فى علم الاجتماع فى المرجع التالى:

Lazarsfeld, P., "Problems in Methodology " in R. Merton (etal) Sociology Today: Problems and Perspective, N. Y, Harper Torch Book, 1965, PP. 39 - 80.

والقضايا التى توجد فى هذا المجتمع والتى تزداد بصورة سريعة نتيجة لظروف التغير السريع والحياة الاجتماعية المعقدة.

رابعاً : طرق البحث الاجتماعى :

لاتزال مشكلة تصنيف أنواع البحوث الاجتماعية أو تحديد ماهية المناهج المستخدمة فى دراستها بالاضافة إلى تحديد أنواع طرق البحث الاجتماعى من المشاكل المنهجية، التى لاتزال تواجه الباحثين والمتخصصين فى علم الاجتماع بصفة خاصة وفى العلوم الاجتماعية بصورة عامة. ويرجع هذا إلى طبيعة الخلط من الناحية الواقعية، عندما يحاول الباحثين تحديد خطوات البحث الاجتماعى، وعدم الالتزام بالخطوات المرحلية خلال اجراء الدراسات الاجتماعية. علاوة على ذلك، لايزال يواجه الباحثين مشكلة أخرى، تؤثر على وجود هذا الخلط وهى عدم وضوح بعض المفاهيم السوسيولوجية المرتبطة بطبيعة كل من المناهج، وطرق وأدوات البحث الاجتماعى. فنجد على سبيل المثال، إن بعض المفاهيم التى تدخل فى نطاق المنهج أحياناً، تتداخل مع كل من طرق البحث الاجتماعى ومجال أدوات جمع البيانات أحياناً أخرى. ومن ثم، يجب أن يأخذ الباحث فى الاعتبار ضرورة تحديد خطوات البحث، ونوعية مناهجه، والذى على ضوئها يتم تحديد خطوات البحث، ونوعية مناهجه، والذى على ضوئها يتم تحديد كل من طرق وأدوات جمع البيانات بصورة وثيقة.

على أية حال، نجد من الأفضل حالياً أن نتبنى بعض التصنيفات البسيطة لطرق البحث الاجتماعى، والتى يسهل فهمها ومعرفتها ولاسيما بواسطة القارئ العادى أو المبتدئ لعلم الاجتماع ومن أهم هذه الطرق:[1]

١ - دراسة الحالة Case Study :

تركز دراسة الحالة على اعطاء صورة شاملة لدراسة ظاهرة معينة فى مجتمع محدد، وربما يكون موضوع هذه الظاهرة فرداً، أو جماعة، أو مجتمع محلى، أو مدرسة، أو مشروع، أو وحدة إدارة. فإذا تركزت اهتمامات الباحث على دراسة أحد الأفراد ولو يكون أحد الأحداث المجرمين، تكون بالطبع وحدة الدراسة الفرد الحدث ذاته، وإذا سعى الباحث لدراسة أثر الأسرة على جناح الأحداث، فإن وحدة الدراسة سوف تكون الأسرة بأكملها. وهذا ما ينطبق عموماً، عند دراسة ظاهرة اجتماعية يهدف الباحثين لذاتها عن طريق دراسة الحالة.

---

(١) استخدمنا هنا تصنيف د/ غريب سيد أحمد، د/ عبد الباسط عبد المعطى نظراً لبساطته للقارئ العادى لعلم الاجتماع.

- أنظر، غريب سيد أحمد وآخرون، مرجع سابق، ص ١٨٣.

ومن ثم، تتحدد وحدة دراسة الحالة وفق لوحدة الدراسة التى يهتم الباحث بالكشف عن أبعادها وفقاً لمنهج محدد أو أداة من أدوات جمع البيانات والتى عن طريقها يقوم الباحث بجمع البيانات اللازمة نحو موضوع الدراسة، كما تهدف دراسة الحالة إلى الكشف عن مجموعة العوامل التى تقوم عليها نماذج اجتماعية معينة، بهدف تحديد خصائصها أو معرفة طبيعتها. وهكذا، فإن دراسة الحالة كطريقة من طرق البحث الاجتماعى تتناسب عموماً مع الدراسات الاستطلاعية أو الكشفية، كما تفيد فى بعض الأحيان أيضاً فى الدراسات السببية أو التشخيصية مثل دراسة حالات المرض النفسى عند المرضى.

كما توجد طريقتان لتطبيق أسلوب دراسة الحالة وهى أولاً: تاريخ الحالة Case History، والتى تهدف إلى دراسة دورة حياة الحالة وتطورها الطبيعى. أما الطريقة الثانية، فهى التاريخ الشخصى للحياة Life History، وتركز على دراسة حياة الحالة من خلال وجهة نظر صاحبها (الذاتية) ومن خلال وجهة نظر الباحث نفسه(١). ولا تعتمد كل من الطريقتين على البيانات التى يتم الحصول عليها من خلال المبحوث أو الظاهرة المدروسة ولكنه يمكن الاعتماد أيضاً على الوقائع الشخصية مثل الخطابات ومذكرات الحياة وغيرها. كما تعتمد طريقة دراسة الحالة، على مجموعة من أدوات جمع البيانات مثل الملاحظة، والمقابلة، واستمارة البحث وغيرها.

وبالطبع ان هناك مجموعة من علماء الاجتماع والنفس الاجتماعى وعلم الاجتماع الطبى، الذين استخدموا دراسة الحالة من أمثال تشارلز كولى C. Cooly عند دراسته لسلوك الأطفال، ودراسة فرويد Freud عن التحليل النفسى والشعور واللاشعور وفريدريك لوبلاى Leplay عند دراسته لتاريخ الحياة الاقتصادية للأسرة الفرنسية، وتعتبر تحليلات عالم المناهج يونج Young من أبرز التحليلات التى سعت عموماً إلى تتبع تاريخ دراسة الحالة واستخداماتها فى علم الاجتماع خاصة والعلوم الاجتماعية عامة.

٢ - المسح الاجتماعى Social Survey :

يوصف المسح الاجتماعى بأنه أسلوب لجمع البيانات عن طريق جماعة معينة فى بيئة محددة، من حيث طبيعة ظروفها المعيشية، ونشاطها الاقتصادى والاجتماعى. وقد يتناول المسح الاجتماعى دراسة أحد الجوانب الاجتماعية مثل الرعاية الصحية، والنشاط الزراعى، والاقتصادى عموماً فى منطقة أو مجتمع

---

(١) يجد القارئ تحليلاً حول هذه الطريقة فى المرجع التالى:

- Beker, H. S, The Life History in Worsley, Op. cit, PP. 115 - 120.

محلى أو المجتمع ككل. ويقوم المسح الاجتماعى أساساً من خلال اعتماد الباحثين على الاتصال المباشر بمجتمعات الدراسة أو الظاهرة المراد دراستها أو اجراء دراسات مستفيضة حولها بصفة عامة.

كما يوجد نوع من الاعتقاد الشائع الذى يربط بين كل من المسح الاجتماعى واسلوب الحصر (الاحصائى)، ويبرر أصحاب هذا التصور بأن المسح الاجتماعى يهدف إلى جمع كل البيانات صغيرة أو كبيرة حول الظاهرة أو المنطقة المراد دراستها. ولكن بالطبع، ان اسلوب الحصر (الشامل) لا يمكن وصفه بالمسح الاجتماعى لأن الأخير لا يهتم فقط بجمع البيانات ولكن تحليلها وتفسيرها بصورة سوسيولوجية وعلمية، ويسعى إلى الوصول إلى عدد من النتائج المرتبطة بالدراسة ذاتها كما يتحدد ذلك من أهداف المسح الاجتماعى.

علاوة على ذلك، توجد مجموعة من التصنيفات لأنواع المسوح الاجتماعية، والتى يتعين تصنيفها على أساس كل من :

١ - المجالات: حيث يمكن تميزها من نوعين هما : مسوح عامة ومسوح أخرى متخصصة.
٢ - العمق: ويمكن تحديدها من نوعين هما: مسوح وصفية وأخرى مسوح تفسيرية.
٣ - جمهور البحث: ويندرج تحتها كل من المسوح الشاملة أو مسوح بالعينة.

كما توجد مجموعة من عيوب المسح الاجتماعى بأنواعه المختلفة مثل: خطأ اختيار العينة، وخطأ التحيز للأهواء الذاتية من الباحثين، ضخامة تكاليف البحوث الاجتماعية، والخبرات الفنية الكبيرة التى تحتاجها.

٣ - الطريقة الاسقاطية Projection Method :

استعار علماء الاجتماع أساساً هذه الطريقة من علماء النفس، ولاسيما أن دراسة الاسقاط تعتبر عملية لاشعورية تستخدم كعملية دفاعية ضد هذا القلق والدوافع اللاشعورية. ويحدث الاسقاط عموماً، عندما تغزو الدوافع والرغبات والأفكار التى تسبب الآلام إلى الآخرين فالفرد حينما يتعرض لنوع من المثيرات الخارجية ويطلب أن يرد أو يجيب عليها فوراً، يقوم باسقاط هذه المثيرات وفقاً لحاجاته ونزعاته ودوافعه الفردية.

وتوجد خمس أنواع للأساليب الاسقاطية وهى :

١ - الطريقة التكوينية، ويطلب من الشخص المراد دراسته تكوين موضوع معين مثل رسم أو كتابة شئ ما.
٢ - الطريقة البنائية، ويعطى للشخص مسبقاً عناصر محددة يطلب منه تكوينها أو تأليفها.
٣ - الطريقة التفسيرية، حيث يطلب من الشخص تفسيراً أو تبريراً لأشياء تطلب منه أو توضح له من قبل الباحث.

علاوة على ذلك، يوجد تقسيم آخر للأساليب الاسقاطية وهى: أولاً، الأساليب الاسقاطية المصورة. وثانياً، الأساليب الاسقاطية اللفظية. وتشمل الأولى الصور الفوتوغرافية، والثانية قائمة المعانى والكلمات التى تعطى للمبحوث ويطلب منه التعليق عليها.

٤ - تحليل المضمون Content Analysis :

يعرف تحليل المضمون بأنه طريقة من طرق البحث الاجتماعى الذى يستخدمها علماء الاجتماع، عند دراسة ووصف وقياس كمى للمحتوى العام للظاهرة أو المادة المراد تحليلها أو دراستها بواسطة الباحثين. ويتكون هذا المحتوى من مجموعة من الكلمات أو الرموز، والمفراد اللغوية، ومجموعة من الصور، أو الخطابات، أو الصحف والمجلات، أو الروايات والكتب، وأيضاً الأفلام السينمائية، وغيرها من الوثائق الرسمية والشخصية(١).

كما توجد مجموعة من التعريفات لتحليل المضمون مثل تعريف والبيس وبيرلسون Walpes & Berlson، حيث يحدده بأنه (محاولة الوصول إلى وصف سببى للمضمون، من أجل الكشف موضوعياً عن طبيعة المثيرات وعمقها النسبى)، ويرى كابلان Kaplan، أن تحليل المضمون هو "الأسلوب الذى يسعى إلى تحديد المعانى التى ينطوى عليها نسق المعرفة بطريقة منظمة وكمية" كما توجد تعريفات أخرى لكل من رايت Wright وغيره، الذين يرون أن تحليل المضمون "يشير إلى الوصف الكمى الموضوعى المنظم وأية سلوك رمزى"(٢).

---

(١) أنظر للمزيد من التفاصيل :

- Stone, F., (etals) The General Inquirer, A Computer Approach To Content Analysis, MIT Press, 1966, PP. 14 - 19.

(٢) للرجوع على المزيد من التعريفات، أنظر :

- محمد على محمد، مرجع سابق، ص ٤٣٩.

ويقيس تحليل تراث علم الاجتماع بـأن استخدامات تحليل المضمـون شملت مجالات متعددة ولاسيما خلال القرن العشرين ومن أهم هذه الاستخدامات:

١ - دراسة عملية التفاعل عند روبرت بيلز R. Bales.
٢ - الدراسة العلاجية النفسية والطبية عند مورو Mowrer.
٣ - دراسة الشخصيات التاريخية مثل مذكرات هتلر.
٤ - دراسة الثقافة والشخصية مثل دراسات شنيدر Schneider.

علاوة على ذلك، تتحدد فئات تحليل المضمون كما وضحها كل من بيرلسون Berlson، وهولستى Holsti وهى: فئة من Who، وفئة ماذا What، وفئة لمن Whom، وكيف How، وأخيراً فئة ما هى النتائج With What Effect. واستخدام طريقة تحليل المضمون لا يمكن أن يعتمد عليها الباحث فقط، من حيث وصف المادة أو المحتوى المراد دراسته وتحليله، بقدر ما يعتمد أيضاً الباحث على ضرورة تفسير وتأويل هذه المادة أو المحتوى، وأن يقوم بمراعاة كافة الخطوات المهنية أو اجراءات البحث التى يستخدمها الباحثين عندما يستخدمون طرقاً أخرى فى دراسة أبحاثهم الاجتماعية.

خامساً: أدوت جمع البيانات:

يعكس تطور علم الاجتماع خلال القرن العشرين تعدد طرق وأدوات جمع البيانات، وتنوع مناهجه المختلفة. كما تعد عملية جمع البيانات من العمليات أو الخطوات البحثية المنهجية الهامة التى عن طريقها يمكن أن يوصف مدى دقة النتائج التى يصل إليها. ولذا تعتبر عملية اختيار أدوات جمع البيانات ومدى صلاحيتها لعملية جمع البيانات أو المعلومات المراد جمعها من العمليات الضرورية. خاصة، وأن البيانات الميدانية والتى يتم جمعها لابد وأن يتعلق بموضوع الدراسة، كما يجب تدوينها بسرعة، وإعادة ترتيبها وتصنيفها فى ضوء الشروط المنهجية الأخرى التى يجب أن يهتم بها الباحثين سواء قبل جمع البيانات أو خلال هذه المرحلة أو بعدها.

كما أدى تنوع أنواع البحوث الاجتماعية المختلفة، إلى تعدد أدوات جمع البيانات، ومن ثم يتحدد طبيعة البحوث الاجتماعية، عملية اختيار أو انتقاء أدوات جمع البيانات دون الأخرى. وإن كانت هناك أنواع معينة من البحوث إن لم تكن معظمها تعتمد على أكثر من أداة لجمع البيانات، وهذا ما يخدم عموماً أهداف البحث وأغراضه الأساسية، وهذا ما يطلق عليه بمبدأ المرونة المنهجية. علاوة

علـى ذلـك، إن عمليـة اختيـار وتحديد أدوات جمـع البيانـات توضـح أن جميـع هـذه الأدوات لها بعض المزايا التى تنفرد بها عن الأخرى، وهذا ما يحدد طبيعة مواءمة نوعية الأداة مع نوعية البحث من ناحية ومنهجه المستخدم أيضـاً فـى نفس الوقـت، لكل أداة مـن هـذه الأدوات بعـض القصـور التـى تحـدد عيوبهـا واسـتخدامها فـى اجراءات بحوث معينة دون الأخرى.

وفـى إطـار معالجتنـا المبسـطة لأدوات جمـع البيانـات ومنهجيـة البحـث الاجتماعى عموماً فى علـم الاجتمـاع، نشير حالياً إلـى أكثر أدوات جمـع البيانـات شيوعاً واستخداماً من قبل علماء الاجتماع ومن أهم هذه الأدوات:

١ - الملاحظة Observation :

يحدد بعض علماء المناهج الملاحظة بأنها العملية التى عن طريقها يمكـن أن يشاهد الباحث المبحوث أو يشارك فـى الملاحظـة سـواء عـن بُعد أو قُـرب لطبيعـة دراسة الظاهرة مع الاستعانة ببعض الأساليب البحثية ودراستها بصورة دقيقة. كمـا قد يزداد استخدام الملاحظة حسب نوعية العلم مثلاً يمكن القـول الملاحظـة الفلكيـة، الملاحظة البيولوجية، الملاحظة الاجتماعية وهكذا، وتعطى الملاحظة مجموعة مـن المزايـا التـى تعـزز استخدامها بصـورة أكـثر عـن أدوات جمـع البيانـات الأخـرى. ولاسيما وأنها تتيح للباحث ملاحظة السلوك أو مظاهر التغير المستمر الـذى يحـدث على الظاهرة، كما يتم تسـجيل مـا يلاحظـه البـاحث بصـورة مستمرة، وفـى بعـض الأحيان يتم الجمع بين الملاحظة والمقابلة فى نفـس الوقـت، وخاصـة عندمـا يسـعى الباحث إلى إلقاء أسئلة معينة على المبحوث ويشاهد فى نفس الوقت مظـاهر التغـير التى تطرأ على سلوك المبحوث ذاته.

وجاءت عملية تصنيف الملاحظة من قبل بعض علماء المنـاهج إلـى نوعيـن أساسيين هما :

أولاً : الملاحظة البسيطة، ويتم عن طريقهـا مشـاركة البـاحث الجمهـور أو مجتمـع البحث أو الظاهرة المراد دراستها ولايشارك أو يتدخل ذاتياً فيما يلاحظـه أو يشاهده فى الواقع.

ثانياً : الملاحظة المنظمة، وهى تتم عن طريق تحديد مقاييس أو ضوابط معينة يتـم عن طريقها قيام الباحث بالملاحظة بصفة دورية حتى يتحقق ما يراد دراسته أو بحثه بالضبط.

وهناك نوع من أنواع الملاحظة والتي تشمل الملاحظة بالمشاركة[1] Participant Observation، والتى عن طريقها يستطيع الباحث أن يلاحظ روتين الحياة اليومية، ويحاول الباحث عن طريقها ملاحظة الأفعال والسلوكيات والأنشطة العادية، أما إذا لاحظ وجود تغير فى هذه الملاحظات الروتينية يصبح بعد ذلك نوع من الخروج على ملاحظة المألوف أو الشائع. وبالطبع، يتم تفسير ذلك فى ضوء الواقع الاجتماعي والثقافى فى مجتمع الدراسة. ولقد أجريت دراسات متعددة بواسطة الباحثين على سلوك الأفراد فى القطاعات الصناعية أو الرعاية الاجتماعية، والأحداث والعصابات مثل دراسة كسرويل Cicourel على محاكمات الأحداث أو الجناح Juvenile Justice، وملاحظة العمال خلال عملهم فى المصانع والشركات وهذا ما تم منذ العقود الأولى من القرن العشرين مثل دراسات ألتون مايو Mayo ومدرسة العلاقات الانسانية ودراسات تيلور Taylor حول الإدارة العلمية Scientific Management، وغيرها من الدراسات الأخرى.

كما استفاد علماء الاجتماع كثيراً من خبرات العديد من علماء العلوم الاجتماعية الأخرى، مثل الأنثربولوجيا نظراً لقيام الدراسات الأنثربولوجية على استخدام الملاحظة بمختلف أنواعها سواء أكانت بسيطة أو منظمة أو أيضاً ملاحظة عن طريق المعايشة والتى قد تستمر سنوات طويلة، يتم عن طريق وجود الباحث ومعايشته للمجتمع وأفراده، وربما يتقمص أدوار وظيفية أو مهنية معينة داخل هذا المجتمع، وأن يطلع بصورة كبيرة على ثقافات العامة والفرعية. ولعل من أهم الدراسات التى اكتسبت شهرة كبيرة فى مجال الانثربولوجيا الاجتماعية مثل دراسات مالينوفسكى، وملوريان زنانيكى، ورادكليف براون، وايفانز بريتشارد، وغيرهم آخرون.

٢ - المقابلة Interview :

تعرف المقابلة بأنها نوع من التفاعل اللفظى يتم عن طريقه موقف مواجهه يحاول فيها الشخص القائم بالمقابلة، أن يحصل على معلومات أو آراء أو معتقدات شخص آخر أو مجموعة أشخاص آخرين، بالاضافة إلى حصوله على بعض البيانات الأخرى. كما تعتبر المقابلة من أكثر أدوات جمع البيانات استخداماً عند إجراء الدراسات الاجتماعية ولكنها تستلزم نوع من الإعداد والتخطيط المسبق قبل إجرائها، وأيضاً تستلزم الدقة فى تسجيل البيانات التى يحصل عليها الباحث من المبحوث[2].

---

(١) أنظر،

- Haralambos, M, Sociology, Theories and Perspective, N. Y: Univ. Tutorial Press, A80, P. 502.

(٢) أنظر المرجع التالى،

- محمد طلعت عيسى، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧١، ص ٣٢١ - ٣٢٢.

وبايجاز، سعى لندبرج Lundberg أن يحدد أهمية المقابلة فى نقطتين هما[1]:

أولاً : أنها تعتبر وسيلة للتأكيد من المادة العلمية التى جمعها الباحث عن طريق مصادر ثانوية.

ثانياً : أنها تكون بمثابة الدراسة المعملية للسلوك الواقعى والذى يمكن ملاحظته خلال عملية المقابلة ذاتها.

بالرغم من ذلك، أنها قد تواجه بعض الصعوبات مثل، أنها فى بعض الأحيان قد يحول استخدامها كأداة لجمع البيانات نظراً لتأثير عملية التحيز من قبل الباحث أو الباحثين، كما أنها تحتاج إلى تكلفة عالية، ونوع من التدريب والخبرة لاعداد الباحثين لاجراء هذا النوع من أدوات جمع البيانات.

ويمكن تقسيم المقابلة وتصنيف أنواعها على أساس الدور الذى يقوم به الباحث ومن اهمها[2]:

١ - المقابلة الحرة Free Interview، وهذا النوع يتسم بالمرونة حيث لا يتم تحديد أى أسئلة بواسطة الباحث وتوجه للمبحوثين ويمكن أن تتيح فرصة كبيرة للتعبير عن الكثير من الأفكار والآراء والاتجاهات.

٢ - المقابلة المقننة Standardied Interview، ويتم فيها تحديد شكل ومضمون المقابلة بقدر الامكان وتوجه الأسئلة بصورة مرتبة لجميع الأفراد المبحوثين.

٣ - المقابلة المتمركزة Focused Interview، وفيها يدور حوار المقابلة فى أفكار هذا الموضوع مثل الحديث عن فيلم سينمائى أو قضية سياسية معينة.

---

(١) اعتمدت على المرجع التالى ،

- غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٩٣.
- وأيضاً، محمد على محمد، مرجع سابق، ص ٤٦٣.

(٢) للمزيد من التفاصيل، إرجع إلى :

- Hyman (etial) Interviewing in Social Research, Chicago Univ Press, 1954, PP. 63 - 64.
- Hyman (etial) The Technique of Interviewing in Worsely, P., Op. cit, PP. 92 - 102.

كما توجد مجموعة من الشروط الهامة التي يجب الاهتمام بها عند استخدام المقابلة مثل:

١ - صياغة أسئلة المقابلة بصورة جيدة، سواء بصورة مفتوحة Open - Ended Questions أو أسئلة مغلقة Closed - Ended Questions ولكن منها استخداماتها في البحث الاجتماعي.
٢ - كما يجب توضيح المفاهيم ولغة المقابلة حسب طبيعة المبحوثين من حيث درجة الثقافة والتعليم، والمهنة، والمستوى الاجتماعي والطبقي، والنوع، والجنس، والمركز الاجتماعي.
٣ - ضرورة أن يحدث نوع من التفاعل بين الباحث والمبحوثين حتى تخف الرهبة الموقفية خلال اجراءات المقابلة.
٤ - ضرورة أن يحصل الباحثين على دورات تدريبية متخصصة في مجال البحوث الاجتماعية عامة والمقابلات بصورة خاصة.

عموماً، لقد تطور استخدام المقابلة في السنوات الأخيرة نتيجة لتعدد أنواع البحث الاجتماعي ولاسيما بحوث وسائل الاتصال والاعلام Mass Media and Communication، والتي اتاحت فرصة كبيرة للحصول على البيانات والمعلومات اللازمة في مجالات الحياة المختلفة، والتي ترتبط بمشكلات وقضايا المجتمع الحديث.

٣ - استمارة البحث Questionnaire :

تعرف استمارة البحث بأنها نموذج يضم مجموعة من اسئلة توجه إلى الأفراد من أجل الحصول على معلومات حول موضوع، أو مشكلة، أو موقف. ويتم تنفيذ الاستمارة إما عن طريق المقابلة الشخصية Interviewing Schedule، أو ترسل إلى المبحوثين عن طريق البريد Mailed Questionnaire وفي الحالة الأولى يقوم الباحث أو فريق البحث بمقابلة الأفراد المبحوثين، ويوجه لهم اسئلة الاستمارة كما هي مرتبة ويقوم هو بدوره بتسجيل الاجابات في مكانها المحدد[1].

وتوجد مجموعة من مزايا استمارة البحث ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي :

١ - تفيد في إجراء البحث على الأفراد ذو المستوى الثقافي والتعليمي البسيط.
٢ - عن طريق إجراء المقابلة خلال استمارة البحث يمكن للباحث التأكد من البيانات.

---

(١) محمد علي محمد، مرجع سابق، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.
كما يجد القارئ تفصيلات مطولة حول استمارة البحث في المرجع التالي :
- Harolambos, Op. cit, PP. 515 - 517.

٣ – يمكن تعاون أفراد البحث لإجراء الاستمارة.
٤ – يستطيع الباحث أن يضيف بيانات ومعلومات بعد الانتهاء من الاستمارة أو المقابلات الشخصية.
٥ – قلة التكاليف لجمع البيانات.
٦ – تقلل من احتمالات التحيز من قبل الباحثين.
٧ – يمكن تطبيقها على نطاق واسع من الجمهور.

فى مقابل ذلك، توجد مجموعة أخرى من الصعوبات تواجه عملية استخدام استمارة البحث مثل:

١ – يحتاج إلى أعداد كبيرة من الباحثين المدربين.
٢ – تخضع أحياناً للتحيز الشخصى للباحثين حول بعض القضايا المطروحة.
٣ – يصعب استخدامها للحصول على البيانات السرية.
٤ – ترتبط بالحصول على البيانات الرسمية أو الشخصية فقط.

علاوة على ذلك، تخضع استمارة البحث لمجموعة من القواعد المنهجية مثل: تحديد اطار البحث، تحديد الأسئلة التى تشملها الاستمارة، ضرورة صياغة الأسئلة حسب الجمهور، ضرورة تنسيق حسب أولوية الموضوعات المراد بحثها، كما لابد أن تخضع للاختبار المبدئى Pretest والمراجعة النهائية.

سادساً : خطوات البحث الاجتماعى :

بالرغم من وجود اتفاق بين العلماء الباحثين حول ضرورة وأهمية تقسيم الخطوات الاجرائية للبحث الاجتماعى إلى ثلاثة أقسام أو مراحل تمثل أولاً: فى تخطيط البحث. وثانياً، تنفيذ البحث. وثالثاً، كتابة التقرير النهائى. إلا أن هناك مجموعة أخرى من الباحثين تذهب، إلى أن الشعور بوجود مشكلة البحث يعد أولى الخطوات الاجرائية، ثم فرض واختيار الفروض، ثم التحقق منها واختبارها, فمن الملاحظ هما، أن التقسيم الثانى أو وجهة النظر الأخرى ترتبط بالدراسات التجريبية.

كما يضيف عدد آخر من علماء المناهج تصنيفاً آخر لمجموعة الخطوات الاجرائية للبحث الاجتماعى مثل لندبرج(١) Lundberg وغيره آخرون يحددون هذه الخطوات وتبدأ أولاً، بصياغة مشكلة البحث وأهداف الدراسة وصياغتها صياغة

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر مثلاً:

- Lundberg, G (etals) Sociology, N. Y: Harer & Brothers Pub., 1958, PP. 59 - 62.

محددة، وتوضيح دوافع البحث. وثانياً، وضع فروض البحث، وتحديد السلوك وملاحظته، واختيار عينة البحث، وتطبيقه، ثم استخلاص النتائج.

وبالرغم من أهمية التصنيفات السابقة للخطوات الاجرائية للبحث الاجتماعى، إلا أننا نميل مع بعض الباحثين إلى استخدام التصنيف التالى، حتى يستطيع الباحث أو القارئ المبتدئ أن يلم بهذه الخطوات بسهولة نظراً لتحديد هذه الخطوات من الناحية الزمنية أو تحديده إلى مراحل البحث المختلفة وهى[1]:

١ - اختيار موضوع البحث.
٢ - تحديد اطار البحث.
٣ - تحديد المفاهيم الأساسية.
٤ - تحديد هدف البحث.
٥ - الاطلاع على البحوث السابقة.
٦ - وضع فروض البحث وقضاياه.
٧ - تحديد مجال البحث.
٨ - وضع توقيت زمنى للبحث.
٩ - تقديم ميزانية البحث والامكانات المطلوبة لتنفيذه.
١٠- تحديد منهج البحث وأدوات جمع البيانات.
١١- جمع البيانات.
١٢- المراجعة الميدانية والمكتبية.
١٣- التفريغ الآلى أو اليدوى.
١٤- التحليل الاحصائى والعرض البيانى.
١٥- التحليل الكيفى، والتعميم وكتابة التقرير.
١٦- التوثيق والملاحق.

بايجاز، ان تحديد خطوات البحث الاجتماعى، تعتبر مطلباً ضرورياً للباحثين المبتدئين فى علم الاجتماع حتى يتعرفوا جيداً على الأسس والقواعد المنهجية التى يجب اتباعها عند تعرضهم لطبيعة أنواع البحوث الاجتماعية، ومدى ملاءمتها لنوعية معينة من المناهج وطرق البحث، وأدوات جمع البيانات، وهذا ما يندرج عموماً تحت أحد مجالات علم الاجتماع وهى مناهج البحث الاجتماعى.

---

(١) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٧٠ - ١٧١.

خاتمــة :

ما من شك، أن دراسة تطور البحث الاجتماعي أو الحركة البحثية التي بدأت في علم الاجتماع منذ نهاية القرن الحالي وخلال القرنين الماضيين، إنما تكشف عن مدى تطور هذه الحركة نتيجة لتطور العنصر البشري وبحثه الدائم حول معرفة الطبيعة الانسانية، وسعية للسيطرة على العالم الطبيعي الخارجي، كما جاءت تحليلات الرعيل الأول من علماء الاجتماع التقليديين لتكشف بوضوح عن مدى اهتمامهم وتبنيهم لمناهج سوسيولوجية معينة تتلاءم مع طبيعة تحليلاتهم ذات الطابع الشمولي ومعالجتهم للوحدات الكبرى المجتمعية ككل وهذا ما جاء في تحليلات كونت، ودوركايم، وفيبر، وماركس، وسبنسر وغيرهم.

إلا أن طبيعة التطور التدريجي للبحث الاجتماعي خلال النصف الثاني من القرن العشرين تعكس بوضوح مدى الاستفادة بمناهج العلوم الطبيعية مثل المنهج التجريبي، وخاصة أن هذا المنهج يساعد على دراسة الظواهر الاجتماعية عن طريق استخدام الملاحظة والتجربة. وهذا ما حدث بالفعل في تحليلات علماء النفس الاجتماعي والصناعي والتنظيم والإدارة، ودراسة الجريمة والانحراف، وتطوير مؤسسات الرعاية الاجتماعية المختلفة.

في نفس الوقت، إن دراسة كل من المناهج وأدوات جمع البيانات، وطرق البحث الاجتماعي تعزز من عملية تحليل التراث السوسيولوجي (المنهجي) والذي يرتبط بالتراث النظري الذي يوجه متطلبات مراحل البحوث وفروضها وتساؤلاتها الـ..ئمة. وهذا ما يجعل وجود اتفاق مشترك بين علماء الاجتماع وغيرهم من العلوم الاجتماعية الأخرى، على ضرورة استخدام المناهج وطرق البحث وأدوات جمع البيانات، التي لديهم جميعاً حتى يعزز ذلك من الخبرة المنهجية، ويطور مسيرة البحث الاجتماعي أسوة بما حدث بين العلوم الطبيعية، وهذا ما يطلق عليه بضرورة استخدام المنهج المتداخل بين العلوم Inter-Discipliary Method، لدراسة قضايا ومشكلات المجتمع الحديث التي تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، وتتطلب من الباحثين في مجال مناهج البحث الاجتماعي، بذل المزيد لتعزيز هذه المناهج وجمع البيانات اللازمة حول هذه المشكلات والقضايا العصرية المعقدة.

الباب الثالث
الثقافة والفرد والحياة الاجتماعية

الفصــــل الســـادس: الثقافـــــــة والمجتمـــــــع

الفصــــل الســـابع : الفـــرد والتنظيـــم الاجتمـــاعى

الفصــــل الثـــامن : الجماعـــات والعلاقـــات الاجتماعيـــة

الفصل السادس
الثقافـــة والمجتـــمع

* مقدمة :

أولاً : تعريف الثقافة.

ثانيـاً : علم الاجتماع ودراسة الثقافة.

ثالثـاً: مكونات الثقافة.

رابعـاً: خصائص الثقافة.

خامساً: وظائف الثقافة.

سادساً: التكامل الثقافى.

سابعـاً: ديناميكية الثقافة.

* خاتمة

مقدمـــة :

ظهرت العلوم الاجتماعية والطبيعية لتهتم بدراسة الحقائق والأشياء التى تحيط بالإنسان سواء فى العالم الخارجى المحيط به أو دراسة الحياة والعلاقات الاجتماعية ودراسة الإنسان ذاته. وتكرس جهود علماء هذه العلوم مجتمعة من أجل السعى لمزيد من المعرفة الإنسانية بكل معانيها - كما ارتبطت نشأة الحضارات والدول بطبيعة التقدم الذى أحرزته هذه الدول وشعوبها فى مجال التقدم سواء فى العلوم الطبيعية والاجتماعية، التى تهدف لزيادة المعرفة البشرية وتطلعات الإنسان المستمرة للسيطرة على العالم الخارجى، وأيضاً لدراسة المشاكل والظواهر والقضايا المجتمعية التى تزداد يوماً بعد يوم. ومن ثم، تكرس أنماط المعارف البشرية من أجل زيادة رفاهية الإنسان وتطوره وتقدمه، وهذا ما يظهر فى اهتمامات علماء الاجتماع وغيرهم من العلوم الاجتماعية الأخرى.

وتعكس طبيعة التقدم والتطور والاستمرار بل الوجود ذاته، نوعية الثقافة وما تحتويه من عناصر أو مكونات أو سمات أو خصائص أو وظائف أو أهداف، وما حققه البشر بالفعل. ولاسيما، أن الثقافة تعتبر كما يسميها بعض علماء الاجتماع، التراث الاجتماعى Social Heritage، الذى ينتقل من جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى مجتمع وشعوب وحضارات إلى حضارات وشعوب أخرى. ولذا، ارتبط أيضاً مفهوم الثقافة بالعديد من المفاهيم مثل المدنية أو الحضارة Civilization، والتقدم Progress، والتطور أو التنمية Development، والتغير Change، وأيضاً الاستمرار والوجود وغير ذلك من المفاهيم التى تعكس استمرارية الثقافة ونتائجها وبقائها ووجوده على مر العصور.

هذا بالطبع، يكشف عناصر طبيعة الاهتمام بالثقافة التى لا تندرج فقط فى إطار اهتمامات علماء الاجتماع وحدهم ولكن أيضاً بقية اهتمامات علماء العلوم الاجتماعية والطبيعية فى نفس الوقت. وهذا، ما جعل أحد أقطاب علم الاجتماع المعاصرين من أمثال وليم أوجبرن W. Ogburn، يوضح لنا مكونات الثقافة والتى قسمها إلى قسمين أساسيين، هما الثقافة المادية واللامادية Material & Unmaterial Culture، حيث يشير الجانب الأول من الثقافة لمجموع العناصر التى يمكن ملاحظتها بصورة محسوسة مثل، التكنولوجيا والاختراعات ووسائل الاتصال والمواصلات وغيرها. أما الثقافة اللامادية، وهى الجوانب الفكرية والقيم والعادات والتقاليد والمثل والأخلاق وغيرها من الأشياء التى لا يمكن أن نتعرف عليها إلا بصورة غير محسوسة أو ملموسة. وهذا ما يجعل قضية الثقافة موضع اهتمام للعديد من تحليلات العلماء سواء أكانوا فى مجالات العلوم الطبيعية المختلفة أو الاجتماعية والإنسانية.

علاوة على ذلك، ان مهمة علم الاجتماع منذ نشأته خلال القرن التاسع عشر أو أواخر القرن الثامن عشر، تطور بصورة سريعة وكرست جهود علمائه لدراسة قضية الثقافة، ولاسيما بعد أن عرفنا أن تحليل مفهوم الثقافة يرتبط بالتراث الاجتماعى والبشرى، وكل مكونا الحياة الطبيعية والاجتماعية بصورة عامة. فعلم الاجتماع يعتبر من العلوم الاجتماعية التى تركز على دراسة مظاهر الثقافة، بالإضافة إلى تعريفها ومعرفة خصائصها ومكوناتها، والأسباب التى أدت إلى زيادة اهتمام علماء الاجتماع أنفسهم بدراسة مشكلة الثقافة، وأهم خصائصها وسماتها العامة، ووظائفها فى المجتمع وسواء بالنسبة للفرد وللأسرة، ومعرفة إلى أى حد يمكن التعرف على طبيعة التكامل والصراع الثقافى Cultural Integration & Conflict، وأيضاً دراسة قضايا التغير أو ديناميكية الثقافة. بإيجاز، هذه هى أهم الموضوعات التى سنطرحها للمعالجة والمناقشة والدراسة والتحليل المبسط خلال هذا الفصل.

أولاً : تعريف الثقافة :

تعددت تعريفات علماء الاجتماع عند تميزهم لمفهوم الثقافة Culture Concept، ولاسيما أن هذا المفهوم أو الثقافة بصورة عامة، كانت موضع اهتمامات علماء الاجتماع منذ إنشاء علم الاجتماع حتى الوقت الحاضر. هذا بالإضافة، إلى أن تعريف علم الاجتماع ذاته كما يراه مجموعة كبيرة من علماء الاجتماع، بأنه العلم الذى يدرس الثقافة. ومن ثم، لقد تعددت أفكار العلماء وتصوراتهم حسب اهتمامات ومجالات تخصصهم عند تميزهم لمفهوم الثقافة. ونظراً لتعدد هذه المفاهيم وتنوعها – حسب ما يعكس لنا تراث علم الاجتماع – صعوبة تفسير جميع هذه المفاهيم أو فهمها للقارئ المبتدئ فى علم الاجتماع، ولكن نسعى لتفسير أهم هذه التعريفات بصورة موجزة حتى يسهل التعرف عليها بسهولة.

ارتبط مفهوم الثقافة وتميزه بصورة واضحة، بتعريف تايلور Taylor، له على أنه " الكل المركب من المعرفة والعقائد، والفن، والقانون، والأخلاق، والقيم، والأعراف، والقدرات التى يستطيع الفرد أن يكتسبها فى المجتمع باعتباره عضواً فيه "[1]. ويوضح هذا التعريف لتايلور الذى يشاركه فيه مجموعة من علماء الاجتماع البريطانيين، الذين ظهروا خلال نفس فترته، وهو هربرت سبنسر H. Spencer، وتعد تصوراتهما حول الثقافة وتميزها من النظريات التقليدية

(١) Taylor, E, B, The Primitive Culture, John Murry, Lendend, 1891, Vol., PP. 1-6.

- ويوجد جزء كبير من هذا الكتاب فى المرجع التالى الذى اعتمدنا عليه،
- Coser, L & B. Rosenbery, Sociological Theory, N.Y: Nucmillo, 1964, PP. 18-21.

أو الكلاسيكية وهذا ما ظهر على سبيل المثال فى كتاب تايلور عن الثقافة البدائية Primitive Culture، والذى يرادف فيه بين الثقافة والحضارة Civilization.

جاء تعريف تايلور للثقافة بمثابة التمييز الشامل لهذا المفهوم حتى الوقت الحاضر، والذى وضح فيه مدى قدرة الفرد أو الجنس البشرى عامة على امتلاك خصائص وسمات ثقافية تميزه عن المخلوقات الأخرى فى المجتمع أو الحياة الطبيعية. فالإنسان هو المخلوق الذى يستطيع أن يكتسب قدرات وقيم وأخلاقيات، ومثل، وقوانين، ويستطيع أن ينقلها بعد ذلك، إلى أبناء جيله فى مراحل لاحقة، وهذا ما يميز الثقافة على أنها نوع من التراث الاجتماعى. كما أن الإنسان يصنع الآلات والأدوات والتكنولوجيا التى تجعله قادراً على السيطرة على البيئة المادية الخارجية.

كما جاءت مجموعة من التعريفات الأخرى التى أشار إليها أيضاً عالم الانثربولوجيا الأمريكى كروبر Kroeber وزميله كلاهون Klukhohn، ليقوما بوضع قائمة مطولة للثقافة يتعذر عرضها حاليا ولتجمع بين التعريفات الكلاسيكية والتقليدية(١). وبالإضافة إلى تعريف تايلور السابق، إلا أن هناك مجموعة من التعريفات الأخرى مثل تعريفات كل من لويس هذى مورجان L. H. Morgan، وليسلى وايت L. White، ومالينوفسكى Malinowski، بالإضافة إلى تصورات بعض علماء الاجتماع من أمثال دوركايم Durkeim والذى يرادف استخدامه لمفهوم المجتمع Society، بمفهوم الثقافة Culture، على حد تصور علماء الانثربولوجيا للمفهوم الأخير وهذا ما جاء فى تحليلات بعض المنظرين لعلم الاجتماع(٢).

وبالرغم من أهمية تعريف تايلور السابق ذو الطابع الأنثربولوجى، إلا أن هناك بعض التعريفات المتميزة من جانب علماء الاجتماع مثل تعريف أحد علماء الاجتماع المحدثين الفرنسيين وهو جابى روشيه G. Rocher، الذى يتصور أن الثقافة " تعتبر مجموعة متداخلة من أساليب التفكير، والمشاعر، والأفعال، التى تتشكل بدرجة معينة، والتى تكتسب بواسطة التعلم والمشاركة من جانب مجموعة من الأفراد، وذلك من أجل وحدة هذه الجماعة وارتباطها بصورة جمعية مميزة "(٣)، وسعى روشيه إلى توضيح مفهومه من خلال تحليل مبسط لتصورات وكتابات عدد من علماء الاجتماع والأنثربولوجيا حول الخصائص العامة للثقافة ككل.

---

(١) Kroeber, A & C. Kluckhohn, Culture: A Critical Review of Concepts and Difinitions (N.Y) Vintage Book. 1963. (3).

(٢) Coser, Op. cit, P. 17.

(٣) Rocher, G, A General Introduction to Sociology, (Trans. from French By: P. Sheriff, London, Macmillan, 1972, P. 89.

إلا أننا نجد أن بعض التصورات السوسيولوجية التي يطرحها عالم الاجتماع الأمريكي لونارد برووم L. Broom نسبية خاصة على تعريفات علماء الانثربولوجيا ومنهم تايلور حول الثقافة. ولاسيما، أن هذا المفهوم الأخير يرتبط في كتابات هؤلاء العلماء ويرادف تماماً أو بصورة كبيرة مفهوم الحضارة Civilization ويبرر هذا الترادف نتيجة لوجود آراء المدرسة التطورية، التي تؤكد على نمو المجتمع وتطوره على عدة مراحل محددة. علاوة على ذلك، كما تصور - برووم وسيلزنيك - أن الثقافة تعتبر أسلوب للحياة Way of Life، ويستطيع الانسان أن يطور مهاراته وقدراته العقلية وهي تختلف عن الحضارة. كما أن تحليلات علماء الانثربولوجيا حول الثقافة ترتبط أيضاً بالأفكار البيولوجية والتطورية في نفس الوقت.

ويخلص برووم وسيلزنيك، إلى أن الثقافة 'لا يمكن اقتصارها على جوانب معينة من المعرفة Knowledge، ولكنها تشمل جميع أنماط السلوط والنشاط البشري Human Activity، ... كما أن الثقافة لا تشمل فقط أساليب وطرق اكتساب الفن، والموسيقى، والأدب، بقدر ما يشمل أيضاً صناع الأواني الفخارية وماكينات الحياكة، أو بناء المساكن'[1]. وبايجاز، نلاحظ ان تحليلات برووم وسيلزنيك وتصورهما إلى الثقافة بأنها لا تشير فقط إلى الجوانب اللامادية للثقافة والتي تمثلت في تحليلات تايلور وشملت القيم، والعادات، والتقاليد، والأعراف، والقانون، ولكن أيضاً أنها أعطت بعداً أكثر إلى القدرات التي يستطيع الفرد أن يكتسبها في المجتمع، ولاسيما الجوانب المادية مثل الآلات والأدوات والتكنولوجيا، التي تمكنه من صنع ملابسه وتشييد مسكنه أو غير ذلك من الجوانب المادية الثقافية التي أشرا إليها بعد ذلك وليم أوجبرن W. Ogburn.

كما تعتبر كتابات كل من وليم أوجبرن وزميله نيماكوف Nimkoff[2] من التحليلات المميزة حول الثقافة التي تأخذ طابعاً سوسيولوجياً أكثر تميزاً ووضوحاً لمفهوم الثقافة، حيث صنف الثقافة إلى جزئين أساسيين الأول، (الثقافة المادية) وتشمل كل الأشياء الملموسة أو المحسوسة. أما الثاني، فتشمل العناصر اللامادية وهي الأشياء غير المحسوسة مثل القيم والعادات والتقاليد والأعراف وغيرها. هذا بالاضافة إلى أن كل من (وليم اوجبرن ونيماكوف) أكدا على أن قسمي الثقافة سواء أكانت مادية أم غير مادية فهما تشبعان الحاجات الأساسية Basic Needs للانسان.

---

(١) Broom, L & P. Selznik, Sociology, N. Y: Harper & Row Publisher, 1969, PP. 50-41.

(٢) Ogburn, W & Nimkoff, Hand Book of Sociology, London, 1960, P. 45.

وهذا ما يوضح طبيعة كل النظم الاجتماعية سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم تربوية، فهي جوهر الثقافة ذاتها، وهذا ما يميز عموماً طبيعة أختلاف المجتمعات أو الشعوب حسب نظمها الاجتماعية وطبيعة ثقافتها المادية وغير المادية.

علاوة على ذلك، إن مفهوم الثقافة يتداخل مع مفاهيم أخرى متعددة، كما لاحظنا كيف تداخل هذا المفهوم مع مفهوم المدنية والحضارة كما جاء في تحليلات وكتابات الأنثربولوجيين ومنهم تايلور على سبيل المثال. وهذا ما جعل علماء الاجتماع المحدثين من أمثال جون كوبر J. Cober، يعرف الثقافة على أنها مجموعة من الأنماط السلوكية المكتسبة والمتغيرة بصورة مستمرة، وتشمل هذه سلوكية الاتجاهات، والقيم، والمعرفة، والعناصر المادية "[1]. ويتضح لنا من تعريف كوبر السابق أنه شمل عنصري الثقافة سواء أكانت مادية أو غير مادية، وهذا ما تضمنه بالفعل تصورات كل من أوجبرن ونيماكوف في تعريفهم أو كتاباتهم السابقة حول مضمون الثقافة.

ثانياً : علم الاجتماع ودراسة الثقافة :

ما من شك، إن اهتمامات علماء الاجتماع بدراسة الثقافة جاءت منذ نشأة علم الاجتماع ذاته، ولاسيما إذا أخذنا هنا جملة التعريفات السابقة التي عبرت عنها تعريفات وكتابات الأنثربولوجين وعلماء الاجتماع. فالثقافة تشمل كل جوانب المعرفة الانسانية بكل معانيها، كما أن الثقافة تعتبر من العناصر الاجتماعية القابلة للتغير المستمر، وهذا ما سوف نحلله لاحقاً عند معالجتنا لقضية ديناميكية الثقافة أو خصائصها العامة.

تراث علم الاجتماع ملئ بالتحليلات السوسيولوجية التي توضح لنا مدى اهتمام علماء هذا العلم بدراسة الثقافة باعتبارها المضمون العام للمعرفة الانسانية سواء أكانت مادية أم غير مادية، إذا جاز لنا استخدام تصنيف الثقافة عند (أوجبرن ونيماكوف). فعلماء الاجتماع من أمثال اوجست كونت، ودوركايم، وسبنسر، وفيبر، وماركس وغيرهم، ركز على دراسة البناءات والنظم الاجتماعية، ولاسيما أن الاهتمام بتحليل مكونات المجتمع ومشكلاته وقضاياه وظواهره الاجتماعية لا تخلو على الاطلاق من دراسة متغير الثقافة، باعتبارها أيضاً أحد عوامل التغير الاجتماعي المستمر.

فدراسة كونت على سبيل المثال، عندما ركز على دراسة التطور الاجتماعي سعى لتحليل كيفية تغير أنماط العقل البشري، الذي يتغير حسب نوعية المعرفة

(١) Cuber, J, Op. cit, P. 80.

الانسانية التى تشمل مجموعة القيم والعادات والتقاليد والأعراف والقوانين، وهذا بالاضافة إلى عناصر التكنولوجيا المختلفة. كما أن رؤية فيبر لطبيعة مراحل المجتمعات البشرية تعكس لنا مدى تصوره لنمط الثقافة والمعرفة الانسانية ونوعية العقل الانسانى الذى يسود كل مرحلة على حدة. وهذا ما ينطبق أيضاً، عندما حلل سبنسر عناصر ومكونا المجتمع الصناعى الحديث، الذى كان سائداً فى المجتمع الاقطاعى والعسكرى التقليدى، وهذا التغير الثقافى يكون عاملاً قوياً لتغير كل من البناءات والنظم الاجتماعية الأخرى.

وجاءت تحليلات دوركايم ورؤيته العامة حول المجتمع Society، وكيف أن هذا المفهوم يرادف مفهوم الثقافة Culture حسب تصور علماء الانثربولوجيا الثقافية إلى كتابات دوركايم على سبيل المثال. فدراسة دوركايم عن نوعية الفسيولوجيا والمورفولوجيا الاجتماعية تعتبر دراسة واضحة بين نوعية البناءات والنظم الاجتماعية وطبيعة حالتى الاستاتيكا والديناميكا اللتان يوجدان فى المجتمع وعناصر الثقافة المختلفة. كما تعتبر تحليلات دوركايم حول التربية والأخلاق والمناهج والمقررات الدراسية والقانون والقيم خير دليل على اهتمامات دوركايم بالظواهر الثقافية ومعالجاته لطبيعة هذا المجتمع. وهذا ما جعله يركز على ضرورة اكتساب المعارف الثقافية بواسطة مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة، والتى ظهرت فى المجتمع الحديث لتعوض النقص الثقافى والذى حدث على طبيعة البناءات الأسرية التقليدية. وهذا بالطبع، ما جعل دوركايم يركز على قضية التنشئة الاجتماعية وربطها بالنواحى الأخلاقية والقانونية فى المجتمع، والتى جاءت فى تصوراته حول التضامن الاجتماعى Social Solidarity.

كما تظهر تحليلات فيبر ذات الطابع التاريخى المقارن للأنماط الثقافية، ولاسيما تحليلاته حول تطور الرأسمالية فى المجتمعات الغربية، وذلك باعتبار مجموعة من العوامل الثقافية ونوعية البناءات والنظم الاجتماعية، والقيم والأخلاق وأيضاً الدين المسيحى البروتستانتى الذى أدى إلى ازدهار الرأسمالية فى هذه المجتمعات، وخلال الفترة التاريخية التى ظهرت فيها. كما تجئ كتابات فيبر، عن الدين أو مقارنته للأديان السماوية وهى اليهودية والمسيحية والاسلام ليوضح مجموعة من العناصر الثقافية والاخلاقية التى تعكس نوعية دور الدين فى التغير والتحديث فى المجتمعات والحضارات السابقة. علاوة على ذلك، لقد ركز فيبر على دراسة مستويات الوعى والفهم الذاتى للأفراد، وتعقلهم للأشياء ومستوى التعليم والشخصية والثقافة عامة لدى الجنس البشرى الحديث هى التى تحكم مستويات التحضر والتغير والتحول نحو النظامية Instiualization، وهذا ما عبر عنه على

سبيل المثال، فى تحليله للنماذج المثالية والبيروقراطية، ودراسته عن القيم والأمية والثقافة الصينية الشرقية أيضا، تعتبر خير دليل على سعيه للاهتمام بالثقافة عامة.

من ناحية أخرى، توضح اهتمامات ماركس عن نوعية البناءات الفوقية Superstructure، والبناءات التحتية Intra or Basic Structure ومدى تأثيرها على امتلاك أنماط المعرفة البشرية سواء أكانت فكراً أيديولوجياً أو ثقافياً معرفياً، وأيضاً وسائل مادية وتكنولوجية، والتى تتمثل فى جميع أنواع الانتاج ووسائله المختلفة وهذا ما ظهر فى نظريته عن الصراع الطبقى أو المادية التاريخية، ذلك الصراع البشرى الدائم والأولى إنما يعكس القوى المسيطرة على وسائل الانتاج المختلفة، والتى تمتلك أيضاً أنماط الموقف والفكر والايديولوجية، وجميعها تعكس الصراع الثقافى بين الطبقات فى المجتمعات عبر العصور التاريخية.

وربما تأتى تصورات علماء الاجتماع المحدثين والمعاصرين وكتاباتهم حول الثقافة من أمثال بارسونز، وميرتون، وسملر، وسيلزنيك وبروم، وجولدنر، وسوروكن، واجبرون ونيماكوف وغيرهم، لتوضح لنا مدى الاهتمام بالناحية الثقافية من المنظور السوسيولوجي المحدث. فنجد على سبيل المثال لا الحصر، ان بارسونز فى تحليله لنوعية النسق الاجتماعى Social System ونظريته الشهيرة فى هذا المجال انما تعكس لنا نوعية فكرة العلاقة المتبادلة بين البناءات والنظم الاجتماعية والعلاقة المتبادلة بين الأنساق الكبرى والأنساق الفرعية الأخرى. وهذا ما طوره أيضاً، ميرتون فى فكرته حول الخلل الوظيفى Dys Functional، التى لا تحدث فى العلاقة بين البناءات المختلفة والنظم ووظائفها فى المجتمع الحديث.

كما تجئ تصورات بارسونز واشتراكه مع سملر(1) فى دراسة النظم الثقافية والمعرفية فى المجتمع الحديث من خلال دراستهما المشتركة حول قضايا التعليم والثقافة الجامعية، وعمليات التنشئة الاجتماعية خير دليل على تحليلهما لدور المؤسسات الثقافة والتعليمية مثل المدارس والجامعات والمعاهد العليا، فى عمليات التحديث والتنمية المستمرة. كما أكدا على عملية الانتاج الثقافى Cultural Production باعتبارها من عمليات الانتاج المادة والفكرى أو اللامادى فى نفس الوقت ودورها فى تطوير المجتمعات والمحافظة على النسق (المجتمع الأكبر) وهذا ما جاء فى العديد من تحليلات رواد البنائية الوظيفية ولاسيما كتابات بيترم سوروكن Sorokin عند معالجته لفكرة الديناميكية والتغير الثقافى.

---

(١) راجع فى هذا الصدد،

عبد الله عبد الرحمن، سوسيولوجيا التعليم الجامعى، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠.

من ناحية أخرى، ان تحليلات الثقافة من المنظور السوسيولوجى، أخذت أبعاداً كثيرة وتصورات متغايرة حسب طبيعة المدخل الايديولوجى لكتابها من علماء الاجتماع. وهذا ما جاء فى تصورات الماركسية المحدثة Neo Marxism التى ركزت على دراسات عمليات الانتاج الثقافى. أوالحرمان الثقافى عند دراستها للطبقات الاجتماعية واختلافها فى العصر الحديث فى العديد من المجتمعات الأوربية الرأسمالية. خاصة، وأن الطبقات الرأسمالية لديها القدرة على امتلاك وانتاج والسيطرة وإدارة والتحكم فى الثقافة بمفهومها العام. الأمر، الذى يؤدى إلى وجود نوع من الحرمان الثقافى لدى الطبقات الفقيرة، فى حين تسعى الطبقات الرأسمالية على امتلاك الثقافة واعتبارها نوع من رأس المال البشرى Human Capital أو رأس المال الثقافى Cultural Capital، الذى تحرص دائماً الطبقات الرأسمالية على توريثه إلى ابنائها وفئاتها الاجتماعية. كما جاءت فى كتابات[1] الماركسية المحدثة فى كتابات بوردو Bourdieu، وبن دافيد Ben David على سبيل المثال.

بالطبع، ان تحليلات علماء البنائية الوظيفية ومداخلها المتطورة فى الوقت الراهن تركز على التغير الثقافى وأهميته عند دراسة قضايا المجتمع الحديث فى الوقت الراهن. ويظهر ذلك من خلال تقديمنا لتحليلات شولتز Shultz عن نظرية رأس المال البشرى، والتى تطورت بعد ذلك للتأكيد على دور وأهمية التعليم والمؤسسات التربوية فى تحديث عناصر الثقافة، ولاسيما، ان امتلاك الثقافة بمفهومها العام تؤدى إلى التطور، والتقدم، والتحديث، والتحضر. وهذا ما يظهر أيضاً، من خلال معرفة التصورات الحديثة والمداخل الثقافية فى دراسة التعليم، من أمثال تصورات ميشيل يونج M. Young، وتصوراته حول تطوير المقررات والمناهج التعليمية والثقافية، بل أيضاً ضرورة تحديث المؤسسات التعليمية ولاسيما المدرسة بعد أن فقدت الأسرة دورها فى عمليات التنشئة الاجتماعية Socialization.

حقيقة، ان تحليل التراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع ومدى اهتمامه بالنواحى الثقافية فى المجتمع الحديث، من الصعوبة ايجازها فى سطور قليلة. ولكن هدفنا هنا هو تبسيط الرؤى الاجتماعية للقارئ المبتدئ فى علم الاجتماع، ليتعرف بوضوح على مدى اسهامات علماء الاجتماع عند دراستهم لقضايا "المجتمع الحديث، كما جاء فى تصوراتهم حول الثقافة. وهذا فى مجملة يوضح لنا مدى صعوبة تفسير أفكار وتصورات علماء الاتجاه البنائى الوظيفى. وإلى كل من الاتجاه الوظيفى فى مقابل الاتجاه البنائى. وخاصة، ان مفهوم الثقافة كما وضحته لنا نظريات تايلور، وكوبر،

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر،

عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع المدرسة، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦.

واوجبرن وسيلزنيك وغيرهم، انما تشير فى اطارها العام إلى كل من الجوانب البنائية والثقافية فى نفس الوقت. خاصة، وأن دراسات علماء الاجتماع مثل علماء الانثربولوجيا أو غيرهم من علماء العلوم الاجتماعية، الذين يهتمون بدراسة كل من البناءات والنظم الاجتماعية ككل. وإن كانت تتبلور اهتمامات علماء الاجتماع عند دراستهم للثقافة أنهم يحرصون على دراسة نسق الثقافة، فى ضوء دراستهم للمجتمع بصورة عامة. وإن كان هذا التصور الشمولى كما جاء فى تحليلات الرعيل الأول من علماء الاجتماع، قد تغير كثيراً عند معظم علماء الجيل الثانى من علماء هذا العلم، ليركزوا على دراسة الثقافة أو تحليلها عند دراسته للتعليم والقضايا الصغرى ذات الطابع الميكرسكوبى، كما جاء فى دراستهم للتنشئة الاجتماعية، والمدارس والجامعات، والثقافة أو الشخصية أو الأسرة على سبيل المثال.

ثالثاً : مكونات الثقافة :

كشفت بعض التعريفات السابقة والمبسطة عن الثقافة، طبيعة المكونات والعناصر الداخلية التى تتكون منها الثقافة من حيث الشكل والمضمون أو المحتوى. ولقد توصل علماء الاجتماع إلى وجود عدد من العناصر المميزة التى تتكون منها الثقافة والتى يمكن عرضها بصورة مختصرة كما يلى(1):

١ - اللغة Language :

يتميز الإنسان إن غيره من المخلوقات الموجودة فى العالم، بأنه لديه لغة متميزة عن هذه المخلوقات، وحقيقة أن جميع مخلوقات الله سبحانه وتعالى لها لغة فى تعاملها وتفاعلها ومعيشتها مع بعضها البعض، لكن الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يستطيع أن يتعامل باللغة بصورة مدونة ومكتوبة. وهذا ما ظهر بصورة خاصة بعد معرفة الانسان الأدوات والآلات والاختراعات التى تمثلت فى فنون الكتابة المختلفة. وبالطبع، فلقد عرف الانسان لغة الكلام ولكن هذه اللغة أخذت معانى ومدلولات كثيرة أختلفت باختلاف الزمن ذاته. كما أن طبيعة التطور التاريخى والاجتماعى للمجتمعات البشرية عموماً يوضح لنا استحالة، وجود استمراره لهذه المجتمعات بدون وجود لغة تنقلها الأجيال للأخرى بمرور الوقت.

علاوة على ذلك، تعتبر اللغة من وسائل الاتصال الثقافى والمعرفى والتى تنقلها الأجيال لبعضها البعض، وتعتبر نوع من التراث الثقافى والاجتماعى الذى يحمل نسق العادات والتقاليد، والقيم وجميع الموروثات الثقافية الأخرى. وكما يهتم

---

(١) ارجع فى هذا الصدد إلى :
- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ١٤٤ – ١٤٥.
- على جلبى وآخرون، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٨٩ – ٩٥.

علماء اللغة بالمفردات والكلمات _العبارات اللغوية، يعالجون أيضاً طبيعة الدلالات والمعانى والتصورات والأفكار التى تحتويها هذه المفردات أو الكلمات البسيطة. كما يمكن دراسة اللغة واختلافها عبر العصور التاريخية وكيفية تمييز المجتمعات المتقدمة عن تلك البسيطة عن طريق دراسة اللغة. وترتبط المستويات الثقافية والاجتماعية والحضرية عموماً لدى الشعوب عن طريق دراسة لغتها كجزء من الثقافة. ولاسيما، ان اللغة تعكس مستويات التخصص وطبيعة الاختراعات وامتلاك التكنولوجيا، والالتزام بالقواعد والنظم والتشريعات الاجتماعية المختلفة.

ويشترك علماء الاجتماع مع غيرهم من علماء العلوم الاجتماعية مثل علماء الانثربولوجيا، واللغة، والتاريخ والآثار عند دراستهم للغة. هذا بالاضافة إلى علماء العلوم الطبيعية الأخرى مثل الطب والأحياء ولاسيما، أن جميع هذه العلوم تسعى للتعرف على طبيعة المعرفة الانسانية وإدراك الإنسان لطبيعة الحياة الاجتماعية والطبيعية ككل[1]. خاصة، وأن اللغة تعتبر وسيلة للاتصال الثقافى والحضارى، كما تقوم بعمليات التخصص وتقسيم العمل Division of Labor. ولقد طورت الأجهزة والاختراعات الحديثة مثل استخدام الحاسب الآلى ونظم الاتصالات الحديثة والانترنت وأدت إلى تسهيل الاتصال الثقافى واللغوى بين شعوب العالم، والصراع المستمر للسيطرة على مكونات الثقافة سواء كانت مادية أو لامادية.

٢ - الفن Arts :

يعد الفن عنصراً أساسياً من عناصر الثقافة وجزء من التراث الثقافى والحضارى للشعوب والمجتمعات، ويعد ما تركته الحضارات السابقة من فنون متعددة سواء فى مجال العمارة، والرسم، والهندسة، والصناعات الحرفية واليدوية وغيرها، نموذجاً مميزاً لطبيعة هذه الحضارات وملكيتها لهذه الفنون، وأثرها فىتطور الانسان والمجتمعات بصورة مستمرة. وهناك كثير من فلاسفة اليونان القدماء من أمثال أفلاطون، وارسطو، وسقراط الذين اهتموا بدراسة الفن من خلال تذوقهم المستمر لفلسفة الجمال، والذى تطورت عند غيرهم من فلاسفة ومفكرين وعلماء اجتماع وانثربولوجيا فى الوقت الراهن. فدراسة الفلاسفة لمسألة التذوق الفنى فى مجال مثل الشعر أو الخطابة أو الرسم، والنحت، والعمارة يعد نوعاً من الاحساس بالجمال لهذا الفن بالذات دون غيره.

ومن ثم جاءت، المظاهر المختلفة للفن عندما تدرس تاريخ الفنون لتعكس لنا مدى دور الفن والفنانين عموماً فى المجالات المختلفة وحرصهم على اكتساب

---

(١) توجد تحليلات متميزة للعلاقة بين الثقافة واللغة فى المرجع التالى :

- Broom, L & P. Selznick, Op. cit, P. 57.

المهارات اللازمة لتطوير الفن وتحديثه، والسعى لعمليات الاتقان والتذوق الفنى الرفيع، ليكون أيضاً من اهتمامات الأفراد العاديين. ولاسيما، أن الفن عموماً يعكس مجموعة من العواطف والانفعالات والاحاسيس والشعور، والتفكير والادراك العقلى للأفراد والجماعات والمجتمعات فى نفس الوقت. ومن هذا المنطلق، سعى علماء الاجتماع بدراسة فنون العمل، والانتاج، وأنماط التكنولوجيا المستخدمة لدى الشعوب والمجتمعات، للتعرف على طبيعة هذه المجتمعات لأنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فيها. فدراسة الانسان منذ القدم واستخدام التكنولوجيا وأدوات بسيطة فى الزراعة والرى أو الصيد أو الرعى، إنما يعكس مدى التقدم الذى طرأ على هذا الانسان ومجتمعه. فاستخدام الفأس والمحراث البسيط أو الآلات الحادة مثل الرمح واستخدامه فى الصيد فى مراحل تاريخية معينة، يختلف بالطبع فى الوقت الحاضر عن استخدام الانسان لتكنولوجيا وأدوات متقدمة ومتطورة وتعكس أيضاً طبيعة الوضع الاجتماعى والاقتصادى ككل.

٣ - الأفعال الانسانية Human Actions :

سعى علماء الاجتماع لدراسة نمط الأفعال الانسانية، خاصة وأن دراسة كل تغير يحدث يعتبر فعلاً Action، ومجموعة هذه الأفعال تعتبر الوحدات الأولية للسلوك البشرى Human Behavior. ومن ثم، فان الاهتمام بدراسة أفعال الفرد أو الجماعات يستطيع الباحث أن يتعرف بوضوح على نوعية النشاط الانسانى ويصبح قيد الملاحظة والتجربة. وهذا ما يجعل الباحثين قادرين على معرفة ودراسة وتحليل طبيعة الأفعال وأنماط السلوك، وما يعرف برد الفعل Reaction، لهذه الأفعال أو السلوك بين أفراد الجماعة الواحدة، أياً كان مسمى هذه الجماعة، أسرة، جماعة أصدقاء، زملاء فى العمل، شركاء فى شركة صناعية، مجموعة من الجيران، عصابة من المجرمين أو غيرهم.

كما عن طريق دراسة الأفعال الانسانية سواء أكانت فردية أم جمعية يمكن أن نصل إلى معرفة نوعية استخدام هذه الجماعات أو الأفراد لطبيعة النظام فى نفس الوقت ومعرفة نوعية القواعد والنظم والقوانين والأعراف وغيرها من العناصر أو المستويات الثقافية. كما يمكن أيضاً، أن نعرف مدى توافق وتكيف الأفراد أو الفرد للعيش داخل جماعته أو صعوبة ذلك بصورة عامة.

٤ - العادات الشعبية Folkways :

تعتبر العادات الشعبية أو ما يسميه البعض بالطرائق الشعبية، هى مجموعة الأفعال الاجتماعية المتكررة التى يمارسها الأعضاء الموجودين فى المجتمع أو داخل جماعة بشرية. وهى أيضاً مجموعة التصرفات والمعتقدات النموذجية

المتكررة، والتى يمكن ملاحظتها نظراً لوجود عدد من الخصائص المميزة لها. وتتمثل مجموعة الخصائص أو العادات الشعبية بأنها تميل إلى البقاء والاستمرارية، وتأخذ طابع الأنساق المنظمة، ويختلف سلوكها بواسطة الأفراد أو الأعضاء أنفسهم، كما أنها تأخذ طابع العمومية بين المجتمع ككل، علاوة على أن دراسة العادات الشعبية تسهم فى التعرف على نوعية الطرق المميزة والمشتركة لنوعية الفعل الاجتماعى والسلوك البشرى داخل الجماعة والمجتمع، ولاسيما أنها تنتقل من جيل إلى جيل باعتبارها عنصراً من العناصر الثقافية.

٥ - العرف Mores :

يتحدد العرف بأنه الطرق العامة المشتركة التى يستطيع الباحث معرفة مدى صدق وثبات العادات الشعبية، كما يعد الخروج عليها من قبيل الأفراد والجماعات التى توجد فى المجتمع، نوعاً من الاعتداء على المجتمع ذاته، علاوة على ذلك، أن الباحثين الاجتماعيين من علماء النفس والتربية أو الجريمة يستطيعون أن يأخذوا قراراً بشأن سلوك الأفراد، عما إذا كان هذا السلوك ممثلاً للعرف السائد أو خارجاً عليه. ولذا يمكن القول، بأن من وظائف العرف أنه يحدد طبيعة الصواب والخطأ والجزاء والعقاب فى نفس الوقت.

ومن خصائص العرف أيضاً أنه مثل غيره من المكونات والعناصر الثقافية التى تخضع للتغير والتعديل المستمر وإن كان مظاهر التغير أو التعديل تأخذ الشكل التدريجى أو البطئ. كما أن تغير العادات الشعبية يكون أسرع فى الوقت ذاته، خاصة، وأن العرف يرتبط بالقيم والتقاليد والدين والأخلاق والقانون وغيرها من العناصر الثقافية الأخرى التى توجد فى المجتمعات وتميزها عن بعضها البعض.

٦ - القانون والنظم الاجتماعية Law & Institution :

يهتم علماء الاجتماع بدراسة وتحليل كل من القانون والنظم الاجتماعية، عند دراستهم لطبيعة البناءات المجتمعية ذاتها، ولاسيما أن القانون والنظم الاجتماعية يعتبران من العناصر الثقافية الهامة، التى يمكن دراستها فى المجتمعات الحديثة ومقارنتها بالمجتمعات التقليدية أو البسيطة. والعناصر الثقافية وما تحتويه من أعراف وأفعال وعادات شعبية، بالاضافة إلى القانون والنظم تعكس لنا مدى تعقد المجتمعات وتطورها بمرور الوقت، ويكون مصدر القانون كثيراً من عناصر العادات والأعراف الاجتماعية علاوة على الدين.

أما النظم الاجتماعية، فهى أحد عناصر الثقافة وتتضمن العادات والتقاليد والعرف والقانون أيضاً، وعندما تندمج هذه العناصر ومعرفة محتواها العام ككل تقوم

بوظائف اجتماعية معينة، تهدف إلى المحافظة على المجتمع أو تجئ مجموعة الوظائف الاجتماعية فى اطار مجموعة من النظم مثل النظم السياسية والاقتصادية والتربوية والعائلية، والدينية والقانونية، وبالطبع إن جميع هذه النظم من حيث البناء والوظيفة تساند كل منها الآخر وتساعد على المحافظة على وجود المجتمع واستمراره وتطوره.

٧ - المعتقدات والقيم Beliefs & Values :

عندما يولد الإنسان وينشأ داخل الأسرة وفى المجتمع، ثم يكد ويعمل داخل وحدات معينة أو يعيش بصورة عامة، يسعى فى كل مرحلة عمرية أن يكون لذاته مجموعة من التصورات والأفكار العامة لما يحيطه من حوله. وتكون وظيفة هذه التصورات بمثابة سمات وعناصر ثقافية تجعله قادراً على التكيف للعيش فى بيئته الاجتماعية بصورة جيدة. فمعتقدات الإنسان عن الخير، والشر، والنجاح، والفشل، والعمل، والحماية، والأمن، وغيرها يستطيع الفرد أن يأخذها ويتعلمها من خلال الآخرين سواء أكانوا من أسرته أو جماعته الاجتماعية الأولية، أو الثانوية مثل جماعة الأصدقاء أو زملاء الفصل الدراسى أو غيرهم.

أما القيم، فهى موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير، وتتضمن كل الأشياء والموضوعات والظروف والمبادئ، التى أصبحت ذات معنى معين اكتسبها الإنسان من خلال خبرته أو تعلمه لها. فالقيم، ربما تكون ايجابية أو سلبية، أو مرغوب فيها أم لا، وتقوم القيم بوظيفة هامة للأفراد والجماعات، لأنها تعطى لهم نوع من الهدف والسعى لاكتساب العمل والنشاط، وتقدير الآخرين لهم أو تقديرهم لأنفسهم أيضاً. لذا، جاءت مجموعة القيم العليا للأفراد أو الفرد الواحد نوعاً من الاطار المرجعى الذى يأخذه الفرد والجماعة ويكون مرشداً للامتثال له وتحقيق عناصره طول الوقت. فقيم النجاح، والتفوق، والعمل، والابداع، أو الاسراف، أو الفشل تعنى مجموعة من الدوافع والرغبات والشعور واللاشعور التى يسعى الانسان لاشباعها أو لمعرفة إذا كانت قيماً ذات طابع سلبى أو ايجابى.

٨ - الرموز والطقوس والأسطورة :

تعكس هذه العناصر الثقافية جانباً كبيراً من الجوانب اللامادية أو غير المحسوسة، فالأسطورة مثلاً نوع من الخيال أو المعتقدات الشعبية التى لها معانيها العامة، والتى يعتقد فيها الكثير من أفراد المجتمع ويعيشون من أجلها. فهناك الكثير من الأساطير الاجتماعية، التى تأخذ طابع المشاركة بين أفراد المجتمع الواحد أو الجماعة المحلية الصغيرة. كما أن لكل فرد أسطورته الخاصة والتى تعكس تصوراته ومعتقداته الفردية والذاتية أو تكون عموماً عالمه الخاص. كما ترتبط الأسطورة بعالم الخرافة، والبعد عن الواقع وبالنسق الدينى والعقائدى أو الميتافيزيقى أو الطبيعى أيضاً.

أما الرموز Symbolic، فهى من العناصر الثقافية التى تعبر عن أنساق القيم والمعتقدات والتى تظهر في صورة معينة عن طريق الطقوس[1]. حيث يسعى كل مجتمع من المجتمعات أو الجماعات المحلية، على أن يحافظ على قيمه ومعتقداته عن طريق بناء شعارات ورموز وطقوس معينة. فاقامة الحفلات الدينية مثلاً تعكس لنا نسق المعتقدات الدينية ونوعية المناسبات وأسبابها والتى تجئ فى عملية التعبير عنها فى مجموعة كبيرة من الطقوس الخاصة، مثال ذلك المناسبات الدينية التى تجرى للمسلمين فى أعياد الفطر أو الأضحى، أو فى أعياد الميلاد الخاصة بالمسيحيين.

وبالطبع، لقد اهتم علماء الاجتماع والانثربولوجيا منذ عقود طويلة بدراسة هذه الأنماط الثقافية مثل الرموز، والطقوس، والأساطير الموجودة فى المجتمعات البدائية وأيضاً المتقدمة. فلا يوجد مجتمع حتى ولو كان متقدماً ومتحضراً بعيداً تماماً عن وجود أنساق من الطقوس، والأساطير التى تكشف كثيراً عن مجموعة الخصائص والعناصر الثقافية السائدة فى هذه المجتمعات. هذا بالاضافة، إلى أن اهتمامات علماء الاجتماع بدراسة هذه العناصر تعزز من دراسة الثقافة وطبيعتها المتغيرة عبر العصور التاريخية، وأسباب اختلافها بين المجتمعات والشعوب، والتى تتحدد بدورها طبقاً لمستويات الثقافة أو العناصر الثقافية. كما أن الثقافة تحتوى على ثقافات فرعية أخرى تكشف عن الكثير من وجود طقوس ورموز وأساطير، تختلف داخل المجتمع الواحد طبقاً لنسق القيم والمعتقدات الموجودة فى الواقع.

٩ - المكونات أو العناصر المادية للثقافة :

بالطبع، ان تعريفات الثقافة بصورة عامة عكست طبيعة هذا المفهوم الذى يحمل مجموعة العناصر الثقافية اللامادية والمادية، والتى يستطيع الفرد اكتسابها من المجتمع باعتباره عضو فيه. وهذا ما جعل العلماء يصفون الثقافة بأنها نوع من التراث الاجتماعى الذى يورث من جيل إلى آخر. فعناصر القيم، والعادات، والأفعال، والعرف، والقانون، والنظم الاجتماعية، والرموز، والأسطورة، والقيم والمعتقدات تحمل الجوانب اللامادية. أما كل ما يستطيع أن يلمسه الانسان من عناصر وأشياء فهى جوانب مادية وهى تجعل كل الانتاج البشرى وأنماط التكنولوجيا المختلفة، والذى تخضع دائماً لعامل التغير المستمر، والتى سعى الانسان لاكتسابها أو اختلافها من أجل اشباع حاجاته الأساسية وكما لا يمكن الفصل بين مكونات الثقافة المادية واللامادية، خاصة وأن الثقافة المادية تعبر عن المظهر الفيزيقى للتفاعل الانسانى، أما الثقافة المادية فهى تعبر عن المظهر الفكرى والايديولوجى لهذا التفاعل البشرى.

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول الرموز، أرجع إلى :

- Lwhite, L "Symbol" in Coserl, Op. cit, PP. 32-39.

رابعاً : خصائص الثقافة :

يوضح تحليل كل من تعريفات الثقافة وعناصرها المختلفة، أنها تحمل مجموعة من السمات أو الخصائص Characteristics، تميزها عن غيرها من المفهومات التى سعى كل من علماء الاجتماع والانثربولوجيا والنفس والتاريخ لتحليل خصائص، ومن أهم الخصائص التى يتفق حولها علماء الاجتماع للثقافة بصورة موجزة ما يلى[1]:

١ – الاستقلالية Dependent : تتميز الثقافة بأنها شئ مستقل تماماً عن الأفراد الذين يكتسبونها عن طريق الخبرة أو التعليم، نظراً لأنها جزء من التراث الاجتماعى الذى يورث من جيل إلى آخر. وهى أيضاً، حصيلة النشاط الإنسانى وأنماط السلوك والتفاعل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

٢ – الاستمرارية Continuous : فالثقافة، لا ترتبط بالأفراد بقدر ما يحتفظ بكيانها لعدة أجيال هذا بالرغم من أن المجتمعات تتعرض لكثير من التغيرات السريعة أو الفجائية، أو قد تفنى الأجيال وتموت أفرادها. ولكن الثقافة وما تشمل من عادات وتقاليد وأساطير وطقوس، وأيضاً ما تحتويه من مبانى ومنشآت وتكنولوجيا، فهى مستمرة لفترة طويلة، بالرغم من حدوث تعديلات وتطورات على مضمون عناصرها العامة.

٣ – التعقيد Complexity : تمتاز الثقافة كما وضحها تايلور بأنها الكل المعقد، الذى يحتوى بالطبع على كثير من العناصر والسمات المتداخلة فليس من السهولة على الفرد أن يفصل بين مكونها مثل الفصل بين العادات والتقاليد أو القيم والأعراف أو الطقوس والرموز أو الأسطورة أو نوعية الأفعال والسلوك البشرى، فجميعها متداخلة ومعقدة، من الصعوبة عامة فصل عناصرها دون الأخرى. وهذا ما ينطبق أيضاً، على مجمل العناصر الثقافية المادية، فالفنون الهندسية مثل إنشاء الكبارى والطرق والاتصالات من الصعوبة أيضاً الفصل بينها، ومضمون السمات الثقافية الفنية أو المعمارية فى احدى الدول عن الأخرى.

٤ – الاشباع Satisfaction : للثقافة مجموعة من الوظائف الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية، فهى تكرس لاشباع الحاجات الانسانية الأساسية، والعمل على رفاهيته وتلبية احتياجاته المستمرة والمتغيرة بمرور الوقت

---

(١) أنظر المراجع التالية :

- اسماعيل حسن عبد البارى، أسس علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص ١٥١.
- على جبلى وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٣.
- عاطف غيث، مرجع سابق، ص ١٤٩.

أو الزمن. فالانسان يسعى دائماً لاشباع غرائزه وانفعالاته ودوافعه وغرائـزه المختلفة. علاوة علـى أن لـه مطـالب أخـرى مـن الثقافـة وعناصرهـا سـواءاً كـانت ماديـة أو لاماديـة، فحاجـات الإنسـان مـن المـأكل والملبس، المسـكن، والتعليم والتنشئة والرفاهية، عموماً تستلزم مـن الانسـان العمـل علـى اشـباع تلك الحاجات بصورة أساسية.

٥ – التكيف Adaptation : تمتاز الثقافة بأن لديها خاصية التكيـف مـع الظـروف البيئية المختلفة، فاستعارة سمات ثقافية معينة وانتقالها إلى مجتمعات أخـرى، أو إلى شعوب أخرى، تجعلها فى موضوع يجب أن تتـلاءم فيـه مـع نوعيـة العـادات والتقـاليد والوضـع الاجتمـاعى والاقتصـادى الـذى انتقلت إليـه مــع حدوث نوع من التعديل والتطور على بعض جوانبها أو عناصرها المختلفة.

٦ – التكامل Integration : تعتبر خاصيـة التكـامل مـن الخصـائص العامـة للعنـاصر الثقافية، ويحدث هذا التكامل نتيجة التكيف بين الأجزاء الثقافية ونوعية الظـروف الاجتماعية. فإذا حدث نوع مـن التغير فـى القيم والعـادات والتقـاليد أو النظـم أو القوانين فانها تلبث إلى أن تتكامل مرة أخرى حتـى تضمـن لذاتهـا الاسـتمرارية. وبالطبع، توجد فوارق بين المجتمعات البسيطة والمعقدة من ناحية التكامل الثقافى نتيجة لعوامل التغير والتحديث والاتصال أو الانتشار الثقافى.

٧ – الانتقائية Selection : لا تنقل الثقافة من جيـل إلـى جيل أو لا تتـوارث الأجيـال الثقافة بصورة كاملة، كما لا تنتقل الثقافة مـن مجتمـع إلـى آخر بصـورة كاملـة، وهذا يعتبر نسبياً مستحيلاً، خاصة، وأن الثقافة تعتبر من الأشياء الموروثة، التـى ظل جزءاً منها له طابع الاستمرار، ولكن هذا يعنى أن هناك كثير مـن العنـاصر الثقافية تم اختفائها أو طمس معالمها أو نسيانها. فالثقافة، كأشياء ملموسـة وغير ملموسة تختلف عن العناصر البيولوجيـة التـى لا تنتقل أيضـاً هـى بالكـامل عبر الأجيال، حيث يحدث نوع من الانتقاء لهذه العناصر دون الأخرى.

٨ – التغير Change : وتمتاز الثقافة بخاصية أخرى، حيث أنهـا لا تعتـبر شـيئاً جامداً فى الكون أو العالم المحيط الخارجى للأفراد والجماعات. ولاسيما، أن الثقافـة فـى حالـة مـن الديناميكيـة المستمرة. فأنمـاط التكنولوجيـا مــن مبــان ومنشآت واختراعات متعددة فى حالة من التغير والتطـور. وهـذا مـا ينطبـق أيضـاً، علـى المكونـات الثقافيـة اللاماديـة مثـل العـادات والتقـاليد والفنــون والأفعال والنظم الاجتماعية، فجميعها تعتريها عوامل التغير المستمر. لكـن يحدث نوع من التغير السـريع علـى الجوانـب الماديـة التكنولوجيـة، والتغـير البطئ علــى الجوانـب اللاماديـة، وهـذا مـا وضحـه لنـا عـالم الاجتمـاع وليـم اوجبرن فى نظريته عن التخلف الثقافى Cultural Lag.

خامساً : وظائف الثقافة :

تعددت مكونات وعناصر الثقافة بجوانبها المختلفة سواءاً كانت ثقافة مادية ولامادية، فجميعها موجهه لاشباع الحاجات الأساسية للإنسان، وأيضاً لتحقيق أعلى درجات من الرفاهية للجنس البشرى. كما تقاس درجات الرفاهية والتقدم فى المجتمعات الغربية أو المتحضرة، بما لديها من مستويات وامكانات ثقافية، تهدف إلى إسعاد شعوبها بمختلف الوسائل. حقيقة، لقد تعددت وظائف الثقافة كما تظهر تحليلات تراث علم الاجتماع لموضوع الثقافة، وتوجه هذه الظائف سواء للفرد أو الجماعات أو الأسرة أو المجتمع ككل.

ولكننا نميل إلى تبنى وجهة نظر أحد علماء الاجتماع الفرنسيين المحدثين وهو جاى روشيه G. Rocher الذى يصنف وظائف الثقافة إلى قسمين أساسيين من الوظائف هى(١):

١ - الوظائف الاجتماعية Social Functions :

تسعى الثقافة للعمل على جمع مجموعة من الأفراد أو الجماعات التى يتكون منها المجتمع ليعيشوا فى وحدة جمعية أو ارتباطاتهم فى هذه الحياة الاجتماعية، نتيجة لوجود علاقات الدم والقرابة، والبيئة الجغرافية، والسكن فى بيئة مشتركة، علاوة على وجود نوع من التخصص وتقسيم العمل بينهم. وهذه العلاقات أو الروابط التى تندرج تحت اطار مضمون الثقافة تجعلهم قادرين علي الاستمرارية والوحدة والوجود، والشعور بالأمان والحماية. وهذا ما يظهر مثلاً فى علاقات الدم، مثل العلاقات الزواجية والروابط الأسرية المتداخلة، والتى تحكمها مجموعة العادات والقيم والتقاليد والأعراف، كما تنظم أنماط التفاعل والمعاملات والعلاقات والسلوك للأفراد أو الأعضاء الذين ينتمون إلى هذه العلاقات وروابط الدم أو القربى.

علاوة على ذلك، إن طبيعة العيش والسكن فى بيئة فيزيقية ومكانية واحدة للأفراد أو الجماعات تجعلهم مرتبطين بعضهم البعض نتيجة وجود عناصر تقسيم العمل Division of Labor، ويعملون على تكوين جماعة قرابية أكبر قد تصل إلى تكوين أمة Nation، تتوارث فيما بينها الثقافة باعتبارها نوع من التراث الاجتماعى، وتحددها بناءتها الاجتماعية والطبقية ونظمها الاجتماعية والاقتصادية وقوانينها وتشريعاتها المختلفة التى تؤدى إلى استمرار وجودها. وهكذا، يمكن القول، بأن الثقافة تتضمن مجموعة العناصر العقلية والأخلاقية والعالم الرمزى Symbolic world، الذى يشترك فيه مجموعة الأفراد والجماعات، والتى تستطيع

(١) Rocher, G, Op. cit, PP. 93-94.

أن تتفاعل مع بعضها البعض، وتعترف بوجود مجموعة من القواعد والروابط والمشاعر والاهتمامات المشتركة والمتصارعة، والتى يمكن أن يشعر بها كل من الأفراد والجماعات الموجودين داخل البناء الاجتماعى الذى يربطهم جميعاً.

٢ - الوظائف السيكولوجية Psychological Functions :

تتحدد هذه الوظائف فى ضوء الوظائف الاجتماعية الأخرى، ومن الصعوبة الفصل تماماً بينها، ولكن يلاحظ علي المستوى الفردى أو الشخصى أن الثقافة تعتبر ذو وظائف متعددة، لأنها تعمل أولاً على تحديد وتشكيل نمط الشخصية الفردية Individual Personality. فالثقافة، تستطيع أن تكسب الفرد مجموعة من المشاعر، والانفعالات والعواطف، والتفاعل، والعلاقات، التى يمارسها مع الآخرين من أفراد أسرته أو جماعته التى ينتمى إليها. علاوة على ذلك، أن العناصر الثقافية تعطى للفرد مجموعة أخرى من أنماط التفكير، والمعرفة، والأفكار، وقنوات الاشباع ووسائلها المختلفة لسد الحاجات النفسية والبيولوجية.

فالأطفال حينما يولدون ويكبرون داخل أنماط ثقافية معينة (قومية، اقليمية، طبقية) يكتسبون أنماط سلوكية معينة حول نظام الغذاء أو طريقة الأكل، التى تحدد انتماءاتهم الثقافية والطبقية التى ينتمون إليها بالفعل. كما تكون لديهم مجموعة المشاعر والعواطف والانفعالات وشكل أنماطهم السلوكية والشخصية ككل. علاوة على ذلك، تظهر الوظائف السيكولوجية للثقافة بالنسبة للفرد، عن طريق عملية التكيف الفردى Individual Adaptation. حيث أن الأفراد لديهم قدرة للتكيف مع سمات أو عناصر ثقافية جديدة. وهذا ما يوصف بعملية الامتثال الثقافى Cultural Assimilates. أن ما يحدث عندما يقوم الفرد باقتناء أحدث الأزياء حسب ثقافته الخاصة والعامة. من ناحية أخرى، تقوم الثقافة بمجموعة أخرى من الوظائف للأفراد من عمليات الاختيار Choices، وتحديد أفكارهم وارادتهم واتجاهاتهم وتصوراتهم ومعتقداتهم وتنشئتهم بصورة عامة. ولاسيما أن الثقافة تشكل نمط الشخصية ككل.

بإيجاز، ان التصورات السابقة لوظائف الثقافة، وما يعرف بالوظائف السوسيو-سيكولوجية، التى عبر عنها (روشيه) فى تصوراته إنما تعكس لنا مدى التداخل فى مجموعة الوظائف الاجتماعية والسيكولوجية فى نفس الوقت. لهذا ما يعكس الوظيفة المزدوجة للثقافة، والتى تؤهل كل من الأفراد والجماعات والمجتمعات، للتكيف مع بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، وتعد موضع اهتمام كل من علماء الاجتماع، والانثربولوجيا، والنفس على وجه الخصوص. وهذا ما يكشف عموماً طبيعة وخصائص الثقافة التى تمتاز بالتعقيد، والتغير، والتكامل، والانتقائية وغير ذلك من خصائص أخرى متعددة.

سادساً : التكامل الثقافى :

تمتاز الثقافة بخاصة التعقيد والتكامل بالاضافة إلى مجموعة الخصائص الأخرى مثل التغير والديناميكية والاستقلالية والاستمرارية وغيرها. ولقد ارتبطت تحليلات مجموعة كبيرة من علماء الاجتماع والانثربولوجيا بدراسة التكامل الثقافى Cultural Integration، خاصة عندما يركزون على دراسة أهم مقومات التكامل الثقافى وعوامل المختلفة. ولاسيما، أيضاً كما يكشف تحليلات علماء الاجتماع، أن طبيعة الثقافة أو العناصر الثقافية، تتجه نحو تحقيق درجة معينة من التكامل فيما بينها. ويظهر ذلك إذا نظرنا إلى طبيعة مجموعة العناصر اللامادية مثل القيم والمعتقدات والفنون والنظم واللغة والرموز والأساطير وغيرها. فجميعها متداخل ومتشابكة ومن الصعب على الباحث الاجتماعى أن يفصل بينها بصورة تامة نظراً لأن الثقافة تكون فى حالة من التغير المستمر، نتيجة لوجود عوامل التغير، والانتشار، والاستعارة، والاتصال الثقافى ككل.

وهذا، ينطبق أيضاً، على مجموعة العناصر الثقافية المادية الأخرى، فطبيعة الاختراعات والآلات وأنماط التكنولوجيا ووسائل الاتصال والطاقة وغيرها من الصعوبة الفصل بينها نظراً لأنها دائماً متجددة. فمعظم السيارات والطائرات والمبانى والمنشآت وغيرها دائماً فى حالة من التغير والتطور نتيجة لحدوث الاختراعات والابتكارات المستمرة، والتى تهدف أساساً إلى تحقيق أعلى درجات من الاشباع لحاجات الإنسان ورفاهيته. علاوة على ذلك، ان جملة العناصر الثقافية اللامادية والمادية، لها وظائف أساسية سواءاً كانت اجتماعية أو سيكولوجية للجنس البشرى، ومن ثم فإن عملية التكامل الثقافى، تكمن من خلال تحقيق الوظائف الاجتماعية النفسية واشباع الحاجات الأساسية أو تحقيق رفاهية الفرد أو الجماعة.

علاوة على ذلك، ان الحديث عن التكامل الثقافى لا يعنى وجود ثقافات على درجة تامة من التكامل، ولكن يلاحظ أن التكامل مسألة درجة. فطبيعة المجتمعات البسيطة أو التقليدية، تظهر فيما بينها نوع من التكامل فى أنساق المعتقدات والقيم والأعراف والأخلاق والدين، ولكن لا يمكن أن تؤدى هذه الأنساق أو العناصر الثقافية إلى درجة تامة من التكامل فى نفس الوقت. كما يلاحظ أن المجتمعات المعقدة أو المدنية، تهدف فيها العناصر الثقافية ومجموعة المشاعر والأفكار والقيم والقوانين والنظم إلى وجود نوع من التكامل لتحقيق الاستقرار والأمن والاستمرارية فى المجتمع، ولكن فى نفس الوقت، يوجد نوع من الفوضى، وعدم الاستقرار، والمشكلات النفسير والاجتماعية، والجريمة والانحراف، لتوضح لنا مدى درجة التكامل الثقافى واشباع الحاجات والوظائف الأساسية للثقافة سواءاً كانت اجتماعية وفردية ذاتية أو حدوث عموماً ما يعرف بالصراع الثقافى Cultural Conflict.

سابعاً : ديناميكية الثقافة :

تتصف الثقافة بمختلف عناصرها المادية والامادية بخاصية التغير الديناميكى المستمر. فنلاحظ على سبيل المثال، أن نسق المعتقدات والقيم والأعراف والنظم والقوانين والأساطير والرموز والطقوس وغيرها من العناصر اللامادية، فى حالة من التغير المستمر وان كان يتم بصورة تدريجية بطيئة. وهذا ما وصفه لنا بعض علماء الاجتماع، الذين ركزوا بصورة أساسية على دراسة الثقافة، وأصبحت نقطة اهتمامهم المرجعية ومن أهم تصوراتهم السوسيولوجية العامة.

ومن أبرز هؤلاء العلماء وليم أوجبرن[(١)] Ogburn عندما أشار إلى أن العناصر الثقافية اللامادية (السابقة)، تتغير بصورة بطيئة أو تدريجية، بينما العناصر الثقافية المادية والتى تشمل جميع وسائل التكنولوجيا والاختراعات والابتكارات العلمية وكل ما يقتنيه الانسان من وسائل اتصالات ومبان ومنشآت أو غيرها، فهى فى حالة من التطور والتغير السريع. والاختلاف الناتج عن سرعة التغير الذى يحدث على المكونات الثقافية المادية التى تتسم بالسرعة، والبطئ أو التغير التدريجي للعناصر الثقافية اللامادية ينشأ عنه نوع من التخلف الثقافى Cultural Lag وبالرغم من اعتراضنا على مظاهر هذا التخلف، الذى أشار فيه اوجبرن فى نظريته عموماً، حيث يظهر ذلك التخلف بصورة متميزة فى المجتمعات المتخلفة أو النامية بصورة أكثر، إلا أن هذه التصورات أفادت كثيراً فى دراسة عمليات التغير الثقافى.

وتجئ تحليلات بيترم سوروكن[(٢)] P. Sorokin، عندما يتناول قضية التغير بصورة عامة، والتغير الثقافى بصورة خاصة، ويشير إلى أن عمليات التغير تحدث عندما يحدث نوع من التغير بين الثقافة الفكرية، والثقافة الحسية (الملموسة). وهذا ما يتفق مع وجهة نظر اوجبرن السابقة، حول تصنيفه لعناصر الثقافة المادية واللامادية ومعدلات التغير التى تحدث على عناصر الثقافة ككل. ولقد ناقش سوروكن من منظور سوسيولوجى وتاريخى وثقافى، عملية التغير الاجتماعى والثقافى التى حدثت فى المجتمعات الغربية ومحللاً العديد من الثقافات الغربية، بدءً من الثقافة الاغريقية حتى الثقافة الأوروبية الحديثة. علاوة على أنه أهتم أيضاً بدراسة التاريخ الثقافى والتغير الذى حدث فى المجتمعات الشرقية الأخرى مثل المجتمع المصرى القديم ومجتمعات الشرق الأدنى، والصين، والهند أيضاً. وهذا ما جعل تحليلات سوروكن تتصف بالكتابات التاريخية للثقافة، كما يتصور أن التغير الثقافى الذى يحدث على مكونات أو العناصر

---

(١) Ogburn, W, Social Change, N. Y: 1955.

(٢) تيماشيف، مرجع سابق، ص ٤٠٩، ص ٤١١.

الثقافية الفكرية أو الحسية – كما صنفهما بالفعل، لا يمكن حدوثه (التغير الثقافى) بصورة فجائية ولكن يحدث نوع من النمو الثقافى Cultural Growth. كما أن الثقافة لا يمكن أن تموت أبداً، بقدر ما تحتفظ ببعض أجزائها، أو قد ترفض هى (الثقافة) جانباً آخر من هذه الأجزاء، كما يحدث التغير الثقافى نتيجة لحدوث ما يعرف بعمليات الامتصاص الثقافى أو الاستعارة الثقافية من الثقافات الأخرى.

وكما تضيف لنا تحليلات تيماشيف[1]، عن عمليات التغير الثقافى الديناميكى، سواءً عند علماء التاريخ من أمثال شبنجلر، وتوينبى، وكتابات سوروكن بالاضافة إلى تصورات ستيوارت تشابين S. Chapin، عندما عالج عملية التغير الثقافى من خلال تحليله لمجموعة كبيرة من الثقافات العالمية وحدد طبيعة حدوث التغير الثقافى إلى عدة مراحل معينة. كما عالج أيضاً، الفريد كروبر A. Kroeber عالم الانثربولوجيا كغيره من العلماء البارزين من أمثال مالينوفسكى، طبيعة النمو الثقافى والتغير الثقافى، ولاسيما دراسة الأول للطريقة التى تكون بها خاصة الثقافات الراقية. كما تجئ كتابات الفريد فيبر A. Weber، عندما يتحدث عن التطور التاريخى للثقافة، واستخدامه عموماً للمدخل التاريخى مثل شقيقه ماكس فيبر M. Weber، ويوضح طبيعة علم الاجتماع والذى يعرفه بأنه علم الاجتماع الثقافى. كما يقسم (الفريد فيبر) التاريخ إلى ثلاث عمليات أساسية وهى: الاجتماعية، والحضارية، والثقافية. وتتميز العملية الأخيرة (الثقافة) بأنها تتميز بالابداع. كما أن جميع العناصر الثقافية تعتبر عناصر متميزة وفريدة وليس من السهولة انتقالها ببساطة. والثقافة عموماً، تنمو وتزدهر على طريقة الموجات المتكررة، وتتمثل عناصرها فى العالم والشخصية الفردية، والفن، والدين، والفلسفة، والتكنولوجيا وجميعها تعتبر مجالات الابداع الحقيقى.

حقيقة، ان دراسة ديناميكية التغير الثقافى، لا يمكن حالياً أن نستطرد فى تحليلاتها ولاسيما أنها ترتبط بعملية أو قضية التغير الاجتماعى، الذى يعد من المجالات السوسيولوجية الهامة، وارتبطت بها نظريات متميزة شأنها شأن وظيفة التغير الثقافى. وان كان هدفنا الحالى، هو اعطاء فكرة موجزة لعملية التغير الثقافى، فى اطار تحليلنا لبعض مكونات وخصائص وفكرة الثقافة وعلاقتها بدراسة المجتمع. من ناحية أخرى، ان التحليلات السوسيولوجية لعلماء الاجتماع التقليديين والمعاصريين، تحمل الكثير من المفاهيم والتصورات القضايا عندما تعالج قضية التغير الثقافى وتربطها بالكثير من المفاهيم والتصورات الأخرى مثل الانتشار

(١) المرجع السابق، ص ٤١٢ – ٤١٤.

الثقافى، والاستعارة الثقافية، والاتصال الثقافى، والتباين والتنوع الثقافى، والتمثيل والتكيف الثقافى، وغير ذلك من مفاهيم متعددة تحتاج لكثير من الوقت لدراستها بصورة مستفيضة، ولكن جميعها تعكس بصورة أو بأخرى طبيعة التغير الثقافى وديناميكيته المستمرة.

خاتمة :

ما من شك أن التحليل السوسيولوجى للثقافة يعتبر من التحليلات المتميزة التى يعطى خلفية للقارئ المبتدئ، عن طبيعة الثقافة وكيفية معالجة علماء الاجتماع لهذا المجال الحيوى فى علم الاجتماع. خاصة، وأن هناك من يعرف علم الاجتماع، بأنه العلم الذى يدرس الثقافة. أما كما ركز البعض منهم على ضرورة تغيير مسمى علم الاجتماع، بعلم الاجتماع الثقافى، كما جاء فى تصورات الفريد فيبر على سبيل المثال. وجاء هذا التصور، نتيجة لجعل فكرة الثقافة، هى الاطار المرجعى والتصورى العام لتحليلات واهتمامات علماء الاجتماع، ولاسيما عندما يدرسون طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية فى المجتمعات الحديثة.

من ناحية أخرى، كشفت التحليلات السابقة حول التعريفات المتعددة للثقافة سواء من جانب علماء الاجتماع أو الانثربولوجيا، مدى تنوع هذه التعريفات، وتركز بصورة أساسية على عنصرى الثقافة سواءاً كانت مادية أو لامادية. وبالرغم من بعض الاعتراضات على عدم شمولية تعريف تايلور للثقافة، إلا أننا نلاحظ مدى الاتفاق العام من قبل علماء الاجتماع والانثربولوجيا والنفس أيضاً حول أهمية هذا التعريف للثقافة. هذا بالإضافة إلى، أن مكونات الثقافة سواءاً كانت مادية أو لامادية، فجميعها تتمتع بمجموعة من الخصائص والسمات التى تميزها مثل الاستقلالية، والتعقيد، الاستمرارية، والتكامل، والتغير، والانتقائية وغيرها من خصائص متميزة للثقافة.

هذا بالاضافة إلى، أن معالجة قضايا مثل وظائف الثقافة، سواءاً كانت وظائف اجتماعية أو سيكولوجية، إنما تضفى أهمية لوظائف الثقافة، باعتبارها موجه كلية لاشباع الحاجات الأساسية للإنسان والعمل على تحقيق درجات أعلى من الاشباع والرفاهية كما توجد فى المجتمعات الحديثة. وتعتبر قضايا التكامل الثقافى والتغير الثقافى من الموضوعات والمجالات التى تثرى موضوعات علم الاجتماع بصورة عامة، وتعطى فكرة للقارئ بصورة أساسية، لنوعية الاهتمامات المتميزة لعلم الاجتماع بصورة خاصة وإلى العلوم الاجتماعية التى تشاركها هذا الاهتمام عند معالجتها لقضية الثقافة بصورة عامة.

الفصل الســابع
الفرد والتنظيم الاجتماعى

* مقدمة .

أولاً : الفرد والحياة الاجتماعية .

١ - الاتجاه الفردى .

٢ - الاتجاه السوسيولوجى .

ثانيـاً : المجتمع والفرد .

١ - تعريف المجتمع وخصائصه .

٢ - الفرد وعمليات الحياة الاجتماعية .

أ - التعاون .

ب - التكيف.

جـ - التنشئة الاجتماعية .

د - التنافس .

هـ - الصراع .

و - التمثيل .

ثالثـاً: التنظيم الاجتماعى .

١ - تعريف التنظيم الاجتماعى .

٢ - مستويات التنظيم الاجتماعى .

٣ - مكونات التنظيم الاجتماعى .

أ - الجماعات الاجتماعية .

ب - المعايير والقيم .

جـ - المركز والمكانة والدور .

د - القوة والسلطة .

هـ - الضبط الاجتماعى .

* خاتمة .

مقدمـــة :

تعتبر قضية الفرد وعلاقته بالمجتمع أو التنظيم الاجتماعى من القضايا الهامة، التى تكرس لها جهود علماء الاجتماع منذ أن ظهر ونشأ علم الاجتماع مع بداية المجتمع الحديث. ولقد كان حرص اوجست كونت، منذ أن وضع معالم هذا العلم السعى جاهداً لوجود علم متميز ومستقل يهتم بدراسة الفيزياء الاجتماعية، ولاسيما دراسة مشكلات الانسان وبيئته الاجتماعية، التى يعيش فيها. وجاء هذا بالطبع، بعد أن تقدمت العلوم الطبيعية وتنوعت فروعها وحققت تقدماً ملموساً فى مجال دراسة الظاهرة الطبيعية بصفة عامة. ومن هذا المنطلق، أصبح الشغل الشاغل لاهتمام علماء الاجتماع دراسة المشكلات التى توجد فى المجتمع لتؤثر على علاقة الفرد بطبيعة هذا التنظيم الاجتماعى (المجتمع). خاصة، وأن الانسان الذى يعيش فى جماعات بدء من الأسرة؛ حتى جماعات اللعب، والتعليم، والعمل، وشغل وقت الفراغ، يتأثر بطبيعة بناءات هذه الجماعات، ونوعية العلاقات وأنماط التفاعل الذى تحدد وتشكل سلوكه وشخصيته ككل.

وظل الحوار الفكرى للعقل البشرى دائماً مفتوحاً للنقاش والمجادلة حول طبيعة الحقوق والواجبات المتبادلة بين كل من الأفراد ومجتمعاتها، وكان ذلك منذ أن عرفت المجتمعات البشرية طبيعة الاستقرار وأتسم كيانها الاجتماعى بالعديد من البناءات والنظم الاجتماعية، التى تهدف أولاً إلى استمرارية وجود هذه المجتمعات وتعزيز الأمن والحماية، والحياة الكريمة لأفرادها وجماعاتها التى تعيش بداخلها. ولقد تطورت أفكار العلماء والفلاسفة، منذ أن طرحت الحقوق والواجبات الفردية والمجتمعية للمناقشة بواسطة الفلاسفة اليونانيين، أو خلال تحليلات مفكرى العصور الوسطى وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكومين، وظهور العديد من نظريات التفويض الالهى سواء للحكام السياسيين، أو رجال الدين أو الكهنة، وظل هذا الصراع طويلاً، حول نوعية كل من المسئوليات والواجبات التى يجب أن تقدم للأفراد أو للمجتمع ككل.

ولكن مع ظهور المراحل التطورية لانتقال المجتمعات من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، وبالتحديد ما يسمى بعصور الإصلاح والتنوير، ظهرت آراء متعددة تمثلت فى أفكار فلاسفة التاريخ وغيرهم من علماء الاقتصاد السياسى، والسياسة وأيضاً رجال الدين والمفكرين الاجتماعيين، الذين نادوا بضرورة اعطاء المزيد من الحريات للأفراد، مع الأخذ فى الاعتبار الحقوق المفروضة عليها لمجتمعاتهم. وهذا ما ظهر خلال ظهور القوميات، أو الدول القومية التى ظهرت فى أوربا على وجه الخصوص، وجاءت نتيجة لمجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والدينية وتبلورت على ضوئها مفاهيم جديدة أو معانى جديدة للعلاقة

بين الحاكم والمحكومين، ونوعية الحريات الفردية، وحقوق المجتمع، والديمقراطية، والملكية الفردية، وحقوق العمل والتعليم وغيرها. وبإيجاز، لقد تضافرت نتائج حدوث الثورة الفرنسية وما أعقبها من عوامل متعددة لتشكل من جديد نوعية البناءات والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ككل.

ومن هذا المنطلق، انشغل علماء الاجتماع ومفكريه بطبيعة العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع، ولاسيما أن هناك مجموعة من علماء الاجتماع وضعوا تعريفات متميزة لعلمهم (علم الاجتماع)، يكون محورها الأساسى الفرد Individual، وأيضاً المجتمع Society، وأصبح هناك مجموعة كثيرة منهم تحدد ماهية علم الاجتماع وهويته الأساسية، إنما تعمل فى دراسة الفرد والمجتمع والشخصية، والعلاقات الاجتماعية، وأنماط التفاعل الاجتماعى، وغير ذلك من نقاط أساسية تعكس عموماً مدى الاهتمام بطبيعة الفرد، باعتباره المكون الأساسى للجماعة الاجتماعية والتى على ضوئها يتشكل نوعية المجتمع وبناءاته ونظمه وأهدافه. ومن هذا المنطلق، جاءت قضايا الفرد وعلاقته بالتنظيم الاجتماعى من القضايا السوسيولوجية والمحورية الهامة التى لا تزال تشغل اهتمامات ومحاولات علم الاجتماع بدون استثناء.

ومن ثم، يتركز اهتمامنا الحالى بطرح عدد من النقاط لدراستها وتحليلها، ومجموعة من التساؤلات التى تسعى للاجابة عليها، حتى يتبلور فى ذهن القارئ المبتدئ نوعية العلاقات المتبادلة بين الفرد والمجتمع بصورة مبسطة وموجزة. ومن أهم هذه النقاط ما هى العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع. وأيهما أحق وأسبق فى الوجود؟. وهل يمكن أن يضحى الفرد من أجل الجماعة أو المجتمع؟ أو يضحى بالمجتمع عامة من أجل الفرد؟. وهل يمكن الاهتمام أولاً بالمصالح الشخصية أم الجمعية؟ وما هى اهتمامات علماء الاجتماع واسهاماتهم السوسيولوجية، للاجابة على تلك التساؤلات؟ من ناحية أخرى، تهدف إلى تعريف ما المقصود بالمجتمع؟ وما هى أهم مكوناته ومقوماته الأساسية؟ واستخداماته كمفهوم أو تصور من وجهة نظر علماء الاجتماع؟ وما هى أهم العمليات الأساسية للحياة الاجتماعية.

حقيقة للاجابة على تلك التساؤلات أو غيرها، سنعالج أيضاً فى إطارها، طبيعة كل من المجتمع أو التنظيم الاجتماعى، وأهم مستوياته، ثم سنشير إلى أهم مكونات التنظيم الاجتماعى والتى تتمثل فى دراسة الجماعات الاجتماعية، ومجموعة القيم والمعايير، والمكانة والمركز والدول، وأنماط القوة السلطة، والقانون والضبط الاجتماعى، وطبيعة الرتبة الاجتماعية وغيرها من العناصر التى يتكون منها التنظيم الاجتماعى ... ولاسيما، أن تحليل هذه العناصر يجعلنا نتعرف بوضوح على طبيعة العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع والرؤى السوسيولوجية،

التى عن طريقها يمكن دراسة وتحليل هذه العلاقات من خلال تحليلات علماء الاجتماع النظرية أو نتائج الدراسات الميدانية (الامبريقية).

أولاً : الفرد والحياة الاجتماعية :

يعكس تحليل التراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع أن طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، لم تتركز فقط فى اهتمامات علماء الاجتماع وحدهم، بل أن تضافر جهود العديد من علماء العلوم الاجتماعية، التى سعت إلى دراسة نوعية هذه العلاقة وكيفية تغيرها وتطورها عبر العصور التاريخية. علاوة على ذلك، لقد ظلت هذه المشكلة من المشاكل التى تشغل الفكر والعقل البشرى منذ أن عرفت شعوب العالم ومجتمعاتها حياة الاستقرار. وهذا ما يظهر فى كتابات المفكرين الاجتماعيين سواء أكانوا فى مجال السياسة أو الاقتصاد أو التاريخ، أو الانثربولوجيا أو الفلسفة، أو النفس أو غيرها من التخصصات الأخرى. وهذا ما تتميز به اهتمامات العلوم الاجتماعية ومناقشتها وموضوعات وظواهر معينة يصعب أن يحللها بنفس الأسلوب فى العلوم الطبيعية الأخرى.

وفى إطار تحليل العلاقة بين الفرد والمجتمع، طرح المفكرين الاجتماعيين مجموعة من الاختلافات حول نوعية هذه العلاقة والتى تتبلور فى: أيهما سبق فى الوجود هل الفرد أو المجتمع؟ وماذا تتطلب عمليات الاستقرار الاجتماعى؟ هل يضحى الفرد بمصالحة الخاصة فى سبيل تحقيق مصالح المجتمع والجماعة؟ أم يجب أن تهدف بناءات المجتمع ونظمه المختلفة من أجل تحقيق مصالح الأفراد؟. حقيقة، ان تحليل تصورات المفكرين الاجتماعيين عامة والتراث السوسيولوجى لعلماء الاجتماع خاصة، يمكن أن تجيب على تلك التساؤلات، والتى تعكس مدى اختلاف رؤية المفكرين الاجتماعيين وعلماء الاجتماع حول طبيعة هذه العلاقة، وما يجب أن تكون عليه. ويمكن طرح هذه التصورات حول هذه العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع والأولوية التى يجب أن تعطى لكل منهما وذلك فى اتجاهين أساسيين هما بإيجاز[1]:

١ - الاتجاه الفردى :

يمثل هذا الاتجاه أصحاب نظرية العقد الاجتماعى Social Contract، الذين تصوروا أن الفرد أسبق فى وجوده من المجتمع ذاته. خاصة وأن الفرد عاش فى مرحلة تاريخية طويلة مثل ظهور المجتمع نفسه، وعاش على حالة من الفطرة

(١) جاء تصنيف هذه الأفكار فى هذين الاتجاهين حسب وجهة نظر المؤلف، ولكن يمكن الرجوع إلى هذه الآراء فى المرجع التالى :

- عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ١٦١ - ١٦٣.

وسابقة تماماً على وجـود الحيـاة الاجتماعيـة المنظمـة أو التـى يمكـن وصفهـا بأنهـا التنظيم الاجتماعى. علاوة على ذلك، أكد أصحاب هذا الرأى، على أن طبيعـة نشـأة المجتمعات لم تظهر بصورة تلقائية، ولكنها جـاءت نتيجـة لوجـود حالـة مـن الإرادة القومية من جانب الأفراد والجماعات لضـرورة وجـود مجتمـع يقـوم بتنظيـم الحيـاة الاجتماعية عامة للأفراد، ويضمن لهم حقوقهم الطبيعيـة، بمـا فـى ذلـك العيـش فـى أمان وسلام واستقرار. وبإيجاز، إن نشـأة المجتمـع جـاءت برغبـة الأفـراد واتفـاقهم أو تعاقدهم على أهمية وجود المجتمع لتحقيق العدالة بين الأفراد المتعاقدين.

وترتبـط نظريـة العقد بأصحابهـا مـن المفكـران الإنجليزيـان تومـاس هوبــز T. Hobbes، وجـون لـوك J. Locke وأيضـاً المفكـر الفرنسـى جـان جـاك روسـو J. Rousseau، الذين ترتبط كتاباتهم وتحليلاتهم حول هذه النظرية التى لاتزال تجـد أصداء فكرية عالمية حتى الوقت الراهن، ولاسيما أنها عالجت أحد قضايـا الإنسـان وسبب نشأة المجتمع والعلاقة المتبادلة بين كل منهما. ويتفق المفكرين الثلاثـة حـول أسبقية وجـود الفـرد علـى المجتمـع، إلا أنهـم اختلفـوا فـى تفسـير تصـورهـم لمفهـوم السلطة ونوعية العلاقة بيـن الحـاكم والمحكوميـن، ويمكـن عـرض آرائهـم بصـورة موجزة على النحو التالى :

* هوبز (١٥٨٨ – ١٦٧٩م) : جاءت تحليـلات هوبـز عـن طريـق آرائـه المؤيـدة للملكيـة المطلقـة، وأكـد تصـوراتـه الاجتماعيـة مـن أجـل قيـام هــذا النظــام واستمراريته وتبرير وجوده وطاعته من جانب المحكومين. ورأى أهمية هذا النظام نظراً لأن الانسان بطبيعته مخلوق همجى عاش حياة البربرية وتعود عليها، وسـعى دائماً من أجل قضاء مصالحـه الخاصـة. وتعكس طبيعـة هذه الحيـاة مـدى صـراع الإنسان الأول من أبناء جنسه، ووجود أنواع شتى مـن الصـراع الدمـوى مـن أجـل تحقيق المصالح الذاتية. ولكن طبيعة استمرار هـذه الحيـاة أمـراً غيـر مقبـولاً للأبـد، ولذا اتفق الناس على تكوين مجتمع أو حياة اجتماعيـة منظمـة، وذلـك بدافـع تحقيـق مصالحهم نظراً لأن الانسان دائماً يعيش حالة من الأنانية.

ومن ثم، يجئ تبرير هوبز لابرام الإنسان العقد الاجتمـاعى مـع أبنـاء جنسـه من أجل تحقيق مصالحه الذاتية، ذلك بصورة آجله وليس فى حينه، ولابد من وجود قوة كبيرة تكفل حماية النقد وتنظيم المجتمع. ولذا، وجـب أن يكـون الحـاكم المطلـق من التشـريع إلـى التنفيـذ إلـى القضـاء وإعـلان الحـرب والسلام. ومـن ثـم، جـاءت تصورات هوبز ليلغى فكرة التفويض الإلهى للحكام بقدر ما تجئ عليه التفويض من البشر بشأن رعاية مصالحهم وتنفيذا للتعاقد فيما بينهم ورعايتهم وأرادتهم جميعاً.

* جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤م) : يعترض لوك على تصور هوبز بشأن الحالة الاجتماعية والبربرية التى كان عليها الإنسان فى أولى مراحل حياته، فالإنسان لم يعيش حالة من الحروب والصراع الدموى كما رأى هوبز. ولكن كانت حياته شبه منظمة، نظراً لأن الإنسان كانت له حقوق يحصل عليها عند مولده، ويجب أن يحترمها الجميع من قبل جميع الأفراد الذين كانوا يعيشون فى المجتمع الطبيعي والذى سبق وجوده المجتمع المنظم الذى ينظمه القوانين الوضعية والمدنية.

لكن لوك يبرر فكرة التعاقد الاجتماعى، بأنها جاءت نتيجة لتعارض المصالح الفردية وتداخلها، وتعقد نوعية الحياة وعدم تنظيمها نظراً لغياب عنصر القيادة التى تراعى الحقوق الطبيعية للأفراد. وهذا ما دفع البشر جميعاً لأهمية وجود سلطة عليا تعمل على تحقيق العدالة وتنظم الحريات التى يتمتع بها الأفراد فى حياتهم الفطرية وفى مجتمعهم الطبيعى. وهذا هو سبب وجود فكرة التعاقد، الذى يجب أن يحترمه كل من الأفراد والقيادة أو السلطة التى يتفقون على وجودها، وإذا أخل أحد الطرفين والحاكم والمحكومين فى التزاماته نحو الآخر أصبح العقد بينهما لاغياً.

* روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨م) : لم يوافق روسو على تصور هوبز عن حالة الوحشية والبربرية التى كان يعيشها الإنسان الأول، خاصة وأن الإنسان فى تصور (روسو) طيب بفطرته، ولكن حياة المجتمع غيرت حالة الفطرة عند الإنسان، وجعلته يميل إلى الشر أكثر من الخير، ومن التعامل مع الآخرين بصورة تلقائية وعفوية، إلى تعامل يغلب عليه الزيف والرياء وعدم الصراحة أو الوضوح.

ولكن الأفراد تصوروا أيضاً بالرغم من هذا التحول فى حالة الإنسان الفطرية، إلا أنه من المستحيل القضاء على حضاراتهم والعودة إلى النظام الأولى. ولذا، اتفقوا على ضرورة اصلاح الحياة الفاسدة، التى جاءت نتيجة تغيير الحياة الاجتماعية الفطرية، وذلك عن طريق التنازل الفردى لكل واحد منهم عن حقوقه من أجل تحقيق الصالح العام، وتحقيق المساواة بين الجميع وتصبح الإرادة الجماعية، هى القوة النافذة وتعتبر الأمة هى حامية السيادة والنفوذ والسلطان.

بإيجاز، تلك أهم أفكار أصحاب نظرية العقد الاجتماعى التى أعطت تصوراً مميزاً للعلاقة بين الفرد والمجتمع، ورأت أن وجود الفرد أسبق من وجود المجتمع ذاته، بل أن نشأة الأخير (المجتمع) جاءت عن طريق رغبة وإرادة وتنظيم الأداء من وجود المجتمع عن طريقة نوع من التعاقد بينهم وبين من يرغبون قيامه قيادة هذا المجتمع وتختصه بالسلطات الكفيلة له لتنفيذ بنود الاتفاق لوجود أو تنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع.

٢ - الاتجاه السوسيولوجي:

يتصور أصحاب هذا الاتجاه أن المجتمع سابق فى وجوده على وجود الفرد ذاته. ولا وجود لحياة منظمة سبقت حياة المجتمع كافة وأن حالة الفطرة الأولى، كانت بها كثير من الاضطرابات وعدم الاستقرار، ولا يمكن بوصفها عموماً بمصطلح الحياة الاجتماعية المنظمة. ويستند أصحاب هذا التصور، على أفكار أرسطو التى تؤكد على أن الإنسان مدنى بطبعة، أما إذا عجز الإنسان على أن يساهم فى إقامة الحياة الاجتماعية المشتركة، لا يمكن أن يصف بأنها بشر ومخلوق اجتماعى بقدر ما يوصف بأنه وحش وبربرى.

وجاءت تصورات أصحاب هذا الرأى مع تحليلات بعض مفكرى علم الاجتماع والأنثربولوجيا، ولاسيما أن رواد النظريات العضوية، الذين ينظرون إلى أن المجتمع كائن عضوى بيولوجياً ويتماثل من الناحية العضوية والفسيولوجية ببناء ووظائف جسم الانسان. وهذا ما ظهر فى تحليلات نظرية المماثلة البيولوجية، كما عبر عنها هربرت سبنسر H. Spencer، وعقد نوع من المقارنات للتعرف على نواح المماثلة والتشابة والاختلاف بين المجتمع والكائن العضوى الحى(١). كما هناك من المفكرين الاجتماعيين الذين يصنفوا أيضاً كتابات مجموعة من الفلاسفة والمؤرخين من أمثال أفلاطون، ابن خلدون، والفارابى، وتحليلات الأنثربولوجيين مثل تصورات مالينوفسكى، وبراون، وكتابات الوظيفيين الأنثربولوجيين عموماً(٢). علاوة على كتابات أيضاً علماء الاجتماع من أمثال اوجست كونت، دوركايم، علاوة على تصورات هربرت سبنسر.

وربما تجئ كتابات دوركايم مختلفة عن هذا الاتجاه لأنها تتبنى المدخل السوسيولوجى فى دراسة العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع، وتؤكد على أولوية المجتمع على الفرد خاصة، لأن الأول صاحب النشاط الأولى والوجود بصورة عامة. فلقد تصور دوركايم، ان قدرة الفرد يمكن أن تنشأ مجتمعاً أو تقيم مؤسسة منظمة، ولديه القدرة فى التحكم للأبد على الآخرين، نظراً لأن فكرة الوجود الاجتماعى والمجتمع أسبق من فكرة الوجود الفردى والفرد ذاته.

كما تجئ أهمية تحليلات دوركايم لتفسير هذا التصور، عن طريق دراسته لطبيعة الحياة الاجتماعية الأولى للإنسان، حيث درس طبيعة حياة الإنسان

---

(١) للمزيد من التفاصيل إرجع إلى :

- Spencer, H, Principles of Sociology (3 rd ed) Vol. 1, P. 442.

(٢) وللمزيد من التحليلات حول الوظيفة بصورة خاصة :

- تيماشيف، مرجع سابق، ص ٣٢٠ - ٣٣٩.

والجماعات فى جماعات بسيطة وهى البطون Clans، والتى ينصهر فيها الفرد داخل هذه الجماعة. ولم يكن للانسان أى كيان مستقل أو مميز، فكان لا يملك شيئاً على الاطلاق، وكانت الملكية حق للجميع أو ملكية جمعية كما كانت طريقة الحكم والعمل والانتاج والأسرة ذات طابع جمعى، وهذا خير دليل على أن الطبيعة الانسانية جمعية بفطرتها ولم تكن أو ممكن أن توصف بأنها كانت فردية.

أما عملية تطور الحياة الإنسانية أو الاجتماعية فلم تبدأ بأفراد بقدر ما بدأت بالجماعة أو الأفراد، خاصة وأن طبيعة الحياة الاجتماعية والإنسانية، لا يمكن أن تقوم بفضل عوامل فردية ولكن بعوامل اجتماعية. كما أن الظواهر الاجتماعية Social Phenomena، تنشأ بصورة تلقائية أو عفوية ومستقلة عن إرادة الأفراد المكونين لها. وتظهر (الظاهرة الاجتماعية) عن طريق التعامل بين الأفراد أو تبادل وجهات نظرهم وأفكارهم وتصوراتهم ورغباتهم وميولهم ومصالحهم. كما تتضافر مجموعة الظروف الطبيعية والتاريخية إلى قيام نوع من العقل الجديد للجماعة أو ما أسماه بالعقل الجمعى، الذى يوجه الجماعة إلى خير مصالحها، كما أن هذا العقل يتسم بأنه مستقل تماماً عن العقل الفردى أو الأفراد المكونين له. كما أن محصلة التفاعل، بالرغم من أن الأفراد هم الذين خلقوا السمة المعنوية الجديد لهذا العقل وفى ظروف وشروط معينة.

ويضرب دوركايم مثالاً، على هذا التفسير لوجود العقل الجمعى ونشأته عن طريق تفاعل الأفراد، وذلك عندما يوضح العناصر المكونة للماء بأنها تتكون من جزء من الأوكسجين مع جزئين من الأيدروجين، وذلك تحت درجة حرارة معينة وضغط وشروط محددة. ويعتبر خواص المركب الكيميائى للماء ناتجاً عن تفاعل الأوكسجين مع الأيدروجين، والذى يختلف كل الاختلاف عن خواص العنصرين الذان تسببا فى وجوده. ومن ثم، فالظواهر الاجتماعية ليست من صنع الفرد، ومجموعة من الأفراد، بل جاءت نتيجة لتفاعلهم جميعاً فى حالة رغبتهم للعيش معاً.

فى الواقع لقد لاقت تصورات الاتجاه السابق، والذى يعكس وجهة نظر دوركايم الوظيفية فى أسبقية وجود المجتمع على الفرد، وهذا ما جعل البعض يصف تصورات دوركايم بأنه جعل من المجتمع إليها على الفرد أو الأفراد. هذا ما يتميز به أصحاب الاتجاه الجمعى، وتصورهم بأن المجتمع هو الوحدة العضوية وله مجموعة من القوانين والقواعد الذاتية التى تحكمه وتنظمه وأن المجتمع عموماً سابق على وجود الفرد. بل إن مجموعة القواعد الأخلاقية التى توجد فى المجتمع هى التى تنظم العلاقات وأنماط التفاعل وأنواع السلوك الذى يجب أن يكون عليه الأفراد. والمجتمع ما هو إلا شيئاً مجرداً أو معنوياً، كما أن الفرد يعيش صفاته

الإنسانية والبشرية من خلال الوسط الاجتماعى ويشاركه فى هذا الوسط. كما أن المجتمع يتكون من النظم والبناءات والعلاقات يتحدد فيها مراكز الأفراد أو دورهم سواءاً كان أباً أم أماً أم أخاً لا يتحدد إلا من خلال جماعة منظمة صغيرة توجد فى مجتمع، ومن ثم تعتبر الجماعة شيئاً ضرورياً لقيام المجتمع وأهم مكوناته الأساسية.

عموماً، كشفت التصورات السابقة حول التساؤل العام أيهما أسبق فى الوجود الفرد أم المجتمع؟ عن وجود أفكار وتصورات متعارضة عن هذا السبق أو الوجود. وهذا ما عبرت عنه تصورات أصحاب نظرية العقد الاجتماعى، وسعيها إلى تأكيد أحقية الفرد على المجتمع، بالرغم من اعتراضهم بأن المجتمع لا يمكن أن ينشأ إلا من خلال رغبة الأفراد الجمعية، ووجود هذا المجتمع سوف يخلصهم من حالة البربرية والوحشية أو غير المستقرة. كما أن المجتمع وعلاقته بالفرد تتحدد فى مجموعة من الالتزامات المبرمة بين الفرد أو الأفراد وبين من يملك زمام القوة والسلطة سواءاً كان حاكماً وصاحب سلطة والسلطان أو السيادة. فى مقابل ذلك، ركزت تصورات دوركايم ممثلة فى الاتجاه السوسيولوجى الذى وضع المجتمع فى أسبقية الوجود على الأفراد. خاصة دراسة حياة الفطرة الأولى كانت توصف بأنها ذات طابع جمعى، وهذا ما كشفت عنه الحياة السياسية والاقتصادية والأسرية والعائلية ونوعية الملكية فجميعها كانت ذات طابع جمعى، وان المجتمع عموماً جاء نتيجة تفاعل الأفراد ووجود حياة منظمة ومستقرة.

ثانياً: المجتمع والفرد:

ما من شك أن قضية العلاقة بين الفرد والمجتمع شغلت اهتمام كثير من الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع كغيرهم من علماء العلوم الاجتماعية الأخرى. كما جاءت تصورات نظرية العقد الاجتماعى أو تحليلات الاتجاه السوسيولوجى والتى تنازعت حول أسبقية كل من الفرد والمجتمع. وجاءت هذه التصورات فى مجموعة من التبريرات والتأكيد على وجهة نظرها حول نوعية العلاقة بين الفرد والمجتمع. وبالرغم من انشغال مجموعة كبيرة من العلماء أو الفكر البشرى بهذه القضية حتى الوقت الراهن، إلا أننا نتصور أن هذا الجدل الفكرى حول أسبقية الفرد أو المجتمع يعد نوعاً من العقم الفلسفى، والذى لا يفيد كثيراً فى التوصل إلى حقائق علمية بشأن هذا الموضوع، ولا يؤدى إلى التوصل إلى آراء قاطعة حول الآراء المؤدية له. ولاسيما، أن طبيعة وجود الفرد والمجتمع، يعتبران عنصران أساسيان لقيام وظهور الحياة الاجتماعية، فلا وجود لأفراد بدون مجتمع ولا مجتمع بدون أفراد. فالأفراد من خلال تداخلهم فى أنماط من التفاعل والعلاقات هى التى تكون جوهر الحياة الاجتماعية، وتعتبر بمثابة الركائز الأساسية لوجود المجتمع والأفراد معاً.

وانطلاقاً من اهتماماتنا الأساسية لإعطاء صورة مسبقة للقارئ على طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، نحاول حالياً أن نشير، بايجاز إلى طبيعة المجتمع وأهم التعريفات التى ارتبطت به وخصائصه ومقوماته التى يقوم عليها حسب وتصورات علماء الاجتماع له، علاوة على ذلك الإشارة إلى أهم العمليات الأساسية التى يشترك فيها الأفراد فى المجتمع وتكوين جوهر العمليات الاجتماعية، وتعكس أنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية التى تدخل فى الحياة الاجتماعية أو المجتمع المنظم بصورة عامة.

١ - تعريف المجتمع وخصائصه :

لا تزال مشكلة التعريفات للمفاهيم السوسيولوجية من المشكلات التى تواجه المهتمين بدراسة موضوعات ومجالات علم الاجتماع وهذا ما ينطبق على تعريف المجتمع Society، ولاسيما أن جميع علماء الاجتماع كغيرهم من علماء العلوم الطبيعية يهتمون بدراسة قضايا ومشكلات هذا المجتمع ونوعية الظواهر الاجتماعية التى تحدث فيه. ويمكن الإشارة إلى أهم تعريفات المجتمع[1] بصورة موجزة حالياً:

١ - **تعريف توماس إليوت T. Elliot** للمجتمع بأنه ' جماعة من الناس يتعاونون لقضاء مجموعة من المصالح الكبرى التى تتضمن حفظ الذات أو النوع ' كما تتضمن فكرة المجتمع خاصية الاستمرار ودوام العلاقات الاجتماعية المعقدة، وتوافر عنصر الاقامة والعيش فى أقليم واحد محدد المعالم. كما يشير مصطلح المجتمع إلى أنه جماعة وظيفية، تتميز بأن لها نوع معين من العلاقات الاجتماعية بين أفرادها. ويعتبر المجتمع أكبر جماعة انسانية ومن ثم يجب تمييزه عن الجماعات أو التجمعات الأخرى مثل الجمهور، والمسافرين، والمقيمين فى معسكر من معسكرات الجيش. وبإيجاز، يشير هذا التعريف السابق إلى المجتمع من الناحية البنائية الوظيفية على أنه مجموعة من الناس يعيشون على أرض أو أقليم واحد، ويتعاونون بشكل وظيفى من أجل البقاء، وحفظ النوع عن طريق الزواج والتناسل.

٢ - **تعريف بيسانز Biesanz** يتصور المجتمع على أنه ' تنظيم العلاقات الاجتماعية لجماعة من الناس ويسهمون فى ثقافة مشتركة ويشاركون بعضهم البعض فى مجموعة من الأحاسيس أو المشاعر المشتركة '. كما ركز بيسانز على ضرورة التمييز بين مفهوم المجتمع فى الاستعمالات اللغوية العادية وبين استخدامه من قبل المتخصصين فى العلوم الاجتماعية.

(١) جاءت هذه التعريفات فى المرجع التالى :

- عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٨٢ - ٨٩.

خاصة، وأن المجتمع لا يمكن أن يطلق على مجموعة من الأفراد الذين يعيشون فى منطقة جغرافية أو مكانية ولا وجود صلة بينهم، بقدر ما يشير مفهوم (المجتمع) إلى أن هؤلاء الأفراد يعيشون فى جماعة، وبينهم وسائل اتصال مباشر، مثل اللغة أو الاتصال الرمزى، تؤثر على علاقاتهم وسلوكهم فى ظل كل منهم الآخر، كما يحدث أنواع مختلفة من الاستجابات لأنماط السلوك والأفعال المتبادلة بين أفراد وجماعات هذا المجتمع.

٣ - **تعريف أرنولد جرين A. Green** يعرف المجتمع بأنه ' أكبر جماعة ينتمى إليها الفرد، ويتكون من السكان، التنظيم، والزمن، والمكان، والمصالح، والحياة الاجتماعية التى تنظم طبقاً لنظام تقسيم العمل فى الأقليم المشترك وبصورة مستمرة. علاوة على ذلك، كما يوضح (جرين) أن من أهم الخصائص التى يجب أن يقوم عليها المجتمع وهو مشاركة أفراده فى المصالح العامة، كما تتحد كل من المصالح العامة والخاصة بطريقة تجعل الحياة ذات طابع مكتفى ذاتياً.

ومن ناحية أخرى، يعقد (جرين) نوع من المقارنة والتمييز بين المجتمع الإنسانى والمجتمعات الحيوانية الأخرى ويستند فى هذا التمييز على أساس مجموعة من الاعتبارات، مثل ان المجتمعات الأولى (الإنسانية) تقوم على أساس وجود مجموعة من المعتقدات المشتركة، كما توجد بينهم وحدة المصير، وتوجد بينهم مجموعة من القواعد الأخلاقية التى توجه السلوك العام بصورة شاملة.

٤ - **تعريف ماكيفر وبيج Maciver and Page** يعرف المجتمع ' بأنه نسق من العادات والاجراءات والسلطة والتعاون المتبادل، ويتكون من تجمعات أنماط عديدة من ضوابط السلوك الإنساني والحريات. ولذا يطلق على هذا التنظيم المعقد الدائم التغير مصطلح (المجتمع) فهو أيضاً نسيج العلاقات الاجتماعية الذى يتغير بصورة مستمرة '[١].

ويعكس هذا التعريف السابق، مدى وضوح مفهوم المجتمع عند ماكيفر وبيج بصورة نسبية عن التعريفات السابقة عليهم، خاصة وأنهما أشارا إلى المجتمع باعتباره تنظيم يتكون من مجموعة من العلاقات

(١) أنظر ،

- Maciver & Page, Society, London, 1933, P.5

الاجتماعية Social Relations، والتـى تتسم بالطـابع المتغير. عـلاوة علـى ذلك، تجئ تصورات ماكيفر وبيج عن المجتمع، من خـلال تركيزهمـا علـى مجموعة القواعد والضوابط التى تحدد سلوك أفراد المجتمع. وهذا، ما يعبر عموماً عن تصورهما عن العلاقة غير القوية بين الثقافة والمجتمع. ولاسيما، أنهما يؤكدان على أن موضوع علم الاجتمـاع يركـز علـى دراسـة المجتمـع، وليس دراسة الثقافة.

بالإضافـة إلـى ذلـك، يوضـح كـل مـن مــاكيفر وبيــج مجموعــة مـن التصورات التى طرحاها عند تعريفهما لفكرة المجتمع ومن أهمها :

(١) يشترط وجود وعى متبادل بين الأفراد لاقامة العلاقات الاجتماعية.
(٢) كلما تعقد المجتمع ترتب على ذلك تنوع العلاقات الاجتماعية.
(٣) إن مفهوم المجتمع ليس قاصراً على المجتمـع الانسـانى، ولكـن هنـاك مجتمعات حيوانية ونباتية مختلفة.
(٤) يتضمن المجتمع مجموعـة مـن العنـاصر المتشـابهة والمختلفـة والتـى تؤدى إلى وجود تقسيم العمل والتعاون المتبادل بينهم.

٥ - **تعريف هارى جونسون H. Johson**، يعتبر المجتمع جماعة تتغـير بصـورة مستمرة، كما يتميز المجتمع كمفهوم عن مفاهيم أخرى مثل الأمة، والشــعب، نظراً لأن المجتمع له مجموعة من الخصائص الأساسية وهى[١]:

(١) **الأقليم المحدود**: يتميز أفراد المجتمع بأنهم يعيشـون فـى منطقـة اقليميـة واحدة، وربما يتم التحرك عليها بواسطة أفراد كما يحدث فى حالة حياة البدو الرحل، كما ان هؤلاء الأفراد ينظرون إلـى المكـان الـذى يعيشـون فيـه بأنـه بلادهم. وهذا ما جعل عملية الانتماء إلى الاقليـم أو الأرض عنصـراً أساسـياً لوجود المجتمع.

(٢) **التكاثر عن طريق الإنجاب** : ينمو المجتمـع ويـزداد سـكانه عـن طريـق الإنجاب، وإن كانت هناك مظاهر أخرى لزيادة السـكان ولكـن معـدلات هـذه

---

(١) للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى المرجع التالى :
- Jphnson, H, Sociology, London, 1961, PP. 9-13.
ولكننا اعتمدنا على المرجع التالى فى ذلك هذا التعريف :
- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٨٨.

الزيادة قليلة جداً مثل عمليات التبنى، أو الرق، أو الغزو، أو الهجرة الخارجية. ومن ثم فان هذه العمليات لا تشكل مصدراً أساسياً لزيادة السكان مقارنة بالنمو الطبيعى للسكان عن طريق زيادة المواليد.

(٣) الثقافة : تعتبر الثقافة عنصراً أساسياً ومن الخصائص العامة التى تقوم عليها المجتمعات. خاصة، وأن الثقافة تعكس وجود نوع من التضامن والتعامل والتعاون بين أفراد المجتمع وجماعة. وإن كانت الثقافة تتدرج تحتها مجموعة أخرى من الثقافات الفرعية، التى تعكس عملية التمايز بين الأفراد والجماعات نتيجة لانتماءاتهم حسب طبيعة السكان، والاقليم، ونوعية اللغة، واللهجات المحلية، والعادات والتقاليد، والأعراف، والقيم وأنماط المعرفة الإنسانية.

(٤) الاستقلال : يقصد بمفهوم الاستقلال هنا هو الاستقلال الاجتماعى للمجتمع، والذى لا يمكن أن يندرج تحت جماعة فرعية أو كبرى أخرى، ولذا، إذا احتلت جماعة مجتمع أو جماعة أخرى، لا يمكن أن تفقدُ استقلالها إلا عن طريق اندماجها بصورة عامة. فالمجتمع يجب أن تتحدد هويته وجماعاته وأفراده وينتمون إليه وليس إلى مجتمعات أخرى بديلة عنه.

بالإضافة إلى العناصر أو الخصائص السابقة، نجد أن جونسون، يؤكد على ضرورة انتقاء المفاهيم والمصطلحات عند المزيد عناصر وخصائص المجتمع، مثل استخدام كلمة التكامل مثلاً، خاصة وأن التكامل التام سواء للمجتمع أو الثقافة يعتبر شيئاً بعيداً عن الواقع. ولاسيما، أن عنصر التفاعل يستلزم وحدة الدين، واللغة، والثقافة ككل. وهذا يعبر عن الواقع كما يؤكد على ذلك تحليلات علماء الاجتماع عند دراستهم لهذا المجتمع. على أية حال، تلك إشارة موجزة لأهم تعريفات المجتمع التى يطرحها تراث علم الاجتماع، وإن كانت تعددت تعريفات المجتمع بتعدد علمائه والباحثين المتخصصين فيه نظراً لتباين وجهات نظر الباحثين حول طبيعة المجتمع وما المقصود فيه. كما نلاحظ وجود عدد من التعريفات بالإضافة إلى السابقة والتى تشير إلى وجود عدد من التصورات والأفكار العامة والمتفق عليها من قبل غالبية علماء الاجتماع، ولاسيما عندما يحددون مفهوم أو مصطلح المجتمع فى ضوء التطورات الحديثة فى علم الاجتماع وعدم قصرها على التحليلات السوسيولوجية السابقة فقط.

٦ - **تعريف دايفيد[1] Davids**، الذى يتصور أن المجتمع مجموعة من العلاقات Interactions بين الناس، خاصة وأن المجتمع ككل يتكون من شبكة من المشاعر والأهداف بين الأفراد. كما أن كل فرد فى المجتمع يجد ذاته مرتبطاً بعدد كبير من الناس، وبالعالم الاجتماعى الذى حوله بصورة مباشرة وغير مباشرة.

٧ - **تعريف جورج سيمل G. Simmel**، يعتبر المجتمع بوجه عام عبارة عن ' تفاعل بين الأفراد، كما ينشأ التفاعل دائماً نتيجة أصداء معينة أو من أجل مجموعة من الأهداف المحددة ' ويضيف (سيمل) إلى ذلك التصور الموجز للمجتمع، أن طبيعة التفاعل تجئ نتيجة وجود مجموعة من الغرائز الشهوانية والاهتمام بالأعمال، والدوافع الدفينة، والسعى لتحقيق الدوافع المادية مثل اقامة المشروعات، وتقديم المساعدة، والتعليم، والعديد من الدوافع الأخرى. فالدوافع، تعتبر شيئاً أساسياً لتحقيق الأهداف الحافزة واستمرار المجتمع ذاته.

٨ - **تعريف فلوريان زنانتسكى F. Zantaski**، الذى يتصور أن المجتمع يعتبر منظومة من الجماعات المتعاطفة التى تنتمى جميعها تحت جماعة أكبر وأشمل ومهيمنة على هذه الجماعات، ولاسيما أن طبيعة العلاقات الاجتماعية التى تسود هذه الجماعات هى التى تساعد على تحديد ماهية المجتمع بصورة عامة.

٩ - **تعريف علماء علم اجتماع التنظيم Sociology of Organization**، والذين يتصورن بأن المجتمع يكمن فى منظومة من المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية خاصة وأن هذه المؤسسات والتنظيمات تضمن ثبات واستمرارية العلاقات بين الناس ونوعية الأفعال والأنشطة والسلوك الاجتماعى. فلولا وجود هذه التنظيمات والمؤسسات لاستحال وجود المجتمع ذاته أو بقائه واستمراريته.

١٠- **تعريف علم اجتماع الفينومينولوجى Phenomenology** أو علم اجتماع دراسة الظواهر، الذى يتصور علماؤه أن مفهوم المجتمع يعتبر وسيلة لوجود الإنسان، وأن الإنسان لديه نوعان أساسيان للوجود هى: الوجود الفردى والوجود الاجتماعى، وهذا ما يفند مقولة أيهما أسبق للوجود هل الفرد أن المجتمع.

---

(١) وردت مجموعة التعريفات التالية فى المرجع التالى :

- أوسيبوف، أصول علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٢٥.

١١- **تعريف علم الاجتماع الماركسى Marxists Sociology أو أصحاب نظرية المادية التاريخية Historical Material**، الذين يرون أن المجتمع ما هو إلا منظومة ثابتة نسبياً وتتحدد خلال التطور التاريخى، للروابط والعلاقات الاجتماعية بين جماعات كبيرة من الناس، وذلك بقوة القانون، والعادات، والتقاليد وغيرها، وقائمة على أسلوب معين للانتاج وتشكل درجة فى التطور التقدمى للبشرية.

بإيجاز، تلك أهم التعريفات التى طرحها تراث علم الاجتماع، والتى شملت أيضاً مجموعة أخرى من التعريفات الحديثة نسبياً، وتنتمى إلى علم الاجتماع الغربى ذات الاتجاه المحافظ، والذى يركز على تصور المجتمع على نسيج من العلاقات والعمليات الاجتماعية. علاوة على تصورات بعض المداخل السوسيولوجية الحديثة، مثل مدخل علم اجتماع التنظيم، والمدخل الفينومينولوجى. حيث يركز الأول على أهمية وجود التنظيمات والمؤسسات فى المجتمع أو التنظيم الاجتماعى الحديث، وخاصة أن هذه التنظيمات تعمل على استمرارية المجتمع ووجوده كما أن التنظيمات والمؤسسات تعمل على تشكيل كل من السلوك الفردى والجمعى وتحدد جميع أوجه النشاط والعلاقات الاجتماعية. كما أكد أصحاب التعريف الفينومينولوجى على أهمية المجتمع وعلاقته بالفرد التى من الصعوبة الفصل بينهما، ولاسيما أن للمجتمع نوعان من الوجود هما الوجود الفردى والاجتماعى فى نفس الوقت. وأخيراً، لم تغفل التعريفات السابقة، آراء الماركسية أو أصحاب النظرية المادية التاريخية فى تمييزها المجتمع من خلال تصورها الأيديولوجى حول دور وسائل الانتاج، وتشكيلها للعلاقات والروابط والنظم الاجتماعية التى توجد فى المجتمع بصورة عامة.

٢ - الفرد وعمليات الحياة الاجتماعية :

كشفت طبيعة العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع، عن كثير من التحليلات التى تفسر مضمون هذه العلاقة، وإن كانت قد اختلفت فيما بينها حول طبيعة الأسبقية أو الأولوية فى الوجود أو النشأة، أو فى تحديد نوعية الواجبات والحقوق والمسئوليات، التى تحدد هذه العلاقة، تكشف عن مجموعة الالتزامات المتبادلة بينهما. وبالرغم من هذه الاختلافات والتباين حول وجهات النظر بين علماء الاجتماع لتفسيرها، إلا أن الجميع يتفق على أنه لا وجود لمجتمع بدون أفراد، ولا وجود لأفراد بدون مجتمع. يستلزم نوع من الحياة الاجتماعية المنظمة، والعديد من البناءات والنظم والمؤسسات والتنظيمات التى تغفل طبيعة المجتمع، وتؤمن كيانه واستقراره.

علاوة على ذلك، يتفق علماء الاجتماع على وجود نوع من التفاعل والعلاقات الاجتماعية التى توجد بين الأفراد والجماعات وتشكل النمط العام لتنظيم المجتمع. وهذا ما كشفت عنه تقريباً معظم تعريفات علماء الاجتماع حول المجتمع ذاته على اختلاف ايديولوجياتهم المحافظة الليبرالية أو الماركسية فى نفس الوقت. وعن طريق حدوث التفاعل والعلاقات الاجتماعية تحدث مجموعة من العمليات الاجتماعية Social Processes، والتى تفسر طبيعة النشاط والسلوك الانسانى من داخل المجتمع. خاصة وأن الحياة الاجتماعية وتحليل مكوناتها، توضح أنها تبدأ بحدوث الفعل الاجتماعى Social Action من أحد الأفراد، ثم يتبع هذا الفعل، رد الفعل Reaction، الذى يصدر من الشخص الآخر، ويطلق على هذا التأثير المتبادل بين الفردين أو بين الفعل ورد الفعل، مفهوم التفاعل الاجتماعى Social Interaction.

كما ظهرت تحليلات سوسيولوجية كثيرة توضح وتميز بين أنماط الفعل الاجتماعى وغيره من الأفعال الاجتماعية، وخير مثال على ذلك تحليلات عالم الاجتماع الالمانى ماكس فيبر M. Weber، الذى يوضح أن الفعل الاجتماعى، هو السلوك الذى يحمل معناً خاصاً، يقصد فاعله بعد التفكير فيه برد الفعل المتوقع من الأشخاص الذين يوجه إليه سلوكه. وهذا المعنى الذى يفكر فيه الفرد ويعنيه هو الذى يجعل الفعل الذى يقوم به فعلاً اجتماعياً.

كما قد يحدث التفاعل الاجتماعى عن طريق مجموعة من الأساليب المتعددة، فقد يحدث عن طريق مباشر وغير مباشر بين عدد محدود أو كبير من الأفراد فى نفس الوقت. وذلك عن طريق استخدام اللغة، أو الاشارات والرموز التى توجد بين الأفراد. وتظهر أنماط مختلفة من التفاعل الاجتماعى مثل التعاون، والتنافس، والصراع، والقهر، والتكيف وغيرها. كما تأخذ أنماط التفاعل أشكالاً منظمة وتتحول إلى علاقات اجتماعية مثل علاقات الأبوة والأخوة والزمالة وغيرها.

كما تكشف اهتمامات علماء الاجتماع عن وجود نوع من التفرقة بين العلاقات الاجتماعية الدائمة والمؤقتة من حيث درجة الثبات والانتظام والتكرار والاستقرار. فالعلاقات الاجتماعية، التى تأخذ طابعاً مؤقتاً مثل التعاون والتنافس والصراع ويطلق عليها العمليات الاجتماعية Social Processes، أما العلاقات الدائمة والتى تأخذ طابع الاستقرار الدائم مثل علاقات الأبوة والأمومة والأخوة والزمالة فيطلق عليها بالعلاقات الاجتماعية Social Relations. كما أن أنماط العمليات الاجتماعية ما هى إلا علاقة اجتماعية فى مرحلة التكوين وإذا استقرت وأكتسبت خاصية الثبات والدوام تحولت إلى علاقة اجتماعية.

على أية حال، لقد أصبح موضوع دراسة العمليات الاجتماعية من جانب علماء الاجتماع من الموضوعات التي تكشف الكثير عن أنماط التفاعل وتفسير السلوك الانساني، ولقد ظهرت مجموعة من التصنيفات لطبيعة العمليات الاجتماعية ويمكن الإشارة إلى أهمها[1]:

١ - **تصنيف روس Ross**، الذي يشير إلى أن العمليات الاجتماعية تتكون من: التعاون، والصراع، والتنشئة الاجتماعية، والتدرج الاجتماعي، والتسلط، والتمثيل، والاندماج، والتباعد، والتفرد، والحراك الاجتماعي.

٢ - **تصنيف اليكس انجلز A. Inkeles**، الذي يوضح أن العمليات الاجتماعية تشمل: المنافسة، والتعاون، والصراع، والتكيف والهجرة، والتكامل والعزلة، والمحاكاة والانتشار، والانحراف، والتدرج، والتغير.

٣ - **تصنيف ديفيد بوبنيو D. Popenoe**، والذي يذكر خمس أنواع من العمليات وهي: التعاون، الصراع، والمنافسة، والقهر، والتبادل.

٤ - **تصنيف بارك Park وبرجس Burgess**، الذي يشير إلى أربعة أنواع من العمليات هي: التكيف، والتمثيل، والمنافسة، والصراع.

٥ - **تصنيف أرنولد جرين A. Green**، الذي يشير أيضاً إلى وجود أربعة أنواع وهي: الصراع، المنافسة، التعاون، والاتفاق.

٦ - **تصنيف كمبال يونج K. Young**، الذي يشير إلى وجود فئتين رئيسيتين للعمليات الاجتماعية هي: التعارض، والتعاون ثم يندرج تحت كل منهما مجموعة من العمليات الجزئية مثل التنافس، والصراع، والتمايز، والتكيف، والاتفاق، والتمثيل.

٧ - **تصنيف آخر لمجموعة من العلماء**[2] الذين يقسمون العمليات الاجتماعية حسب دورها في تقوية أو ضعف الروابط الاجتماعية وهي :

(١) العمليات المجمعة Associative، أو البنائية Constructive، أو الايجابية Positive وهي التي تؤدي إلى تقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية مثل التعاون، والتلاؤم، والتكيف، والتمثل، والتنشئة الاجتماعية.

---

(١) أنظر،

- عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٢) جاء هذا التصنيف أيضاً في المرجع التالي :

- مصطفى الخشاب، مرجع سابق، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) العمليات المفرقة Dissociative أو الهدامة Destructive أو السلبية Negative، وهى تؤدى إلى تفرقة وضعف الروابط والعلاقاتالاجتماعية مثل المنافسة، والصراع، والقهر.

تلك أهم التصنيفات العامة والجزئية للعمليات الاجتماعية، كما ظهرت فى تراث علم الاجتماع، وبالرغم من وجود نوع من التداخل أو التشابة الكبير بين هذه التقسيمات، إلا أنها تكشف أيضاً عن مدى اهتمام علماء الاجتماع بدراسة العمليات الاجتماعية، ولاسيما أنها تكشف طبيعة التفاعل والعلاقات والسلوك الاجتماعى وتحدد نوعية العلاقة بين الفرد والجماعة والمجتمع أو التنظيم الاجتماعى ككل وهذا جوهر اهتمامات علم الاجتماع.

ويمكن الاشارة الموجزة فيما يلى إلى أهم العمليات التى يتفق حولها معظم العلماء كما وردت فى التصنيفات السابقة، والتى يمكن تبسيطها لسهولة التعرف عليها بواسطة القارئ وهى[1]:

أ - التعاون Cooperation :

يتحدد مفهوم التعاون على أنه التفاعل الذى يوجد بين فردين أو أكثر بالعمل معاً من أجل تحقيق أهداف وغايات مشتركة وتحقيق مصالح معينة لهم. ومن ثم، نجد أن هذا المصطلح يشير إلى أن طبيعة التعاون لا يمكن أن تحدث عن طريق الفرد بمفرده. كما أن التعاون، يعتبر من العمليات والسلوك الشائع بين المجتمعات البشرية وفى جميع مجالات الحياة، مثل تعاون الفرد مع أفراد أسرته، أو مع زملائه فى المدرسة، والعمل، أو النادى أو الشارع أو مع جيرانه. كما قد يظهر مفهوم التعاون فى الأنشطة الاقتصادية والسياسية والخيرية والاجتماعية وفى جميع مجالات العمل العادية.

كما يتضمن مفهوم التعاون الإشارة إلى مبدأ تقسيم العمل، وتحقيق المصالح العامة والخاصة، ويهدف التعاون إلى زيادة الروابط الإنسانية والاجتماعية، على مستوى الأفراد، والجماعات، والمجتمعات المحلية والقومية والاقليمية والعالمية فى نفس الوقت. كما أن للتعاون أهمية كبرى ويكشف عن رغبة الإنسان الطبيعية فى حبه للاجتماع والحياة مع الآخرين، وعلي مستوى الاهتمام الاكاديمى والعلمى نجد أن دراسة التعاون لم تلق اهتماماً ملحوظاً من جانب العلماء عندما نقارنه بدراسة

---

(١) أنظر أيضاً، محمد عاطف غيث، ص ٩٧ – ٩٨.
بالإضافة إلى المرجعين السابقين وهما: – مصطفى الخشاب، مرجع سابق، ص ١٩٧.
– وعبد الباسط حسن، مرجع سابق، ص ١٩٢.

الصراع أو المنافسة، كما ظهرت تصنيفات متعددة لأنماط التعاون من جانب العلماء مثل التعاون الأولى أو الثانوى، والتعاون التلقائى، أو التقليدى، أو الموجه، أو التعاقدى أو غير ذلك من أنماط أخرى متعددة.

ب - التكيف Accomodation :

تعتبر عملية التكيف الاجتماعى من العمليات الاجتماعية التى تشير إلى توجيهات أو سلوك الجماعات والأفراد وتهدف إلى تحقيق نوع من الملاءمة والانسجام بينهم أو مع بيئتهم الاجتماعية عموماً. ويقوم التكيف على التسامح والتضحية والتحمل بين الأفراد أو الجماعات لتحقيق مصالحهم الفردية والجمعية.

كما يعتبر التكيف عنصراً ضرورياً لاستمرارية الحياة واستقرارها، وهذا ما يحدث داخل الجماعات الأولية من الأسرة، فإذا حدثت خلافات بين الزوجين مثلاً نتيجة لاختلاف الميول والرغبات والمصالح وهدد كيان الأسرة بالطلاق، وعندما يحرص الزوجين، على وجود الأسرة والحياة المشتركة يتم تكيف كل منهما مع الآخر، وهذا ما يحدث داخل الجماعة الثانوية مثل جماعات اللعب، والعمل.

علاوة على ذلك، يوجد مفهوم التكيف الثقافى Acculutration، ويقصد به اكتساب الفرد لثقافة المجتمع الذى يعيش فيه، بحيث يصبح متوافق مع العادات والتقاليد والقيم والمعايير السلوكية السائدة فى المجتمع. كما يستخدم علماء الاجتماع دراسة التكيف الثقافى للتعرف على الجوانب المختلفة لأهمية الثقافة فى المجتمع، أو انعكس من ذلك، حينما يلجأ العلماء إلى دراسة حالات عدم التكيف الثقافى مثل حالات المهاجرين. كما يستخدم العلماء دراسة التكيف الثقافى لمعرفة الاختلاف والتباين داخل المجتمعات وثقافاتها العامة والفرعية.

جـ - التنشئة الاجتماعية Socialization :

تعتبر التنشئة الاجتماعية احدى العمليات الاجتماعية أو الوسيلة التى عن طريقها يتحقق البقاء والاستمرار للأجيال البشرية، وعن طريقها يتم نقل التراث الاجتماعى والثقافى والاستفادة من خبرات الماضى من أجل الحاضر والمستقبل. ومن ثم، يمكن تحديد مفهوم التنشئة باعتبارها عملية تشكيل السلوك الإنسانى للفرد، وتحويل الفرد ككائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى. وهى العملية التى ترتبط بتعليم الأفراد أنماط السلوك والنشاط حتى يسلكون مواقف اجتماعية معينة تجعلهم يتوافقون مع المجتمع الذى يعيشون فيه. ولذا، فهى عملية اكتساب الفرد ثقافة المجتمع.

وللتنشئة الاجتماعية مجموعة من الوظائف الأساسية والتى تتمثل فى تشكيل السلوك الإنسانى الفردى والاجتماعى، واكتساب الفرد ثقافة المجتمع، والمحافظة على القيم والعادات والتقاليد والأعراف، وتعلم الفرد خبرة أو عملاً يجعله قادراً على التكيف والاستمرار. ومن أهم الجماعات والمؤسسات التى تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية: الأسرة، والمدرسة، جماعات الرفاق، ودور العبادة، ووسائل الاتصال الجمعى، ومؤسسات العمل.

د - التنافس Competition :

يقصد بعملية التنافس بأنها عملية تقوم بين طرفين من الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات، بهدف تحقيق هدف معين يسعى إليه الطرف الآخر. وتأخذ عملية التنافس أنماطاً وأشكالاً عديدة فى الحياة اليومية والاجتماعية، مثل المنافسة بين الفرق الرياضية، أو بين التلاميذ من أجل التفوق العلمى، أو بين المشتغلين فى مجالات التكنولوجيا والسياسة والاقتصاد وغيرها من المجالات الأخرى، وذلك بهدف تحقيق أهداف أو غايات معينة يشترك فيها الآخرون بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ولا يمكن تفسير السلوك التنافسى للأفراد إلا عن طريق دراسة مجموعة من المستويات التى ترتبط أولاً بالفرد أو الأفراد المتنافسين، وثانياً بطبيعة المجتمع، وثالثاً بنوعية الاطار الثقافى والأيديولوجى العام. ولكل مستوى من هذه المستويات ملامح يظهر فيها التنافس بصورة مميزة سواء من أجل الطموح والتفوق والنجاح بالنسبة للمستوى الفردى. أو حول ندرة الموارد والامكانات على المستوى المجتمعى، أو تباين القيم الثقافية والمعايير والأخلاق والاتجاهات والميول والآراء على المستوى الثقافى.

هـ - الصراع Conflict :

يشير مفهوم الصراع إلى العملية الاجتماعية التى تنشأ بين طرفين يوجد بينهما تعارض فى المصالح والأهداف، ويسعى كل منهم لتحقيق مصالحه وأهدافه مستخدماً كافة الوسائل والأساليب سواءاً كانت مشروعة أو غير مشروعة أو يعترف بها أحد الأطراف أو عدمه. ومن ثم، فإن حدوث الصراع مثل التعاون يتطلب وجود طرف آخر، حتى يحدث نوع من المنافسة الشديدة والقوية التى تعكس المظاهر المختلفة للصراع.

كما نلاحظ أن تحليلات علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد اهتمت بدراسة الصراع بصورة كبيرة عن العمليات الاجتماعية الأخرى. وهذا يرجع إلى طبيعة الاختلافات حول تفسير العمليات الاجتماعية، وخاصة دراستهم حول عملية الصراع. ومن أكثر مصادر الصراع وسبباً له حده الصراع حول ندرة الموارد والسعى لكسب العيش والحياة والاستمرار.

ولقد ظهرت تحليلات الصراع وتبلورت فى اطارَ التصور الماركسى لها، خاصة تحليلات الماركسيين للصراع الطبقى الأزلى، والصراع حول ملكية وسائل الانتاج والعمل والأرباح ورأس المال. علاوة على ذلك، يحدث الصراع علة المستوى الفردى والشخصى مثل صراع الفرد مع ضميره، أو صراع الفرد مع الآخرين من الأفراد والجماعات، والصراع الذى يوجد بين الجماعات والمجتمعات، أو الصراع العالمى حول السيطرة والتحكم والسيادة والسلطة والهيمنة الدولية.

و - التمثيل Assimilation :

يشير مفهوم التمثيل ليوضح العملية الاجتماعية للتكيف المتبادل، التى عن طريقها يتم الاستيعات التدريجى للجماعات والأفراد لأنماط الثقافة المختلفة، كما يعتبر التمثيل هو المحصلة النهائية التى تنتهى إليها كل من عمليتى الصراع والتكيف. وعن طريق عملية التمثيل تتلاشى الخلافات وتتوحد مواقف الأفراد والجماعات، وتتحقق وحدتهم حول الأهداف والمصالح المتنازع عليها وتصبح المصالح الخاصة أو الذاتية مصالح عامة وجمعية. كما يستخدم مفهوم التمثيل لدراسة التكيف الثقافى للمهاجرين إلى ثقافات ومجتمعات أخرى، كما تواجه عملية التمثيل صعوبة للتكيف. نظراً لوجود العداءات الشديدة حول العقائد، والأدوار والسياسة العنصرية والسلالية على سبيل المثال.

بإيجاز، تلك أهم العمليات الاجتماعية التى تفسر طبيعة علاقة الفرد بالمجتمع، ونوعية أنماط التفاعل والسلوك والعلاقات الاجتماعية، التى توجد داخل الجماعات والتنظيمات الاجتماعية، والتى تشكل فى مجملها (العمليات) العناصر الأساسية التى تتكون منها بصورة عامة الحياة الاجتماعية التى توجد فى المجتمعات البشرية والإنسانية، وهذا ما يجعل هذه المجتمعات مختلفة ومتمايزة عن مجتمعات الكائنات الأخرى التى تظهر فى الوجود أو العالم الخارجى.

ثالثاً : التنظيم الاجتماعى :

١ - تعريف التنظيم الاجتماعى :

فى إطار تحليلنا للعلاقة بين الفرد والمجتمع التى تكشف عن أنماط متعددة من السلوك والتفاعل والعلاقات والعمليات الاجتماعية المختلفة، تهتم أيضاً باعطاء فكرة مسبقة عن معنى التنظيم الاجتماعى وأسباب دراسته من قبل علماء الاجتماع، ولاسيما أن القضية المحورية التى يقوم عليها هذا العلم بالدراسة والتحليل ألا وهى دراسة المجتمع وتنظيماته المختلفة. وربما، كشفت التحليلات المرتبطة بتعريف المجتمع عن

عدد من التعريفات والمفاهيم المفسرة للمجتمع وخاصة بعد أن اسهمت المداخل السوسيولوجية الحديثة في علم الاجتماع في المشاركة في اعطاء تصورات ورؤى سوسيولوجية حديثة تتلاءم مع نظرة أصحابها وتفسيرهم للواقع الاجتماعي الحديث.

وجاءت تصورات علماء اجتماع التنظيم أو ما يعرف بالمدخل التنظيم في دراسة المجتمع، لتؤكد على ضرورة تعريف المجتمع باعتباره وحدة كبرى تقوم على مجموعة من المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية التي تتبلور فيها أنماط التفاعل والعلاقات والعمليات والسلوك الاجتماعي. كما تعد هذه التنظيمات والمؤسسات أمراً ضرورياً عندما توصف أحد المجتمعات الحديثة بمفهوم المجتمع ذاته. وهذا ما ينطبق أيضاً، على تصورات أصحاب المدخل الفينومينولوجي الذين يركزون على ضرورة تفسير التنظيم الاجتماعي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع، واعتبارهما ركنان أساسيان يقوم عليهما فكرة المجتمع ومن الصعوبة استبعاد أحد منهما.

وإضافة إلى هذه التصورات السابقة حول تعريف المجتمع، إلا أننا نلاحظ أيضاً، هناك عدد من علماء الاجتماع الذين ركزوا على تحديد مفهوم التنظيم الاجتماعي Social Organization كما جاء في تحليلات وليم أوجبرن W. Ogburn[1] على سبيل المثال، حيث يوضح التنظيم الاجتماعي بأنه القاعدة الأساسية التي يقوم عليها بناء المجتمع ويشمل كل من الجماعات التي تنظم سلوكها بنائياً ووظيفياً، وتحدد على ضوئها الأدوار الاجتماعية، والتي ترتب عليها ظهور مجموعة من المكانات الاجتماعية والتنظيمات التي تحدد نوعية سلوك ونشاط كل من الأفراد والجماعات والحياة الاجتماعية عامة.

كما يرى بارنز Barns[2] التنظيم الاجتماعي، على أنه ثمرة نتاج الجهود التي يبذلها الإنسان لتحقيق اشباع أهدافه وحاجاته الضرورية، وهو يتضمن كل من الجماعات والبناءات الاجتماعية التي تنشأ نتيجة لهذه الجهود. ومن ثم، فان تصور بارنز، كما نلاحظ يتماثل مع تصورات اوجبرن، حول التنظيم الاجتماعي، خاصة أن هذا التنظيم له معنيان أو ركنان أساسيان وهما البناء والوظيفة. ويقصد بالبناء، هي الجماعات الاجتماعية مثل الأسرة التي تقوم بتربية الأبناء والأطفال وتمثل هذه الجهود طبيعة الوظيفة التي تؤديها الأسرة باعتبارها أحد البناءات في المجتمع أو التنظيم الاجتماعي.

---

(١) Ogburn, Op. cit, P. 431.

(٢) أنظر ،

- السيد عبد العاطي، التنظيم الاجتماعي، في علي جلبي وآخرون، مرجع سابق، ص ١٩٨.

بالإضافة إلى ذلك، كشفت تصورات رادكليف براون R. Brown، عن تمييزه للتنظيم الاجتماعي باعتباره تنظيم النشاط الانساني وتوجيه لانجاز أهداف معينة. كما يعرف ايضاً مارشال جونر M. Gohnes، التنظيم الاجتماعي بأنه النسق الذى يرتبط بواسطة أجزاء المجتمع بعضها ببعض من ناحية، وبالمجتمع ككل بطريقة مقصودة من ناحية أخرى. أما هربرت سبنسر H. Spencer، فلقد استخدم مفهوم التنظيم الاجتماعي ليشير إلى مجموعة العلاقات المتبادلة ذات التكامل والتمايز لكل من العمليات والأنشطة الاقتصادية والسياسية فى الحياة الاجتماعية. واهتم تشارلز كولي C. Cooly فى كتابه المعنون بالتنظيم الاجتماعي، بتأكيده على اعتبار التنظيم الاجتماعى هو الجماعات الأولية Primary Groups التى تعتبر وحدات متمايزة للحياة الاجتماعية Social life.

من ناحية أخرى، يتصور تالكوت بارسونز T. Parsons فكرة التنظيم الاجتماعي، على أنها مجموعة الأنساق الاجتماعية Social Systems المنظمة، والتى لها طابع متميز وتهدف إلى المحافظة على النظام الاجتماعى واستقرار المجتمع وتحقيق أهدافه العامة. كما يؤكد كل من برووم Broom وسيلزنيك Selznick فى كتابهما علم الاجتماع، بأنه عند تحديد مفهوم التنظيم الاجتماعى Social Organization، يجب أن نحدد أولاً لماذا توضع كلمة اجتماعى Social قبل كلمة التنظيم Organization، والسبب يرجع إلى أن طبيعة كل من أنشطة الأفراد والجماعات وعلاقاتهم تتسم جميعها بعدم التخطيط المنتظم لحدوثها إلا من خلال وجود التنظيم الاجتماعي الذى ينظم هذه العلاقات والأنشطة ويعمل على تحديد أنماط التفاعل فى صور من العمليات المعروفة مثل التعاون، والتنافس والصراع، وهذا ما يقصد به عموماً بفكرة التنظيم على أنه شئ معقد ولديه مجموعة من الوسائل والأساليب الفنية التى تجعله قادراً على تنظيم العلاقات الاجتماعية المختلفة(1).

من ثم، تتبلور أهمية التنظيم الاجتماعي كما جاءت فى أفكار كل من برووم وسيلزنيك، حول أهمية هذا التنظيم ودوره فى تحديد أنماط التفاعل والسلوك والعلاقات والعمليات الاجتماعية التى توجد فى المجتمع، وهذا ما يشمل عموماً تصورات علماء الاجتماع وتمييزهم للتنظيم الاجتماعى بصورة عامة. علاوة على ذلك، أن التنظيم الاجتماعى يقوم بتحديد مجموعة من القواعد والمعايير واللوائح والقوانين والأعراف الرسمية، التى توضح ما ينبغى أن يكون عليه سلوك الأفراد وأفعالهم وأنشطتهم. وهكذا يقوم التنظيم الاجتماعى بدور تنظيم وتنسيق وضبط

---

(1) Broom & Selzinck, Op. citm PP. 14-15.

مجموعة الأنشطة والأفعال والسلوكيات فى المجتمع من أجل تحقيق الاستقرار واستمرارية وجود الحياة الاجتماعية.

٢ - مستويات التنظيم الاجتماعى :

انطلاقاً من تصورات كل من برووم وسيلزنيك وتحديدهما إلى هذا التنظيم الاجتماعى وأهدافه، فلقد عززا تحليلاتهما بتصور ثلاث مستويات للتنظيم الاجتماعى والتى يمكن الاشارة إليهم كما يلى :

أ - العلاقة على مستوى الأشخاص Interpersonal Relation Level :

ويشير هذا المستوى إلى مجموعة الروابط الاجتماعية التى تتكون بموجبها العلاقة بين فردين وارتباط كل منهما بالآخر، مثل علاقة القائد بمرؤسيه، والجار بالجار. علاوة على ذلك، ان هذا النمط من العلاقات إنما يعنى به فقط العلاقة التى تحدث بين الأفراد ولا تشمل العلاقات التى تأخذ شخصياً معيناً. وكثيراً ما تكون العلاقات الشخصية المتبادلة على مستوى سطحى أو هامشى أو غير وطيدة. ومن ثم، يجب عند دراسة التنظيم الاجتماعى أن نهتم بدراسة وتمييز العلاقات التى تتسم بالعمق والروابط القوية. ولهذا تعتبر دراسة هذه العلاقات نوعاً من المجالات والموضوعات الهامة التى يهتم بمعالجتها علم الاجتماع، لفهم طبيعة البناء الاجتماعى ونوعية التغيرات التى تحدث على أنماط علاقاته وتغير الجماعات الاجتماعية ذاتها.

ب - العلاقة على مستوى الجماعات The Group Level :

يختلف جوهر العلاقات الاجتماعية من طبيعة المستوى الفردى، نظراً لأن الجماعات وما تتميز به من خصائص وسمات معينة ولاسيما خاصية التفاعل يجعل من الصعوبة دراسة أو معرفة نوعية البناء الداخلى للجماعة ذات الطابع المتغير. وهذا ما يتضح عموماً، لوجود التباين الشديد فى العلاقات الداخلية للجماعة وأيضاً نتيجة لاختلاف نمط العلاقات الفردية لاعضاء الجماعة. فعندما يحدث نوع من الصراع والتعارض بين أفراد الجماعة، فالأفراد غالباً ما يكونون فى حالة من العداء. ولكن هذا لا يعنى استمرارية هذا العداء بصورة دائمة. فدراسة أنماط الجماعة ومعرفته فى المجتمع المحلى أو المجتمع يكشف الكثير عن طبيعة كل من الصراع والتضامن الموجودين بين الأفراد والمجتمع.

جـ - العلاقة على مستوى النظام الاجتماعى The Social Order Level :

وتتسم العلاقة على هذا المستوى بأنها أكثر تعقيداً من المستويين السابقين. وخاصة النظام الاجتماعى أو المستوى المجتمعى أو النسق الأكبر والشامل يكشف عن الكثير من العلاقات المتداخلة والمركبة. فالنظام الأوروبى الاقطاعى سابقاً كان

يحمل مجموعة من العلاقات المركبة ذات الطابع الولائى من أصحاب الأرض والفلاحين، وأيضاً أنواع من العداءات المتنوعة. وهذا ما ظهر أيضاً خلال المجتمعات العسكرية اللامركزية..

وهكذا، فإن اهتمام علماء الاجتماع بدراسة التاريخ الاجتماعي لتطور التنظيم والأنساق الاجتماعية ونوعية العلاقات التى بها، وكيف اختلفت هذه العلاقات بصورة متباينة عما ظهرت عليه قبل ذلك. ويشير كل من برووم وسيلزنيك، إلى مجموعة من العلاقات التى ظهرت على المستوى المجتمعي، ولاسيما عندما تدرس الأنساق الاجتماعية وتطور التنظيمات الاجتماعية المهنية المختلفة، مثل التنظيمات الصحية والعلاجية والزراعية والاقتصادية والصناعية التى ظهرت فى المجتمع الحديث وتشكل شبكة العلاقات الاجتماعية الموجودة فى الوقت الراهن[1].

٣ - مكونات التنظيم الاجتماعي :

تعكس تصورات علماء الاجتماع التى تناولت دراسة التنظيم الاجتماعى، أن هذا التنظيم يتكون من مجموعة من العناصر والمكونات أو المقومات التى يجب أن يقوم عليها وتعتبر الركائز والملزمات الضرورية لوجوده. وهذا ما فسر عموماً، تحديدهم إلى التنظيم الاجتماعي على أفعاله معنيان أساسياً وهما البناء والوظيفة. مثال ذلك وجود البناء التى يتمثل فى الأسرة كجماعة اجتماعية، ولها وظائفها الأساسية فى التنظيم أو المجتمع ألا وهى تربية وتنشئة الأطفال والعمل على استمرارية وجود المجتمع عن طريق الإنجاب والمحافظة على النوع. وبإيجاز، هناك مجموعة من المكونات للتنظيم الاجتماعى وتتمثل فى الجماعات الاجتماعية، والقيم والمعايير، والمركز والمكانة والدور، والقوة والسلطة وأيضاً الضبط الاجتماعي، ويمكن الإشارة إلى هذه المكونات بصورة مختصرة كما يلى :

أ - الجماعات الاجتماعية :

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من وجود الجماعة، وخاصة أن الجماعة تعتبر الوحدة الأساسية لوجود المجتمع، وهذا ما يتمثل فى وجود الأسرة كجماعة اجتماعية. كما يستخدم مصطلح الجماعة استخداماً واسعاً ليشير إلى مجموعة من الأشخاص الذين تربطهم جميعاً مجموعة من العلاقات الاجتماعية. وهذا ينطبق على الأسرة، وجماعات اللعب، والعمل، والحزب السياسى، وجماعات المجتمع المحلى، والجماعات القومية والعالمية أيضاً. ومن هذا المنطلق، يحدد مفهوم

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر ،

Ibid, P. 17.

الجماعة كنسق من العلاقات الاجتماعية التى تربط أفرادها أو اعضائها عن طريق وجود نوع من التضامن والمشاعر والعواطف والأهداف والمصالح المشتركة بينهم. كما يتحدد أدوارهم ومراكزهم داخل الجماعة، باعتبارهم أعضاء بها عن طريق تقسيم العمل والتخصص، وتحديد الأدوار والمراكز ونوعية الولاء والانتماء.

وتظهر أنماط متعددة للجماعات فى المجتمع الحديث والتى يصنفها علماء الاجتماع إلى عدد من التصنيفات مثل الجماعات الأولية والثانوية، والجماعات الرسمية وغير الرسمية، وكل نمط من هذه الجماعات يتميز بخصائص بنائية ووظيفية معينة، كما يتمتع كل منها ببعض المفاهيم والمتغيرات التى تفسر وجودها وأدوارها وأهدافها العامة سواء لأعضائها أو إلى الجماعة ككل(١).

ب - المعايير والقيم :

تعتبر المعايير والقيم من أهم مكونات التنظيم الاجتماعى، والتى عن طريقها يمكن تميز التنظيم الاجتماعى عن غيره من التجمعات البشرية الأخرى مثل الجمهور أو الحشد أو المسافرين. فوجود المعايير واعتبارها بمثابة مجموعة القواعد التى يلتزم بها أعضاء التنظيم والجماعة وعلى ضوئه يتم تحديد السلوك الملائم للأعضاء. كما تعطى المعايير خاصية الالتزام من قبل أعضاء الجماعة أو التنظيم، وهذا ما يميز طبيعة وأنواع الجماعات سواء كانت جماعات رسمية أم غير رسمية.

كما ترتبط المعايير بالقيم السائدة فى التنظيم، مثل وجود القيم الثقافية التى تحدد طبيعة العلاقات ونوعية الأهداف العامة للجماعة، ولاسيما أن القيم تظهر من خلال نوعية الروابط الداخلية ومستوى الولاء والتبعية، ومجموعة الأحاسيس والمشاعر التى توجه السلوك الفردى والجمعى. ومن ثم، نجد أن دراسة القيم داخل الجماعة تجعلنا نحلل مضمون القيم العامة التى توجه الجماعة وأعضائها نحو تحقيق اهدافها. ولاسيما، أن هذه القيم تعبر عن اتجاهات واعتقاد الأفراد ورغباتهم، وميولهم وأفعالهم نحو المبادئ والأسس العامة، التى تربطهم داخل الجماعة أو التنظيم الاجتماعى.

جـ - المركز والمكانة والدور :

يتحدد الوضع الاجتماعى Social Position للفرد عن طريق المهمة التى يشغلها، والتى يطلق عليها بالمكانة Status، كما ان السلوك الذى يتوقع من هذا الفرد فى المكان الذى يشغله يسمى بالدور Role(٢). وبالطبع يتحدد طبيعة الوضع الاجتماعى نتيجة لاعتبارات معينة، مثل السن، الخبرة، الحالة الاجتماعية والمهنية،

---

(١) أنظر الفصل القادم، عن الجماعات والعلاقات الاجتماعية.

(٢) Bilton, T, (etals), Op. cit, PP. 18-19.

والوضع الطبقى وغير ذلك، كما يشمل التنظيم الاجتماعى سلسلة قوية من المراكز التى يشغلها الفرد فى نفس الوقت ويتحدد على ذلك مكانته وأدواره العامة والخاصة، مثال ذلك الطبيب يمكن أن يكون أباً، وزوجاً، ومديراً، وأخاً، وما إلى ذلك من أدوار متعددة يتغير على أثرها طبيعة السلوك بينه وبين الأفراد الآخرين الذين يتعاملون معه. حيث يبتعد سلوك الأب وعلاقته مع أبنائه عن علاقته مع أشقائه أو زوجته أو زملائه أو من يرأسهم فى العمل أو المهنة الى يشغلها فى المجتمع.

حقيقة، هناك تحليلات وتفسيرات كثيرة عن مدى النجاح والفشل الذى يتحقق نتيجة لشغل الفرد مراكز أو مكانات يترتب عليها أدوار معينة. فالطبيب الناجح قد يكون غير موفق عائلياً أو عاطفياً مع زوجته، أو قد يكون سعيداً بين أفراد أسرته، وغير موفق أو متعاون أو محبوب بين أفراد جماعة العمل أو زملائه، وهذا ما يفسر عموماً بفكرة صراع الأدار، والأدوار المتوقعة. كما أن هناك أدوار ومكانات ومراكز يستطيع أن يحصل عليها الفرد عن طريق الوراثة أو الاكتساب من الحياة الاجتماعية. مثال، أن يولد الفرد وينتمى إلى طبقات اجتماعية معينة، فقد يصبح أميراً أو حاكماً عن طريق الميراث، أو عن طريق الميلاد والوضع الطبقى، وربما يصل إلى هذه المرتبة أو المكانة عن طريق الاكتساب والعمل والتمايز واتاحة الفرص واستغلالها عن طريق الحراك الاجتماعى Social Mobility كما يسميه علماء الاجتماع.

د - القـوة والسـلطة :

تكشف طبيعة التنظيم الاجتماعى عن مجموعة كبيرة من العناصر التى تشكل نوعية هذا التنظيم، فإذا رجعنا إلى تصورات أصحاب نظرية العقد الاجتماعى وتحليلهم لرغبة الأفراد لوجود سلطة عليا لها الكثير من لاصلاحيات التى ترعى بموجبه الاتفاق أو العقد الذى أبرم بين الحاكم والمحكومين وتستمد شرعية قوتها وسلطتها من رغبة الأفراد وإرادتهم لنشأة المجتمع. وهذا ما يفسر طبيعة سعى الإنسان لضرورة وجود سلطة أو قوة ملزمة لها صفة الإجبار للجميع حتى يوفوا بتعهداتهم والتزاماتهم وواجباتهم ومسئولياتهم نحو الجماعة التى ينتمون إليها. كما ترتبط عمليات القوة والسلطة بعملية اتخاذ القرارات وصنعها واتخاذها داخل التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية.

ويعكس تحليل تراث علم الاجتماع عن وجود تصنيفات[1] كثيرة للقوة والسلطة ولعل من أبسطها التميز بين أنواع السلطات الثلاث: التنفيذية،

---

(١) أنظر،

- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التنظيم، مرجع سابق، خاصة الفصول ٩ و ١٠.

والتشريعية، والقضائية. كما ترتبط القوة والسلطة بنوعية بناء التنظيمات الاجتماعية أو نوعية الجماعات الموجودة داخل المجتمع وإذا كانت منظمات رسمية اجتماعية أو تطوعية اختيارية. علاوة علـى أن نوعيـة السلطة والقوة ترتبط بطبيعة القيادة والإدارة التى توجد فى التنظيمات الاجتماعية.

هـ - الضبط الاجتماعي :

يقصد بعملية الضبط الاجتماعي كأحد عناصر ومكونات التنظيم الاجتماعى، بأنها العملية التى بموجبها يوجه لها سلوك الأفراد طبقاً لأنماط السلوك المتبادلة والمتوقعة. كما يعتبر الضبط الوسيلة التى عن طريقها يستطيع التنظيم الاجتماعى تحقيق أهدافه من خلال وضعه مجموعة من القواعد والضوابط التى تنظم سلوك الأعضاء بما يتناسب مع أهداف الجماعة أو التنظيم الذين ينتمون إليه. كما تتميز الجماعات والتنظيمات الاجتماعية من ناحية وجود عناصر الضبط فيها ونوعية التكامل بين اعضائها وهذا ما حدده على سبيل المثال كل من ماكس فيبر ودوركايم وتصنيفهما لنوعية التنظيمات والمجتمعات الآلية والعضوية.

ويكتسب الفرد عملية الضبط الاجتماعى من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وعلى جميع المراحل العمرية، والتى تقوم بها أيضاً الجماعات الأولية والثانوية، بدأً من الأسـرة حتـى المدرسـة وتنظيمـات العمـل وشـغل الفـراغ وغيرهـا. كمـا يقترن الضبـط الاجتمـاعى بـالجزاءات وبطبيعتهـا، ليضمـن المجتمـع نوعـاً مـن الامتثـال والطاعة والخضوع، وتهذيـب الخـارجين علـى القواعد والنظم الاجتماعيـة، والتـى تهدد كيان الجماعة أو التنظيم الاجتماعى عامة.

خاتمـة :

حقيقة، إن دراسة العلاقة بين الفرد والمجتمـع أو التنظيم الاجتمـاعى يكشف عن الكثير من الموضوعات والقضايا، التى يهتم بهـا علـم الاجتمـاع والتـى تزداد بمرور الوقت. وجاءت تفسيرات علمـاء الاجتمـاع، منـذ أن وضـع اوجست كونت الملامح الأولى لأهداف هذا العلم للتعرف على طبيعة الظواهر الاجتماعية ودراسـة مشكلات الفرد فى المجتمع الحديث. ولاسيما، أن نشـأة علـم الاجتمـاع جـاءت مـع حدوث التغيرات المتعددة التى طـرأت علـى مكونـات التنظيم الاجتمـاعى التقليدى، الذى كان سائداً سـواء فـى العصـور الوسطى أو مراحل التحـول نحـو المجتمعات الحديثة المعقدة. كما جاءت كثير من المشكلات الفردية والجمعية التى ظهرت نتيجة للتغير الجذرى فى نوعية مكونات البناء التنظيمى الاجتماعى ووظائفه المختلفة.

من ناحية أخرى، لقد تصدى علماء الاجتماع لتفسير أوجه الاختلاف والتباين بين وجهات النظر المتعارضة حول أسبقية وجود كل من الفرد أو المجتمع، وهذا ما ظهر على وجه الخصوص فى تحليلات المداخل السوسيولوجية الحديثة التى عالجت طبيعة وأهداف التنظيم الاجتماعى وحددت مفاهيمه وتصوراته المختلفة. وإن كانت تحليلات الرعيل الأول من علماء الاجتماع، من أمثال دوركايم ركزت على تبرير أهمية المجتمع وأسبقية وجوده عن الأفراد، خاصة وأن طبيعة الحياة الاجتماعية الأولى أو حالة الفطرة، ما هى إلا حالة من الحياة الاجتماعية الجمعية بكل معانيها وأنشطتها المختلفة.

بالإضافة إلى ذلك، ارتبطت العلاقة بين الفرد والمجتمع بتحليل العديد من مظاهر ونتائج هذه العلاقة التى تظهر فى مجموعة من الأفعال، والسلوك، والعلاقات والعمليات الاجتماعية مثل التعاون، والتنافس، والصراع، والتوافق، والتكيف، والتمثيل والتنشئة الإجتماعية وغير ذلك، من عمليات لا تزال موضع اهتمام الكثير من مجالات وفروع علم الاجتماع والمتخصصين فيه فى الوقت الراهن. وأخيراً، إن دراسة التنظيم الاجتماعى تجعلنا نتعرف بوضوح على طبيعة مكونات وعناصر هذا التنظيم، وإلى أى حد تظهر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وبصورة مرضية، وتجعل من سلوكهم وأنماط تفاعلهم تسير نحو تحقيق أهداف التنظيم الاجتماعى نفسه، والحرص على استمراره ووجوده باعتباره المنظم عموماً لأنماط الحياة الاجتماعية فى المجتمع ككل.

الفصل الثامـــن
الجماعات والعلاقات الاجتماعية

* مقدمة .

أولاً : الجماعات الاجتماعية

١ - تعريف الجماعات وخصائصها ووظائفها .

٢ - اتجاهات دراسة الجماعات .

٣ - تصنيف الجماعات وأنواعها .

أ - الجماعات الأولية والثانوية .

ب - الجماعات الداخلية والخارجية .

جـ - الجماعات الدائمة والمؤقتة .

د - الجماعات الرسمية وغير الرسمية .

هـ - الجماعات الاجتماعية وغير الاجتماعية .

و - الجماعات الاختيارية والاجبارية .

ثانيـاً : العلاقات الاجتماعية .

١ - تعريف العلاقات الاجتماعية وأهميتها .

٢ - الاتجاهات السوسيولوجية فى دراسة العلاقات الاجتماعية .

٣ - تصنيف العلاقات الاجتماعية وأنماطها .

أ - العلاقات التلقائية والتعاقدية .

ب - العلاقات الأولية والثانوية .

جـ - العلاقات الأفقية والرأسية .

د - العلاقات المجمعة والمفرقة .

* خاتمة .

مقدمـــة :

تعد دراسة الجماعات والعلاقات الاجتماعية مـن الموضوعـات الهامـة، التـى يهتم بتحليلها علماء الاجتماع كغيرهم من علماء العلوم الطبيعيـة، مثـل علمـاء علـم النفس، والأنثربولوجيا، والسياسـة والاقتصـاد وغيرهم. خاصـة، وأن محـور هـذه العلوم مجتمعة هى السعى لكشف الحقائق المرتبطة بالمعرفة الإنسانية، ولاسيما أن هذه المعرفة تحتاج لكثير من البحث والدراسة والتحليل، كما أنها عموماً ترتبط كلية بدراسة الظواهر الاجتماعية، والتى تمتاز بمجموعـة مـن الخصـائص التـى تميزهـا عن الظواهر الطبيعية الأخرى. فالظواهر الاجتماعية تتسـم بـالتعقيد، والاسـتمرارية والتغير، وصعوبة اخضاعها للبحث التجريبى، والوصول للقوانين أو التعميمات مـن النتائج التى يتوصل إليها العلماء والباحثين. وهـذه عمومـاً مشـكلة دراسـة الظواهـر والمشكلات والموضوعات والقضايا الاجتماعية عامة.

وهـذا مـا يفسـر عمومـاً الكثير مـن المشـكلات التـى تواجـه البـاحثين عندمـا يركـزون اهتمـامهم علـى دراسـة كـل مـن الفـرد والمجتمـع، والجماعـات، وأنمـاط السلوك، والتفاعل، والعمليات، والعلاقات الاجتماعية المتعددة. وهذا ما جعل علمـاء الاجتماع، يسعون لتطوير الأساليب المنهجية وأدوات وطرق جمع البيانات اللازمة، والتى تحتاجها دراسة مثل هذه الموضوعات والقضايـا المرتبطـة بهـا. عـلاوة علـى ذلك، يسعى علماء الاجتماع إلى تحديث أطرهم النظرية والتصورية التى تعزز مـن عمليات توجيه الباحثين وبحوثهم لدراسة الواقع الاجتماعى المتغير ولاسيما خـلال المرحلة الحالية، والتى تشهدها المجتمعات الحديثة المعقدة.

ومع تضافر جهود علمـاء الاجتمـاع وتعزيـز نظريـاتهم التصوريـة والاطـار الفكرى، الذى يستخدمونه لدراسة قضايا ومشكلات المجتمـع الحديـث، عـلاوة علـى تحديثهـم المسـتمر للأسـاليب والأدوات البحثيـة والمنهجيـة عمومـاً. بالاضافـة إلـى الاستعانة بخبرات الكثير من جهـود علمـاء العلـوم الاجتماعيـة والمتخصصيـن فيهـا وطرق وأساليب معالجتهم لقضايا المجتمع عموماً، قد مكن بـالفعل علمـاء الاجتمـاع من تحليل الكثير من الموضوعات والقضايا المعقدة فى دراسة علم الاجتماع ومنهـا بالطبع دراسة الجماعة الانسـانية ومعرفـة أهـم مكوناتهـا وأنواعهـا وأنمـاط تفاعلهـا وعلاقـات وأنشـطة أفرادهـا، التـى تتسـم بـالتغير المسـتمر والمتبـاين، حسـب نوعيـة الاطار الثقافى والاجتماعى الذى توجـد فيـه. وهـذا مـا ينطبـق أيضـاً، علـى دراسـة أنماط العلاقات الاجتماعية، ومحـاولة العلماء تمييز وتعريف هذه العلاقـات، وتحديـد أنماطها المختلفة، شأنها شأن غيرها من الموضوعـات الهامـة التـى يعالجهـا علمـاء

الاجتماع، وتكون محور اهتماماتهم عند دراسة المجتمع الذى يعيشون فيه. وهذا بالفعل ما يميز علم الاجتماع من بين العلوم الاجتماعية التى تعالج قضايا المجتمع ومشكلاته بصورة واقعية ملموسة.

وفى إطار معالجتنا المبسطة لأهم الموضوعات والمجالات التى تندرج تحت مجال علم الاجتماع العام، نطرح موضوع دراسة الجماعات والعلاقات الاجتماعية، محاولين تقديم بعض الأفكار والتصورات، التى ترتبط عموماً بتعريف كل من الجماعات والعلاقات الاجتماعية، وأهمية دراستها ومعالجتها من جانب علماء الاجتماع. وتحليل أهم المداخل والاتجاهات السوسيولوجية والاجتماعية عموماً، التى ركزت على دراسة الجماعات والعلاقات الاجتماعية، ولاسيما، أن طبيعة العلاقة بينها مثل العلاقة التى توجد بين الفرد والمجتمع. علاوةً على ذلك، نركز اهتمامنا بتحليل موجز لأهم أنواع وأنماط الجماعات والعلاقات الاجتماعية، كما سعى علماء الاجتماع إلى تصنيفها من خلال تحليل التراث السوسيولوجى، والذى يكشف عن الكثير من أنواع وأصناف الجماعات والعلاقات الاجتماعية.

أولاً: الجماعات الاجتماعية:

١ - تعريف الجماعات وخصائصها:

تعددت تعريفات علماء الاجتماع للجماعة الاجتماعية نظراً لطبيعة اهتماماتهم ودراسة المجتمع وجماعاته المختلفة، ولا يمكن أن نستطيع حالياً أن نعرض تراث علم الاجتماع حول معالجة الجماعة الاجتماعية، بقدر ما نهدف إلى تناول مجموعة من هذه التعريفات، وتبسيطها للقارئ الذى يتطلع للتعرف على مدى اهتمام ومعالجة علم الاجتماع ودراسته للجماعات الانسانية.

١ - **تعريف بوتومور Bottomore**[(١)] يميز الجماعة على أنها تجمعات من الأفراد، فيها أولاً تنشأ بينهم علاقات، وثانياً يكون كل فرد واعياً بالجماعة ذاتها والرموز السائدة فيها. وبعبارة أخرى، يمكن تعريف الجماعة بأنها بناءً أو تنظيماً سياسياً على الأقل يتضمن (القواعد والطقوس)، وأساسها سيكولوجياً يتمثل فى وعى أعضائها. وطبقاً لهذا التعريف ومعناه تصبح كل من الأسرة، والقرية، والأمة، والنقابة، والحزب السياسى جماعات اجتماعية.

من ناحية أخرى، يميز بوتومور بين الجماعات الاجتماعية وشبه الجماعات أو التجمعات خاصة، وأن الأخيرة لا يوجد بين أعضائها أى نوع من الوعى؛ كما

(١) بوتومور، مرجع سابق، ص ١٣٥.

ينعدم فيها خاصتى البناء والتنظيم، مثال ذلك الطبقات الاجتماعية، وجماعات المكانة، وجماعات العمر والجنس، والحشد، وان كانت هذه شبه الجماعات بمرور الوقت قد تسمح بظهور جماعات اجتماعية منظمة.

٢ - **تعريف سميث Smith**، حيث يتصور الجماعة عبارة عن ' وحدة تتألف من الأعضاء الذين يدركون وحدتهم الجماعية، ولديهم المقدرة على العمل، أو أنهم يعملون بالفعل بطريقة متحدة إزاء البيئة التى تجمعهم ' (١).

٣ - **تعريف ماكيفر Maciver وبيج Page** حيث يعرفا الجماعة بأنها، ' كيان يتألف من مجموعة من الناس يدخلون معاً فى علاقات لجتماعية ' وهذا التعريف يوضح لنا مدى تركيز ماكيفر وبيج على بعد العلاقات الاجتماعية كعامل أساسى فى تشكيل الجماعات وهذا ما أشارا إليه فى تحليلاتهما عن طبيعة المجتمع وأنواع جماعاته المختلفة(٢).

٤ - **تعريف ارنولد جرين A. Green**، الذى يعرف الجماعى بأنها ' عبارة عن تجمع من الأفراد التى تدوم زمنياً، ولها مصالح مشتركة، وتعتمد على عنصر التنظيم. بمعنى أن بعض الأفراد يقودون والآخرون يتبعونهم، كما أنهم يخضعون لمجموعة من القواعد والقوانين التى تنظم العلاقات الدائمة بينهم ' (٣).

٥ - **تعريف هارى جونسون(٤) H. Johnson**، يرى أن الجماعة ' مجموعة من الأفراد يشاركون فى نسق التفاعل الاجتماعى '، كما يؤكد جونسون، على بعد العلاقات الاجتماعية كبعد أساسى لقيام الجماعة واستمرار وجودها، وأن كان يتصون أيضاً، أنه ليس بالضرورة الحتمية أن تتحول كل علاقة اجتماعية إلى جماعة أو تؤدى إلى وجودها واستمراريتها.

٦ - **تعريف شينوى Chinoy**، الذى يتصور الجماعة بأنها ' عدد من الأشخاص تقوم بينهم علاقات وتتحدد على ضوئها نوعية المراكز والأدوار فيها، كما يشاركون فى أنماط محددة من القيم والمعتقدات الدينية، كما أن لديهم نوع من الوعى بطبيعة قيمهم المشتركة، وبعلاقاتهم ببعض التى عن طريقها يمكن تمييز أنفسهم عن الآخرين ' (٥).

---

(١) Smith, M, Social Situation, Social Behavior, Social Group, Psychological Review, 1945, P. 52.

(٢) Maciver R & C. Page, Society, N. Y, 1949, P. 14.

(٣) Green, A, Sociology, N. Y, 1952, P. 42.

(٤) Johnson, H, Sociology: A Systematic Introduction, London, 1971, P. 6.

(٥) Chinony, E, Society: an Introduction to Sociology, 1961, P. 82.

٧ - **تعريف جورج هومانز G. Homans**، الجماعة بأنها ' عدد من الأفراد الذين يتصل كل بالآخر خلال فترة معينة من الزمان، وهى (الجماعة) مجموعة قليلة من الأفراد، ولكنهم لديهم القدرة على الاتصال بالآخرين ليس بطريقة ثانوية، وإنما بطريقة مباشرة ' (١).

٨ - **تعريف جون كوبر G. Cuber**، للجماعة الاجتماعية على أنها ' عدد من أفراد الجنس البشرى الذين يوجد بينهم نوع من الاتصالات والعلاقات المتبادلة ' ويؤكد كوبر على تحديد هذا المفهوم من حيث الشكل حتى يكون مبسطا للقارئ أو الطالب المبتدئ لعلم الاجتماع، خاصة وأن هناك خصائص أخرى تحدد الجماعة مثل الشكل، والحجم، ونوعية الاتصال، والتأثير المتبادل(٢).

تلك أهم التعريفات التى تظهر من خلال تحليلنا للتراث السوسيولوجى، الذى أهتم بدراسة الجماعات الاجتماعية خلال القرنين الماضيين، حقيقة أن هناك مجموعات متعددة من التعريفات التى يصعب سردها حالياً. كما نلاحظ أن التعريفات السابقة، أكدت على وجود عدد من الأبعاد التى تحدد الجماعة وغيرها عن التجمعات أو شبه الجماعات مثل بعد العلاقات الاجتماعية، والاستمرارية، والتفاعل، والاتصال، وتحديد الأدوار والمراكز، والتنظيم، وتحقيق الأهداف واشباع الحاجات الأساسية للجماعات والأعضاء.

✻ خصائص الجماعة :

وبالإضافة إلى هذه الأبعاد والمتغيرات التى كشفت عنها التعريفات السابقة حول الجماعة، وتوجد أيضاً عدد من الخصائص الأخرى التى تتميز بها الجماعات الاجتماعية وهى بصورة موجزة(٣).

١ - يشعر الأعضاء داخل الجماعة بأن لديهم نوع من التمايز عن الجماعات الأخرى، وهذا ما يؤدى إلى وحدة الجماعة وتماسكها.
٢ - يتحدد لكل جماعة مركز اهتمام معين يختلف حسب طبيعة الجماعة، ويشارك الأعضاء بعضهم فى أداء هذا المركز أو الهدف وتحقيقه.
٣ - تتسم الجماعة بالطابع المنظم، ولها نوع من البناء الداخلى الذى يحدد طبيعة الأدوار، والمراكز ووسائل الاتصال وطبيعة السلطة.

---

(١) Homans, G, The Human Group, London, Routhedge & Kegen Ltd., 1959, P. 1.

(٢) Cuber, G, Op. cit, P. 311.

(٣) محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ١٢٨.

بالإضافة إلى هذه الخصائص توجد أيضاً مجموعة من أشكال الجماعات والتى تعتبر بمثابة الأسس العامة لتكوين هذه الجماعات كما توجد فى الأنساق الاجتماعية التى توجد فى المجتمع وهذه الأشكال :

١ - الشكل الأسرى Familistic، حيث تعتمد العلاقات فى هذا النمط من الجماعة على وحدة القرابة، وان كانت تختلف الروابط الأسرية من مجتمع إلى آخر ولكن توجد الأسرة فى كافة المجتمعات.

٢ - الشكل المكانى Spatial، ويتحدد هذا الشكل حسب محل اقامة أعضاء الجماعة الذين يشاركون بعضهم فى الحياة الاجتماعية، وهذه الوحدة (الاقامة) ربما تكون قرية، مدينة، منطقة أقليمية.

٣ - الشكل الخاص Special، ويقوم على أساس نوع الاهتمام والنشاط الذى تهدف إليه الجماعة، ليقوم الأعضاء بأدوارها فى اطار قواعد الجماعة ونطاقها وأهدافها العامة.

* وظائف الجماعة :

حقيقة، إن لكل جماعة وظائف محددة تقوم بها فى المجتمع، وهذا ما يميزها عن غيرها من الجماعات الأخرى، مثال ذلك الأسرة لها مجموعة من الوظائف وهى الانجاب، والاشباع الاقتصادى، والعاطفي وغيرها. كما أن للنقابات وظائف تتحدد فى تقديم الخدمات وحماية حقوق اعضائها وتعميق الروابط بينهم، وما ينطبق على هذه الجماعات ينطبق على بقية الجماعات الأخرى المتعددة التى تظهر فى المجتمع الحديث. ولكن تشترك الجماعات فى عدة وظائف مثل :

١ - تقوم الجماعة بتحقيق وظائفها ككل من خلال وجود أهداف تسعى إليها لاشباع حاجات أعضائها.

٢ - تعطى الجماعة القوة للفرد وتشكل سلوكه، وتؤكد له ملكية أفعاله واتجاهاته.

٣ - تهيئ الجماعة للفرد وسطاً اجتماعياً يشبع من خلاله حاجاته وعواطفه واتجاهاته داخل المحتوى الاجتماعية للجماعة.

٤ - تشعر الجماعة أعضائها بكيانهم الذاتى وهويتهم، وطبيعة انتماءاتهم والاعتزاز بها بصورة مستمرة.

٢ - اتجاهات دراسة الجماعة :

تطورت دراسات الجماعة الاجتماعية بصورة ملحوظة خلال السنوات الأخيرة، وجاء هذا التطور نتيجة لتعدد اهتمامات الباحثين والمتخصصين الذين وجدوا من دراسة الجماعة موضوعاً هاماً يستحق بأن يكون مجالاً وفرعاً جديداً من

فروع علم الاجتماع ويطلق عليه بسوسيولوجيا الجماعات[1] Sociology of Groups، أو سوسيولوجيا الجماعات الصغيرة Sociology of Small Groups، وغير ذلك من تسميات متعددة توضح مدى الاهتمام بدراسة الجماعة الاجتماعية بصورة عامة. ومن هذا المنطلق، لقد ظهرت بعض التحليلات التى تصنف الاتجاهات التى تعالج الجماعات بالدراسة والتحليل، ويمكن عرض أهم أفكار هذه الاتجاهات بصورة موجوزة كما يلى :

أ - الاتجاه البنائى الوظيفى :

يركز أصحاب هذا الاتجاه تصوراتهم على فكرتى البناء Structure والوظيفة Function، خاصة وأن جميع البناءات القائمة تتضمن أنواع معينة من العلاقات وأيضاً مجموعة من الوظائف التى تؤديها، كما تعتبر الوظائف بمثابة العمليات الديناميكية التى تحدث فى البناء. كما استمد هذا الاتجاه كثيراً من تصوراته ومفهوماته من بعض العلوم الطبيعية، ولاسيما البيولوجيا، كما تطورت هذه الاستخدامات فى وضع نظرية عن المماثلة البيولوجية، كما جاءت فى تحليلات هـ. سبنسر Spencer، ومماثلته بين الكائن العضوى والمجتمع[2].

وتطور هذا الاهتمام بعد ذلك عند العديد من علماء الاجتماع الوظيفيين، من أمثال دوركايم فى دراسته للوظائف التى تؤديها الجماعات الأولية والثانوية فى المجتمع. ولقد ركز على دراسة البطون والعشائر والقبائل فى المجتمعات العضوية، ثم ركز على دور الأسرة النواة، والنقابات، والاتحادات المهنية وغيرها من الجماعات الثانوية التى توجد فى المجتمعات الأولية أو المجتمعات الحديثة والمعقدة.

كما تطور هذا الاهتمام بدراسة الجماعات ودراسة أنماط البناء ووظائف وأنواع الجماعات المختلفة، كما حدث فى تحليلات بعض علماء الانثربولوجيا الاجتماعية والوظيفية من أمثال مالينوفسكى ورادكليف براون. علاوة على تصورات بعض علماء الاجتماع من أمثال باريتو Parito وميرتون Merton، وبارسونز Parsons، وكنجزلى ديفيد Davis، الذين أهتموا باعطاء دفعة كبيرة إلى دراسة الوظائف أو الخلل الوظيفى Functions & Dysfunctional التى تحدث فى البناءات والوحدات الاجتماعية مثل الجماعات.

---

(١) أنظر، غريب سيد أحمد وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٨٥ - ٢٩٠.

(٢) ارجع للمزيد من التفاصيل إلى :

- تيماشيف، مرجع سابق، ص ٣٩٧.

كما يتصور أحد المنظرين لعلم الاجتماع وهو مارتندال Martindale، بأن المذهب الوظيفي اهتم بدراسة الوحدات الصغرى، الذى يركز بصورة أساسية على تحليل ديناميات الجماعة Groups Dynamics. وخاصة فى فترة ما بعد الخمسينات، ولكن كان المذهب الوظيفي خلال النصف الأول من القرن الحالى وآخر القرن الماضى يركز على دراسة الوحدات الكبرى، والتى اهتمت بدراسة المجتمع ككل. كما جاءت تصورات جورج هومانز، لتعبر بوضوح عن مدى الاهتمام بدراسة الجماعة ولاسيما عن طريق دراسة السلوك الفردى والجماعى داخل الجماعات الاجتماعية. علاوة على تركيزه على مجموعة من الخصائص التى تتمتع بها الجماعات، فمن حيث السلوك، يجب أن يكون السلوك اجتماعياً، وأن يكون هناك مجموعة من القواعد والجزاءات التى تحدد الخارجين على هذه القواعد العامة للجماعات، ولقد جاءت تصورات هومانز بصورة خاصة عند اهتمامه بدراسة الجماعات الصغيرة Small Groups.

ب - الاتجاه الشكلى:

يهتم هذا الاتجاه بدراسة العلاقات الاجتماعية التى تنشأ داخل الجماعات أو المجتمع ككل. وهذا ما تميزت به تحليلات مدرسة العلاقات الاجتماعية فى المانيا على وجه الخصوص، ومن أهم روادها فرديناند تونيز F. Tonnies، وجورج سيمل G. Simmel، وفيركاندت Vierkandt وفون فيز Vonwies. ويتركز اهتمامات هؤلاء العلماء على دراسة العلاقات الاجتماعية التى تظهر داخل الجماعات أو المجتمع من الناحية الصورية أو الشكلية، بغض النظر عن المادة أو المضمون أو المحتوى الذى تظهر فيه هذه العلاقات.

وكما تعكس تحليلات (تونيز) حول الجماعات والتى تناولها فى العديد من مؤلفاته والتى ربط فيها بين نشأة الجماعات وتطورها، وتكوين المجتمعات البشرية. وحدد فكرة تكوين الجماعة عن طريق وجود رغبة أو إرادة قوية من جانب أعضائها. كما وصف أحياناً هدف الرغبة بأنها نوع من الشعور التلقائى من أفراد نحو رغبتهم للانتماء إلى أحد الجماعات أو مجموعة من الجماعات الاجتماعية. ويضيف (جورج سيمل) تصورات أكثر عمقاً وتحليلاً من تصورات (تونيز)، ولاسيما حول تشكيل الجماعات وتكوينها، فالجماعة ربما تسعى للنمو المستمر وزيادة عدد أعضائها، ويتطلب ذلك وجود نوع من التنظيم الذى يحدد الأدوار والمراكز بهدف اشباع الحاجات الأساسية للأعضاء.

ومن هذا المنطلق قام (سيمل) بدراسة أنواع الجماعات ومركزاً على دراسة الجماعات المنظمة والصغيرة، وحاول دراسة نوعية الأدوار الفردية والشخصية التى توجد داخل أنواع معينة من التنظيمات الصغيرة مثل التنظيمات السياسية.

علاوة علـى ذلـك، اهتم أيضاً بدراسـة الجماعـات الكبيرة، ووضـع تصنيفـاً مميزاً لأنواع الجماعات، فلقد ميز بين الجماعات من حيث الشكل دون المضمون. وجاءت تصـورات (فـون فيز) لتـأخذ نفس الطـابع السـابق الـذى حدده سيمل فـى دراسـة الجماعات مع الاهتمام أيضاً بالعلاقات الاجتماعية ونمط التفاعل.

جـ - الاتجـاه النفسـى:

يمثل هذا الاتجاه مجموعة من علمـاء النفس أو علمـاء النفس الاجتمـاعى، ومـن أهمهم جابريل تارد G. Tarde، الذى ركز على دراسة الجماعـات الأولية مثـل الأسـرة ومستخدماً العديد من المفاهيم البيولوجيـة والسيكولوجية التـى حـاول فيهـا دراسـة أنمـاط العلاقات والتفاعل والسلوك داخل الجماعات الأولية. كما تجـئ تحليـلات تشـارلز كولـى C. Cooley، لدراسـة التنظيم الاجتمـاعى والتفـاعل والعلاقـات الاجتماعيـة، وذلـك مـن خلال تحليله لأنـواع الجماعـات الاجتماعيـة المختلفـة. كمـا لا يـزال حتـى الآن يستخدم تصنيف كولى بين الجماعات الأولية والثانوية كمقياس لدراسة وتحليل هذه الجماعات.

ويـرى كولـى وغيـره مـن ممثلـى الاتجـاه النفسـى، فـى دراسـة الجماعــة أن الجماعات الأولية أوليـة مـن حيـث أنهـا تعطـى الفـرد خبرتـه الأولـى، كمـا أن هـذه الجماعات لا تتغير بنفس الدرجة. كما استخدم كولى مفاهيم السيكولوجية مثل الـذات الاجتماعية، ليحدد تصوراته عن طبيعـة العلاقـة بين الجماعـة والشـخصية والـذات الفردية. وهذا ما ظهر أيضاً على سبيل المثال، عند دراسته للجماعات وتحليله لكـل من الشعور الذاتى والشعور الاجتمـاعى. فالشـعور الأول يرتبـط بـالذات أو بـالنفس الفردية، أما الشعور الثانى فيرتبط بالجماعة أو الناس فى المجتمـع. وهـذا مـا جعـل كولى يتحدث عن (النحن We) أو الذات الاجتماعية Group self، ليوضـح طبيعـة الفرد داخل الجماعة بصورة عامة.

بإيجـاز، تلـك أهم الاتجاهـات التـى قـامت بدراسـة الجماعــة وعـبرت عـن تصورات مجموعة من علماء الاجتماع والأنثربولوجيا وعلماء النفس، الذين كرسوا اهتمامهم لدراسة الجماعة وأنماط التفـاعل والعلاقـات الاجتماعيـة. ولقد أسـهم هـذا الاهتمام فى تطور مناهج دراسـة الجماعـة الاجتماعيـة سـواء عـن طريـق المسـوح الاجتماعية، أو اسـتخدام الاحصـاءات الاجتماعيـة، أو المقـابلات واسـتخدام تواريـخ الحياة، أو اسـتخدام القيـاس الاجتمـاعى (السوسيومترى)، الـذى يهـدف إلـى دراسـة العلاقات الاجتماعية داخل الجماعات الاجتماعية، والتى تختلف هذه العلاقات حسب نوعية الجماعات وأنماطها المختلفة.

٣ - تصنيف الجماعات وأنواعها:

نظراً لتعدد تراث علم الاجتماع حول القضايا التى يطرحها للمناقشة والدراسة، واختلاف وتباين وجهات نظر العلماء حول معالجتهم لهذه القضايا، وكثرة التحليلات والكتابات التى ترتبط بموضوع الدراسة أو المعالجة، وجاء من الضرورى أن يهتم علماء الاجتماع ومنظريه والمتخصصين فيه بعملية تصنيف هذا التراث حتى يمكن الاطلاع عليه بسهولة، ولاسيما بواسطة القارئ العادى أو الباحث المبتدئ فى دراسات علم الاجتماع. وهذا ما ينطبق على مشكلة تصنيف الجماعات ومحاولة الباحثين، من تحديد المحاولات السوسيولوجية التى عالجت هذا الموضوع. ويمكن فيما يلى الاشارة لأهم هذه المحاولات التى ترتبط بتصنيف الجماعات وتحديد أنواعها المختلفة.

أ- تصـنيف الجماعـات:(١)

١ - **تصنيف تونيز Tonnies**، تعتبر محاولة تونيز أولى المحاولات التى سعت إلى تصنيف الجماعات لأول مرة، عندما سعى لتصنيفها بين المجتمع المحلى والمجتمع. ويشير المجتمع الأول إلى نموذج للحياة المشتركة القائمة على الروابط الأولية الخاصة، يمثل هذا النوع من المجتمع الأسرة، وجماعة القرابة وجماعة الأصدقاء. أما النوع الثانى (المجتمع) أو الرابطة فيعرفها بأنها حياة عامة حيث تكون عضويتها شعورية ومعتمدة. ومن أمثلتها الجماعات الاقتصادية التى تراعى المصالح الاقتصادية لأعضائها. ومن ثم يظهر من تصنيف تونيز، أنه سعى للتفرقة بين المجتمع المحلى والمجتمع أو الرابطة مثل الجماعات الاقتصادية.

٢ - **تصنيف تشارلز كولى C. Cooley**، سعى كولى لتصنيف الجماعات عندما ميز بين الجماعات الأولية وغيرها من الجماعات الأخرى. ويقصد بالجماعات الأولية، التى تتمتع بخاصية التعاون والعلاقات والروابط القوية، وانصهار الأفراد داخل وحدة مشتركة ويصبح هدف الجماعة هى المصالح العامة والمشتركة. أما الجماعات الأخرى، فهى الجماعات التى تتباين مع هذه الخصائص وتكون علاقاتها سطحية وغير متعمقة.

٣ - **تصنيف جورج جيرفيتش G. Girvitch**، وهو يمثل التصنيفات الحديثة الشاملة للجماعات فى المجتمع حيث قام بوضع معيار للتصنيف شمل خمسة عشر مقياساً وهى: المحتوى، الحجم، الاستمرار، والاشباع، وتقارب الأعضاء، وأساس التكوين، والانضمام إلى العضوية، والتنظيم، والوظيفة،

---

(١) جاءت هذه التصنيفات فى تحليلات بوتومور، أرجع إلى :

- بوتومور، مرجع سابق، ص ١٣٦ - ١٣٨.

والتوجيه، والعلاقة بالمجتمع الأكبر، والعلاقة بالجماعات الأخرى، والضبط، والسلطة، والوحدة. وسعى جيرفيتش لاستخدام هذا التصنيف للتميز بين الفروق الجوهرية بين الجماعات وتحديد أنواعها.

٤ - **تصنيف جورج هومانز G. Homans**، وخاصة عندما سعى لتصنيف الجماعات الأولية، ووضع مجموعة من المبررات لدراسة هذه الجماعات وهى سهولة تصنيف الجماعات الصغيرة، ومن الصعب تصنيف المجتمعات الكبيرة المحلية أو الأمم الكبرى. كما ناقش الأسرة والوحدة القرابية، وحاول أن يكشف فيها بصورة عامة عن المعايير التى ينبغى أن يستخدمها العلماء عند دراستهم للجماعات الأولية، والتى يمكن أن تظهر فيها نوع من العلاقات والروابط القوية، وأحياناً تظهر فيها أنواع من الصراع والنفور فى هذه العلاقات.

٥ - **تصنيف ريدفيلد R. Redfield**، سعى هذا العالم لتبنى مدخلاً جديداً لدراسة الجماعات وهو قريب نسبياً بمدخل هومانز السابق. فلقد أهتم ريدفيلد، بدراسة المجتمع المحلى الصغير ووضع مؤلفاً بنفس العنوان، وبرر وجود هذا المجتمعات نظراً لأنه يعتبر الشكل العام للجماعات السائدة خلال تاريخ البشرية وحتى الوقت الحاضر.كما يمثل هذا النوع من الجماعات أكثر من ثلاثة أرباع سكان العالم الذين يعيشون فى القرى، ومن خصائص هذا المجتمع المحلى الصغير: التميز، الصغر، التجانس، الاكتفاء الذاتى .

تلك أهم المحاولات التصنيفية التى سعت لدراسة الجماعات الاجتماعية، فنجد بعض هذه المحاولات ركزت على وضع الجماعات بين طرفى الثنائية من محاولة توينز بين المجتمع المحلى والمجتمع الكبير أو بين الجماعات الأولية أو غير الأولية، كما جاءت فى محاولة (كولى)، وان كانت بقية المحاولات سعت لوضع مدخلاً لدراسة الجماعات مع طرح عدد من المجتمعات والمقاييس، التى يمكن الاسترشاد بها فى دراسة الجماعات فى المجتمعات الحديثة، وهذا ما جاء فى محاولة (جيرفيتش) على سبيل المثال. وبالطبع تسهم هذه المحاولات فى اعطاء الباحث بعض المقاييس التى على ضوئها يمكن دراسة وتصنيف الجماعات.

كما أننا نلاحظ، أن هناك محاولات تصنيفية للجماعات ظهرت فى كتابات العديد من علماء الاجتماع، ولاسيما أنهم درسوا المجتمع وجماعاته وعلاقاته الاجتماعية. وهذا ما جاء على سبيل المثال، فى كتابات دوركايم وميز بين المجتمعات العضوية، والتى حدد فيها طبيعة الجماعات والعلاقات العضوية القوية وأنها تقوم على التجانس والتعامل والاجتماعى، فى مقابل ذلك توجد المجتمعات

الآلية التى تمثلها المجتمعات الحديثة حيث يظهر نوع من التفكك الاجتماعى وضعف وفتور العلاقات الاجتماعية وظهور اللاتجانس واللاتضامن الاجتماعى عامة. وبالطبع، هذا ظهر فى تصورات دوركايم عن التضامن الاجتماعى أو دراسته لأنساق الضبط والأخلاق والتربية وغيرها، والتى اعتمدت كثيراً على دراسته للعلاقة بين الجماعات الاجتماعية والبناء والنظم والحياة الاجتماعية ككل.

ب - أنــواع الجماعــات :

كشفت التصنيفات السابقة عن مجموعة من أنواع الجماعات، كما طرحت بعض المحاولات التصنيفية العديد من المحكات والمقاييس التى يتم على ضوئها تحديد أنواع الجماعات ومن أهمها بصورة موجزة :(١)

(١) الجماعات الأولية والثانوية :

جاءت هذه النواع فى الكثير من تحليلات العلماء ولاسيما تصورات تشارلز كولى حولها، حيث تتميز الجماعات الأولية، بوجود نوع من الترابط القوى والاتصال المباشر والتعاون، ووجود عناصر التعاطف المتبادل والشعور بالوحدة. ويمثل هذا النوع من الجماعات جماعات اللعب، والأسرة، والقرية، وجماعات الجوار، وجماعات العمل. كما تتسم هذه الجماعات بتجاور المكان، والاستمرارية فى العلاقات لمدة طويلة مثل علاقات الزوج بزوجته، والصديق بصديقه، والمدرس بتلاميذه.

أما الجماعات الثانوية، فهى على عكس الجماعة الأولية من حيث ضعف وفتور العلاقات الداخلية، وعدم الشعور بالروابط العاطفية القوية، أو الوحدة، أو ان كان يوجد نوع من الانتماء الرسمى فى العلاقات ويمثل هذا النوع النقابات والاتحادات المهنية على سبيل المثال.

(٢) الجماعات الداخلية والخارجية :

جاء تصنيف هذه الجماعات فى كتاب وليام سمنر W. Sumner(٢) عن العادات الشعبية، وقسم الجماعات إلى نوعين: جماعات داخلية وأخرى خارجية، ويتم التحديد

---

(١) أنظر المراجع التالية :
- غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ٢٤٦ - ٢٥٨.
- عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٢٥٨ - ٢٦١.
- بوتومور، مرجع سابق، ص ١٣٨ - ١٥٠.
- Cuber, G, Op. cit, PP. 311-330.
- Broom & Selznick, Op. cit, PP. 120-150.

(٢) للمزيد من التفاصيل أرجع إلى :
- Sumner, W. G, Folkways, N. Y: Mentor 1960.

بينها على أساس انتماء الأفراد فيها، فالجماعة التى ينتمى إليها الفرد تسمى جماعة داخلية، والجماعات الأخرى التى توجد فى المجتمع تسمى جماعات خارجية. كما يعتمد هذا التصنيف على الوظائف التى تؤديها الجماعات للأعضاء الذين ينتمون إليها، مثل الجماعات الداخلية التى تحقق الاستقرار والأمن لاعضائها، وكما يوجد بينهم الشعور بالتضامن والحب والتعاطف. أما الجماعات الخارجية، فهى يتعارض معها فى هذه الخصائص السابقة، كما يشعر كثير من أعضائها بنوع من الكراهية والعداء.

(٣) الجماعات الدائمة والمؤقتة :

يتم تحديد أنواع هذه الجماعات بين دائمة ومؤقتة على أساس درجة مدى الثبوت والاستمرار. فكثير من الجماعات تنشأ لسبب عارض، مثل جمهور المشاهدين لكرة القدم، أو لجمهور الناس لوجود حادث فى الطريق، وهذا ما ينطبق على الجماعات المؤقتة. فى حين نجد أن الأسرة وأفرادها يجتمعون لفترة طويلة يكتسب فيها الفرد تنشئة اجتماعية، وتشكيل سلوكه، وبين أفرادها يوجد نوع من الترابط القوى على عكس الجماعة المؤقتة فتأثيرها ضعيف ووقتى وأهدافها وحيدة ولا تدوم إلا من خلال المؤقف الوقتى فقط.

(٤) الجماعات الرسمية وغير الرسمية :

تتشكل الأنواع الأولى من الجماعات وفقاً لوجود مجموعة من القواعد واللوائح المنظمة للسلوك، كما يحدث بين جماعات العمل الرسمية، والتى تصبغ شريعتها أيضاً من خلال مؤسسات ونظم المجتمع المختلفة من الشركات والمصانع والإدارات احكومية والعديد من الجماعات التى توجد بداخلها. فى مقابل ذلك، نجد الجماعات غير الرسمية، فإنها تنشأ لوجود نوع من الاتصال والاهداف حول موضوع معين، مثل جماعات الأصدقاء والشلل وعصابات الجريمة. كما يندرج تحتها الجمهور والمشاهدين، كما تأخذ بعض الجماعات غير الرسمية نوع من القواعد والالتزامات التى تتم بصورة عرفية ووفقاً لآراء ومعتقدات الجماعة.

(٥) الجماعات الاجتماعية وغير الاجتماعية :

تتحدد الجماعات الأولى (الاجتماعية) عن طريق النشاط الذى تقوم به خاصة وأن هذا النوع من الجماعات يشترك فى مختلف أنواع النشاط ومع الجماعات الأخرى، وتسهم فى بناء المجتمع بنسبة كبيرة وتعمل على تقدمه ورفاهيته. أما الجماعات غير الاجتماعية، فهى الجماعات التى تعيش بمعزل عن غيرها من الجماعات كما يحدث أو يوصف بذلك بعض الجماعات المهنية أو العرفية. بالاضافة إلى الجماعات الاجتماعية وغير الاجتماعية، توجد جماعات ذات نزعة عدائية ضد المجتمع، بمعنى أنها تعمل ضد مصالح الأفراد والجماعات مثل عصابات الأحداث والاجرام واللصوص وغيرهم.

(٦) الجماعات الاختيارية والاجبارية :

يتميز هذا النوع من الجماعات حسب طبيعة عضوية الفرد فى الجماعة، فالنوع الأول (الجماعات الاختيارية) يختار الفرد عضويته بنفسه وله الحق والحرية فى الخروج أو الانتساب فيها فى أى وقت، مثل جماعات اللعب والترفيه، أو الجماعات التطوعية الخيرية. أما النوع الثانى، (الجماعات الاجبارية) فلا يستطيع الفرد أن يكون له رأى فى عضويته أم لا. فالانسان يولد فى أسرة كجماعة اجبارية، كما ينتمى إلى جنس معين أو سلالة معينة، وإلى جماعات قرابية ودينية وقومية، بعيداً عن إرادته الخاصة أو الذاتية ولذا فهى جماعات اجبارية.

ثانياً : العلاقات الاجتماعية :

١ - تعريف العلاقات الاجتماعية وأهميتها :

يتضح تعريف العلاقات الاجتماعية عندما يسعى العلماء إلى التفرقة بين نوعيتها من حيث درجة الثبات والاستقرار فيصفون العلاقات المؤقتة بالعمليات الاجتماعية Social Processes. أما العلاقات الدائمة بين الأفراد والجماعات فتعرف بالعلاقات الاجتماعية Social Relation(1). كما يقصد من ذلك التعريف، أن العملية الاجتماعية ما هى إلا نوع من العلاقات الاجتماعية في مرحلة التكوين أو النشأة، ولكن بعد استقرار هذه العملية تبلورت وتأخذ شكلاً محدداً توصف به على أنها علاقة اجتماعية. ومن ثم، يكون الغرض من العملية والعلاقة الاجتماعية مجرد اختلاف فى مستوى درجة الثبات والاستقرار وليس أختلاف فى النوع أو المضمون.

علاوة على ذلك، نستطيع أن نستنتج من التفسير السابق للعلاقات الاجتماعية أنها تحدث بين الأفراد والجماعات وترتبط بوجود البناءات الاجتماعية والتنظيم الاجتماعى الذى يحدث فيه العلاقات الاجتماعية. كما أن العلاقات الاجتماعية ترتبط فى تفسيرها بدراسة أشكال السلوك البشرى والنشاط الانسانى ونوعية التفاعل. خاصة، وأن هذه الأشياء ينتج عنها علاقات اجتماعية مميزة يستطيع الباحث أن يتعرف عليها من خلال معايشة أو خبرته ودراسته الميدانية فى المجتمع.

من هذا المنطلق، توجد مجموعة من العوامل التى تعكس أهمية دراسة العلاقات الاجتماعية، والتى تستخدمها كثير من المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية، وتدخل تحت نطاق العلاقات العامة Public Relation، وان كانت هذه العلاقات فى ضوء الأنشطة والتنظيمات الرسمية العامة والخاصة. على أية حال، يمكن فيما يلى

---

(١) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ١٨٤.

أن نعرض لأهمية دراسة العلاقات كما يحددها أولسن Olsen، من خلال تحليل لأسباب اهتمام الأفراد والجماعات بضرورة وجود علاقات اجتماعية، وذلك نظرا لوجود مجموعة من الدوافع التى تحفزهم إلى اقامة العلاقات الاجتماعية مثل[1]:

١ – الجزاء الذاتى، يسعى الأفراد والجماعات لاقامة علاقات بينهم من أجل اشباع رضاهم النفسى مع الآخرين، والتماس التمتع بصحبة الآخرين عن طريق علاقات الصداقة والحب والارتباط بالعمل وغير ذلك من علاقات متعددة.

٢ – الاهتمامات العامة : ان وجود علاقات اجتماعية تخلق نوعاً من المناخ الذى يعكس مجموعة الاهتمامات المشتركة بين الجماعات، وتمد أفرادها بالأساس الاجتماعى، وخلق أهداف عامة يتفق عليها الجميع، علاوة على أن العلاقات الاجتماعية تؤدى إلى وضع نموذج واضح لتفاعل الأفراد من أجل تنفيذ أهداف الجماعة.

٣ – التوقع والاضطرار : يحدث عن طريق تفاعل الأفراد والجماعات وحدوث نوع من التصرفات والأفعال الاجبارية، التى يجب أن يقوم كل منهما تجاه الآخر. ومن ثم تحتوى هذه التصرفات والأفعال على توجيه الأفراد نحو تحقيق الأهداف والاهتمامات المشتركة.

٤ – الاعتماد المتبادل : تعكس طبيعة الحياة الاجتماعية، منذ أن ظهر الإنسان على سطح الأرض أو عرفت المجتمعات ونشأت عليها فالأفراد والجماعات يسعون للعيش فى حياة جماعية أو حتى شبه منعزلة، إلا أنها (الحياة) تعكس طبيعة الإنسان نحو حبه للعيش مع الآخرين واقامة علاقات حتى تكفل له تحقيق الاكتفاء الذاتى لحاجاته الأساسية علاوة على توفير بيئة اجتماعية بها علاقات متنوعة من الجيران والأهل، والأصدقاء وغيرهم.

٥ – القوة والتنظيم : تستلزم وجود العلاقات الاجتماعية القوة والتنظيم، كعنصران أساسيان لاستمرارية هذه العلاقات وضبط سلوك الأفراد والجماعات، وتنظيم معاملاتهم واتجاهاتهم نحو الآخرين، وهذا ما جاء واضحاً فى نظرية العقد الاجتماعى وفكرة انشاء المجتمعات من قبل الأفراد.

٢ - الاتجاهات السوسيولوجية فى دراسة العلاقات الاجتماعية :

مع تطور اهتمامات علم الاجتماع ومناقشته لموضوعات وقضايا المجتمع، يسعى المنظرين لهذا العلم لأن يصنفوا طبيعة اهتمامات العلماء النظرية والميدانية، التى ترتبط بتفسيرهم لهذه القضايا، وهذا ما يتضح من خلال تحليلنا لعدد من

---

(١) اسماعيل عبد البارى، مرجع سابق، ص ٨٥ – ٨٦.

وللمزيد من التحليلات يمكن الرجوع إلى المصدر الأساسى التالى :

- Olsen, M. E, The Process of Social Organization, N. Y: Holt Ltd., 1968.

الاتجاهات السوسيولوجية التى اهتمت بدراسة العلاقات الاجتماعية والتى يمكن الإشارة إليها كما يلى[1]:

أ - الاتجاه الفردى :

يعكس هذا الاتجاه وجهة نظر مجموعة من العلماء الذين تصطبغ تحليلاتهم بالموجهات الفكرية وأصحاب نظرية العقد الاجتماعى Social Contract، والذين يتصوروا أن المجتمع ليس له وجود ولكن الفرد هو السابق فى الوجود على المجتمع. ومن هذا المنطلق، يمكن دراسة العلاقات الاجتماعية عن طريق دراسة الأفراد لأنهم هم محور الحياة الاجتماعية. علاوة على ذلك، أن حدوث الاختلافات والمشكلات الاجتماعية إنما ناتجة عن الخلافات التى توجد بين الأفراد. كما أن السعى إلى حل هذه الخلافات والذى يعتبر غاية اجتماعية تهدف عموماً إلى إسعاد الأفراد. كما يلاحظ أيضاً، أنه من الصعوبة الفصل بين سعادة الأفراد أو الجماعات، فإذا تحقق إسعاد أحد منهما سوف تتحقق السعادة للجميع.

ب - الاتجاه الاجتماعى الواقعى :

يهدف أصحاب هذا الاتجاه تقليل الدور الفردى الذى أعطاه أصحاب الاتجاه السابق إلى الأفراد، وخاصة وأن أصحاب الاتجاه الاجتماعى يهدفون إلى تذويب الأفراد وعلاقاتهم الاجتماعية داخل الجماعات والمجتمع. خاصة وأنهم يؤمنون بأن المجتمع سابق فى وجوده على الأفراد، ولاسيما أن روح الجماعة والعادات والتقاليد والعقل الجمعى والتضامن، تعبر عن مجموعة من العلاقات الاجتماعية التى تختلف عن العلاقات الاجتماعية الفردية التى يسودها الأنانية والجشع والكراهية. ولهذا نجد على سبيل المثال، ان دوركايم يركز على عناصر الدين والأخلاق والضبط الاجتماعى لامتثال الأفراد للمجتمع، وحدوث علاقات اجتماعية ناتجة عن روح التضامن الاجتماعى. علاوة على ذلك تمثل كتابات (ليفى بريل) هذا الاتجاه، وخاصة عندما ينظر إلى الفرد كأنه آله تعكس مجتمعه وطريقة تفكيره وأسلوبه للحياة، كما أشار على مدى تأثير التحضر والتخلف على أساليب وأنماط تفكير الأفراد والجماعات.

جـ - الاتجاه التفاعلى :

يعد أصحاب هذا الاتجاه تصوراتهم بعيداً عن تصورات كل من الاتجاه الفردى أو الواقعى الاجتماعى، ولم يركز أصحاب هذا الاتجاه على كل من الفرد والمجتمع كأساس للوجود، بقدر ما ركزوا على دراسة العلاقات الاجتماعية ووجودها بصورة متبادلة بين الجميع، خاصة وأنها تعبر عن جوهر الحياة الإنسانية. ولهذا السبب، يرى

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٧ – ٨٩.

أصحاب هذا الاتجاه الذى يمثل مدارس اجتماعية متعددة ضرورة أن يهتم علم الاجتماع بدراسة العلاقات الانسانية التى تنشئ داخل الجماعات البشرية. ومن اهم هذه المدارس المدرسة البيولوجية الاجتماعية، وأصحاب الدراسات الأنثولوجية التى تركز على العلاقات الاجتماعية فى ضوء الاعتبارات العنصرية والسلالية. كما ظهر مذهب دراسة العلاقات المجردة وعرف بمدرسة العلاقات من أبرز علمائها (جورج سيمل) وغيره.

د - الاتجاه النظامى :

يرجع أصحاب هذا الاتجاه تفسيرهم للعلاقات الاجتماعية من منظور أعم وأشمل من الاتجاهات السابقة بصور متعددة، ويجب دراسة هذه العلاقات من خلال مناقشة الأهداف والاهتمامات والغايات والمصالح العامة والمشتركة بين الأفراد والجماعات. خاصة، وأن تحقيق هذه الأشياء تحتم وجود نوع من العلاقات الاجتماعية المنظمة، والتى تتحدد فيها الأدوار والمراكز العامة للأفراد. وهذا أيضاً ما يفسر سر تطور المؤسسات والتنظيمات أو هذه الجماعات من الحالة البسيطة إلى الحالة المعقدة والمركبة نتيجة لتطور نسق وشبكة العلاقات الاجتماعية. ويمثل أصحاب هذا الاتجاه العالم الأمريكى ماكيفر Maciver، عندما ركز على الربط بين ظهور العلاقات الاجتماعية والبيئة الاجتماعية، التى تنشأ فيها أشكال وأنماط الجماعات على مختلف أنواعها فى المجتمعات الحديثة. كما تعكس أيضاً تصورات بعض العلماء المحدثين لعلم الاجتماع من أمثال جورج جيرفيتش، وتحليله للعلاقات الاجتماعية المباشرة أو التلقائية وغير المباشرة.

هـ - الاتجاه السوسيولوجي عند فيبر :

طرحت الاتجاهات السابقة فكرة العلاقات الاجتماعية من منظورها الخاص، والتى بينت مدى العلاقة بين الفرد والمجتمع، أو عن طريق استخدام مقياس التنظيم وأهميته فى دراسة العلاقات الاجتماعية كما جاء فى تصورات الاتجاه التكامل. إلا أننا نلاحظ من خلال تحليل التراث السوسيولوجى لدراسة العلاقات الاجتماعية، أن ماكس فيبر M. Weber، قد حلل طبيعة العلاقات الاجتماعية من خلال مناقشته لنظرية الفعل الاجتماعى Social Action Theory، وما يرتبط بها من مفاهيم أخرى مثل دراسته للدور الاجتماعى Social Role، والتى حدد فيها طبيعة العلاقات الاجتماعية، وحددها بصورة مميزة بأنها تحدث (العلاقات الاجتماعية) بين فردين أو أكثر فى موقف معين، ويترقب أحد الطرفين تصرفات وأفعال الطرف الآخر[1]. ومن ثم، فان العلاقات الاجتماعية تشمل كل من عنصرى الاحتمال والتوقع، والسلوك المتبادل بينهما.

---

(١) أنظر على سبيل المثال مؤلفات فيبر الآتية :

- Weber, M, Basic Concepts in Sociology (Trans. By: H. Secher) N. Y: The Citadel Press, 1963m P. 63.
- Weber, M, The Theory of Social Organization, Op. cit, P. 122.

كما ركز فيبر على تحليل العلاقات الاجتماعية من خلال مناقشته لطبيعة الاختلاف الذى يحدث نتيجة للصراع الذى قد ينشأ نتيجة أيضاً سوء التكيف الموقفى التى تحكم أفعال وسلوك الأفراد. ومن ثم، فإن العلاقات الاجتماعية قد يتوفر فيها عناصر ايجابية مثل التجاذب والصداقة، أو التنافر والعداء كعناصر سلبية. كما استخدم فيبر دراسة أنماط العلاقات داخل الأسرة والكنيسة، والحزب السياسى وغيرها من الجماعات الاجتماعية، التى اختبر فيها مفهوماته وتصوراته النظرية برؤيته لأفعال وعلاقات الأفراد والجماعات داخل التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية. علاوة على ذلك، اهتم فيبر بدراسة عملية تغير العلاقات الاجتماعية واختلافها حسب نوعية الزمن، والمجال، فقد تظهر بعض الجماعات نوع من المهادنة فى علاقتها فى مرحلة معينة، وقد تظهر أيضاً انواع من العلاقات المتصارعة وهذا ما أشار إليه فى دراسته لأنماط العلاقات الاجتماعية داخل الأحزاب السياسية، وتوصل فى النهاية إلى أن العلاقات الاجتماعية من هى إلا نسق من السلوك الانسانى.

٣- تصنيف العلاقات الاجتماعية وانواعها:

كشفت التصورات والافكار العامة حول تحديد مفهوم العلاقات الاجتماعية، واهمية دراستها بالنسبة لعلماء الاجتماع واهتمامهم بموضوعات وقضايا المجتمع المتغيرة، عن وجود الكثير من الاتجاهات النظرية التى ركزت على دراسة العلاقات الاجتماعية من الناحية السوسيولوجية، والتى عبرت بوضوح عن مدى تعقد وتنوع انماط العلاقات الاجتماعية وتصنيفاتها المختلفة والتى يمكن عرض اهمها كما يلى:

أ - العلاقات التلقائية والتعاقدية :

تظهر هذه العلاقات من خلال تحليل علماء الاجتماع وتمييزهم لانواع واشكال المجتمعات، وهذا ما ظهر فى تصورات تونيز الذى يميز بين شكلين من اشكال المجتمعات هى: المجتمع المحلى، والمجتمع العام. وتنشأ العلاقات بين افراد المجتمع الاول بصورة تلقائية، ومن روابط ثلاثه هى: الدم والجوار، والصداقة أو التعاطف الروحى. ومن أهم أمثلة العلاقات التى تستند إلى هذه الروابط هى علاقة الام بأطفالها أو الزوج بزوجته. أما بالنسبة للمجتمع العام، فتكون العلاقات الاجتماعية علاقات ارادية وتستند فى تكوينها إلى عنصر الاتفاق والتعاقد بين الافراد والجماعات، وهذا ما يظهر فى المدن الكبرى والمجتمعات المعقدة ومثل ظهور الشركات الصناعية وارتباطات العقود والأوراق المالية.

ويشارك دوركايم تصورات تونيز السابقة، من خلال تصنيفه الاول لانماط العلاقات الاجتماعية مثل تحليلاته لتقسيم العمل أو تصنيفه للمجتمعات

العضوية أو الآليه، حيث تصور على سبيل المثال، ان المجتمعات الاولى (العضوية) وهى المجتمعات التى تتميز علاقتها الاجتماعية بالبساطه وتوجد فيها روح الحياة الجمعية والتضامن والتجانس الاجتماعي. بينما تسود المجتمعات الآليه (الحديثة) العلاقات الاجتماعية المعقدة وتسود فيها روح الفردية واللاتجانس واللاتضامن الاجتماعى[1].

ب - العلاقات الأولية والثانوية :

يستند العلماء فى تصنيفهم إلى هذا النوع من العلاقات عن طريق رجوعهم إلى تصنيف تشارلز كولى Cooley، لنوعين من العلاقات الاولية والثانوية، والتى وضعها اساسات عند تصنيفه للجماعات الاجتماعية على اساس هذه العلاقات . والعلاقة الاولية كما وضحها كولى هى علاقة الوجهه للوجه أو هى علاقة مباشرة تنشأ عن طريق الاتصال بين عدد محدد من الافراد، كما تتسم هذه العلاقات بالعمق، والخصوصية، والاستمرارية والدوام النسبى. علاوة على أنها تحقق منفعة مادية أو مصلحة فى جبه لافرادها. وتحتل هذه العلاقات وجودها فى جماعات مثل الأسرة، والجماعات الصغيرة، والاصدقاء وجماعات اللعب.

ان العلاقات الثانوية فهى علاقات غير مباشرة، وتحكمها مجموعة من القواعد الموضوعة والنظم واللوائح التى تحددها الجماعة، وعموماً تتسم علاقاتها بالسطحية، النفعية والعمومية. وهذا ما يظهر فى العلاقات العلاقات التى تحدث فى المجتمعات الحديثة وتظهر من خلال المعاملات العادية للحياة اليومية، مثل علاقة البائع بالمشترى، وعلاقات الاصدقاء أو الزملاء السطحيين فى علاقاتهم.

جـ - العلاقات الأفقية والرأسية :

يستند هذا التقسيم للعلاقات طبقاً إلى طبيعة المراكز واساليب الاتصال التى توجد بين افراد الجماعة. حيث تنشأ العلاقات الافقية بين الجماعات الاجتماعية المتماثلة أو بين من يشكلون مراكز متجانسة مثل جماعات الاصدقاء أو زملاء الدراسة، ورفاق العمل. اما العلاقات الرأسية، فهى التى تنشأ بين اصحاب المراكز العليا أو الدنيا فى الجماعة. مثال ذلك، العلاقات الاجتماعية بين المديرين أو الرؤساء مجالس الادارات والشركات والبنوك، أو فئة العمال شبه المهرة أو المهرة فى الكثير من الاقسام الصناعية الانتاجية فى شركة من الشركات أو مجموعة من الشركات الأخرى.

---

(١) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٢٢٧ - ٢٣١.

د - العلاقـات المجمعـة والمفرقـة :[1]

يرجع تصنيف هذه العلاقات طبقاً إلى هذه الانواع عن طريق قياس درجة العلاقات الاجتماعية سواء اكانت ايجابية تعمل على تجميع الافراد أو الاعضاء أو العلاقات السلبية التى تؤدى إلى التفرقة وضعف الروابط والعلاقات العامة بينهم. ويستند هذا التمييز إلى تصورات العالم الامريكي وليام سمينر Sumner، عند دراسته للعادات الشعبيه وتمييزه بين نوعية من الجماعات الداخلية والجماعات الخارجية. وتظهر العلاقات المجمعة فى النوع الأول، وتشير إلى العلاقات التى تسودها روابط تعمل على جمع الافراد داخل الجماعة وتعمل ايضاً على توحيد المشاعر والاتجاهات والمواقف، على عكس الجماعات الخارجيه التى يسودها علاقات مفرقه للافراد ولا تعبر عن مشاعرهم واتجاهاتهم ومن مظاهر العلاقات الداخلية المجمعة، التوافق، التكييف، التنشئة الاجتماعية، التعاون، التأقلم، اما العلاقات الخارجية المفرقة، مثل النقاش، الصراع على سبيل المثال.

خاتمـة :

لا تزال قضية أو موضوع الجماعات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية، من اهم الموضوعات التى يهتم بدراستها وتحليلها علماء الاجتماع وغيرهم من علماء العلوم الاجتماعية. وهذا ما جعل كثير من علماء الاجتماع يركزون على وضع تعريف محدد لعلم الاجتماع بأنه العلم الذى يدرس الجماعات الاجتماعية، بينما نرى وجود فريق آخر يسعى إلى تحديد ماهية علم الاجتماع بأنه العلم الذى يدرس ويهتم بمعالجة موضوع العلاقات والتفاعل الاجتماعى. من ناحية أخرى، يرى فريق آخر وهو يمثل اغلبية علماء الاجتماع، بأن موضوع علم الاجتماع هو دراسة المجتمع. وبالطبع، جاءت تصورات علماء الاجتماع وتحديدهم لماهية هذا العلم من خلال أولوية الموضوعات التى يجب أن يطرحها علم الاجتماع، ويجب ان يتوجه إليها الباحثين بالدراسة والتحليل والمناقشة.

خاصة، بعد أن لاحظت من خلال تحليل موجز لطبيعة الجماعات الاجتماعية، وتعريفها من جانب علماء الاجتماع، ان الجماعات الاجتماعية يصعب تفسيرها بسهولة ودون التعرف على السياق الاجتماعى والثقافى الذى تعيش فيه هذه الجماعات. هذا بالإضافة إلى، أن صعوبة دراسة الجماعات تكمن فى أن تحليلاتها متعددة ومثارة للجدل والمناقشة وخاصة عند دراسة مفاهيمها التصورية وأهم

(١) جاء هذا النوع ايضاً فى المرجع التالى:

- أحمد الخشاب، مرجع سابق، ص ١٩٤ - ٢٠٠.

خصائصها ووظائفها فـى المجتمـع أو الحيـاة الاجتماعيـة.' إلا أن ذلـك لـم يقلـل مـن المحاولات الجادة التى سعت لتحديد مفهوم الجماعة وتصنيـف أهـم الجماعـات التـى عرفتها المجتمعات البشرية، وتحديد أهم أنواعها المختلفة والتى يشـاع وجودهـا فـى الحياة الاجتماعية.

عـلاوة علـى ذلك، ارتبطـت تحليـلات العلمـاء عنـد مناقشـتهم للجماعـات الاجتماعية وأيضاً العلاقات الاجتماعية. ولاسيما أن هذه العلاقـات تنتـج مـن خـلال أنماط التفاعل والسلوك بين الأفراد والجماعات والتى ينتج عنهـا مجموعـة متداخلـة المظاهر والأنواع من العمليات والعلاقات الاجتماعية. فى نفس الوقت، لقد ظهـرت مجموعة من الاتجاهات السوسيولوجية، والتى شاركها فى بعض الاحيان تصـورات علماء العلوم الاجتماعية الاخرين مثل علماء الانثربولوجيا وعلـم النفس ومناقشـتهم للمداخل المفسرة للعلاقات والجماعات الاجتماعية، والتى اسهمت فـى وضـع تحليـل مميـز لطبيعـة هـذه العلاقـات كمـا ظهـر فـى التـراث السوسـيولوجى منـذ نشـأة علـم الاجتمـاع حتـى الوقـت الراهـن. واخيراً، نـرى ضـرورة اسـتمرارية جهـود علمـاء الاجتماع وزيادة جهودهم على المستويين النظرى والميدانى، من اجل الكشـف عـن كثير من مظاهر وملامح الجماعـات الاجتماعيـة والعلاقـات الاجتماعيـة التـى تتسـم بطابع الديناميكية والتغير المسـتمر نتيجـة لتغيـر الحيـاة الاجتماعيـة التـى توجـد فـى مجتمعنا الحديث.

الباب الرابع
النظم الاجتماعية

الفصل التاسع: النظام الأسرى

الفصل العاشر: النظام السياسى

الفصل الحادى عشر: النظام الاقتصادى

الفصل الثانى عشر: النظام التعليمى

الفصل التاسـع
النظـام الأسـرى

* مقدمة .

أولاً : التطور التاريخى لدراسة الأسرة .

ثانياً : تعريف الأسرة .

ثالثاً : علم الاجتماع ودراسة الأسرة .
١ - منظور البنائية الوظيفية .
٢ - منظور الصراع .

رابعاً : أنماط الأسرة وأشكالها البنائية .

خامساً : وظائف الأسرة .

سادساً : مشكلات الأسرة .

سابعاً : الأسرة والتغير فى المجتمع العربى .

* خاتمة .

مقدمـــة :

تعد الأسرة من أهم الجماعات الاجتماعية التى أعطى لها علماء الاجتمــاع كغيرهم من العلوم الاجتماعية اهتماماً ملحوظاً، ولاسيما أن الأســرة تعتــبر الوحـدة الاجتماعية الأساسية التى يتكون منها المجتمع البشرى ذاته. وان كانت قد تميزت تحليلات علماء الاجتماع عن غيرهم من علماء العلوم الاجتماعية، نظراً لأن مهمة علم الاجتماع تركز على دراسة المشكلات الاجتماعية عامة التى توجد فى المجتمع الحديث. وباعتبار أن هذا المجتمع يتميز عن غيره من المجتمعات التقليدية السابقة نظراً للتغيرات البنائية والوظيفية التى ظهرت على نوعية جماعاته ونظمه المختلفة ومنها بــالطبع الأسرة. كما جاءت اهتمامات علماء الاجتماع لدراسة مظـاهر التغير البنائى والوظيفى التى طرأت على الأسرة ودورها بصورة عامة فى المجتمع الحديث.

حقيقة، ان جملة التغيرات المتعددة التى ظهرت على طبيعة بنـاءات المجتمـع ونظمه قد أثرت بالفعل على الأسرة بصورة أساسية. وهذا ما جعل الأسرة محـوراً أو مجالاً خصباً لدراسات علم الاجتماع والتى تندرج تحت علم اجتماع الأسـرة Sociology of Family. ولا يوجد عالم اجتماع متخصص فى هذا العلم، عندما يناقش قضية اجتماعية، أو مشكلة معينة، أو ظاهرة سوسيولوجية محددة، لا يمكن أن يتناول سواء بالدراسة والتحليل لمعالجة هذه القضية، أو المشكلة أو الظـاهرة دون دراسة آثارها على نوعية الأسـرة وأفرادهـا. وخاصـة، أن اهتمامـات علمـاء الاجتماع، تركز على دراسة جوهر العلاقات والعمليات والبناءات الاجتماعيـة التـى ترتبط بها الأسرة وأفرادها بصور متعددة.

وتشـهد التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التـى حدثت فـى المجتمــع الحديث خلال النصف الأخير من القرن الحـالى، مجموعة من المشـاكل التـى ظهـرت علـى بنـاءات الأســرة الحديثـة ووظائفهـا المختلفـة. الأمـر، الـذى جعـل العديـد مـن المتخصصين فى علم الاجتماع عامة، وعلم اجتماع الأسرة خاصة، أن يعطـون أهتمامـاً ملحوظاً لدراسة هذه المشاكل التى باتت تهدد بناءات المجتمع الحديث كلية. فلقد حدثت تغيرات شملت المكونات أو الخصائص والسمات والوظائف العامـة للأسـرة، ونتـج عن ذلك تعدد مشكلات الطـلاق وآثارها علـى الأبنـاء أو الأطفـال، كمـا ظهـرت مشـكلات الجريمة والانحراف والمراض النفسية والعصبية لتضيف مجموعة أخرى من المشـاكل والآثار السلبية التى تهدد كل من الفرد والمجتمع فى العصر الحديث.

وما من شك، لقد تصدى علماء الاجتمـاع والنفس والتربيـة والاقتصـاد وغيرهم لدراسة مشكلات الأسر العصريـة، محـاولين أن يوجهوا امكانـاتهم النظريـة والميدانيـة

(الامبيريقية) لدراسة الواقع الفعلى الذى يظهر فيه العديد من المشكلات التى ترتبط بالأسرة. علاوة على ذلك، لقد تركزت جهود كثير من علماء الاجتماع ليس فقط على دراسة مشكلات الأسر فى المجتمعات الحضرية الغربية، بقدر ما ركزت اهتمامات علماء الاجتماع أيضاً سواء فى الدول المتقدمة والنامية لدراسة المشكلات والآثار السلبية التى تهدد البناءات الأسرية فى المجتمعات التقليدية والنامية، وتركت الكثير من الآثار السلبية على الفرد والأسرة والمجتمع. ولاسيما، أن معظم (المجتمعات النامية) تغيب فيها نظم الرعاية الاجتماعية مقارنة بغيرها من دول الرفاهية والمجتمعات الغربية.

وإنطلاقاً من اهتماماتنا الحالية، ودراستنا لمجموعة التغيرات التى حدثت على النظم الاجتماعية Social Institutions، نسعى لدراسة النظام الأسرى أو العائلى، ومحاولين أن نعطى للقارئ صورة مبسطة إلى كيفية تحليل هذا النظام من جانب علماء الاجتماع. وذلك عن طريق التعرف على الملامح التاريخية التطورية لدراسة الأسرة، باعتبارها من أهم الوحدات الاجتماعية الأولية. ومعرفة أهم التعريفات التى ترتبط بالأسرة من وجهة نظر علماء الاجتماع ودراسة أيضاً طبيعة المفاهيم والتصورات الأخرى التى ترتبط بها عند معالجتهم للأسرة. ثم سنعالج أيضاً، الاتجاهات والمداخل السوسيولوجية التى اهتمت بدراسة الأسرة، وإلى أى حد اهتم علماء الاجتماع بدراسة وتحليل الأسرة؟. علاوة على ذلك، يتركز اهتمامنا بدراسة أنواع وأنماط الأسرة، وما هى أهم التغيرات البنائية التى حدثت على النظام الأسرى؟. ثم، مناقشة وتحليل الوظائف العامة للأسرة والمشكلات التى تواجهها مع الأشارة الموجزة لطبيعة الأسرة فى المجتمع العربى.

أولاً : التطور التاريخى لدراسة الأسرة :

تعددت اهتمامات مؤرخى ومفكرى علم الاجتماع بدراسة عملية التطور التاريخى لدراسة الأسرة باعتبارها من أهم الوحدات الاجتماعية التى عرفتها المجتمعات البشرية. كما قد سعت محاولات سوسيولوجية لدراسة العلاقة بين التطور التاريخى للأسرة وتحليل التغيرات البنائية الوظيفية التى حدثت فى كل مرحلة من المراحل التى حددها أصحاب هذه المحاولات. ومن أهمها محاولة باتى يوربرج[1] B. Yorburg فى كتابها ' الأسرة المتغيرة ' The Changing Family، والتى حاولت فيه دراسة نوعية الأسرة التى كانت موجودة فى العصور التاريخية التى لم تعرف مرحلة الحياة الاجتماعية المستقرة، ماراً بالمجتمعات الزراعية التى عرفت الاستقرار، ثم أخيراً المجتمعات الصناعية، التى ظهرت نتيجة للثورة الفرنسية.

---

(١) ging Family, N. Y: Columbia Univ. Press, 1973, PP. 83-102.

ولقد ركزت يوربرج تحليلاتها على مناقشة طبيعة البيئة الاجتماعية والاقتصادية والايكولوجية (المكانية) التى توجد فيها الأسرة، ومدى تأثير ذلك على نوعية الوظائف التى تقوم بها الأسرة فى هذه المجتمعات، علاوة على أن طبيعة هذه البيئات المختلفة أثرت من ناحية أخرى على تشكيل أنماط وأنواع الأسرة. كما حدثت تغيرات متعددة سواءاً كانت بنائية أو وظيفية على طبيعة النظام الأسرى كلية، ويمكن الإشارة إلى هذه التحليلات بايجاز كما يلى:

١ - **مجتمعات الصيد والالتقاط Hunting & Gathering Societies** : تميزت بناءاتها بأشكال معينة للأسرة، التى اتسمت فيها بنوع من المشاركة بين مجموعة الرجال والنساء وتربية الأولاد، واتسمت هذه المجتمعات أيضاً بنوع من التخصص وتقسيم العمل، التى حددت المسئوليات والواجبات بين أفراد الأسرة بما يتلاءم ذلك مع مستوى المعيشة وحياة الندرة وطبيعة البيئة القاسية والصعبة. علاوة على أن طبيعة النسق الدينى كان يلعب دوراً أساسياً فى تشكيل العلاقات الزواجية والقرابية ويؤثر على أنساق الملكية والحياة الاقتصادية.

٢ - **المجتمعات الزراعية Agricultural Societies** : ويتحدد ظهور هذه المجتمعات منذ أكثر من خمسة آلاف عام، كما ظهرت فى مصر الفرعونية وغيرها من مجتمعات الشرق الأدنى والأوسط القديم. فلقد تغيرت البيئة الاقتصادية والايكولوجية فى هذه المجتمعات، ولاسيما أنها عرفت طريق الحياة والاستقرار، واعتمدت على الزراعة فى احداث نوع من توافر المواد الغذائية، والبعد عن حياة الندرة التى كانت توجد فى المجتمعات غير المستقرة (الوحشية). كما اتخذت الأسرة أشكالاً متعددة نتيجة لحياة الاستقرار، والتى أدت إلى تنوع المساكن والظروف الاقتصادية، ونظم التبدل والملكية، وتغيرت الحياة السياسية، وأنماط المهن، وهذا بالاضافة إلى، تغير نظم تقسيم العمل، والأدوار الأسرية. كما كان لاستخدام اللغة والتعليم أثر بالغ فى تشكيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والمهنية والسياسية فى المجتمع ككل مما أثر على نوعية الأسرة وطبيعة العلاقة بين أفرادها والمجتمع ككل.

علاوة على ذلك، لقد ناقشت (يوربرج) نوعية العلاقة بين النظام القانونى Legal System، والتطورات التكنولوجية المستخدمة فى المجال الزراعى، ونوعية السلطة والحكومات، والوضع السياسى والطبقى والنظام الدينى Religious System، وغيرها من النظم الاجتماعية فى طبيعة القطاع الأسرى كلية.

٣ - **المجتمعات الصناعية Industrial Societies** : وترتبط هذه المجتمعات بنوعية ظهور المجتمعات الصناعية، التى جاءت بعد حدوث الثورة الصناعية Industrial Revolution، والتى عززت من قدرة الانسان وسيطرته على البيئة الخارجية. كما أحدثت هذه الثورة تغيرات متعددة مثل استخدام التكنولوجيا وتقيد أنماط الطاقة والحياة الاقتصادية عموماً. كما أدى ظهور مجتمع الصناعة أو المصنع، إلى تطور التجارة وأنماط الانتاج ونظم العمل، والتخصص، وتقسيم العمل، والطبقات الاجتماعية المتباينة الدخل والمهنة وأسلوب المعيشة. كما ظهر تقييد فى الأدوار والمراكز داخل الأسرة نتيجة لخروج المرأة للعمل، والاستقلالية فى الدخل والأجر، وتغير أنماط الهيمنة والسلطة داخل المنزل. هذا بالإضافة إلى تغير نوعية الوظائف الاجتماعية والاقتصادية للأسرة، وتعتبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وظهور المؤسسات التربوية والعلمية والترفيهية، لتشارك أو تقوم بدور الأسرة فى المجتمعات التقليدية. كما حدث كثير من مظاهر التفكك الأسرى والخلافات الزواجية وزيادة معدلات الطلاق وغيرها من مشكلات الأحداث ورعاية الأطفال.

علاوة على التحليلات السوسيو-تاريخية السابقة، التى تناولتها (بوربرج) عن الدراسات الأسرية أو تحليل التطور الذى حدث فى البناء الاجتماعى والبيئة والبناء الايكولوجى ونوعية النظام الأسرى عموماً. إلا أن هناك بعض الدراسات التى سعت إلى تصنيف هذه الدراسات طبقاً لمعالجات كل من علماء التاريخ، والانثربولوجيا، والاجتماع، ويمكن الاشارة إليها كما يلى[1]:

١ - يعكس تحليل التراث التاريخى والاجتماعى، أن دراسة موضوع الأسرة يعتبر من أهم موضوعات علم الاجتماع التى تأثرت كثيراً بمناهج العلم الحديث، وبطبيعة الايديولوجيات السياسية والدينية التى ظهرت عبر العصور التاريخية فى الوقت الراهن.

٢ - مع ظهور علم اجتماع الأسرة كأحد فروع علم الاجتماع المتخصصة منذ أواخر القرن التاسع عشر، ارتبطت الأفكار الداروينية الاجتماعية بدراسات الأسرة نتيجة لسيطرة النظريات التطورية، التى اهتمت بتفسير مشكلات المجتمع ومنها الأسرة. وتركزت مجموعة هذه الدراسات حول مناقشة أصل

---

(١) أرجع إلى :

- السيد عبد العاطى وآخرون، الأسرة والمجتمع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، الفصل الأول.

المجتمعات الانسانية، ونظم الزواج، وطبيعة الأسرة، عما إذا كانت أبوية أو أموية. كما ارتبطت هذه الدراسات والأنساق الثقافية الفلكلورية ونوعية التصورات الدينية أو العقائدية التى توجد فى المجتمعات التقليدية أو البدائية.

٣ - أدت كتابات عدد من علماء الأنثربولوجيا من أمثال (مورجان)، إلى دراسة أنماط الزواج والأسرة فى المجتمعات البدائية، وإلى تطور دراسة موضوعات الأسرة، وخاصة عند مناقشة أشكال الزواج وأنواع الأسرة سواء كانت أسر مختلطة أو وحدانية.

٤ - تطور دراسات الأسرة على أيدى عالم الأنثربولوجيا (هنرى مين)، وتأكيده على سيادة وانتشار النظام الأبوى أو الأسرة الأبوية منذ أن ظهرت الحياة الاجتماعية، وكما أيدت تحليلات (باخوفين) على وجود نظام الأموية ونسبة إلى الأم فى الكثير من المجتمعات البشرية والسابقة على وجود النظام الأبوى نفسه.

٥ - تحول الاهتمام بدراسة الأسرة مع نهاية القرن التاسع عشر، إلى معالجة أهم المشكلات الناجمة عن حدوث الثورة الصناعية، وظهور الحياة الاجتماعية الحديثة، وما يترتب عليها من مشكلات على الأفراد، وخاصة الظروف الاقتصادية التى أدت إلى أنتشار الفقر كما أحدثت تغيرات كبيرة على البيئة الحضرية والريفية فى المجتمعات الأوروبية.

٦ - جاءت تحليلات (لوبلاى) لتهتم بدراسة الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للأسرة، وخاصة عندما ركز على دراسة المشكلات الإنسانية ونوعية مستوى المعيشة، والدخل، والأجور، والبطالة، ومحاولة كشف التغيرات البنائية والوظيفية التى ترتبط بالمشاكل الأسرية.

٧ - مع بداية القرن العشرين، ارتبط بالدراسات الأسرية مجموعة من المشاكل الأخرى غير مشكلات الفقر وانخفاض مستوى المعيشة، ومن أهم المشكلات زيادة حالات الطلاق، وزيادة حجم الأسرة، ومشكلة انشغال المرأة أو خروجها للعمل، وظهور النزعات الفردية داخل الأسرة. كما جاء تطور علم الاحصاء ليسهم فى دراسة هذه المشكلات ويساعد علماء الاجتماع على دراسة مشكلات الطلاق، والحرية، وحجم الأسرة، والمواليد والوفيات، والهجرة وغيرها.

٨ - مع تطور المداخل والنظريات السوسيولوجية لعلم الاجتماع، جاءت تصورات عدد كبير من المتخصصين فى دراسة الأسرة، لتؤكد على ضرورة عدم تحليل المشاكل المرتبطة بالأسرة مثل الطلاق، والجريمة والمواليد والوفيات أو غيرها بعيداً عن حقيقة الواقع الاجتماعى والبيئى الذى توجد فيه الأسرة، والذى يؤدى إلى زيادة التفكك الأسرى. ومن ثم، يجب النظر إلى مشكلة التغير البنائى والوظيفى للأسرة فى اطار التغيرات البنائية الوظيفية التى تحدث فى الحياة الاجتماعية وتوجد فى المجتمع الحديث ككل.

٩ - كان لظهور علم النفس الاجتماعي وتطور دراساته، دور كبير فى تحديث الدراسات المرتبطة بالأسرة، والتركيز على الجوانب النفسية والاجتماعية التى توجد داخل الأسرة، مثل دراسات التوافق الزواجي والجنسى، وأسباب وشروط الزواج الناجح، وتحليل اتجاهات أفراد الأسرة وخاصة الأبوين، والاسترشاد عموماً بدراسات علم النفس، والتحليل النفسى خاصة.

١٠- مع بداية الخمسينات، ظهرت تحليلات سوسيولوجية مميزة حول الأسرة لتركز على دراسة أثر الظروف الاقتصادية والاجتماعية على بناء الأسرة ووظائفها، مع الاهتمام أيضاً بالدراسات المقارنة للكشف عن أنماط الأسرة، ونوعية العلاقات الاجتماعية التى توجد بين أفرادها، وأيضاً التركيز على سبل رعاية الأطفال وتنشئتهم اجتماعياً.

١١ - تشهد مرحلة النصف الأخير من القرن العشرين تطورات كثيرة فى دراسات الأسرة، وصاحبت هذه التطورات تحديث المداخل والنظريات السوسيولوجية ومناهج البحث المختلفة، التى ركزت على دراسة أنماط الحياة اليومية للأسرة، واجراء المزيد من الدراسات المتعمقة لفهم نسق العلاقات وشبكة التفاعل الاجتماعى داخل الأسرة، علاوة على دراسة الأسرة كنسق اجتماعى وعلاقتها بالأنساق المجتمعية الأخرى.

بإيجاز، تلك أهم التطورات التى حدثت على الدراسات الأسرية، التى تكشف طبيعة الاهتمام بدراسة الأسرة بين كتابات علماء النفس والانثربولوجيا، والتاريخ والاجتماع. وإن كانت أيضاً هناك اهتمامات أخرى للفلاسفة، الذين أهتموا بدراسة الأسرة والبناء الأسرى وعلاقته بالوضع الطبقى والاجتماعى والمهنى. وهذا ما جاء فى تحليلات أفلاطون وأرسطو وتصورات الأول على سبيل المثال، حول تربية وتنشئة الأطفال فى المدينة الفاضلة وأيضاً فى مدن ودويلات بلاد اليونان القديمة[1]. عموماً، لقد أسهم استخدام المداخل السوسيو-تاريخى المقارن من تعزيز التعرف على دراسة الأسرة ونوعية المشاكل التى تحدث نتيجة للتفكك الأسرى، وخاصة على المستوى الفردى والاجتماعى والقومى.

ثانياً : تعريف الأسرة :

لاتزال مشكلة التعريفات من المشاكل، التى تواجه المتخصصين فى العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع على وجه الخصوص. وهذا ما يظهر من خلال تعريف علماء الاجتماع إلى علم الاجتماع ذاته، كما شهدنا ذلك فى التحليلات

(١) يمكن الرجوع إلى المزيد من التفاصيل فى المرجع التالى :

- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التربية، مرجع سابق، الفصل الأول.

السابقة. والسبب فى ذلك يرجع إلى اهتمامات الباحثين ونقطة انطلاقاتهم الأساسية التى يركزون عليها بالدراسة والتحليل، هذا بالإضافة إلى تعدد المفاهيم والمصطلحات التى تتداخل مع بعضها عند تفسير المشكلات والقضايا والظواهر الاجتماعية. إلا أن مهمة تعريف أى مصطلح تعتبر فى غاية الأهمية، حتى يتمكن القارئ أو المتخصص أن يتعرف بوضوح علىمعانى المفردات والمصطلحات العلمية، التى يستخدمها الباحث بصورة دقيقة وخلال اجراء بحثه بصورة عامة.

وينطبق هذا بالضبط على تحديد مفهوم الأسرة Family، حيث يتناول هذه القضية، أحد علماء الاجتماع البريطانيين الذين تخصصوا فى دراسة الأسرة أو بالتحديد علم اجتماع الأسرة وهو س. هاريز C. Harris(1)، حينما يصرح بأنه لاتزال هناك مشكلات قائمة بين الباحثين أو الأفراد العاديين حول تحديد مفهوم الأسرة. والسبب يرجع إلى العديد من الاستخدامات الشائعة (العادية) أو الاستخدامات الأكاديمية (العلمية) حول استعمال كلمة ' أسرة '. كما تتعدد استخدمات الأسرة وتتنوع بين استخدامات كل من الأفراد العاديين والعلماء، نظراً لتعدد أنواع الأسرة واختلافها بسبب تطور المجتمعات البشرية من ناحية، أو حتى داخل المجتمع الحديث فى الوقت الحاضر من ناحية أخرى. علاوة على ذلك، أن هناك تباين فى استخدام مفهوم الأسرة داخل المجتمع الواحد فى الوقت الراهن. فلا تزال مجموعة كبيرة من العلماء يخلطون بين مفهوم القرابة Kinship والأسرة Family، كما توجد أختلافات متباينة عند استعمال الأسرة بين كل من الأفراد العاديين والمتخصصين الأكاديميين. كما قد يظهر استعمال كلمة الأسرة، بواسطة الأفراد العاديين العديد من التداخل والغموض والتعقيد فى نفس الوقت، فكثير من الأفراد العاديين يطلقون على أقاربهم Relatives، أنهم كأسرتهم As The Families. بإيجاز، ان استخدام كلمة ' الأسرة ' تختلف أو تتمايز من مجتمع إلى آخر، ويرجع هذا التمايز والاختلاف حسب المضمون الثقافى أو الثقافة بمفهومها العام الذى توجد فيه الأسرة ذاتها، كما يظهر هذا التداخل بين استخدام كلمة الأسرة والزواج Marriage .

بالرغم من الصعوبات السابقة التى ترتبط بمفهوم القرابة، إلا أن تحليل التراث السوسيولوجى لعلم اجتماع الأسرة يوضح لنا مجموعة من التعريفات المميزة التى ترتبط بالأسرة، ومن أهم هذه التعريفات على سبيل المثال لا الحصر.

١ - **تعريف اوجبرن ونيمكوف Ogburn & Nimcoff**، يعرفان الأسرة بأنها عبارة عن ' رابطة اجتماعية تتألف من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون

---

(1) Harris, C. C, The Family, London: George Allen & Unvin Ltd., 1969, PP. 62-63.

أطفال، وقد تكون الأسرة أكبر من ذلك بحيث تضم أفراداً آخرين كالأجداد والأحفاد وبعض الأقارب، على أن يكون مشتركين فى معيشة واحد من الزوج أو الزوجة والأطفال ' [١].

٢ - **تعريف ماكيفر وبيج Maciver & Page**، بأنها ' جماعة دائمة مرتبطة عن طريق علاقات جنسية بصورة تمكن من انجاب الأطفال وتقديم الخدمات والرعاية لهم. وقد يكون داخل الأسرة علاقات أخرى ولكنها تقوم على معيشة الزوجين معاً، وهما يكونا معاً مع أطفالهما وحدة مشتركة أو متميزة ' [٢].

٣ - **تعريف بل وفوجل Bell & Vogel**، يعرفان الأسرة على أنها ' وحدة بنائية تتكون من رجل وامرأة يرتبطان بطريقة منظمة اجتماعياً مع أطفالهما ارتباطاً بيولوجياً، أو عن طريق التبنى Adoption '[٣].

٤ - **تعريف بيسانز Biesanz**[٤] للأسرة على أنها ' امرأة وطفلها ورجل يرعاهما، والرجل غالباً ما يكون والد الطفل، ولكن فى بعض المجتمعات قد يكون (الرجل) أخ الزوجة. ومن ثم يجب أن ينظر إلى الأسرة باعتبارها الجماعة النظامية المسئولة عن تكاثر السكان. ويمكن تحديد الأسرة على أنها الناحية القانونية للنظام الجنسى المعترف به رسمياً والدائم بين رجل أو أكثر مع امرأة أو أكثر، ويقوم هذا النظام على مجموعة من الحقوق والواجبات.

٥ - **تعريف لندبرج Lundberg**[٥]، يتصور الأسرة على أنها النظام الإنسانى الأول، وأهم وظائفها انجاب الأطفال للمحافظة على النوع الإنسانى. وتستمد جميع النظم الأخرى أصولها من الحياة الأسرية. علاوة على ذلك، فإن جميع أنماط السلوك سوء كانت اجتماعية، اقتصادية، تربوية، والضبط الاجتماعى، والتنشئة الاجتماعية والترفية والدين جميعها ظهرت داخل الأسرة.

---

(١) Ogburn W. & M. Nimocoff, Op. cit, P. 48.

(٢) Maciver & Page, C, Society, Op. cit, P238.

(٣) Bell, N & F. Vogel, A Modern Introduction to The Family, N. Y, 1962, P. 1.

اعتمدنا فى عرض التعريفات السابقة على المرجع التالى :

- عبد الباسط حسن، مرجع سابق، ص ٣٩٦ - ٣٩٩.

كما توجد مجموعة من التعريفات المميزة الأخرى، أنظر :

- Wilkins, E, Op. cit, (Chap VIV), PP. 137-160.

(٤) Biesanz & Biesanz, Modern Society, N. Y: 1954, P. 203.

(٥) Lundberg, Others, Sociology, N. Y, 1954, P. 203.

واعتمدنا على المرجع التالى فى كتابة هذين التعريفين :

- عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

٦ – **تعريف بيرجس ولوك Burgess & Locke**[(١)] ' فالأسرة مجموعة من الأشخاص يرتبطون معاً بروابط الزواج أو الدم أو التبنى، ويعيشون فى منزل واحد، ويتفاعلون معاً وفقاً لأدوار اجتماعية محددة، ويعملون للمحافظة على نمط ثقافى واحد '.

حقيقة، توجد تعريفات كثيرة ترتبط بتعريف الأسرة، ولكننا نلاحظ أن طبيعة الاختلاف حول التعريفات يرجع كما اشرنا إلى اختلاف طبيعة المجتمع الذى توجد فيه الأسرة. كما هناك من علماء الاجتماع الذين يحددون مصطلح الأسرة بأنه لم يظهر إلا فى المجتمعات الحديثة، هذا بالرغم من طبيعة المجتمعات البشرية قد عرفت الحياة الاسرية. إلا ان استخدام هذا المفهوم لم يظهر إلا من خلال تحليلات العلماء – علاوة على ذلك، ان الاسر قد اخذت اشكالاً متعددة، فهناك الأسرة الممتدة Extended Family، وهى الجماعة التى تتكون من عدد من الأسر المترابطة، سواء كان هذا النسب فيها إلى الزوج أو الزوجة، وانهم يعيشون فى مسكن واحد. وهى لا تختلف كثيراً عن الأسرة المركبة Composite Family، أو ما يعرف عموماً بالأسرة المتصله Joint Family. كما نجد أن تحليلات علماء الانثربولوجيا والاثنوجرافيا، قد ركزت على اكتشاف الانماط المختلفة للأسرة سواء من حيث الشكل أو الاقامة أو النسب. وهذا ما أدى إلى اختلاف وتنوع مفاهيم الأسرة حسب هذه الأشكال كما يظهر ذلك على سبيل المثال فى المجتمعات البدائية والتداخل الذى يوجد داخل الأنساق القرابية، وهذا ما جعل هؤلاء العلماء ينسبون ويميزون الاسرة، بشكل أعم وأشمل مثل البدنة Liveage، أو العشيرة Clan[(٢)].

علاوة على التداخل بين تعريفات ومفاهيم الأسرة السابقة كما جاء فى اللغات الاجنبية، إلا اننا نلاحظ ايضاً ان اللغة العربية وما بها من ترادف فى اللغة واستخدام الكلمات لتدل على معانى اكثر تعقيداً من اللغات الاجنبية ذاتها، ولا سيما إذا نظرنا إلى مفهوم القرابة والمفاهيم المرتبطة بها. ومن ثم، نجد اننا نستخدم مصطلح الأسرة Family، على انها الجماعة المكونه من الزوج والزوجة واولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون فى مسكن واحد. كما تحدد كلمة العائلة الممتدة Extended family على الجماعة التى تقيم فى مسكن واحد وتتكون من الزوج والزوجة واولادهما الذكور والاناث غير المتزوجين والاولاد المتزوجين وابنائهم، وغيرهم من الاقارب، كالعم،

---

(١) Burgess, E & H. Locke, The Family, N.Y, 1950, P. 8.

(٢) Wilkins, E op. cit, pp. 145.

– وأيضا محمد عاطف غيث، المرجع السابق، ص ٢٣٤.

أو العمة، والابنه، والارامل، الذين يقيمون فى نفس المسكن، ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة وتحت اشراف رئيس العائلة"[1].

كما نجد أن طبيعة الأقامة تحدد الاختلاف بين كلمة العائلة والاسرة، فنجد ان مفهوم العائلة يرتبط اكثر بوجودها داخل المناطق الريفية، أما استخدام الأسرة يرتبط ضمنياً بوجود الأسرة فى الحياة الحضرية. ومن ثم، تكون العائلة وما يرتبط بها من مجموعة من الأسرة داخل العلاقات القرابية التى توجد فى القريه. خاصة وأن التركيب الاسرى لكل قرية يتكون من أعداد من الأسر التى ترتبط بعائلة محددة داخل القرية. كما تتسع العلاقات القرابية إلى اتحاد اكثر من مجموعة من العائلات التى تكون البدنه Linege، وهى الجماعة القرابيه الكبرى التى تنتمى لها العائلات والاسر المشتركة فى الأصل الواحد والأسم الواحد، ومن ثم، تنقسم البدنة إلى مجموعة من البدنات[2].

بإيجاز، ان استخدام كلمة الأسرة كما حددتها التعريفات السابقة، تكشف عن مدى التداخل بين هذا المفهوم والعديد من المفاهيم الاخرى. وان كانت كتابات الانثربولوجيا وعلماء الاثنوجرافيا قد اسهمت كثيراً فى الكشف عن التداخل بين هذه المفاهيم وغيرها من مفاهيم القرابة، العشائر، والبدنات والعائلة، وغيرها من المفاهيم القرابية الاخرى. وتظهر ايضاً، استخدامات الأسرة بالنسبة للغة العربية والعديد من عناصر التداخل مع غيرها من المفاهيم القرابية، التى توجد فى الواقع الاجتماعى للمجتمعات العربية، فهى ترتبط بالقبيلة، والعشيرة، والعلاقات، والعائلات والاسرة، وهذا ما يفسر عموماً طبيعة المجتمعات العربية التقليدية، وتطورها خلال العقود الأخيرة، وهذا ما سنشير إليه عندما نتناول الأسرة العربية المتغيرة ولا سيما فى السنوات الأخيرة. حقيقة، ان تحليل تراث علم الاجتماع العام وعلم اجتماع الأسرة بوجه خاص، يكشف المزيد عن طبيعة النظام الاسرى واختلاف وتباين هذا النظام عبر العصور التاريخية وحسب نوعية المجتمعات البشرية وهذا ما نحلله عندما نتعرض لمدى اسهامات علم الاجتماع وتحليلهم لهذا النظام من المنظور السوسيولوجى بصورة عامة.

ثالثاً: علم الاجتماع ودراسة الاسرة:

يعكس تحليل التراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع عند تحليل الأسرة اختلاف وتباين وجهات نظر علماء الاجتماع حول تحليلهم للاسرة، وذلك طبقاً للافكار الايديولوجية والاتجاهات النظرية والفكريه، التى ينطلق منها العلماء عند دراستهم

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٥ – ٢٢٦.

لقضايا وموضوعات ومشكلات لمجتمع بصورة عامة. وطبقاً للتصنيف التقليدى للاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع تعرض بإيجاز إلى مدى اسهامات علم الاجتماع فى دراسة الأسرة من خلال الأشارة إلى، كل من المنظور البنائى الوظيفى، ومنظور الصراع (الماركسى)، وتحليلاتهما سواء اكانت تقليدية أم محدثة فى نفس الوقت[1].

١- منظور البنائية الوظيفية Structural - Functional Perspective:

عندما نتحدث عن دراسة الأسرة طبقاً للمفهومات وتصورات البنائية الوظيفية، علينا ان نستخدم بعض الافكار العامة التى تنطلق منها هذه التصورات، والتى تدور فى عدد من التساؤلات التى يجب ان نطرحها قبل عرض وجهات نظر البنائية الوظيفية.

ومن أهم هذه التساؤلات، ما هى طبيعة وظائف الأسرة؟ وما علاقة الأسرة كنسق As System ببقية الانساق الاجتماعية Social Systems؟، وما العلاقات والوظائف المتبادلة بين هذه الانساق ككل؟. ان اجابة هذه التساؤلات تحتم علينا أن ننظر إلى الاسرة، باعتبارها من البناءات الاجتماعية Social Structures التى لها وظائف اجتماعية Social Functions تقوم بها تجاه الافراد أو الاعضاء الذين يشكلون نسقها أو وحدتها الاجتماعية. هذا بالاضافة إلى ان الأسرة باعتبارها نسق اجتماعى تعيش فى حياة متبادلة ومتداخلة مع الانساق الاجتماعية الاخرى، وهذا ما جاء فى تصورات اصحاب البنائية الوظيفية المحدثين، الذين يركزون على تبنى وجهات نظر نظرية الانساق الاجتماعية. كما جاءت فى تصورات تالكوت بارسونز T. Parsons على سبيل المثال، وحددت الخلل الوظيفى على بناءات الأسرة كما جاءت فى تصورات ميرتون Meron ايضاً.

وتندرج تحت تحليلات البنائية الوظيفية تحليلات جورج ميردوك G. Murdock، عندما حلل أكثر من ٢٥٠ مجتمعاً داخل المجتمعات الغربية وفى جميع انحاء العالم، محاولاً التعرف على طبيعة الوظائف الاساسية التى تقوم بها الاسرة، فلقد توصل إلى وجود اربعة وظائف وهى والوظيفة الجنسية Sexual، الانجاب Reproductive، الاقتصادية Ecenomic والتعليمية أو التربوية Eductional. ولقد حاول ميردوك أن يميز هذه الوظائف محللاً انه لا يوجد فى المجتمع أى فرد لا يحتاج مثل هذه الوظائف أو يعتمد على الأسرة فيها، منذ بداية

---

(١) حقيقة توجد تصنيفات متعددة وتحليلات متنوعه توضح اهتمامات علم الاجتماع بدراسة الأسرة ولكننا اعتمدنا على بعض المراجع الاكثر حداثة وهى فى المرجع التالى:

- Hara Lambos, M. op. cit, pp. 330 - 350.

مولده حتى نهاية المطاف له. وان كانت الأسرة لا تقوم كلية بمجموع هذه الوظائف للأفراد خلال جميع مراحله العمرية، ولكنها تظهر بصورة أو بأخرى خلال مراحل الحياة العمرية. هذا ما ناقشه بالفعل (ميردوك) ووصف الأسرة بانها النظام الاجتماعي متعدد الوظائف Multi Functional.

كما تجيء تصورات تالكوت بارسونز T. Parsons ممثله للاتجاه البنائي الوظيفي، الذى سعى لاختبار تصوراته الوظيفية عند دراسته للأسرة الامريكية على وجه الخصوص. كما سعى لدراسة الوظيفة التعليمية وبالاخص علاقة الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية Socialization، ولا سيما تركيزه على دور الأسرة فى اعداد النشئ أو الأطفال واعطائهم المراحل أو العمليات الاولية والاساسية للتنشئة عموماً. كما حدد بارسونز ان هدف عملية التنشئة الأولية، يهدف عموماً إلى ادماج Internalization الفرد داخل الثقافة المجتمعية، وايضاً تهدف هذه العملية إلى تكوين شخصيته Personality. كما عقد بارسونز نوع من المماثلة بين دور الاسر ودور المصانع واعتبر الاولى بمثابة مصانع Factories، التى تقوم بعملية انتاج الشخصيات البشرية Human Personalities. كما أكد على استمرارية هذا الدور للأسرة وسعيها إلى استمرارية واستقرار الشخصيات الفردية لاعضاء الاسرة. بإيجاز، سعى بارسونز لمناقشة وظائف الأسرة باعتبارها نسق فرعى يرتبط بالأنساق الفرعية الأخرى، وهذا ما اكد عليه بارسونز لاهمية هذا النسق فى زيادة نواحى الاستقرار والمحافظة على النسق الاكثر (المجتمع).

وان كانت تصورات البنائية الوظيفية كما جاءت مختلفة فى تحليلات كل من ميردوك وبارسونز تعبر عن دور الأسرة وقيامها بمجموعة من الوظائف المتعددة داخل المجتمع الحديث، والتى تعمل على الاستقرار والمحافظه على هذا النسق وتعطى مزيداً من التجانس بين انساقه الأخرى. إلا ان هناك ايضاً، تحليلات بنائية وظيفية ركزت على دراسة الخلل الوظيفى Dysfunctional داخل الاسرة، وهذا ما جاء فى تحليلات كل من فوجل Vogel وبيل Bell فى دراستهم حول الخلل فى النواحى العاطفية لدى الأطفال نتيجة لوجود نوع من التغيرات البنائية والوظيفية داخل الأسرة نظراً لوجود الصراع والخلافات ومظاهر التفكك الاسرى[1]. وهذا ما جعل كثيراً من الأطفال يعيشون نوعاً من الامان العاطفى خاصة بعد أن حدثت تغيرات أو خللاً وظيفياً على كيان الاسرة. وهذا ما يعكس عدم تكيف الأطفال سواء

---

(١) انظر ايضاً المرجع التالى:

Leslie, G, The Family in Social Context, N.Y Oxford Univ. Press, 1979, PP. 197 - 225.

مع جماعاتهم الاولية أو جماعات الاصدقاء والجيران والمدرسة. وبإيجاز، يرجع الباحثان نتائج دراساتهما إلى طبيعة الوضع البنائى والوظيفى الذى ظهر على طبيعة الأسرة فى المجتمعات الغربية الرأسمالية.

٢- منظور الصراع Conflict Perspective:

يرتبط هذا المنظور بالتحليلات الماركسية التى تربط بين دراسات الأسرة والوضع الاجتماعي للطبقات الاجتماعية Social Classes ولقد جاءت تحليلات كل من ماركس Marx وانجليز Engels مختلفة لهذا المنظور من الناحية التقليدية، ولا سيما عندما حلل الاخير مشكلة الأسرة فى المجتمعات البشرية كما جاءت فى احد اعماله المميزة عن اصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة The Originon of The Family, Private Property and the State وذلك عام ١٨٨٤. كما ظهرت ايضاً، خلال النصف الاخير من القرن الحالى تحليلات ماركسية مميزة ترتبط بدراسة الأسرة والطبقات فى المجتمعات الحديثة سواء اكانت رأسمالية أم اشتراكية سابقاً.

وتصور كل من ماركس وانجليز افكارهما عن الأسرة كغيرهم من علماء القرن التاسع عشر، عندما حاولا دراسة الأسرة من منظور تطورى تاريخى وربطها بانماط الانتاج المتغير، وهذا ما يتسم به أيضاً طبيعة البناء الاسرى ذات الطابع المتغير بصورة مستمرة. فلقد ركز انجلز على سبيل المثال، تصوراته على ان طبيعة المراحل الأولى للمجتمعات البشرية كانت فيها جميع وسائل الانتاج شائعة الملكية كما لم تكن الأسرة موجودة كما هى عليه فى المجتمعات الحديثه. ولكن حياة الشيوعية البدائية Primitive Communism كانت تتميز بمجموعة من الخصائص، حيث كان لا يوجد أى قواعد محدده للعلاقات الجنسية، والعلاقات الاجتماعية والاسرية. وان كانت قد ظهرت انتقادات حديثة من جانب بعض علماء الانثوبولوجيا على تصور انجلز السابق، على حياة الشيوعية البدائية كما حددتها كاثلن جوف K. Gough، بان هذه الحياة لم تكن بهذا النمط على الاطلاق، خاصة وان الانسان كان يعيش داخل بناءات قرابية واضحة ومحددة العلاقات والاشكال الاجتماعية.

ولقد ناقش انجلز خلال دراسته للتاريخ البشرى كل من العلاقات الجنسيه وعمليات انجاب الأطفال Production of Childern، التى قد تم تحديدها بصور متنوعه. كما حددت ايضاً نظم الزواج والحياة الاسرية، والسبب يرجع إلى سيطرة الطبقات الحاكمة والمالكة لوسائل الانتاج، والتى تتحكم فى وضع القوانين واللوائح المنظمة للطبقات الاجتماعية الفقيرة، وتشريع قوانين تحكم علاقاتهم الزواجية والاسرية، بل ايضاً تتحكم فى اعداد وحجم الاسر، حيث متطلبات العمل والانتاج،

وما تراه الطبقات الحاكمة المالكة فى صالحها فقط كما حدد انجلز ايضاً، نظم الأسرة سواء أكانت أبوية أم أموية (نسبة إلى الأم)، وخاصة ان السلطة الحاكمة المشرعة لهذا النظام والاعتراف به، كانت ترغب فى تحديد نمط الملكية سواء إلى الاب أو إلى الام، حتي يمكن ايضاً توريث هذه الملكية للاجيال اللاحقه. وهذا ما اعترض عليه ايضاً، بعض علماء الانثربولوجيا من اشكال لويس مورجان L. Morgan أو تصورات كثير من علماء الانثربولوجيا بصفة عامة.

ولكن خلال عقد الستينات والسبعينات ظهرت مجموعة من الكتابات والتحليلات الماركسية، التي حاولت ان تحلل طبيعة البناء الاسرى أو النظام الاسرى فى المجتمعات الرأسمالية، ومحاولة الطبقات الرأسمالية، اعادة وضع التشريعات الاجتماعية والانتقادية والتلقائية من أجل حماية مصالحها وحرصها الشديد على أمتلاك الثورة Weath، والتحكم في وسائل الانتاج. ومن ثم، أصبحت الأسرة باعتبارها الوحدة الاجتماعية المنتجة لسلع الرأسمالية الأساسية، وهى تزويد الطبقة الرأسمالية بالقوى العاملة الرخيصه Cheapest Work Forces. كما ان الطبقات العاملة لا تملك القدرة على المفاوضات فى حالة تعرض ابنائها للطرد من العمل، ولهذا تتضمن الطبقات المالكة السيطرة على الاجور وحجم العماله، وطلبها المستمرة على الانواع من العمالة المهرة، وذلك عن طريق أمتلاكها لوسائل انتاج القوى العاملة مثل المدارس والجامعات وغيرها.

بإيجاز، لقد جاءت تصورات الماركسية المحدثه Neo Marxists، حول دراسات الأسرة مثل تحليلات مارجيرت بنستون M. Benston، فران انسلى F. Ansley، وكيتى ماكيفى K. Mcafee، ومارين وود M. Wood، ودافيد كوبر D. Cooper وغيرهم آخرون[1]، الذين ناقشوا تصورات البنائية الوظيفية وتوعية المجتمع الرأسمالى، وكيف تكرس الطبقات الرأسمالية جهودها بأمتلاكها جميع مؤسسات الانتاج المختلفة من اجل التحكم فى الحياة الاسرية والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل الطبقات الاجتماعية الفقيرة. كما سعت بعض الدراسات السابقة لدراسة انواع الاحباط النفسى والاجتماعى بين الطبقات الفقيرة،

---

(١) للمزيد من التفاصيل ارجع:
كما يستطيع القارئ ان يتعرف كثيراً على الأسرة والتنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالنظام التربوى الرأسمالى فى المرجع التالى:
– عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التربية، مرجع سابق، الفصل الرابع.
Ibid, PP. 340 - 342.

التـى تعـانى مـن انخفـاض مسـتويات المعيشـة، والتـى هـددت بـالطرد مـن العمـل أو البطالة عموماً ومشكلات التنشئة الاجتماعيـة. كمـا ناقشـت بعـض الدراسـات العلاقة بين البناء الاسرى والايديولوجى، الذى يوجد فـى المجتمعـات الرأسـمالية، ونظـم السـيطرة والتحكـم والخضـوع والامتثـال للقواعـد الرأسـمالية مـن خـلال مؤسسـات التنشـئة الاجتماعيـة ومؤسسـات العمـل المختلفـة والتحكـم عمومـاً فـى اساليب الحيـاة ونظـم الـزواج واشـكال الاسـر، والمحافظـة عمومـاً علـى الـدور الاساسى للأسرة وهى الانجاب وإمداد مصانع ووسائل الانتاج الرأسمالية بالعمالـه الماهرة والرخيصـة فى نفس الوقت.

رابعاً: انماط الأسرة واشكالها البنائية:

تباينت انماط الأسرة واختلفت انواعهـا بـاختلاف المجتمعـات البشـرية ذاتهـا، وهذا ما جعل تعريف الأسـرة امراً مختلفاً ومتبايناً بين العلمـاء، هـذا بـالرغم مـن وجـود بعـض التعريفـات المميـزة والتـى ركـزت علـى تحديـد مكونـات الأسـرة وعناصرهـا وخصـائصهـا المختلفـة. وعمومـاً توجـد عـدة تصنيفـات لانمـاط الأسـرة نستطيع إيجازها كما يلى(١):

١- **التصنيف على اساس الشكل:** توجد عدة اصناف أو انواع فرعية تنـدرج تحت هذا التصنيف ومن اهم هذه الانماط.

١- الأسرة النواة Nunclear Family، وهى تعتبر الأسرة الصغيرة والتى تسـود طبيعة المجتمع البشرى الحديث، وهـى تتـألف عمومـاً مـن الـزوج والزوجـة واولادهما المباشرين، كما يطلق مصطلح آخر على هذه الأسرة باسم الأسـرة الصغيرة الزواجية Conjugal Family.

٢- الأسرة المتعددة الزوجات Polygnous Family، ويحدث هذا النوع فى بعض الاحيان عندما تعيش عدة أسر حياة زواجية معاً فى وحـدة اجتماعيـة وسكنية، ويكون اساس الترابط فيها هو وجود زوج مشترك بين عدة زوجات.

٣- الأسرة متعددة الازواج Polyandrous Family، ويحدث هذا النوع نتيجة وجـود زوجة واحدة يشترك فى الحياة معها ومعاشرتها مجموعة من الازواج - ان كان هذا النوع لا يوجد ألا نادراً فى عدد قليل من المجتمعات الانسانية البدائية.

---

(١) انظر للمزيد من التفاصيل

- Davis, K, Human Societly, N.Y: the Macmilon Comp, 1966 P. 397 - 400.

- بوتومور، مرجع سابق، ص ٢٣١ - ص ٢٣٣.

- Harris, C, op. cit, PP 82 - 85.

٤- الأسرة الممتدة Extended Family، ويظهر هذا النوع من حيث الشكل طبقاً للنشاط أو الوظيفة الاقتصادية ووجود نوع من التعاون بين افراد الاسرة، واحياناً يطلق على هذه الأسرة بالأسرة المركبة Compound Family أو الأسرة المتصلة Joint Family. هذا النوع يظهر عندما يظل الابن واسرته الجديدة يعيش مع والده واجداده، كما يشمل هذا النوع وجود الاناث غير المتزوجات، وقد يشمل هذا النوع ثلاث أو اكثر من الاجيال فى أسرة واحدة.

٢- التصنيف من حيث الانتساب: يقصد بهذا التقسيم، تقسيم انواع الأسرة حسب انتساب الافراد إليها. حيث ينتمى الفرد إلى أسرة بالميلاد ويطلق عليها بأسرة التوجيه Family of Orientation، وتقوم بعملية اكتساب الفرد القيم والعادات والتقاليد والمعايير وعمليات التنشئة الاجتماعية. اما النوع الثانى من هذه الاسر يطلق عليها بأسرة التناسل Family of Procreation، والتى يكون فيها الفرد عن طريقة الزواج والانجاب.

٣- التصنيف على اساس القرابة[1]: ويستند هذا التقسيم إلى درجة النسق القرابى سواء إلى الاب أو إلى الام. بمعنى إذا كان الطفل ذكراً أو انثى ينتمى إلى أسرة الاب عند الميلاد. اما أمه وأفراد اسرتها يعتبرون اجانب عنه ولا تربطهم صلة قرابة. اما إذا كانت صلة القرابة تنتمى إلى النظام الاموى، فالولد يلتحق بأمه وأسرة امه أما ابوه وافراد أسرة ابيه يظلون اجانب ولا يرتبطون بالولد بأى صلة قرابية. كما عرفت المجتمعات البشرية وجود النظام المزدوج Bilineal والذى يعتمد على القرابة لكل من الاب والام معاً.

٤- التصنيف على اساس السلطة: يندرج تحت هذا التصنيف اربعة انواع من الاسر وهى:

(١) الأسرة الابوية Patriarchal وتكون مصدر السلطة إلى الاب.
(٢) الأسرة الاموية Matriarchal وتكون مصدر السلطة إلى الام.
(٣) الأسرة الإبنائية Filiarchal مصدر السلطة إلى أحد الأبناء.
(٤) الأسرة القائمة على المساواة Equalitarian مصدر السلطة الديموقراطية للجميع.

٥- التصنيف على اساس الاقامة: وتوجد اربعة انواع من الاسر طبقاً لهذا التصنيف وهى الأسرة التى يقيم فيها الزوجان مع أسرة والد الزوج Patrilocal، والأسرة التى تقيم بها الزوجان مع أسرة والد الزوجة Matrilocal، وأحياناً يعيش

---

(١) للمزيد من التفاصيل انظر:

- Brosm, L & Selznick, op. cit, PP. 368.

الزوجان بحريتهما مع أسر والد كل من الزوج والزوجة ويطلق عليها Bilocal. اما النوع الاخير ويعيش الزوجان فى مسكن مستقل وتسمى Neolocal. الاخير، إلا اننا نلاحظ ان التصنيف السابق لميردوك بالرغم من ان ظهر فى فترة سابقة على تحليلات دايفيد لوظائف الاسرة، إلا انه شمل مجموعة الوظائف العامة (الاجتماعية والاقتصادية) للأسرة – وعلى اية حال تسعى حالياً لنقترح تصنيفاً مميزاً لوظائف الأسرة تجمع فيها بين التصنيفات السابقة علاوة على تصورنا حول هذه الوظائف وهى:

١- **وظيفة الانجاب Reproduction Function**: تعتبر الأسرة المصدر الاساسى لانجاب الاطفال، كما يستمد الأطفال شرعية وجودهم طبقاً للمعايير والأسس التى توضع فى المجتمع وحسب نمطه الثقافى والاجتماعى والاخلاقى والدينى، ومن ثم، تعتبر الأسرة الجماعة الاجتماعية التى تهدف المحافظة على النوع والجنس البشرى واستمراريته.

٢- **وظيفة تنظيم السلوك الجنسى Organizing Sexual Behaviour**: لا تزال الأسرة الشرعية التى يعترف بها المجتمع هى التنظيم الاجتماعى الوحيد الذى ينظم السلوك الجنسى. كما توجد كثير من التشريعات والقوانين التى تحدد هذا السلوك أو تحرمه طبقاً للنظام الدينى والاجتماعى والاخلاقى. كما ان أى ممارسات خارج نظام الأسرة الشرعى يعتبر نظام محرماً دينياً واخلاقياً وقانونياً، نظراً كما يترتب عليه من تداخل فى الانساب والالقاب وغيرهم.

٣- **وظيفية التنشئة الاجتماعية Socialization Function**: تعتبر الأسرة هى الجماعة الأولية Primary group، التى تعمل على تنشئة الأطفال اجتماعياً، وأخلاقياً، ونفسياً، كما تشرف على رعايتهم حتى فترة طويلة. هذا بالرغم من تقلص دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية نتيجة لظهور مؤسسات أخرى مثل دور الحضان أو المدرسة ولكن لا تزال الأسرة فى جميع انحاء مجتمعات العالم تقوم بهذه الوظيفة.

٤- **الوظيفة الاقتصادية Economical Function**: تعتبر الأسرة منذ عرفت المجتمعات البشرية طريقة الحياة المستقرة أو مثل هذه المجتمعات تؤدى دورها من اجل اشباع الحاجات الاساسية للافراد من طعام وشراب ومسكن وملبس. وربما تغيرت اشكال هذه الوظيفة فى الاسره الممتدة أو المركبة وعن الأسرة المنواة إلا انها تهدف جميعاً لتهيئة الحاجات الاساسية لافرادها.

خامساً: وظائف الاسرة:

تعددت وظائف الأسرة وتنوعت خاصة فى المجتمع الحديث، وان كانت تؤكد تحليلات علماء الاجتماع والأنثوبولوجيا على ان طبيعة وجود الأسرة كنظام اجتماعى له مجموعة من الوظائف التى تؤديها للافراد حتى تشبع رغباتهم وحاجاتهم الاساسية. وهذا ما جعل أحد علماء الاجتماع يطلق على الأسرة بأنها نظام اجتماعى متعدد الوظائف Multi- Functional Social Instituion كما جاء بالتحديد فى كتابات عالم الاجتماع G. Murdock كما نجد أيضاً، ان طبيعة وظائف الأسرة قد تعددت حسب نوعية شكل الأسرة سواء اكانت أسرة ممتدة أو مركبة، وان كانت مجموعة الوظائف التى يضعها علماء الاجتماع المحدثين أو التقلدين تركز على تصنيف وظائف الأسرة النواه أو Nuclear Family. ولا سيما انها تعتبر الأسرة العالمية Universal Family أو التى تنتشر وجودها فى جميع المجتمعات الحديثة فى الوقت الراهن.

وربما تعتبر تحليلات جورج ميردوك من اهم التحليلات السوسيولوجية التقليدية التى حددت وظائف الأسرة فى اربعة من الوظائف وهى(١):

١- الوظيفة الجنسية Sexual Function.
٢- الوظيفة الاقتصادية Economical Function.
٣- الوظيفة التناسليه Reproduction Function.
٤- الوظيفة التربوية Educational Function.

وان كانت هناك بعض التصنيفات السوسيولوجية الاكثر حداثة لوظائف الاسرة، مثل تصنيف اليزابيث واليكنز E. Wilkins التى يتصور ان هذه الوظائف اربعة وظائف وهى(٢):

١- وظيفة الحماية The Protective Function.
٢- وظيفة الانجاب The Recreational Function.
٣- الوظيفة الدينية The Religious Function.
٤- الوظيفة القانونية The Legal Function.

ويقترب تصور كنجزلى دايفيز K. Davis من تصور كل من ميردوك ودليكنز السابقة لوظائف الأسرة النووية، حيث يحدد اربع وظائف أسماها بالوظائف

---

(١) Murdock, G, op. cit, P. 10.

(٢) Wilkins, E, op. cit, pp. 153 - 160.

الاجتماعية Social Functions وهى:

١- الوظيفة التناسلية Reproduction.
٢- وظيفة رعاية والمحافظة على الأطفال Children Maintenance.
٣- الانجاب أو الوضع Placement.
٤- التنشئة الاجتماعية Socialiozion.

وان كنا نلاحظ أن تصورات، (دايفز) اهتمت بدراسة الوظائف الاجتماعية من وجهة نظر علماء الاجتماع أو ما اسماه بالدراسة السوسيولوجية لوظائف الاسرة. وبالرغم من اهمية التصنيف[1].

٥- وظيفة الضبط الاجتماعى Social Control والمحافظة على المجتمع Maintenance of Society، تعد هذه الوظيفة من اهم الوظائف التى تقوم بها الاسرة، خاصة وان الأسرة تعمل على تشكيل نمط الشخصية الفردية طبقاً للقواعد والعلاقة والقيم والمعايير الاجتماعية والثقافية. ومن ثم، تجئ دور الأسرة فى المحافظة على المجتمع ككل ليس فقط عن طريق الانجاب وتناسل الأفراد واستمراريته للمحافظة على النوع، ولكن ايضاً لضبط السلوك الاجتماعى للافراد فى ضوء المعايير الاجتماعية الاخلاقية والثقافية السائدة.

٦- وظيفة الاشباع النفسى والعاطفى Emotional & Pschological Satisfaction Function، لا تزال تقوم الأسرة بدورها منذ أن عرفت الوجود بتقديم ألوان شتى من الاشباع ليس فقط الاشباع الاقتصادى وتوفير الامن والحماية، ولكن توفير النواحى العاطفية والنفسية اللازمة للفرد، خاصة ان الأسرة تلعب دوراً كبيراً فى عملية تشكيل السلوك الفردى ونمط الشخصية فى نفس الوقت.

تلك اهم الوظائف العامة التى تقوم بها الأسرة فى المجتمعات الحديثة، والتى تبرهن على اعتبار الأسرة من اهم الجماعات الاولية والتى تشكل سلوك وانفعالات وعلاقات افرادها حسب طبيعة البناء الاسرى والعلاقات الزواجية بين الوالدين والابناء. ولقد حظيت هذه الوظائف باهتمامات كل من علماء الاجتماع والنفس والتربية وغيرهم من العلوم الاجتماعية الاخرى. ولا سيما، بعد ان تزايدت نوعية المشاكل التى ارتبطت بالخلل الوظيفى الذى ظهر على مجموعة الوظائف الاسرية السابقة نتيجة للتغيرات الشاملة التى حدثت على المجتمع الحديث ككل.

---

(١) Davis, K, op. cit, P. 394 - 395.

سادساً: مشكلات الاسرة:

ارتبطت دراسة مشكلات المجتمع الحديث والتى تعرف بالمشكلات الاجتماعية Socical Problems ، بأنها مشكلات اسرية من الدرجة الاولى. وهذا ما يؤكده علماء الاجتماع المخصصين فى مجال دراسة المشكلات الاجتماعية والسلوك الاجرامي والاغراض الذى يوجد فى المجتمع الحديث. كما يتصور علماء الاجتماع عموماً، أن مظاهر الخلل البنائى والوظيفى، الذى يظهر فى التنظيم الاجتماعى Social Organization ويرجع جزء كبير ويكاد يكون معظمه إلى الخلل الذى يحدث فى النظام الاسرى. وهذا بالطبع، لا ينفى أن نوعية المشاكل الاجتماعية التى تظهر على هذا النظام (الاسرى) تتأثر ببقية الخلل الوظيفى الذى يظهر على بقية الانساق أو النظم الاخرى مثل النظم الاقتصادية، والسياسية، والتربوية والقانونية.

على أية حال، تهتم حالياً (بصورة موجزه) بعرض أهم المشكلات التى تواجه الأسرة كنظام اجتماعى، كما يظهر ذلك من خلال تحليل التراث السوسيولوجى الذى يعالج قضايا ومشكلات الأسرة فى المجتمع الحديث ومن اهم هذه المشكلات:

١- مشكلة الطلاق :

تعد مشكلة الطلاق من المشاكل الكبرى التى تهدد النظام الاسرى والاجتماعى ككل، خاصة بعد ان أكدت كثير من المصادر الاحصائية على المستوى المجتمعى أو العالمى، بأن هناك اضطراد مستمر فى تزايد معدلات الطلاق، نتيجة لمجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية وايضاً الشخصية التى ترتبط بالازواج انفسهم. وجاءت مشكلة الطلاق نتيجة ايضاً خروج المرأة إلى العمل واستقلاليتها من الناحية الاقتصادية. هذا بالاضافة إلى عدم التوافق الزواجى فى مراحل ما قبل الزواج، وصعوبة أختيار شريك الحياة، وتباين المستويات الثقافية والاقتصادية، وتعارض الاهداف والمصالح والانتماءات إلى الحياة الزواجية عامة[١]. وان كانت توضح اهتمامات علماء الاجتماع ان مشكلة الطلاق تظهر فى المناطق الحضرية الصناعية نتيجة لأثر التصنيع على الأسرة، ولكن يلاحظ حتى فى المجتمعات الدينية التقليدية والريفية، ظهور مؤشرات للطلاق بصورة متزايدة خلال السنوات الأخيرة.

---

(١) توجد بعض المراجع العربية التى اهتمت بالحياة الزواجية منها على سبيل المثال:

- سناء الخولى، الزواج والعلاقات الاسرية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥.

٢- **مشكلة خروج المرأة للعمل :**

بالطبع ان عمل المرأة يعتبر نوع من النشاط الذى تقوم به المرأة إلى جانب الرجل منذ ان ظهر الانسان على سطح الارض، فلقد عرفت جميع المجتمعات البشرية ان للمرأة نوع من الأعمال التى تقوم بها وهذا ما يندرج تحت مفهوم تقسيم العمل Division of Labour بين الجنس البشرى (الذكور أو الاناث). ولكن مع ظهور المجتمع الصناعى الحديث، لم تعد المرأة تعمل داخل منزلها فقط أو بيت الزوجة نظراً لوجود المصانع أو الشركات التى دخلتها المرأة لتشارك الرجل فى العديد من اوجه النشاط البشرى المختلف. ولكن ترتب على ذلك مجموعة من المشاكل منها: استقلالية الوضع الاقتصادى للمرأة، تباين فى المراكز والادوار والمكانة داخل الاسرة، تعتبر نمط السلطة، انهيار الوضع التقليدى لهيمنة الزوج. هذا بالاضافة إلى اختلاف ظروف الحياة العصرية نتيجة لتقيد الاتجاهات والافكار والتصورات المرتبطة بعمل المرأة مما أدى إلى حدوث كثير من التفكك على البناءات الاسرية التقليدية.

٣- **مشكلة انحراف الاحداث :**

حقيقة، قد يعتقد البعض ان هذه المشكلة تعتبر من مشكلات المجتمع ككل، ولكنى اتصور ان هذه المشكلة تكون من مشكلات الأسرة بصورة خاصة، ومشكلات المجتمع بصورة عامة. لما يترتب على عمليات التفكك فى التنظيم الاجتماعى Social Disorganization من مشكلات مثل حدوث الطلاق وانهيار الاسرة، تعرض الأبناء لأزمات نفسية وعاطفية واقتصادية ويستحيل على غالبية ابناء الاسر المطلقه ان تتكيف للعيش بصورة سليمة. وهذا ما يحدث بصورة خاصة فى المجتمعات العربية الحديثة وزيادة مشكلات انحراف الاحداث، ولا سيما أن كثيراً من هذه المجتمعات تفتقر اساليب الرعاية الاجتماعية الشاملة ومقارنة بمجتمعات الرفاهية. فطلاق الزوجين يعنى فى الاغلب زواج احدهما، وتلعب زوجة الاب كثيراً من الادوار الاسرية التى لا يتكيف معها الابناء، ويترتب على ذلك كثير من المشكلات عدم التكيف مع الأسرة الجديدة لو حتى مع المجتمع ككل، ثم تفرز هذه المشكلات اعداد كثيرة من الابناء فى مجال الجريمة والانحراف بصورة عامة.

سابعاً: الأسرة والتغير فى المجتمع العربى:

مع تطور المؤسسات التعليمية والاكاديمية البحثيه فى المجتمعات العربية، ركزت على دراسة وضع الأسرة العربية، وخاصة بعد أن ظهر الكثير من المشكلات التى تواجه المجتمع العربى نتيجة للتغيرات البنائية والوظيفية التى حدثت على اشكال وانماط وبناءات الأسرة كتنظيم اجتماعى. ولقد ظهرت دراسات متعددة

معتمدة على الكثير من النتائج الميدانية التى طبقت على العديد من الدول العربية، ولا سيما فى السنوات الاخيرة، لتؤكد على عدة مظاهر واسباب تفسر فيها مشكلات الأسرة العربية وانعكاساتها على طبيعة الفرد والأسرة والمجتمع(١).

فمن حيث الشكل البنائى للاسرة، فلم تعد القبيلة أو العائلة الممتدة هى المظهر العام أو السائد للأسرة العربية، كما كانت موجودة عليه خلال القرن الماضى على سبيل المثال. فلقد تأثرت الاسر العربية بعمليات تحديد الحجم واصبحت السمة الغالبة سواء فى القطاع الحضرى أو الريفى ما يعرف بالأسرة البدوية. وجاء هذا التقلص نتيجة لانكماش انماط الاسر الممتدة أو المركبة، هذا بالرغم من وجود هذا النوع فى المجتمعات العربية البدوية، ولكن اصبحت وظائف الأسرة الممتدة ينحصر فقط فى عمليات الانتماء للصلات القرابية. اما الوظائف الاقتصادية وعمليات التنشئة الاجتماعية، فلم تعد تحت سيطرة هذا النمط من الاسر، نتيجة لانتشار مؤسسات التنشئة الاجتماعية البديلة.

كما جاءت عملية خروج المرأة للعمل، وانتشار التعليم بالرغم من ايجابياته، إلا انه خروج المرأة للعمل فى الكثير من المصالح والشركات والمؤسسات المختلفة للعمل هدد كثير من العلاقات الاسرية وهذا ما جعل الكثير من علماء الاجتماع يهتمون بدراسة العلاقة بين الأسرة والتصنيع، فى ضوء دراستهم عموماً لعمليات التغيير الاجتماعى Social Change Processes. كما حدث تباين فى الادوار والمراكز والمكانة التى كانت عليها الأسرة العربية التقليدية. وأدى غياب الاب نتيجة للعمل والسفر للخارج أو انشغاله كثيراً عن الاسرة، إلى تقلص السلطة الابوية التى كان يتمتع بها فى الأسرة الممتدة أو الأسرة المركبة. هذا بالاضافة إلى أن حصول المرأة على العمل وتوفير مصدر الدخل جعلها اكثر حرية فى اختيار حياتها وشريك حياتها فى نفس الوقت، وايضاً من قبولها واستمرارية وجودها مع زوجها فى حالة تعرض الأسرة للمشكلات والتهيئة نفسياً، وعاطفياً، واقتصادياً، واجتماعياً إلى قبول الطلاق.

من ناحية أخرى، يلاحظ على الأسرة العربية انها تتأثر من ناحية الحجم وعدد الافراد (الابناء) حسب طبيعة الوضع الاقتصادى والثقافى والاجتماعى للاسرة.

---

(١) للمزيد من الدراسات حول الأسرة العربية والتغير الاجتماعى عموماً انظر على سبيل المثال:
- ندوة عاطف غيث الثالثة (علم الاجتماع ومستقبل الإنسان العربى، كلية الادب – جامعة الاسكندرية ١٩٩٣.
- ندوة عاطف غيث السابق (علم الاجتماع وآفاق التنمية البشرية) كلية الاداب – جامعة الاسكندرية ١٩٩٦.

بالاضافة إلى مجموعة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى توجد فى المجتمع الكبير. ففى مصر على سبيل المثال، يتقلص حجم الأسرة نتيجة للمشكلات والضغوط الاقتصادية التى تعرضت لها الاسر المصرية خلال النصف الاخير من القرن الحالى. وهذا ما جعل الدولة تنادى بسياسات تنظيم الأسرة وتحديد الحجم الامثل للسكان. وان كنا نلاحظ، ان مع الانتعاش الاقتصادى زاد معدلات أو متوسط حجم الأسرة بين قطاعات كبيرة من الطبقات الفقيرة أو المتوسطة، وهذا ما يفسر عموماً طبيعة الوضع الاجتماعي والاقتصادى والسياسي. وخاصة، ان حجم أو عدد الابناء أو وجود الأطفال يمكن أن يكونوا مصدراً لزيادة دخل الأسرة فى المستقبل.

على خلاف ذلك، هناك الكثير من الدول العربية التى لا يمكن ان تفكر فى سياسات تنظيم الاسرة، والنظرة إلى الحجم الامثل للسكان، كما هو موجود فى المجتمع المصرى الذى يعانى من الانفجار السكانى. فدول الخليج العربى، لظروف سكانية وأمنية وسياسية لا ترغب فى تطبيق هذه السياسات على الاطلاق، بل تعمل بصورة مباشرة وغير مباشرة للحث على زيادة السكان وتناسلهم، وهذا ما حدث فى دول غربية مثل فرنسا، والسويد والنمسا مؤخراً، وكما يعكس ذلك نتائج دراسات علماء السكان بصورة مقارنة للعديد من دول العالم وفى فترات تاريخية متباينة سابقة أو فى السنوات الاخيرة.

بإيجاز، ان دراسة الوضع الاسرى فى المجتمع العربى لا يمكن تفسيره فى ضوء الظروف العائلية التى تحيط بالاسرة، بقدر ما يجب ان تهتم بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، التى توجد فى المجتمع الكبير، الذى توجد فيه الأسرة العربية وهذا ما يؤكد عليه علماء الاجتماع بان دراسة التغيرات البنائية والوظيفية لا يمكن تحليلها على المستوى البنائى للأسرة بقدر ما يجب تفسيره على المستوى المجتمعى ككل.

خاتمة :

لا تزال تعتبر الأسرة من أهم الموضوعات والمجالات التى يتناولها علماء الاجتماع بالدراسة والتحليل والمناقشة على المستوين النظرى والامبيريقى الميدانى. ويشارك هذا الاهتمام مجموعة كبيرة من المخصصين فى العلوم الاجتماعية والطبيعية فى نفس الوقت. وهذا ما يعزز عموماً الدراسات الاسرية التى اصبحت من اهم مجالات وفروع علم الاجتماع وهو علم اجتماع الاسرة، الذى يهتم بمناقشة الكثير من القضايا والمشكلات الاسرية التى كثرت فى المجتمع الحديث ولا سيما فى السنوات الاخيرة.

كما كشفت التحليلات السابقة، عن طبيعة التطور التاريخى الذى حدث على الدراسات الاسرية، فقد اهتم فلاسفة اليونان القدماء بدراسة الاسرة، ونوعية الطبقات الاجتماعية والمهنية، واهتموا بتحديد الحجم الامثل للسكان، وما ينبغى ان تكون عليه عملية التنشئة الاجتماعية والاخلاقية للابناء أو النشئ عموماً، وخاصة ان هذه العملية تقدهم للحياة المستقبلية. كما جاءت تعريفات الأسرة للتدخل فى اطار مشكلة التمييز للمفهومات والتصورات السوسيولوجية، ولا سيما، أن تحديد مفهوم الأسرة من اللغات الاجنبية والعربية يزداد تداخلاً وغموضاً عندما ندرس مفردات ومصطلحات متعددة مثل الاسرة، والقرابة، والعشيرة، والقبيلة، والعلاقات الأسرية، وانواع وانماط الاسر المختلفة من النواة، حتى الأسرة الممتدة وغيرها.

ولكن بالطبع، ان محاولة تصنيف جهود العلماء من اجل وضع تعريف مميز للاسرة، كما ظهر تحديد مفهوم الأسرة النووية (النواه)، وتوضيح اشكال وانماط الأسر التى عرضها المجتمعات البشرية، من شأنه أن يعطى خلفية هامة بالنسبة للقارئ والمتخصص فى علم الاجتماع فى نفس الوقت، وفهم طبيعة ابعاد تطور اشكال وانماط الحياة الاسرية، التى عرفها المجتمعات البشرية حتى الوقت الراهن. وهذا ما ينطبق ايضاً عند اهتمامنا بدراسة وظائف الاسرة، ومعرفة إلى أى حد حدث نوع من التباين والتغيرات على البناءات والوظائف الاسرية كما توجد فى المجتمعات الحديثة والمجتمعات التقليدية والبسيطة.

فى نفس الوقت، ان اعطاء القارئ المبتدئ بعض الافكار المرتبطة بنوعية المشكلات الاسرية التى توجد فى المجتمعات الحديثة، من شأنه أن يعزز الاطار الفكرى والتصورى لدراسة هذه المشكلات والتى يعاصر وجودها، ويستطيع ان يفسرها سواء عن طريق الملاحظة والمعايشة أو الرجوع إلى نتائج الدراسات الميدانية التى يقوم باجرائها المتخصصين فى مجال علم اجتماع الاسرة. واخيراً، ان الهدف من اعطاء تصور مقترح لطبيعة التغير الذى حدث على البناء الاسرى فى المجتمعات العربية، ولا سيما خلال العصور الاخيرة، من شأنه أن يعزز طبيعة الحاجة، إلى اجراء المزيد من الدراسات والبحوث النظرية الميدانية فى مجال الاسرة، للنهوض بمستوى الحياة الأسرية والعمل على الحد من الآثار السلبية للمشكلات والتفكك الأسرى فى المجتمعات العربية، التى لا تزال بالرغم من حدوث مشكلات تواجه وظائفها (الأسرة) بها، إلا انها أفضل بكثير من الاحوال عن البناءات الاسرية الغربية، بفضل مجموعة العوامل الثقافية الاخلاقية والدينية فى نفس الوقت، التى تحترم الأسرة والحياة الاسرية عامة.

الفصـــل العاشـــر
النظـــام الســـياســـى

* مقدمة .

أولاً : تعريف النظام السياسى.

ثانيـاً : علم الاجتماع ودراسة النظام السياسى.

ثالثـاً : نشأة الدولة وأركانها.

رابعاً : أشكال الحكومات.

خامسا: الديموقراطية.

سادساً: الأحزاب السياسية.

سابعاً: الصفوة السياسية.

ثامناً: المشاركة والتنمية السياسية.

* خاتمة .

مقدمــة :

يعتبر النظام السياسى من النظم الاجتماعية التى يهتم بمعالجتها علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والنفس والأنثربولوجيا والتاريخ والفلسفة وغيرها، وتتمايز هذه العلوم عن الاخرى من ناحية اهتمام علمائها والمتخصصين فى مجالاتها وفروعها المختلفة. فكل علم من العلوم الاجتماعية له نظرياته ومناهجه وطرق بحثه وأدوات جمع بياناته، التى يتناول بها قضايا ومشكلات المجتمع ودراسة الظواهر والنظم والبناءات الاجتماعية. كما يرجع هذا التمايز إلى طبيعة الموضوعات والمجالات والقضايا الاساسية التى تكون موضوع اهتمام علماء هذه العلوم، علاوة على ذلك، أن طبيعة الاختلاف بين العلماء انفسهم داخل العلم الواحد تفسر فى نفس الوقت قضية الاهتمامات والافكار الرئيسية التى تسيطر على اذهان الباحثين عند انشغالهم بمعالجة قضاياهم المطروحة للدراسة والتحليل.

وما من شك، ان دراسة النظام السياسى ومعالجته بواسطة علماء الاجتماع، لا يمكن ان تحدث من فراغ بقدر ما تجئ هذه المعالجة فى ضوء التعاون الاكاديمى والعلمى بين علماء الاجتماع وغيرهم من العلوم الاجتماعية، ولا سيما علم السياسية. وجاء هذا التعاون بثمرة اكاديمية متخصصة وهى ظهور علم الاجتماع السياسى Political Sociology، ليضيف ابعاداً ومجالات أخرى لفروع علم الاجتماع المتنوعة، ويعكس فى نفس الوقت طبيعة الالتقاء الفكرى والتصورى بين علماء السياسة والاجتماع. وخاصة، ان كل منهما يعالج النظام السياسى الذى يوجد فى المجتمع الذى يعيشون فيه. وهذا ما جعل علماء الاجتماع ينظرون إلى النظام السياسى Political Instituution، باعتباره نسقاً اجتماعياً Social System يتأثر ببقية النظم الاجتماعية الاخرى مثل النظام الاقتصادى، والاسرى، والتعليمى، والصحى، والقانونى وغيرهم، وهذا ما يؤكد عليه علماء الاجتماع عن دراستهم لكل من البناءات والنظم الاجتماعية.

وتكشف تحليلات علماء الاجتماع والتراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع، عن طبيعة المجالات والموضوعات التى يتناولها المتخصصين عامة فى علم الاجتماع، وعلم الاجتماع السياسى بصفة خاصة. وتندرج تحت هذه الموضوعات دراسة طبيعة النظام السياسى، وتطور الاهتمام بالدراسات السياسية، والنظريات السياسية الرائدة فى مجال علم السياسة والاجتماع، وطبيعة الدولة وأركانها الأساسية، ونظم الحكم وأنواع الحكومات، وطبيعة الديموقراطية وتطور النظام الديموقراطى سواء فى المجتمعات المتقدمة والنامية. ودراسة الاحزاب السياسية، والصفوة، وعمليات التنشئة والمشاركة السياسية وغير ذلك من موضوعات متعددة نسعى لدراستها وتحليلها بصورة موجزه، فى ضوء اهتمامنا بتناول عدد من النظم الاجتماعية التى نعالجها فى اطار تحليلنا لأهم موضوعات وقضايا علم الاجتماع.

حقيقة، ان دراسة مثل هذه الموضوعات والتى تمثل المجالات المشتركة بين علماء الاجتماع والسياسة وغيرهم من العلوم الاجتماعية الأخرى، يصعب علينا حالياً تناولها بصورة مستضفية، بقدر، ما نركز اهتمامنا بعرضها بصورة مختصرة ومبسطة للقارئ المبتدئ فى علم الاجتماع، حتى يمكن ان يتعرف على اهم الموضوعات والقضايا والمشكلات والظواهر الاجتماعية التى يعالجها علماء الاجتماع والمتخصصين فيه، ولا سيما فى السنوات الأخيرة. ومن ثم، هناك الكثير والكثير من القضايا والموضوعات التى ترتبط بموضوع اهتمامات علماء الاجتماع عامة، وعلم الاجتماع السياسى بصورة خاصة، ولكن يصعب علينا عرضها حاليا، بقدر ما نعالج اهم الموضوعات التى تندرج تحت دراسة النظام السياسى. كما نحاول فى نفس الوقت، ان ندرس العلاقة المتداخلة بين دراسة هذا النظام (السياسى)، وبقية النظم الاجتماعية الأخرى.

أولاً: تعريف النظام السياسى:

تعددت تعريفات النظام السياسى حسب وجهة نظر الباحثين المتخصصين سواء فى علم الاجتماع وعلم السياسية وعلم الاجتماع السياسى. وربما يرجع هذا التعدد ايضاً إلى طبيعة تفسير مفهوم النظام السياسى كمصطلح As Concept، الذى يأخذ اشكالاً متباينة ويختلف حوله العلماء والباحثين، وهذا ما ينطبق على كثير من المفاهيم السوسيولوجية والسياسية المتعددة. وعلى اية حال، نسعى حالياً لعرض مجموعة من التعريفات التى تتناول النظام السياسى وذلك بصورة موجزه.

* **تعريف بوتومور[١] Bottomore**، يعرف النظام السياسى على أنه "النظام الذى يختص بتوزيع القوة فى المجتمع" ولقد سعى بوتومور لان يستعير مفهوم ماكس فيبر M. Weber، ودراسته لكل من الدولة والقوة، حيث يعرف فيبر الدولة بأنها المجتمع الانسانى الذى يستطيع بنجاح احتكار الاستخدام الشرعى للقوة الفزيقية داخل مجتمع معين.

* **تعريف ديفيد ايستون D. Easton**[٢] للنظام السياسى بأنه "مجموعة من الظواهر التى تشكل نظاماً فرعياً من النظام الاجتماعى الرئيسى، ولكن هذه الظواهر تتعلق بالنظام السياسى، والتى تتصل بطبيعة الحكم وتنظيماته، والجماعات السياسية والسلوك السياسى، وكذلك العديد من العناصر الاجتماعية التى ترتبط بهذا النشاط".

---

(١) بوتومور، مرجع سابق ص ٢٠٩.

(٢) Easton, D, the powtical system, N.J. 1953, PP. 10.7 - 113.

* **تعريف روبرت داهل**[1] **R. Dahl**، يرى النظام السياسي على انه "التركيب المستمر للعلاقات الانسانية والذى يشمل إلى حد كبير القوة، والحكم والسلطة".

* **تعريف موريس ديفرجيه**[2] **M. Duverger**، ان النظام السياسى بأنه مجموع الحلول اللازمة لمواجهة المشاكل التى تثيرها قيام الهيئات الحاكمة وتنظيمها فى هيئة اجتماعية معينة".

* **تعريف جابريل الموند**[3] **J. Almond**، يرى أن النظام السياسى ذلك "النظام الذى يتضمن التداخلات المتواجدة فى جميع المجتمعات، والذى يقوم من خلالها بمجموعة من الوظائف، وذلك بواسطة استخدام القوة الجبرية الشرعية أو التهديد باستخدامها".

ومن ثم، ما تكشف التعريفات السابقة للنظام السياسى عن مدى العلاقات المتداخلة والانشطة التى يقوم بها هذا النظام، والذى يأخذ طابع الشرعيه ليؤدى مهام وانشطة معينه، مثل تحديد نظم الحكم وتنظيماته المخلصه، تنظيم السلوك السياسى والعمليات السياسية مثل التنشة السياسية، والانتخابات، والاهتمام بالجماعات السياسية التى تتمثل فى الاحزاب السياسية، وجماعات الصفوة، وجماعات المصلحة والضغط، والحركات الاجتماعية، بالاضافة إلى استخدام القوة والقهر والجبر اللازم، لتنظيم الحياة السياسية ذلك عن طريق وجود هيئة إدارية عليا منظمة.

من ناحية أخرى، نجد كما اشرنا سابقاً، ان تحديد مفهوم السياسة لا يمكن ان يقتصر على علماء الاجتماع أو السياسية بمفردهم، بقدر ما نجد ان هذا النظام السياسى متداخلاً مع بقية النظم الاجتماعية الاخرى، مثل النظم الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والقانونية. علاوة على ذلك، ان النظام السياسى يعمل فى بيئة جغرافية ومكانية محددة، ولا يمكن تحليل هذا النظام بعيداً عن العوامل البيئية والجغرافية. علاوة على ذلك، ان دراسة النظام السياسى، لم يعد قاصراً على دراسة الشكل التقليدى للحكومات وانواعها، أو دراسة الاشكال الرسمية للسلطة السياسية، أو تحديد ماهية الدولة وحدودها الطبيعية التقليدية. بقدر ما يلاحظ ان دراسة النظم السياسية خرجت بعيداً عن هذا التفسير التقليدى، واصبحت تهتم بدراسة ومعالجة ومناقشة مجموعة الاهتمامات الحديثة التى تمارسها الدولة والنظام الحضرى

---

(١) Dahl, R, Modern political Analysis, N.Y, 1965, P. 82.

(٢) Duverger, M, the Idea of politics, London, 1978, P.88.

(٣) ج. الموند، السياسه المقارنه، ترجمة احمد عنانى القاهرة، مكتبة الوعى العربى، ١٩٦٦، ص ١٧.

- اعتمدنا في عرض التعريفات من (٢) – (٥) من المرجع التالى – عادل الهوارى، مدخل إلى العلوم السياسية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص ٤٨ – ٤٩.

والسلطة السياسية، والهياكل لسياسية، والجماعات السياسية، وعمليات الاقتصاد الرسمي وغير الرسمي. علاوة على ذلك، اصبح دراسة النظام السياسي، لم يعد قاصراً على دراسته من جانب وجهة نظر علماء السياسية التقليديين، بقدر، اهتم علماء السياسية، والاجتماع، والاجتماع السياسي بدراسة العلاقة المتبادلة بين هذا النظام السياسي، وبقية النظم الاجتماعية الأخرى، وهذا ما يؤكد عليه علماء الاجتماع والعلوم الاجتماعية بصفة عامة.

ثانياً: علم الاجتماع ودراسة النظام السياسي:

اهتم علماء الاجتماع بدراسة النظام السياسي كغيره من النظم الاجتماعية الأخرى، وجاءت اهتمامات الرعيل الأول من رواد علم الاجتماع لتنظر إلى دراسة المجتمع من وجهة نظر شمولية. وهذا ما ظهر في تحليلات اوجست كونت على سبيل المثال، ومعالجته لقضايا المجتمع الصناعي الحديث، وتحليله مجموعة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنظامية، التي ادت إلى تغيير البناءات والنظم الاجتماعية. ومن ثم، جاء اهتمام علم الاجتماع وعلمائه منذ مرحلة نشأته الاولى، ومع ظهور علم الاجتماع ذاته، ذلك خلال اواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

وان كانت عملية ظهور نشأة علم الاجتماع السياسي، عملية حديثة نسبياً، نظراً لطبيعة النشأة المتأخرة لهذا العلم مقارنة بغيره من فروع علم الاجتماع المختلفة. إلا ان جاء علم الاجتماع السياسي، ليهتم بدارسة الظواهر والنظم السياسية وفي ضوء البناء الاجتماعي والثقافي السائد في المجتمع[1] كما هناك من يرجع نشأة هذا العلم إلى طبيعة الازمات السياسية والدينية التي ظهرت نتيجة لحدوث حركات الاصلاح الديني والثورة الصناعية التي مهدت لقيام المجتمع الحديث. كما جاء، علم الاجتماع السياسي في فترة هامة وعمل على توضيح كثير من المفاهيم والتصورات التي يمكن أن تشوبها الكثير من جوانب الغموض والخلط. واصبح بعد ظهور هذا العلم امكانية التفرقة بين ما هو اجتماعي، وما هو سياسي، وخاصة بعد ان ظهر مفهوم المجتمع المدني Civil society، في مقابل مفهوم الدولة State. كما هناك من يؤرخ لظهور هذا العلم في كتابات بعض علماء القرن التاسع عشر من أمثال كارل ماركس ونقده لفلسفات هيجل، وفون شتاين. وحدد عموماً مفهوم المجتمع، والدولة والسلطة، والقوة والنفوذ وغيرها، أو كتابات ماكس فيبر ولا سيما تصوراته حول النظام البيروقراطي والسلطة السياسية في المجتمعات الرأسمالية[٢].

---

(١) محمد على محمد، اصول علم الاجتماع السياسي، الاسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٣ ص ١٠٣ – ١٠٤.

(٢) انظر لمزيد من التفاصيل

Rush, M & P. Althoff: An Introduction to Political Sociology, London, 1971, P.3.

ومع بداية ظهور علم الاجتماع السياسي الذى كرس لمعالجة النظم السياسية من وجهة نظر علماء الاجتماع، حدث نوع من التباين والاختلاف فى مسميات هذا العلم، فهل يمكن أن يطلق عليه علم اجتماع السياسة Sociology of Politics، أم علم الاجتماع السياسى Political Sociology ؟ وهل يمكن أن نتصور أن هناك نوع من الترادف بين المسمين السابقين. يميل إلى الرأى الأخير الكثير من الباحثين من أمثال موريس ودفيرجير M. Duverger، حيث يؤكد على أن قسمى علم اجتماع السياسة هو ذاته علم الاجتماع السياسى. وان كان يعارضه الرأى سارتورى Sartori، ويرى وجود تعارض فى المسميين ويميل إلى وصف علم الاجتماع السياسى بعلم اجتماع السياسة(1).

حقيقة، وبعيداً عن التحليلات الشكلية لطبيعة مسميات علم الاجتماع السياسى، نجد أن كثير من مفكرى علم الاجتماع والسياسة، يرجعون طبيعة اهتمامات علماء الاجتماع السوسيولوجية لدراسة النظم السياسية والاجتماعية التى كانت موجودة فى الحضارات والمجتمعات البشرية القديمة. وهذا ما جعل كثير من مؤرخى علم الاجتماع يلجؤن إلى دراسة النظم السياسية التى كانت موجودة فى مجتمعات مصر الفرعونية وبلاد الشرق القديم مثل الصين والهند. علاوة على دراستهم للنظم السياسية التى ظهرت فى بلاد الاغريق، ولاسيما رجوعهم إلى كتابات أفلاطون وارسطو التى لا تزال تجد قيمتها العلمية فى مجال السياسة والأخلاق والفلسفة والاجتماع وغيرها من المجالات الأخرى.

علاوة على ذلك، لقد اهتم مفكرو علم الاجتماع ومؤسسو علم الاجتماع السياسى، بأن مهمة هذا العلم، لم تتركز فقط فى تتبع الجذور التاريخية لدراسة الظواهر السياسية والاجتماعية، كما جاءت عند فلاسفة اليونان القدماء، بقدر ما اهتم علم الاجتمع السياسى بدراسة التطور الذى طرأ على النظم السياسية خلال العصور الوسطى، وتحليل أهم مفكرى وفلاسفة هذه العصور مثل معالجتهم لكتابات القديس اوغسطين وكتابه (مدينة الله)، وأيضاً كتابات توماس الاكوينى، ولاسيما، عند معالجتهم لطبيعة النظم السياسية ونظريات التفويض الالهى. علاوة على ذلك، اهتم علماء الاجتماع بدراسة كتابات مكيافيللى، والذى يتصوره البعض بأنه مؤسس هذا العلم من الناحية التقليدية، أو أول من وضع الجذور التاريخية له. وهذا بالاضافة إلى أن كتابات مونتسكيو، وفيكو، ولوك، وهوبز، وروسو، وكوندرسيه كانت موضع اهتمامات علماء الاجتماع السياسية وخاصة معالجتهم للنظم السياسية المتطورة خلال مراحل عصر النهضة أو التنوير والاصلاح.

---

(١) عادل الهوارى، أصول علم الاجتماع السياسى، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦، ص ١١-١٢.

كما توجد نفس التحليلات لهذه التسمية فى المرجع التالى :

- اسماعيل سعد، محاضرات فى علم الاجتماع السياسى، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧، ص ١٤.

كما أهتم علماء القرن التاسع عشر بتطوير علم الاجتماع السياسي من أمثال اليكس دى توكفيل A. De Tocquefille وكتبه المميزة، مثل كتابه عن النظام القديم للثورة والتي أشار فيها إلى طبيعة العلاقة بين الثقافة والشخصية وطبيعة التنظيمات والمؤسسات السياسية والسلوك السياسي. من ناحية أخرى نجد أن توكفيل قد تأثر بالنظرية التطورية التي ظهرت خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وهو ما جعله يوضع كتاب حول الطبيعة والسياسة Physics and Politics. ولقد استخدم كثير من المفاهيم الطبيعية والتطورية، عند دراسته لطبيعة النظم السياسية وتطور المجتمعات البشرية[1]. كما كانت لاسهامات عالم الاجتماع الفرنسي جابريل تارد G. Tarde الذى ظهر فى أواخر القرن التاسع عشر (١٨٤٣-١٩٠٣) من أهمية خاصة فى تطور علم الاجتماع السياسي واسهام علم الاجتماع فى دراسة النظم السياسية، وخاصة عندما حلل العلاقة المتبادلة بين هذا القطاع، وسائل الاتصال الحديثة وتأثيرها على الثقافة السياسية للأفراد والجماعات فى المجتمع الحديث.

ويوضح لنا بوتومور Bottomore فى كتابه علم الاجتماع السياسي[2] Political Sociology، طبيعة اهتمام علماء الاجتماع بدراسة النظم السياسية Political Institutions، بصورة خاصة عندما تتبع اهتمامات مجموعة من علماء الاجتماع ودراسته للنظم السياسية بصورة خاصة وهذا ما ظهر فى معالجته لكتابات كل من هربرت سبنسر H. Spencer وكارل ماركس K. Marx، وماكس فيبر M. Weber، ولاسيما أن هذه الكتابات ملازمة مع بعضها من الناحية الزمنية.

فنجد على سبيل المثال إن اهتمامات سبنسر ودراسته عن النظم السياسية جاءت فى ضوء تحليلاته العامة ونظريته المعروفة عن المماثلة البيولوجية، واستخدامه كثير من المفاهيم والتصورات التى يستخدمها علماء العلوم الطبيعية. كما جاءت هذه التصورات فى اطار انتشار النزعة التطورية التى حدثت خلال القرن التاسع عشر، واصطبغت بالتحليلات السوسيولوجية فى كثير من اهتمامات علماء الاجتماع. فلقد عالج سبنسر، طبيعة النظم السياسية عند تصنيفه لطبيعة المجتمعات وقسمها بين قسمين أساسيين هما: أولاً، المجتمعات التقليدية والعسكرية. وثانياً، المجتمعات الصناعية الحديثة. وحاول سبنسر أن يوضح طبيعة نواحى التطور الذى حدث على طبيعة المجتمعات الأولى، والتى اتسمت بخصائص معينة من ناحية النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، وعلاقة الفرد بالدولة أو المجتمع عموماً. فى مقابل ذلك، ظهرت النظم السياسية لتحدد العلاقة بين

---

(١) عادل الهوارى، أصول علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، ص ١٦.

(٢) Bottomore, T, Political Sociology, London: Hutchinson, 1979, PP. 59-78.

الدولة والفرد، وتحدث من العمليات السياسية، وخاصة بعد ظهور الدول القومية التى تتمتع بالسيادة السياسية، وأيضاً طبيعة الحريات السياسية التى حصل عليها الفرد، وأصبح مفهوم المواطن أكثر استعمالاً وانتشاراً نتيجة لهذه الحريات.

أما كتابات ماركس عن النظم السياسية - وذلك حسب تحليلات بوتومور - جاءت فى اطار الفكر التصورى الماركسى العام الذى يتحدد فى نظرية الصراع Conflict Theory وخاصة عندما حلل ماركس النظام الاقتصادى وربطه بالنظام الايديولوجى أو النسق الفكرى والعقائدى والسياسى، الذى يوجه كل النظم الاجتماعية، سواء كانت اقتصادية أم ثقافية تربوية أم قانونية أن أسرية واجتماعية. فلقد ركز ماركس، على أن ملكية نظم وسائل الانتاج بواسطة الطبقات الرأسمالية من شأنها أن تهيمن على جميع النظم الأخرى. ولاسيما، أن الطبقات الغنية قادرة على امتلاك مؤسسات ومنظمات الدولة الرأسمالية بما فيها من مؤسسات الحكم والسيطرة والضبط والقدرة والقهر والطاعة والخضوع لها من جانب الطبقات الفقيرة.

ومن ناحية أخرى، جاءت تصورات ماكس فيبر، لتهتم بدراسة النظم السياسية فى ضوء تحليلاته حول مفاهيم سياسية معينة مثل السلطة، والقوة، والنفوذ، والسيطرة، وتحليله لطبيعة الدولة والنظام السياسى أو السياسة ككل حيث حددها فيبر بأنها محاولة اقتسام القوة أو محاولة التأثير فى توزيع القوة سواء بين الدول أو بين الجماعات داخل الدولة(١). كما اهتم فيبر بدراسة النظام السياسى وتحديده لأنماط السلطة Authority الشرعية والتى جاءت فى نظريته المثالية لأنماط السلطة الثلاث: السلطة التقليدية Traditional، والسلطة الكاريزمية Charismatic، والسلطة القانونية Legal، وهذا ما جاء فى تصوراته حول النموذج المثالى Ideal Type. علاوة على ذلك، لقد ناقش فيبر، طبيعة النظم السياسية التى توجد فى المجتمعات الرأسمالية الغربية وأسباب ظهور الرأسمالية أو النظام الرأسمالى (السياسى والاقتصادى) وفى هذه المجتمعات بصفة خاصة. من ناحية أخرى، اهتم فيبر بدراسة النظام السياسى فى ضوء تحليلاته المعروفة عن البيروقراطية Bureaucracies وتصوره للنموذج البيروقراطى الإدارى، والتى وضع فيها نظرية مميزة عن الإدارة الحكومية سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم إدارية(٢).

بالإضافة إلى جهود علماء الاجتماع السابقين وتحليلاتهم للنظام السياسى، نجد أن بعض التحليلات المميزة من قبل علماء اجتماع آخرين من أمثال فلفريتو باريتو

(١) Weber, M, Politics as a Vocation, in From M. Weber: Essays in Sociology (Trans. and ed. By: H. Gerth & C. R. Mills, London: 1948, P. 78.

(٢) للمزيد من التفاصيل، إرجع إلى :

- عبد الله عبد الرحمن، علم اجتماع التنظيم، مرجع سابق، الفصول ٥ ، ٦.

P. Pareto عالم الاجتماع الايطالى (١٨٤٨-١٩٢٣)، الذى عاصر وجوده مجموعة العلماء السابقين (فيبر، ماركس، وسبنسر) ووضع كتاب ممّيزاً وهو العقل والمجتمع The Mind and Society، الذى نشر عام ١٩١٦ وترجم إلى الانجليزية عام ١٩٣٥. وربط فيه تصوراته حول طبيعة النظم الاقتصادية والسياسية بدور الصفوة Elites فى المجتمع. وخاصة عندما ناقش عموماً مشكلات المجتمع الحديث الأوروبى كما تجئ كتابات عالم اجتماع ايطالى آخر هو روبرت ميشلز R. Michels، ويعد من أهم الاسهامات التى عززت دراسة العلاقة بين النظم السياسية وطبيعة الأحزاب السياسية Political Parties، وبقية النظم الاجتماعية الأخرى؛ وخاصة أن ميشلز ناقش عملية الاحتكار السياسى لدور الصفوة السياسية وتحديد الديموقراطية بمفهومها العام(١).

حقيقة ان اسهامات علماء الاجتماع تعددت أيضاً خلال النصف الثانى من القرن العشرين، وعملت على توسيع اهتمامات ومحاولات علم الاجتماع السياسى. وهذا ما أكدت عليه تحليلات كل من ليبست Lipes وبندكس Bandix، ولويس كوزر L. Coser وغيرهم آخرون(٢)، الذين عززوا تحليلات علماء الاجتماع ومعالجتهم للنظام السياسى، عندما ركزوا على أهمية علم الاجتماع السياسى فى مناقشة قضايا مثل السلوك الانتخابى، والقوة السياسية، واتخاذ القرار، والحركات السياسية، وجماعات المصلحة، والأحزاب السياسية، والنظام الحكومى والبيروقراطية، والرأى العام ودراسة الأحدث السياسية والعمل السياسى، والتنشئة والثقافة السياسية، والتنمية السياسية، وتحليل النظام السياسى العالمى الجديد، وغير ذلك من قضايا لاتزال تثرى مجالات علم الاجتماع السياسى، وتوضح عموماً مدى اهتمام علماء الاجتماع بدراسة النظام السياسى وعلاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى.

ثالثاً : الدولة وأركانها ونشأتها :

١- تعريف الدولة :

ارتبط مصطلح الدولة بعملية التطور والتغير الاجتماعى والسياسى عبر العصور التاريخية شأنه شأن الكثير من المؤسسات الاجتماعة التى تتغير حسب تغير حاجات الناس ومفاهيمهم. فلقد تغيرت مفاهيم الدولة عن مدينة المعبد التى ظهرت فى مصر منذ آلاف السنين، كما اختلف مصطلح الدولة عن المدينة السياسية والتى كان يطلق عليها المدينة الدولة عند الاغريق. علاوة على ذلك لقد اختلفت مفاهيم الدولة عند بلاد فارس والصين والرومان. كما تختلف هذه المسميات

(١) أنظر المرجع السابق، الفصل الرابع.

(٢) للمزيد من التفاصيل إرجع إلى :

- محمد على محمد، أصول علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، الفصل الثالث.

عن مفهوم الدولة الاقليمية، ذات الحدود الثانية، والتي ظهرت في أوروبا خلال العصور الوسطى والحكم الملكي المطلق. ومن ناحية أخرى، اختلفت مفاهيم أو مصطلح الدولة عن العصور الاقطاعية وعما توجد حالياً في العصر الحديث.

ومن هذا المنطلق، يمكن أن نطلق اليوم على مصطلح الدولة "نوع معين من التجمع البشرى المنظم له صفات خاصة"[1] علاوة على ذلك، ان طبيعة التجمعات البشرية المنظمة التي نطلق عليها مفهوم الدولة تختلف مفرداته من حيث الحجم، وعدد الأفراد والانتماء الدولي وصورة الحكم ومجموعة من العناصر الأخرى. ويتحدد هذا التعريف للدولة من خلال وجود خصائص معينة متى توافرت هذه الخصائص لأى تجمع بشرى وجب اطلاق مصطلح الدولة عليها.

ومن أهم الخصائص التي تطلق على الدولة، هي وجود (التنظيم)، وهذا ما يميز الدولة عن التجمعات البشرية والتي يطلق عليها مفهوم الاتحادات أو النقابات العمالية. ومن ثم، فالدولة تنفرد بنوع خاص من التنظيم لا نجده في غيرها. فهي (الدولة) بعبارة أخرى "التنظيم السياسي" الذى ينطوى على سلطة عليا ذات صلاحيات واسعة من أى سلطة أخرى وتجب أى سلطة أخرى، ويطلق في علم السياسة على هذه السلطة مصطلح السلطة السيادية. ومن هذا المنطلق، بالاضافة إلى التنظيم، فلابد من توافر للدولة عنصرين ماديين يطلق عليهما الشعب، والاقليم. ومن هذا نجد أن أركان الدولية ثلاثة عناصر (التنظيم – الشعب – الاقليم).

٢ - أركان الدولة :[2]

- **الشعب :**

تعتبر الدولة نوع من التجمع البشرى أو أى مجموعة من الناس ويتألف أفراد هذا التجمع الذين يعيشون عادة من خليط من الناس، بعضهم يعتبرو من أصحاب البلاد أو الأهالي Natives، ويعتبر البعض الآخر أجانب Alien. ويطلق عامة على الفئة الأولى اسم الشعب People. كما يوجد اختلافاً كبيراً بين أفراد الشعب في الدرجة والأجانب المقيمين من حيث الامتيازات والحقوق السياسية مثل المشاركة في التنظيم السياسي أو السلطة في الاقليم. ومثل ظهور الدول القومية كان يطلق حتى عهد قريب في بعض الدول على أفراد شعب الدولة بمفهوم (الرعايا). وفي لغة السياسة المعاصرة – يطلق غالباً على أبناء الشعب أسم مواطنين، تركيزاً على الصلة بين الفرد المواطن والاقليم الوطن، وما ينطوى على تلك الصلة من

(١) عبد الكريم أحمد، أسس النظم السياسية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧١، ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦ – ٣٧.

المشاركة السياسية وعملية الحكم. وعموماً يمكن أن نصف الشعب بأنه مجموعة من الأفراد يربطهم تنظيم سياسى معين فى اقليم محدد، وبمجموعة من الروابط المعنوية والمادية ذات طابع خاص يجعلهم متميزين عن الجماعات الاجتماعية المنظمة (الاتحادات) الأخرى، ويوصفون بأنهم يحملون جنسية واحدة.

- الاقـــليم :

لابد من توافر لوجود الدولة ركن هام وهو الاقليم. فكل دولة تعرفها رقعة معينه من الارض يتحدد بها كيانها أو إذا فقدت هذا الأقليم لا يمكن ان يطلق عليها مصطلح الدولة. وان كانت رقعة الأرض والاقليم لا تتحدد مساحتها بصورة مثالية أو نمطيه، فهناك دول كبيرة الحجم مثل الصين ودول صغيرة جداً مثل دولة لكسمبورج والفاتيكان مثلاً، ولقد تبلور مفهوم الدولة الاقليمية، عندما نشأت هذه الدولة وتم تثبيت حدود الأقليم بمجموعة من الخصائص مثل العوامل الجغرافية والاحداث التاريخية واللغه، كما يتم تثبيت هذه الخصائص عن طريق اعتراف مجموعة الدول العالمية بها.

- التنظـــيم الســـياسى :

يعتبر التنظيم السياسى أو السلطة السياسية الركن الثالث الذى بدونه لا تقوم الدولة. كما يعتبر التنظيم السياسى اهم سمات الدولة الحديثة. وينشأ التنظيم السياسى عندما تستقر جماعة من البشر اقليم معين، وتنشأ بينهم علاقات وتكون لديهم اساليب لتنظيم هذه العلاقات على أسس معترف بها سواء عن طريق الاتفاق، أو الرضا، أو القوة. كما يحدد مجموعة المؤسسات فتضع اسس وقواعد الطاعة والامتثال وما يسمح عموماً بفرض سلطة الدولة كامله على ارض الاقليم. وتكون هذه السلطة اعلى سلطة عليا وتشكل التنظيم السياسى وتعتبر جوهره ولذا يطلق عليها باسم السلطة السياسية.

وانطلاقاً من تحديد اركان الدولة ومفهومها وتطور استخداماته عبر العصور التاريخية، نجد ان الدولة لم تظهر فى الوجود كشئ مادى، بقدر ما ظهرت فى صور مجموعة من الافكار والتصورات التى تتناولها مجموعة من الفلاسفة والمفكرين وعلماء السياسية والاقتصاد ورجال الدين وغيرهم الذين وضعوا اسس الدولة فى تصوراتهم وخيالهم المثالى. كما ظهر ذلك على سبيل المثال، فى تحليلات افلاطون على المدينة أو الدولة الفاضلة التى لم تظهر حتى الآن وظلت حلماً مثالياً يناقش علماء العلوم الاجتماعية، عندما يتحدثون أو يناقشون فكرة الدولة والسياسة والسلطة والطبقات والسكان، وعلاقة الحاكم بالمحكومين – وعلى اية حال، نحاول ايضا، ان نتعرف على طريقة نشأت الدولة والافكار المتصلة بها.

- **نشأة الدولة :**

يركز علم الاجتماع والسياسية وغيرها من العلوم الاخرى لدراسة التطور التاريخي لوجود النظم الاجتماعية ومنها النظام السياسي، وطبيعة مؤسساته وجماعاته السياسية، والتي ظهرت عبر العصور التاريخية. ومن هذا المنطلق، نسعى حاليا للاشارة الموجزة لأهم نظريات نشأة الدولة، وكيفية تحديد مصدر السلطة السياسية بها، كما جاءت ثمه افكار وتصورات اصحاب هذه النظريات من العلماء والمفكرين ومن أهم هذه النظريات[1]:

١- **النظريات الدينية**، وتركز هذه النظريات تصورها للسلطة وتنسبها إلى مصدر الهى، وتعتبر الدولة نظاما من صنع الله لتحقيق الغاية من الاجتماع البشرى.

٢- **النظريات الارادية:** وتنسب نشأة الدولة إلى رغبة الانسان وارادته الداعية من أجل انشاء الدولة، حتى يحدث نوع من الاستقرار والحماية والامن والعيش مع الآخرين في صورة تعاقدية منظمه. وتنقسم هذه النظريات إلى نوعين هما:

(أ) النظريات التعاقدية: وتركز هذه النظريات تصوراتها إلى رغبة الناس وتعاقدهم مع بعضهم بعضاً ومع حكامهم أو من يعلوهم السلطة من اجل مراعاة الحقوق والمسئوليات المتبادلة بين الحاكم والمحكومين، وتعمل عن وجود التنظيم السياسى الذى يبعدهم عن حالة الفوضى. ويمثل اصحاب هذه النظريات، لوك، ورسو، وهويز.

(ب) نظرية القوة: يرجع أصحاب هذه النظرية إلى نشأة الدولة وتطورها نتيجة وجود عمليات الغزو والحرب منذ بداية التاريخ وهيمنة من يمتلك القوة على المعدومين منها ويبسط نفوذه وقوته عليهم عليه ويكون صاحب السلطة العليا.

٣- **النظريات التطورية:** ويرى أصحاب هذه النظريات ان الدولة كغيرها من المؤسسات الاجتماعية، التى تطورت بصورة تدريجية، تحت تأثير عامل محدد أو لمجموعة معينة من العوامل وتنقسم هذه النظريات إلى ثلاث نظريات فرعية وهى:

(أ) نظرية التطور العائلى: وينسب اصحاب هذه النظرية نشأة الدولة إلى وجود السلطة العائلية، وخاصة التى تنسب إلى سلطة الاب والذى يعتبر الأصل لمصدر السلطة السياسية بعد تطورها.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٤٨ – ٤٩.

(ب) النظرية العضوية: يرى أصحاب هذه النظرية، ان الدولة ما هى إلا كائن عضوى يتحدد بتطور مثل الكائنات العضوية الحية الاخرى.

(جـ) النظرية المادية التاريخية (الماركسية): ويتصور اصحابها ان مجموعة العوامل المادية والاقتصادية تعتبر العامل الاكبر، فى نشأة الدولة وتحديد مصدر السلطة فيها ومن يسيطر عليها يمتلك جميع الوسائل مثل المادية، وسائل الانتاج الاقتصادية.

رابعاً: أشكال الحكومات:

بعد تحديد اركان الدولة وتعريف مفهومها والشروط والخصائص التى يجب أن تقدم عليه الدولة ونوعية مصدر السلطة فيها، كما جاءت فى مجموعة النظريات المفسرة لنشأة الدولة عموماً، يجب ان تحدد ايضاً، ان هناك بعض التداخل من مفهومى الدولة والحكومة، ولقد وضحنا سابقاً ماهية الدولة ونوعية اركانها. أما الحكومة فيعزو أو تنسب إليها باعتبارها الاداة التى تستخدمها الدولة لتحقيق اهدافها وممارسة القوة فوق الموجودين فى حدودها الاقليمية، وتتم عملية ممارسة السلطة عن طريق التفويض، من قبل المحكومين للحكام. كما احياناً ينتسب إلى الحكومة للدلالة على مفهوم السلطة التنفيذية وهى رئيس الدولة والوزراء وهى الاداة السياسية العليا للدولة. بالاضافة إلى ذلك، قد يطلق على الحكومة مجموعة الهيئات الحكومية وتشمل الهيئات السياسية للسلطات الثلاثة القضائية، والتنفيذية، والتشريعية. وبإيجاز، فان الحكومة "تعنى الاسلوب أو الطريقة التى تمارس بها السلطة ويتم من خلالها الحكم"[1].

وفى اطار اهتمامنا بدراسة عدد من الموضوعات التى ترتبط بنوعية النظام السياسى، يجب ان نوضح اشكال واصول الحكومات، والتى حظيت باهتمام مجموعة الفلاسفة والمفكرين الذين تتبعوا اصول الحكومات وتطورها حتى ان ظهرت على ما هى عليه فى الوقت الحاضر. ومن أهم هذه الاشكال والتقسيمات لانواع الحكومات ما يلى[2]:

١- الحكومة الاستبدادية والحكومة الثانوية:

وتتميز الحكومة الاستبدادية التى يتعرض فيها الحاكم سلطاته وأوامره دون الرجوع إلى القوانين، وفى معظم الاحيان تكون ارادة الحاكم واوامره هى القوانين ذاتها، ويلغى هذا النوع تماماً الحريات الفردية. اما الحريات فهى ممنوحة للحكام

---

(١) انظر، محمد على محمد، اصول علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣١ – ٢٣٥. وهناك ايضاً ما يصنف الحكومات إلى تقسيمات الدولة قديماً وحديثا، ارجع إلى، عبد الكريم حسن، مرجع سابق، ص ٨٤ – ٨٦.

بلا قيد أو شرط. ولقد ظهرت انواع من الحكومات الاستبدادية ودافع عنها الفلاسفة والمفكرين مثل الحكومات التى ظهرت فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩.

اما النوع الثانى، وهو الحكومة القانونية، فهى التى ترجع إلى القوانين المقررة وتخضع لها السلطة العليا تماماً. وان كانت الحكومة تتمتع بعمليات تعديل أو تقيد القوانين ولكن لا يمكن ان تتم ذلك إلا عن طريق الرجوع إلى الدستور. وفى كثير من الاحيان، يطلق على هذا النوع مصطلح الحكومة العادلة على اساس أنها تضمن الحقوق والعدالة لافراد الشعب. ويوجد نوعان للحكومة القانونية وهى: الحكومة المقيدة، والحكومة المطلقه. فالنوع الاول، من الحكومة (المقيدة) تتوزع فيها السلطات بين هيئات محددة، ولها رقابة معينة مثل الحكومات الملكية الدستورية، الذى يتوزع فيها السلطة بين الملك، والبرلمان. اما الحكومة المطلقة، تتركز السلطة فى ايدى الحاكم مع خضوعه للقانون. ومن ثم، فأن الفارق بين الحكومة المطلقة والحكومة الاستبدادية، ان الاولى تلزم الحاكم بالقوانين، اما الثانية لا تلزمه بالشئ على الاطلاق.

٢- الحكومة الملكية[١] والحكومة الجمهورية:

تتميز الحكومة الملكية بأن يستمد فيها الرئيس الاعلى، حقه فى ممارسة الحكم عن طريق الوراثة. كما يمثل الرئيس صاحب السلطة العليا للسلطة التنفيذية. ولقد كانت طبيعة الحكومات الملكية فى الماضى ذات طابع مطلق، علاوة على أن الحكام أو الملوك يتمتعون بسلطات لا حدود لها. كما ان هناك حكومات ملكية أصبحت ملكيات دستورية حيث يتولى الملك سلطته رئيس البرلمان الذى يمثل الشعب. اما الحكومة الجمهورية، يتمتع فيها الرئيس الاعلى بممارسة الحكم عن طريق الانتخاب بواسطة الشعب لفترة معينة ومحددة، ذلك حسب القوانين الموضوعة، وان كانت الحكومات الجمهورية تختلف حسب نوعية الدولة.

٣- الحكومات الفردية:

يتميز هذا النوع من الحكومات بأن الحكومة يمارس السلطة فيها فرد واحد فقط، قد يكون ملك، أو امبراطور، أو سلطان، أو قيصر أو ديكتاتور. وقد توصف هذه الحكومة بأنها نوع من الملكية المقيدة، حيث لا يستند الحاكم على الاطلاق فى حكمه إلى شعبه ولا يتقيد بأى انواع من القوانين ولا وجود لحريات فردية. ومن أسوء انماط الحكومات الفردية الحكومة الديكتاتورية، وغالباً ما تستمد السلطة فيها

---

(١) ظهر هذا التقسيم فى تحليلات ارسطو عن السياسية، والتى تعتبر من اهم الكتابات السياسية التى ظهرت حتى الوقت الراهن.

عن طريق التعدد الشخصى وليس الوراثة. وقد تظهر هذه الحكومة نتيجة لوجود المشاكل والاضطرابات والفوضى السياسية. كما يظهر نوع آخر من الحكومات الفردية وهى الحكومة الارستقراطية، وتتركز السلطة فيها فى ايدى مجموعة من الاقلية، والتى تتمتع بصلاحيتها وأفضل مجموعة من الافراد فى المجتمع.

٤- الحكومة الديموقراطية:

يشير هذا النوع من الحكومات إلى حكومة الاغلبية حيث يتركز السلطة فى ايدى الشعب، وهى المصدر الاول للسلطة، ولقد تطور هذا النوع من الحكومات نسبة إلى حكومات (دول المدينة) التى ظهرت عند الاغريق القدماء، وينسب إليهم مفهوم الديموقراطية عموماً، وهو حكم الشعب نفسه بنفسه. وتوجد انواع متعددة للحكومات الديموقراطية مثل: الحكومة المباشرة، والتى يمارس فيها الشعب نفسه بنفسه، والحكومة شبه المباشرة، التى يتولى فيها نواب عن الشعب لممارسة الحكم. كما قد يتم تشكيل نوع من الجكومات من النوعين السابقين ويطلق عليهما بالحكومة أو النظام النيابى، ولكن لا يتمتع بالحرية المطلقة، ولكن يتمتع بعض الخصائص السيادسية التى تمنح عن طريق النواب.

بإيجاز، تلك اهم انماط واشكال الحكومات، التى ظهرت عن طريق تقسيم الدول عبر العصور التاريخية، والتى تكشف عن الكثير من موضوعات ومجالات علم الاجتماع السياسى، ومعالجته عموماً للنظام السياسى، خاصاً وان تشكيل انواع الحكومات يرتبط بالبناء الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والدينى الذى يوجد فى المجتمعات عامة.

خامساً: الديموقراطية:

ارتبط بتحليل الديموقراطية باهتمامات علماء الاجتماع، ولا سيما أن دراسة المجتمع الصناعى الرأسمالى الحديث كانت موضع اهتمامهم الاساسى. فلم يعالج فقط علماء الاجتماع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية دون الاهتمام بدراسة النظام السياسى، الذى ظهر خاصة مع نشأة الرأسمالية القريبة، والتى جاءت من افكار علماء الاقتصاد والسياسية البارزين، مثل تصورات آدم سميث A. Smith وكتابة عن ثورة الأمم، الذى وضع أسس طبيعة الحياة الاقتصادية والسياسية فى العالم الرأسمالى. كما ادى إلى ظهور الثورة الصناعية فى بريطانيا واحدثت تغيرات هيكليه على نمط الحياة الاقتصادية عموماً. كما ادت قيام الثورة الفرنسية إلى حدوث تغيير كبير فى مفاهيم الحريات الفردية، والعلاقة بين الحاكم والمحكومين ونوعية السيادة وممارسة الحكم، الذى يجب ان يتيح اكبر قدر من الحريات للمواطنين.

ومن هذا المنطلق، نمت فكرة الديموقراطية وتطورت بعد أن مهّد لها مجموعة افكار علماء السياسية والمفكرين والفلاسفة الذين ظهروا خلال العصور الوسطى، وايضاً خلال مرحلة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، أو ما يسمى بفلاسفة التنوير والاصلاح أو النهضة من أمثال ميكافيللى، وبودان، ومونتسكيو، ورواد العقد الاجتماعى هوبز ولوك ورسو. وان كانت الديموقراطية كفكره ونظام سياسى واساليب للحكم، ترجع إلى الفكر اليونانى القديم، والذى وضع اسسه كل من افلاطون وارسطو على وجه الخصوص ولا سيما، بعد أن وضع الاخير تصنيفياً مميزاً لأفضل انواع الحكومات والدول، ولا يزال هذا التصنيف رجعاً اساسياً لعلماء السياسة والاجتماع والعاملين عموماً فى المجال السياسى.

لكن مع تطور نشأة علم الاجتماع، وظهور تخصصاته وفروعه المتميزة تطورت تحليلات وكتابات علماء الاجتماع للاهتمام بدراسة قضية الديموقراطية من المنظور السوسيولوجى. وهذا ما عبر عنه على سبيل المثال، تحليلات بوتومور[(١)] فى كتابه علم الاجتماع السياسى، الذى يسعى فيه لتحليل فكرة الديموقراطية وعلاقتها بدراسات علماء الاجتماع ولا سيما الذين اهتموا بدراسة الطبقات الاجتماعية Social Classes. فلقد عالج فكرة الديموقراطية عند وتطورها فى النظام الرأسمالى الغربى، وبالتحديد خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر، وما ترتب على هذا النظام من العديد من النتائج الاجتماعية المختلفة، ومنها ظهور فكرة الديموقراطية الحديثة، وأصبحت (الديموقراطية) شكل مميز من انواع الحكومات، والتنمية السياسية التى حدثت بين الطبقات الاجتماعية الغربية.

علاوة على ذلك، ناقش بوتومور، فكرة تطور الديموقراطية فى المجتمعات الغربية الرأسمالية، وظهور المزيد من الحريات الفردية، وتطور العلاقة بين الفرد والدولة والسلطة السياسية، وظهور ما يسمى بالمجتمع المدنى Civil Society، الذى تم تشكيله على أسس من الحريات الفردية السياسية (الديموقراطية) والاقتصادية (حرية العمل والانتاج). فى نفس الوقت، يعزو بوتومور إلى تطور الديموقراطية فى الفكر الاجتماعى والسياسى الغربى نتيجة ظهور الثورة الصناعية فى بريطانيا والثورة الفرنسية السياسية، وتطور مفهوم المواطنه Citizenship، والذى ظهر نتيجة لتطور نشأة الدول القومية أو النزعة القومية Nationalism، التى ركزت على مبدأ حرية المساواة والعدالة الاجتماعية.

من ناحية أخرى، لقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة فكرة الديموقراطية من خلال التصورات التاريخية، التى ظهرت خلال عصور الاغريق والرومان، وعصر

---

(١) Bottomore, op.cit, PP. 21 - 40.

النهضة وكتابات مثل توكيفللى Tocqueville، وتصوره للحكومات الديموقراطية، ثم معالجات ماركس Marx للطبقات ومناقشته للديموقراطية الرأسمالية. علاوة على اهتمامات ماكس فيبر Weber وبارتيو Parito، وتصوراتهم حول العلاقة بين الدولة والاقتصاد والسياسه. وهذا ما جاء على سبيل المثال فى تحليلات فيبر عن البرلمان والحكومة Parliament and Government، ليناقش قضايا الديموقراطية التى كانت موجودة فى المانيا وغيرها من الدول الاوربية. علاوة على ذلك، اهتم بوتومور بدراسة العديد من تصورات علماء الاجتماع السياسى والاقتصادى، من أمثال شومبيتر Schumpeter، وتحليلاته حول الرأسمالية، الاشتراكية والديموقراطية Capitalism Socialism and Democracy، ولا سيما تصوراته حول طبيعة القيادة السياسية Political Leadership، وعلاقة النظام الاقتصادى بالسياسى وحرية التصويت والانتخاب، وغيرها من المعالجات السوسيولوجية. هذا بالاضافة إلى تحليل بوتومور للعديد من رواد مدرسة فرانكفورت[1] Frankfurt School، بمعالجتها للقضايا السياسية والديموقراطية التى وجدت فى المجتمعات الاشتراكية الاوربية أو الاتحاد السوفيتى (سابقاً)، بالاضافة إلى المجتمعات الرأسمالية الغربية.

سادسا : الاحزاب السياسية :

اهتم علماء الاجتماع بدراسة النظام السياسى من خلال تحليلهم للعديد من الجماعات السياسية التى تترجم المظاهر العامة لهذا النظام وهذا ما جاء على سبيل المثال، فى تصورات العديد من رواد علم الاجتماع الاوائل، مثل اهتمامات ماكس فيبر عن البرلمان والحكومة، والتى اشارنا إليها عند التحليل الموجز لدراسة الديموقراطية. كما قد تناول موضوع الاحزاب السياسية Political Perties مجموعة كبيرة من علماء الاجتماع الدارسين من أمثال روبرتو ميشيلز[2] R. Michels عالم الاجتماع الايطالى الذى درس الاحزاب السياسية، متناولاً طبيعتها وتطورها ونشأتها، وتوصل إلى مجموعة من الافكار حول الاحزاب السياسية التى توجد فى المجتمعات الحديثة مثل طبيعة العلاقة القوية بين الديموقراطية وفكرة الاوليجاركية، حيث تسعى الصفوة أو الاقلية التى تتمتع بالكثير من الامتيازات فى الانفراد بعمليات صنع القرار السياسى داخل الاحزاب السياسية. كما جاءت مناقشته للاحزاب السياسية، عندما حلل طبيعة احتكار فئة قليلة من اعضاء الحزب لعملية صنع القرار، بعيداً عن المشاركة الايجابية من بقية اعضاء الحزب نفسه. كما تجئ اهمية تحليلات مشيلز عن الاحزاب لانه ناقش طبيعة الاحزاب فى كل من المجتمعات الاشتراكية والرأسمالية.

(١) Ibid, p. 38 - 39.

(٢) للمزيد من التفاصيل ارجع إلى

- عبد الله عبد الرحمن، علم اجتماع التنظيم، مرجع سابق، خاصة الفصل الرابع.

من ناحية اخرى، يعكس تحليل التراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع طبيعة تناول علماء الاجتماع للاحزاب السياسية من خلال توضيحهم لطبيعة دور الاحزاب فى الحياة السياسية الحديثة، وخاصة انها تمثل نوع من حلقات الاتصال بين المواطنين والحكومة. كما جاءت عملية ظهور الاحزاب كنوع من التحديث للنظام السياسى، الذى ظهر فى المجتمعات الغربية والرأسمالية. ولقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة الاحزاب السياسية بصورة تحليلية مقارنة، وهذا ما ظهر فى تحليلات فيبر عن انواع البرلمانات والاحزاب، وتصورات روبرت ميشيلز عن الحزب السياسى فى جميع الدول الغربية، وكتابات هـ. سبنسر [1] عن حزب الحكومة والبرلمان والديموقراطية.

علاوة على ذلك لقد عالج علماء الاجتماع طبيعة الاحزاب السياسية ودورها الوظيفى فى النظام السياسى، وتحديد مفهوم الحزب بصورة خاصة، وهو المراقبة السياسية للحكومة. كما تتميز الاحزاب بأنها نوع من التنظيمات السياسية التى تتمتع بدرجة كبيرة من التنظيم والاستقرار ووضوح الاهداف والافكار. ويتحدد وجود الاحزاب نتيجة لانواع القوانين والدستور الذى يوجد فى المجتمع وحسب طبيعة البناء السياسى. وربما تجئ تحليلات ماكيفر Meciver وديفرجيه Duvirger، لتشير لطبيعة العلاقة بين الاحزاب السياسية والديموقراطية والارستقراطية وتحليلهم عموماً إلى الصفوات السياسية.

كما ارتبطت دراسة الاحزاب السياسية بالعديد من الموضوعات التى يعالجها علم الاجتماع السياسى مثل تأثير الرأى العام، ووسائل الاتصال الجماهيرى، وطبيعة نشأة الرأى العام فى النظام السياسى الديموقراطى. كما نجد أن كثير من اهتمامات علماء الاجتماع ركزت على دراسة الاحزاب السياسية، ليس فقط فى الدول المتقدمة ولكن ايضاً فى الدول النامية، وخاصة تحليلهم للعلاقة بين دور الاحزاب والتنمية السياسية Political Development، وعمليات التثقيف السياسى، والتنشئة السياسية، والمشاركة السياسية، وغيرها من الموضوعات التى ترتبط عموماً بدراسة الاحزاب السياسية فى المجتمعات الحديثة المتقدمة والنامية.

سابعاً: الصفوة السياسية:

ترتبط دراسة الصفوات السياسية بطبيعة الحكومات واشكال الديموقراطية ونوعية الدول وغير ذلك من الموضوعات التى تندرج تحت دراسة النظام السياسى. وان كان مفهوم الصفوة Elites، لا يقتصر استخدامه فقط على الصفوة السياسية، ولكن اصبح مفهوماً عاماً يطلق على مجموعة معينة من الافراد أو الذين

---

(١) ناقش سبنسر حزب الحكومة وطبيعة البرلمان البريطانى وعلاقة كل من الحكومة والبرلمان بقضية الديموقراطية. للمزيد من التفاصيل انظر : المرجع السابق، الفصل الثانى.

ينفردون بعمليات صنع واتخاذ القرار Decision Making، وهذا ما اشار إليه عدد من علماء الاجتماع والمنظرين عموماً لعلم الاجتماع السياسى(١). فلقد ارتبط هذا المفهوم من الناحية التاريخية بالنظام السياسى وتقسيم الدول إلى انواع محددة كما جاء فى الفكر الاغريقى القديم.

ويعتبر من اهم علماء الاجتماع الذين ركزوا على تحليل الصفوة وعلاقتها بالنظام السياسى، هو روبرت ماكيفر R. Maciver، عندما سعى للكشف عن الصفوة السياسية وانواع الحكومات التى توجد فى بريطانيا ومقارنتها بالصفوات السياسية التى ظهرت فى دويلات الاغريق القديمة. كما ترتبط تحليلات الصفوة السياسية بكتابات باريتو Parito وتحليلات جاتينو موسكا G. Mosca، الذى فرق بين الصفوة والجماهير، واستخدم كثيراً من المفاهيم التطورية ووضح عموماً الصفوة السياسية بأنها الاقلية التى تتمتع بممارسة الحكم وصنع القرار. وان كانت تحليلات الصفوة قد تطورت عند مجموعة كبيرة من علماء الاجتماع من أمثال س. رايت ميلز(٢) C. Mills، عندما ناقش عملية ظهور الصفوة السياسية والاقتصادية داخل الولايات المتحدة، وذلك من خلال مناقشته للازمات السياسية التى حدثت خلال النصف الأخير من القرن الحالى (العشرين) مثل ازمة الحرب العالمية الأولى والثانية، وحرب كوريا وفيتنام وغيرها. علاوة على ذلك، لقد اهتم روبرت ميشلز Michels، بدراسة العلاقة بين ظهور الصفوة السياسية والاحزاب، موضحاً كيفية قدرة الصفوة التنظيمية على السيطرة الداخلية للحزب وعمليات صنع القرار.

من ناحية اخرى، ارتبطت دراسة الصفوة بدراسة مشكلة القوة Power، وتوزيع السلطة فى المجتمع الحديث، وهذا ما ناقشه بالفعل ريمون ارون R. Aron، وغيره من علماء الاجتماع المعاصرين الذين حددوا طبيعة العلاقة المتبادلة بين الصفوة والقوة. وهذا ما ايده بالفعل تصورات جوزيف شومبيتر Schumpeter، عندما ناقش طبيعة النظام الرأسمالى – كنظام اقتصادى بالنظام السياسى والاشتراكى أو طبيعة ظهور الديموقراطية بهما. كما ظهرت كتابات الصفوة واستخدامها فى ضوء معالجة قضية الصراع بين الطبقات فى تحليلات ماركس.

بالاضافة إلى ذلك، ظهرت العديد من النظريات التى تفسر الصفوة، والتى حاولت تصنيف جهود علماء الاجتماع والسياسة الذين، عالجوا قضية الصفوة. ولقد

---

(١) Chinoy, E., Society, op. cit, P. 337.

(٢) Ibid, pp. 338 - 339.

مثلت هذه النظريات مجموعة من الاتجاهات المرتبطة بكتابات علماء الاجتماع الذين عالجوا الصفوة على وجه الخصوص مثل[1]:

١ - الاتجاه التنظيمى فى دراسة الصفوة عند موسكا وميشلز.
٢ - الاتجاه السيكولوجى كما ظهر فى كتابات باريتو.
٣ - الاتجاه الاقتصادى كما نجد فى كتابات بيرنهام.
٤ - الاتجاه النظامى كما ظهر فى تصورات ميلز.

عموماً، لقد وضحت هذه الاتجاهات معالجة علماء الاجتماع لدراسة الصفوة من الناحية السوسيولوجية، وكيفية ربط دراسة الصفوة بالنظام السياسى. هذا بالاضافة إلى، أن دراسة الصفوة السياسية ترتبط ايضاً بعدد من النماذج التى وضعها العلماء عند دراسة الصفوات عموماً فى المجتمع مثل الصفوة العسكرية، والصفوة الادارية، وصفوة المثقفين، والصفوة البيروقراطية. بإيجاز، ان دراسة الصفوات السياسية تعتبر من الموضوعات الهامة التى، تندرج تحت تحليل النظام السياسى، والذى اهتم بدراسته علماء الاجتماع وربطه ببقية النظم الاجتماعية الاخرى.

ثامناً: المشاركة والتنمية السياسية:

تعتبر المشاركة السياسية Political Participation من الموضوعات الهامة التى تندرج تحت النظام السياسى، وتكشف عن كثير من الجوانب المتداخلة لهذا النظام. ولقد استخدم مفهوم المشاركة السياسية فى اطار اهتمامات علم الاجتماع السياسى، حيث يعرفها البعض بأنها "العملية التى من خلالها يلعب الفرد دوراً فى الحياة السياسية لمجتمعه، وتكون لديه الفرصة بأن يشارك فى وضع الأهداف الهامة لذلك المجتمع، وكذلك افضل الوسائل لتحقيق وإنجاز هذه الأهداف"[2] ويتناول هذا التعريف مجموعة الانشطة التى يمارسها الفرد فى الحياة السياسية فى المجتمع، هذا بالطبع يتطبق على الافراد المواطنين الذين يتمتعون بممارسة حقوقهم السياسية، كما تهدف عملية المشاركة بتحقيق مجموعة من الأهداف التى قد ترتبط بالفرد أو جماعته المحلية أو مجتمعه ككل.

ويتناول علماء الاجتماع السياسى، موضوع المشاركة السياسية للتعرف بوضوح على اهم نماذج واشكال المشاركة السياسية، وما مدى طبيعة هذه المشاركة سواء بالنسبة للافراد، أو الجماعات أو المجتمعات المحلية والاقليمية؟ ومن هم الفئات التى تشارك فى العملية السياسيه، واسباب مشاركتهم بالفعل؟ فى نفس

(١) للمزيد من التحليلات حول هذه الاتجاهات انظر:
- محمد على محمد، علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، ص ٣٨٥ - ٣٩٠.

(٢) عادل الهوارى، أصول علم السياسة، مرجع سابق، ص ٢٧ - ٢٨.

الوقيتي، لقد حدد بعض العلماء درجات ومستويات المشاركة السياسية سواء عن طريق شغل المناصب السياسية والادارية العليا، أو الأنضمام لعضوية التنظيم السياسى، وشبه السياسى، والمشاركة فى الاجتماعات السياسية العامة والمظاهرات التى تعبر عن رأى الجماعات التى ينتمى إليها الفرد، أو الاهتمام عموماً بقضايا السياسة العامة والمشاركة فى عملية الانتخاب أو التصويت.

فى مقابل ذلك توجد بعض اشكال للمشاركة السياسية ولكن من الناحية السلبية السياسية، وتظهر فى صور محددة مثل اللامبالاه Apathy، أو عدم القدرة على الاعتراف بالمسئوليات الشخصيات، والامتثال التام أو الطاعة العمياء، والشك السياسى فى جميع اعمال وافعال السلطة السياسية، والعزلة أو شعور الفرد بنوع من البعد عن العمل السياسى أو الالتزام بقضايا السياسة، ثم الاغتراب عموماً عن السلطة السياسية فى المجتمع.

اما التنمية السياسية Political Development، فانها تندرج تحت الموضوعات التى يهتم بدراستها علم الاجتماع أو علم الاجتماع السياسى. ولا سيما، أن دراسة قضية التنمية الشاملة Comprehensive Development، تعد من القضايا التى تفسر المظاهر المختلفة لمفهوم التنمية سواء كانت سياسية أم اقتصادية، أم ثقافية. وهذا ما يعتبر موضوع التنمية السياسية أو التحديث السياسى بين الموضوعات التى تجذب اهتمام علماء الاجتماع عند دراستهم لقضايا التنمية والتخلف وعند مقارنتهم بين الدول المتقدمة والنامية.

ويركز علماء الاجتماع على دراسة النظم السياسية والقضايا الثقافية التى تخضع دائماً لعمليات التغير والتحديث المستمر. فقد يكون هذا التغير سريعاً أو بطيئاً يتم بصورة تدريجية، وقد يخضع التغيير ويحدث نتيجة لاحداث فجائية مثل حدوث الثورات السياسية والتغيير السياسى[1] Political Change، يرجع إلى تضافر مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتعليم والتصنيع، والتقدم الحضرى، واستخدام التكنولوجيا الحديثة وتطور وسائل الاعلام والاتصال. ومن ثم، ترتبط عملية التنمية السياسية بقضايا التنمية والتغير، والتحديث الشامل والمستمر كما يحدث فى المجتمعات الانتقالية من الدول النامية إلى المتقدمة.

كما ترتبط عملية التنمية السياسية بدراسة عمليات أخرى تندرج تحت اطار النظام السياسى مثل الثقافة والتنشئة السياسية Political Socialization، والتى تعتبر من أهم الادوار الوظيفية التى تقوم بها الاحزاب السياسية من خلق جيل من

---

(١) Bottomore, op.cit, p. 79.

الاعضاء الذين ينتمون إلى افكار سياسية معينة. ولقد كشفت كثير من تحليلات علماء الاجتماع عند تناولهم لقضايا التنمية، وتركيزهم على اهمية التنمية السياسية، كأحد مظاهر أو أوجه التنمية الشاملة والمستمرة، والمقصود بالتنمية السياسية، بإيجاز، هو تنمية القيم والنظام السياسى بما يجعلها ملائمة للظروف السياسية والاقتصادية التى توجد فى المجتمعات المحلية أو الاقليمية أو العالمية.

خاتمة:

لا تزال قضية دراسة النظم الاجتماعية من القضايا التى تشكل اهتمام علماء الاجتماع السياسى، والاقتصاد والنفس والتربية وغيرهم من العلوم الاخرى. خاصة، وان طبيعة المجتمع يتكون من مجموعة من التغييرات والنظم الاجتماعية المتداخلة مع بعضها البعض. ومن الصعوبة على المتخصصين فى هذه العلوم ان يفصل نظاماً اجتماعياً عن الآخر سواء اكان اقتصادياً أم سياسياً، أم تربوياً أم عائلاً واسرياً، نظراً لأن تفسير هذه النظم تحتاج إلى نوع من السيطرة الشمولية والواقعية لطبيعة هذه النظم والظروف المجتمعية التى توجد فيها.

وهذا ما ظهر من خلال تناولنا الموجز للنظام السياسى، وكيف تغير هذا النظام حسب طبيعة التغيير الشامل الذى يحدث على مستوى البناءات وايضاً النظم الاجتماعية. كما كان لجهود علماء الاجتماع الفضل الكثير بالمشاركة مع غيرهم من علماء العلوم الاجتماعية الاخرى من دراسة المشكلات والقضايا والمؤسسات والجماعات التى تندرج تحت النظام السياسى. ولقد اسهم هذا الاهتمام من توجيه كثير من جهود المتخصصين فى علم الاجتماع، نحو وضع الجذور الاولى لاحد فروع هذا العلم، وهو علم الاجتماع السياسى، ليشارك على المستويين النظرى والميدانى بدراسة ابعاد النظام السياسى فى العقد الحاضر.

وانطلاقاً من اهمية دراسة النظام السياسى بصورة مبسطة للقارئ المبتدئ لعلم الاجتماع، حرصنا على تناول بعض جوانب ومظاهر النظام السياسى، والتى اشتملت على اعطاء خلفية مختصرة لنوعية اسهامات علماء الاجتماع ودراستهم للنظام السياسى، ومحللين اهم جوانب هذا النظام، مثل نشأة الدولة واركانها الاساسية، والنظريات المفسرة لها. بالاضافة إلى اشكال الحكومات وانواعها، ودراسة قضية الديموقراطية، والاحزاب السياسية، والصفوة السياسية والمشاركة والتنمية السياسية، وان كانت هذه التحويلات جاءت بصورة مختصرة، وذلك بهدف تعريفها للقارئ وللإطلاع على اهم مكونات النظام السياسى، وكيفية دراسته وتحليله مع بقية النظم الاجتماعية الأخرى كما يهدف إلى ذلك عموماً علماء الاجتماع.

الفصل الحادى عشر
النظام الاقتصادى

* مقدمة .

أولاً : علم الاجتماع ودراسة النظام الاقتصادى.

ثانياً : الملكية.

ثالثاً : عوامل الانتاج.

رابعاً : نقل التكنولوجيا.

خامساً : الشركات العالمية.

سادساً : اقتصاديات العالم الثالث.

سابعاً : النظام الاقتصادى العالمى.

* خاتمة .

مقدمـــة :

يعد النظام الاقتصادى أحد النظم الاجتماعية التى أهتم بها الفلاسفة والمفكرين ورجال الاقتصاد والدين قبل نشأة العلوم الاجتماعية وظهورها. فلقد انشغل العقل البشرى بطبيعة المعاملات والنظم والموارد الاقتصادية، وجاءت تصورات كثير من آراء الفلاسفة والمفكرين، التى ظهرت خلال العصور القديمة والوسطى معبرة عن طبيعة المشاكل والظواهر الاقتصادية وحياة الندرة، والتطور الاقتصادى والمعيشى لأساليب الحياة خلال هذه الفترات السابقة. كما جاء تفكير العقل البشرى مشغولاً كثيراً بقضايا المعيشة والحياة وذلك من أجل البقاء والاستمرار فى الوجود، ولاسيما أن عملية الصراع البشرى مع الموارد والبيئة الطبيعية كانت قديماً على أشدها ولاتزال هذه العملية مستمرة حتى الوقت الراهن من أجل رفاهية الجنس البشرى.

ومع تطور العلوم الاجماعية وظهور معظمها خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، أولى علماء هذه العلوم بدراسة النظم الاقتصادية، ولقد أدى هذا الاهتمام لنشأة علم الاقتصاد واعتباره من أقدم العلوم الاجتماعية نشأة وظهوراً، والذى سبق ظهوره أكثر من مائة عام تقريباً على علم الاجتماع على سبيل المثال. وإن كانت كتابات أو مسميات علم الاقتصاد لم تكن معروفة بهذا المسمى، بقدر ما كان يعرف بالاقتصاد السياسى Political Economy حتى لفترة قريبة، نظراً لارتباط كل من علم الاقتصاد بالسياسة بصورة عامة، وهذا ما نلاحظه فى الوقت الراهن، كما ظهرت مسميات أخرى للاقتصاد ويطلق عليها بالاقتصاد الاجتماعى. إلا أن بعد صدور علم الاجتماع ونشأته ظهرت كثيراً من المفاهيم الاقتصادية وعملت على تطوير نظرياته، خاصة بعد أن ظهر علم مشترك يجمع بين الاهتمامات الاقتصادية والاجتماعية ويطلق عليه بعلم الاجتماع الاقتصادى Economic Sociology، وليضيف مجالاً وفرعاً متخصصاً فى مجال فروع علم الاجتماع المختلفة.

ولكن قبل ظهور علم الاجتماع الاقتصادى، نجد أن علماء الاجتماع الأوائل أولو اهتماماً ملحوظاً بدراسة النظام الاقتصادى. وهذا ما عبر عنه اوجست كونت عندما سعى لتأسيس علم الاجتماع ليدرس المشاكل والظواهر الاجتماعية بما فيها الظواهر الاقتصادية. كما تعكس طرق ظهور علم الاجتماع نوع من الاختلاف الاكاديمى بين أوجست كونت ورواد علم الاقتصاد الأوائل، وحول أحقية العلم الجديد (الاجتماع) بدراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية. وهذا ما أكد عليه أوجست كونت عندما أكد على أن الظواهر الاقتصادية، ما هى إلا ظواهر مجتمعية، أى أنها ظهرت فى المجتمع، وعلم الاجتماع هو العلم الذى يدرس المجتمع بمختلف ظواهره

ومشكلاته الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية والثقافية عموماً. ومع تطور الاهتمامات المشتركة بين علماء الاقتصاد والاجتماع، نجد أن هناك كثيراً من علماء الاقتصاد الذين تركوا مجال علم الاقتصاد البحت، وانضموا إلى علماء علم الاجتماع الاقتصادى، ومن أمثالهم اليوم عالم الاجتماع الاقتصادى الأمريكى نيل سميلسر Nel Smelser، الذى اشترك مع اعلم الاجتماع الامريكى تالكوت بارسونز T. Parsons فى العديد من المؤلفات. ولقد سبق سميلسر مجموعة كبيرة من العلماء منهم على سبيل المثال عالم الاقتصاد الشهير جوزيف شومبيتر J. Schumpeter.

على أية حال، إن موضوع اهتمام علماء الاجتماع بدراسة النظام الاقتصادى تندرج تحت اهتمامات هؤلاء العلماء بدراستهم للنظم الاجتماعية التى توجد فى المجتمعات الجديدة. وبالطبع يشاركهم فى هذا الاهتمام جميع العلوم الاجتماعية. وتسعى حالياً لإعطاء صورة مبسطة للقارئ، عن أهم اهتمامات علماء الاجتماع بدراسة النظام الاقتصادى، وذلك بصورة تطورية حتى نتعرف على الاسهامات السوسيولوجية لدراسة النظام الاقتصادى. من ناحية أخرى، نحاول أن نوجه بصورة موجزة، لبعض مكونات الانتاج وعمليات نقل التكنولوجيا، وظاهرة الشركات العالمية وكيف تطورت وأصبحت الآن تسيطر على الاقتصاد العالمى. ثم تحليل طبيعة اقتصاديات العالم الثالث، وماهى الخصائص والسمات العامة التى يتكون منها هذا الاقتصاد. وعلاوة على ذلك، يجب أن نشير بصورة مختصرة، إلى طبيعة النظام الاقتصادى العالمى الجديد الذى يشكل هذه العمليات الاقتصادية، التى توجد على المستوى القومى أو مستوى الدول وأيضاً على المستوى الاقليمى والعالمى فى نفس الوقت.

أولاً: علم الاجتماع ودراسة النظام الاقتصادى:(١)

ما من شك أن اسهامات علماء الاجتماع فى دراسة النظام الاقتصادى، لم تأت من فراغ، بقدر جاءت هذه الاسهامات فى اطار جهود العديد من علماء العلوم الاجتماعية الأخرى، مثل علماء الاقتصاد والسياسة والانثربولوجيا الذين اعطوا اهتماماً ملحوظاً أيضاً لدراسة النظام الاقتصادى. هذا بالاضافة إلى، أن جهود هؤلاء العلماء جميعاً اعتمدت على تحليلات كثير من المفكرين والفلاسفة ورجال

---

(١) اعتمدنا بصورة كبيرة فى كتابتنا لهذا الفصل على مؤلف الباحث التالى :

- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع الاقتصادى جـ ١، ٢، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤.

وللمزيد من التفاصيل أنظر:

- Weber, M, General Economic History, (Trans. By: Cohen), N. Y, Traqnsaction Inc., 1981, PP. 197-198

الدين، الذين انشغلوا بقضايا النظام الاقتصادى، ولاسيما أن طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والثقافية من الصعب فصلها بصورة خاصة عندما ندرس تطور أى نظام من هذه النظم الاجتماعية. وعلى أية حال، وفى اطار تحليلنا الموجز، لمدى اسهامات علماء الاجتماع بدراسة النظام الاقتصادى نسعى لعرض أهم هذه الاسهامات كما يلى :

١- ما قبل ظهور علم الاجتماع الاقتصادى :

ركز كثير من مفكرى علم الاجتماع والذين اهتموا بتحليل تطور الفكر الاجتماعى والمجتمعات البشرية بتناول طبيعة الحياة الاقتصادية، التى كانت سائدة فى المجتمعات القديمة مثل مصر الفرعونية، والصين والهند وبلاد الاغريق. خاصة، وأن معظم هذه المجتمعات عرفت حياة الاستقرار وتنوعت أنشطتها الاقتصادية، والتى اعتمدت على الزراعة، والتجارة، والصناعات التقليدية. فلقد عرفت مصر القديمة أنماط متعددة من النشاط الاقتصادى – كما حدد ذلك ما كس فيبر M. Weber – فى كتابه تاريخ الاقتصاد العام General Economic History، وساعدهم فى ذلك اسطولهم التجارى وسهولة الاستيراد والتصدير إلى بلاد اليمن والحبشة والفينيقيين والبابليين فى بلاد الشام. كما عرفوا نظام الضرائب وإدارتها، وتنوعت مواردهم الاقتصادية، وهذا ما ظهر من خلال النقوش الفرعونية القديمة. كما عرفت شعوب الصين والهند كثيراً من الأنشطة الاقتصادية التى قامت عليها حضاراتها وتفسر هذه الأنشطة نوعية الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ككل.

من ناحية أخرى، أهتم مؤرخى علم الاجتماع للإشارة لطبيعة التطور الاقتصادى الذى حدث خلال العصور الوسطى الاسلامية وهذا ما جاء فىتحليلات كل من المقريزى وابن خلدون. حيث أهتم الأول، بدراسة الأزمات الاقتصادية والمجاعات التى حدثت فى مصر وأثرها على التغير الطبقى ونظام العمل والأجور وقلة عدد السكان، وغيرها. كما جاءت تحليلات ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة لمناقشة مظاهر النشاط الاقتصادى سواء كان نشاطاً طبيعياً ويشمل الزراعة، والتجارة، والصناعية أو نشاط غير طبيعى مثل أعمال الامارة والأعمال الرسمية. كما أشار إلى تقسيم العمل، وعالج قيمة العمل على أساس الشريعة الاسلامية، وقيمة النقود والأسعار ثم حلل طبيعة العلاقة بين الاقتصاد والدولة ككل.

فى نفس الوقت، اهتم علماء أو مؤرخى علم الاجتماع بدراسة الفكر الاقتصادى الاجتماعى عند الرومان ومجتمعات ما قبل الرأسمالية، وخاصة بعد أن اتسعت فتوحات الامبراطورية الرومانية، وعرفت كثيراً من أنماط التجارة

والصناعة ونظم الملكية والضرائب عن طريق استعارتها من الدول المتقدمة. وهذا ما جاء في كتابات مفكري الرومان من أمثال شيشرون وسفكا على سبيل المثال. أما مجتمعات ما قبل الرأسمالية، فلقد ارتبطت الحياة الاقتصادية بنوعية اقطاعيات الأرض وعلاقات الانتاج والعلاقة المتبادلة بين أصحاب الأرض والعبيد، والذى يعكس عموماً النظام الاقطاعى القرابى. كما ظهرت خلال هذه المرحلة الصناعات التقليدية ونشأة التنظيمات والاتحادات التجارية والمهنية، وتطورت حركة التجارة وأدت إلى ظهور الأسواق، وظهور البنوك، والمعاملات المالية المختلفة.

٢- ما بعد ظهور علم الاجتماع الاقتصادى :

بعد ظهور علم الاجتماع الاقتصادى، وتطور علم الاجتماع ككل، ظهرت مجموعة من المدارس السوسيولوجية التى أهتمت بدراسة النظام الاقتصادى، ويمكن تصنيف هذه المدارس إلى تقسيمات فرعية، لتوضح طبيعة الاهتمام السوسيولوجى بدراسة هذا النظام[١]:

أ- اسهامات المدرسة السوسيولوجية الأوروبية التقليدية :

ويندرج تحت اسهامات هذه المدرسة تصورات عدد من رواد علم الاجتماع التقليدى الأوروبيين وهم ماكس فيبر، واميل دوركايم، وهربرت سبنسر، ويمكن الاشارة إلى اسهاماتهم بصورة مختصرة جداً كما يلى :

١ - ماكس فيبر M. Weber :

وضع فيبر مؤلفاً هاماً وهو ' تاريخ الاقتصاد العام ' الذى يعد من أهم الكتب السوسيولوجية الاقتصادية التى يهتم بها علماء الاقتصاد والاجتماع والسياسة. ولقد تناول فيبر طبيعة العلاقة المتبادلة بين النظام الاقتصادى ومجموعة النظم الاجتماعية الأخرى. كما أهتم بدراسة أصحاب العمل ورأس المال، ونشأة التنظيمات والاتحادات الزراعية، والمهنية والتجارية والصناعية. كما ناقش المشكلات التى تواجه النشاط الاقتصادى فى المانيا وغيرها من المجتمعات الأوروبية سواء فى القطاع الزراعى أو الصناعى أو التجارى. واهتم بدراسة نظام الملكية Property System، ونوعية الجماعات الاجتماعية ونشأة انماط الاقتصاد المختلفة مثل الاقتصاد التقليدى والعائلى والاشتراكى والرأسمالى. واهتم بدراسة نظم تقسيم العمل، والضرائب، والمكانة الاقتصادية والاجتماعية للفئات المهنية، وأنماط النشاط الاقتصادى الذى ظهر قبل ظهور المجتمعات الرأسمالية، وأيضاً نوعية النشاط الاقتصادى المتغير فى مرحلة

(١) جاء هذا التقسيم حسب تصور الباحث وتحليله للتراث السوسيولوجى فى مجال علم الاجتماع الاقتصادى.

المجتمع الصناعي. وعالج أيضاً، عمليات التبادل، والاحتكار، والسلوك الاخلاقي الإنساني للفئات العاملة، واخلاقيات المهنة، ودورة رأس المال والأرباح، والانتاج، وهذا ما جاء في أحد مؤلفاته الهامة حول نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي(١) The Theory of Social and Economic Organization، لتضيف أبعاداً أخرى حول معالجته للنظم الاجتماعية وعلاقتها بالنظام الاقتصادي.

٢ - اميل دوركايم E. Durkheim :

جاءت تحليلات دوركايم عن النظام الاقتصادي في إطار طرحه لنظريته المعروفة عن التضامن الاجتماعي Social Solidarity، ويعتبر كتابه عن ' تقسيم العمل في المجتمع The Division of Labour in Society '(٢) أحد الاسهامات السوسيولوجية المميزة لدوركايم والذي ناقش فيها التطور التاريخي لتقسيم العمل، ودراسة التطور والتغير، الذي طرأ على النظام الاقتصادي وزيادة التخصص والتنوع المهني. كما ناقش أيضاً، نوعية هذا النظام في المجتمعات العضوية التقليدية، والمجتمعات الآلية الحديثة، وموضحاً طبيعة التغير الاقتصادي، الذي أدى إلى تغير شبكة العلاقات الاجتماعية وتعقدها في المجتمعات الحديثة. كما عالج دوركايم عمليات التبادل والانتاج الصناعي، والانتاج الاستهلاكي والأجور والدخل والمساواة. فضلاً عن تحليله للنظام الاقتصادي في المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية ونوعية الملكية والتعاقد.

٣ - هربرت سبنسر H. Spencer :

ركز سبنسر على دراسة النظام الاقتصادي عندما حلل طبيعة النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري الذي كان موجوداً في المجتمعات التقليدية الاقطاعية والمجتمعات الصناعية الرأسمالية كما أعطى اهتماماً ملحوظاً بطبيعة الأنساق التعاونية والاجبارية التي كانت تتسم بها طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية عامة في كلاً من المجتمعين. وحاول أن يوضح طبيعة النشاط الاقتصادي القائم على الاكتفاء الذاتي، أو ما يعرف بالاقتصاد العائلي الذي كان موجوداً في المجتمعات التقليدية، في مقابل ذلك عالج النظام الاقتصادي التنافسي Competitive Economy، الذي ظهر في

---

(١) للمزيد من التفاصيل إرجع إلى :

Weber, M, The Theory of Social and Economic Organization, (Trans. By A. Henderson & Parsons), N. Y: Oxford Univ. Press, 1969.

(٢) للمزيد من التفاصيل أنظر :

Durkeim, E, The Division of Labour in Society, (Trans. By: G. Simpson), N. Y, The Free Press, 1968.

المجتمعات الصناعية. كما سعى لدراسة العلاقة بين الاقتصاد أو النظام الاقتصادى والدولة، وهذا ما تتسم به كتابات المدرسة البريطانية انطلاقاً من أفكار آدم سميث A. Smith. ومن ناحية أخرى، عالج سبنسر قضايا اقتصادية هامة مثل عملية المفاوضات والتبادل، والملكية، والأجور، والعمل، والأرباح.

٤ - كارل ماركس K. Marx :

عالج ماركس النظام الاقتصادى فى ضوء تحليله للصراع الطبقى الذى كان موجوداً فى المجتمعات الرأسمالية. كما سعى ماركس ليدرس تطور النظم الاقتصادية التى كانت موجودة فى المجتمعات البشرية السابقة على ظهور الرأسمالية. وأكد أن طبيعة نظام الملكية الخاصة تؤدى إلى حدوث كثير من أنماط الصراع بين الطبقات التى تملك وسائل الانتاج وبين الطبقات المحرومة أو الفقيرة. ولقد طور آراء ماركس زميله انجلز وسعيا لتحليل النظام الاقتصادى فى ضوء العلاقة المتبادلة بين هذا النظام وبقية النظم الاجتماعية الأخرى. هذا ما جعلنا نميز بين البناءات التحتية والبناءات الفوقية، كما أن البناءات الأخيرة التى تشمل كل من الأفكار والمعتقدات والتصورات الايديولوجية لطبيعة الحياة الاجتماعية من شأنها أن توجه البناءات التحتية وتمتلكها. كما جاءت تحليلاته حول رأس المال، والأجور، والأرباح، وساعات العمل، والملكية، والنقود وغير ذلك من تحليلات هامة تندرج تحت اسهامات ماركس حول النظام الاقتصادى.

ب - اسهامات المدرسة السوسيولوجية الأوروبية التقليدية :

ويندرج تحت اسهامات هذه المدرسة كتابات عدد من علماء الاجتماع البارزين وهم جورج سيمل، وفلفريدو باريتو، وثورستاين فيبلن، ويمكن الإشارة إلى تحليلاتهم للنظام الاقتصادى كما يلى :

١ - جورج سيمل G. Simmel :

يعد سيمل من علماء الاجتماع البارزين الذين اهتموا بدراسة النظام الاقتصادى، وهذا ما يتبلور عموماً فى أحد مؤلفاته الهامة عن فلسفة النقود The Philosophy of Money، الذى ناقش فيه قضية التبادل الاقتصادى، واعتبرها من أهم أشكال التفاعل الاجتماعى Social Interaction. وحاول أن يوضح صورة سوسيولوجية، لكيفية تغير أساليب المقايضة والتبادل طبقاً للنظام الاجتماعى والقرابى العائلى، ونوعية العلاقات الاجتماعية المتغيرة، كما ركز سميل على بعد التكنولوجيا Technology وتأثيرها على تنوع عمليات الانتاج المادية والاقتصادية والاستهلاكية.

٢ - فلفريدو باريتو V. Parito :

كان باريتو عالماً اقتصادياً اهتم بدراسة الاقتصاد لمدة لا تقل عن عشرين عاماً وركز بعد ذلك على دراسة العلوم الرياضية والطبيعية. ثم اهتم بدراسة علم الاجتماع وهذا ما جعله ينتمي إلى مدرسة عالم الاقتصاد والراس Walras وخاصة تميزه بالمنهج الرياضي. وهذا ما جعله يهتم بالنظام الاقتصادي كما جاء في كتابه العقل والمجتمع The Mind and Society، وحاول أن يدرس عموماً السلوك الاجتماعي والاقتصادي العقلاني Rational وتميز عن السلوك غير العقلاني Irrational، موضحاً الأسباب التي تؤدي بالإنسان ليسلك أياً من السلوكين. ويضيف كتابه عن فيم الاقتصاد السياسي، أحد الاسهامات المميزة التي ناقش فيها للنظام الاقتصادي وربطه بالمتغيرات الاجتماعية المتعددة، ولاسيما مناقشته لفكرة التقدم الانساني، وتحليله لكل من النظام الاقتصادي والاشتراكي والرأسمالي، من خلال تركيزه على قضايا مثل الطبقة الاجتماعية، وهناك من يصنف باريتو بأنه مؤسس علم اقتصاد الرفاهية الجديد New Welfare Economic.

٣ - ثورستاين فبلن T. Veblen :

ركز فبلن على دراسة التنظيم الصناعي الحديث، وربط افكاره بتحليلات المدرسة المؤسساتية Institutional School، التي أسسها مجموعة من علماء الاقتصاد البارزين والتي اسهمت عموماً بدراسة العلاقة المتبادلة بين النظام الاقتصادي والاجتماعي. واهتم فبلن بدراسة عصر الاحتكار Age of Monopoly، ونوعية المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي جاءت نتيجة للتغير الاقتصادي والاجتماعي. ثم حاول أن يطرح عدداً من الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، أو ما يسمي عموماً بالمدخل الاصلاحي، الذي اتسمت به المدرسة المؤسساتية، التي ينتمي إليها فبلن. ووضع فبلن نظرية هامة حول الطبقة العامة، وذلك من خلال مناقشته للطبقات الرأسمالية المالكة والتي لم تشارك في العمل الانتاجي إلا عن طريق امتلاكها رؤوس الأموال. كما وضع نظرية عن مشروع العمل، والعلاقة بين المنتجين والتجار والمستهلكين عامة. علاوة على أن تصوراته حول التكنولوجيا تعد اسهاماً مميزاً في مجال دراسته السوسيولوجية والاقتصادية معاً.

جـ - اسهامات المدرسة السوسيولوجية الأوروبية الحديثة :

يندرج تحت إسهامات هذه المدرسة جهود علماء علم الاجتماع الاقتصادي البارزين من أمثال جوزيف شومبيتر، وجون ميردال، واسهامات المدرسة الفرنسية الحديثة مثل مارسيل موس، وفرنسوا بسميان، وفرنسوا بيرو وهنري أوجاك[١].

(١) سنكتفي هنا بعرض أفكار شومبيتر وميردال وللمزيد من التفاصيل عن المدرسة الفرنسية أنظر :
- عبدالله محمد عبدالرحمن، علم الاجتماع الاقتصادي، جـ ٢، مرجع سابق، الفصل ١٢.

١ - جوزيف شومبيتر G. Schompeter :

جاءت اهتمامات هذا العالم أولاً كعالم اقتصاد ثم اهتم بعد ذلك بعلم الاجتماع، وليؤسس علم الاجتماع الاقتصادى، ويوضح مدى تقارب وجهات نظر علماء الاقتصاد والاجتماع حول مناقشتهم للنظام الاجتماعى والاقتصادى. ولقد عالج شومبيتر العديد من القضايا السوسيولوجية والاقتصادية ووضح كيفية الاهتمام بهما لدراسة النظم الاجتماعية والاقتصادية معاً. كما ناقش الأفكار الاقتصادية الكلاسيكية، وركز على تحليل قضية الرأسمالية والامبريالية، والطبقات الاجتماعية، والاشتراكية، والضرائب، والأجور والاختراعات التكنولوجية، ودور المنظم أو الملتزم الذى يسهم فى عمليات الانتاج والاستثمار والمخطط لهما. ثم اهتم شومبيتر أيضاً بدراسة التنمية الاقتصادية، ولاسيما فى الدول النامية خاصة وأنه سعى لدراسة أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى العديد من الدول النامية مثل مصر والمكسيك ومالطة.

٢ - جونار ميردال J. Myrdal :

ينتمى ميردال إلى مدرسة استكهولم Stockholm School فى علم الاجتماع الاقتصادى، وكان عالماً اقتصادياً وجاءت تصوراته حسب تصورات المدرسة التى ينتمى إليها للرد على آراء المدرسة الاقتصادية البريطانية التى تتزعمها كل من مارشال وديننز. كما جاءت تصورات ميردال لتؤكد على ضرورة اعادة تحليل المفاهيم الاقتصادية الكلاسيكية والتى انبثقت من تصورات سميث وسياسة عدم التدخل وفكرة التوازن وغيرها. كما جاءت تصوراته الاقتصادية لتؤكد على دراسة الواقع الاقتصادى فى المجتمعات النامية والتى شملت مصر والعديد من دول جنوب وجنوب شرق آسيا. وتناول ميردال قضايا هامة، مثل قضية الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة، وقصور النظرية الاقتصادية الغربية عند معالجتها لواقع الدول النامية، وأيضاً السياسات القومية، وعمليات التخطيط للتنمية الاقتصادية ولاسيما فى الدول النامية. كما أهتم ميردال بطبيعة التجارة الدولية، والهجرة العالمية، والروابط الاقتصادية العالمية.

د - اسهامات المدرسة السوسيولوجية الأمريكية الحديثة :

تجئ إسهامات هذه المدرسة فى إطار جهور عدد من علماء الاجتماع الأمريكى من أمثال أصحاب مدرسة شيكاغو مثل وليم اوجبرن وايفرت هيجيز، وأيضاً كتابات كل من كارل بوليتى، وبارسونز ونيل سملسر. ونعرض لأهم تصورات هذه المدرسة بصورة موجزة، ولاسيما مناقشتها للنظام الاقتصادى.

١ - وليم اوجبرن W. Ogburn :

جاءت كتابات اوجبرن عن النظام الاقتصادى فى ضوء تحليله لبناءات والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى وجدت فى المجتمع الأمريكى بعد

الحرب العالمية الأولى. وجاءت تحليلاته ومناقشاته لميزانية الأسرة Family Budget، ومستويات الأسعار وعدد السكان والنمو الاقتصادى ومستويات المعيشة وغير ذلك من قضايا شغلت اهتمامه من الناحية الاجتماعية والاقتصادية. كما جاءت حول الفجوة الثقافية والتباين بين معدلات التغير المادى واللامادى. كما أهتم بدراسة الاختراعات التكنولوجية وتأثيرها على تغير نمط الحياة والنظم الاقتصادية والاجتماعية. كما تناول قضايا مثل الاستثمار المالى، ونظم البيع بالتقسيط وغير ذلك من قضايا تندرج تحت تحليله للنظام الاقتصادى.

٢ - ايفارت هيجز E. Hughes :

اهتم هيجز بدراسة عدد من الظواهر والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ولاسيما تركيزه على العلاقة بين التطور والتغير فى نظم العمل والانتاج والنشاط الاقتصادى. كما عالج كيفية تطور ونمو المؤسسات والمشروعات الصناعية والانتاجية، والعلاقة بين العمل والشخصية الفردية. وحاول أن يضع أسس ما يعرف بسوسيولوجية المهن Sociology of Occupations. كما ناقش عمليات التحول فى النظم الاقتصادية، وطبيعة التحول المهني أو ظهور تقسيم العمل والتخصص أو التحول نحو احتراف المهن. كما ناقش عموماً عمليات الحراك الاقتصادى والاجتماعى والمهنى وذلك فى ضوء مناقشاته لمشكلة التحديث والتنمية الاقتصادية.

٣ - كارل بولينى K. Polanyi :

اهتم بولينى بدراسته للنظم الاقتصادية الموجودة فى المجتمعات الرأسمالية ومقارنتها بطبيعة مثيلاتها للامبراطوريات المبكرة، وهذا ما جاء فى تحليلاته حول نظم التجارة وطبيعة الأسواق والأسعار. وعموماً، جاءت تصورات بولينى لتركز على عدة قضايا هامة تتمثل فى، العلاقة المتبادلة بين الاقتصاد والمجتمع، ودراسته لقضية السوق كأحد الميكانيزمات الهامة فى المجتمع الرأسمالى. وتصوراته حول النظرية الاقتصادية الكلاسيكية. كما جاءت تحليلاته حول عملية التكامل الاقتصادية، لتضيف أبعاداً سوسيولوجية واقتصادية هامة لتحديث آراء العديد من علماء الاجتماع الاقتصادى غير المحدثين.

٤ - بارسونز Parsons & سملسر Smeleser :

تتميز كتابات هذين العالمين بأن الأول ينتمى إلى المدرسة السوسيولوجية الأمريكية ويعتبر رائدها الأول، أما الثانى فهو عالم اقتصاد تحول باهتماماته إلى مجال علم الاجتماع الاقتصادى كغيره من العلماء الاقتصاديين العديدين. ولقد جمعت تصورات بارسونز مع سملسر لتضع مؤلفاً هاماً وهو الاقتصاد والمجتمع

Economic and Society، وسعيا فيه لمناقشة العديد من القضايا الهامة ونم أهم الموضوعات التى أهتم بها كل من بارسونز وزميله مثل[1]:

١- دراسة علاقة الاقتصاد بالمجتمع.
٢- دراسة التكاليف والرفاهية.
٣- الثقافة والملكية والنظام الاقتصادى.
٤- البناء المؤسساتى للأسواق.
٥- بعض العمليات الاقتصادية مثل (الدورات التجارية، الاستهلاك، الاستثمار).
٦- النمو والتغير الاقتصادى.
٧- النظرية الاقتصادية وعلاقتها بالنظرية العامة للأنساق الاجتماعية.

حقيقة، يصعب علينا حالياً تحليل هذه القضايا التى تعكس مدى اهتمام علماء الاجتماع بدراسة النظام الاقتصادى، كما جاءت على سبيل المثال فى التحليلات السوسيولوجية السابقة. التى ظهرت فى اطار مجموعة من المدارس السوسيولوجية سواء كانت أوروبية أو أمريكية، كما سعينا لوضع تصنيف لها حتى يسهل التعرف من قبل القارئ، على هذا التراث الأول فى مجال علم الاجتماع الاقتصادى، ومحاولة اعطاء خلفية مبسطة لمدى سعى علم الاجتماع عامة بدراسة الظواهر والمشكلات والقضايا الاقتصادية. علاوة على ذلك، هناك الكثير من القضايا التى تندرج تحت مجال اسهامات علم الاجتماع فى دراسة النظام الاقتصادى مثل دراسة عمليات الملكية والانتاج، ونقل التكنولوجيا، والشركات العالمية، والديون والاستثمار، والأسواق، واقتصاديات الدول النامية، وطبيعة النظام الاقتصادى العالمى الجديد وغيرها من الموضوعات التى تعكس مدى أهمية دراسة النظام الاقتصادى فى ضوء دراسة النظم الاجتماعية الأخرى.

ثانياً : الملكية :

جاءت تحليلات علماء الاجتماع حول النظام الاقتصادى لتوضح مدى اهتمامها بالعديد من مكونات هذا النظام، وهذا ما ظهر فى تصورات علماء الاجتماع الاقتصادى عندما ناقشوا كثير من القضايا والظواهر الاقتصادية التى توجد فى المجتمع. كما مكنت النظريات السوسيولوجية والمداخل المنهجية التحليلية المقارنة من مساعدة علماء الاجتماع فى دراسة الظواهر الاقتصادية وتتبعها من

---

(١) للمزيد من التفاصيل إرجع إلى
- المرجع السابق، الفصل ١٣.

الناحية التاريخية لمعرفة التغيرات التى حدثت عليها نتيجة لمجموعة عوامل التغير الشامل التى حدثت على كل من بناءات ونظم ومؤسسات المجتمع.

وانطلاقاً من اهتماماتنا الحالية بدراسة نظم الملكية Property System وكيف اهتم بدراستها علماء الاجتماع ومن خلال استخدامهم للمداخل المقارنة، ولمعرفة النشأة التطورية التى تظهر على أنماط وأنواع الملكية فى العصر الحديث. ولقد سعى بعض العلماء من مثل سيشتر برنارد C. Barnard(1) من تعريف الملكية باعتبارها "نوع من نظم التوزيع Exchange System ذات الشكل الثابت. كما تعرف بأنها حيازة الأشياء التى يمكن تسميتها بالممتلكات". أو أنها "الحق فى امتلاك أنساق معينة لشئ ما امتلاكاً خاصاً بحيث لا يشاركه غيره فى هذا الحق" كما توصف الملكية أيضاً بأنها مجموعة من الحقوق والواجبات تحدد العلاقة بين الأفراد أو الجماعات فيما يتعلق بتحكمهم فى الأشياء المادية أو فى الأشخاص منظوراً إليهم على أنهم أشياء"(٢).

كما اهتم علماء الاجتماع والانثربولوجيا بدراسة أنماط الملكية وبوضع تصنيفات حولها سواءاً كانت ملكية عامة أم خاصة وهذا التصنيف يعتبر أكثر التصنيفات شيوعاً للملكية لدى أفراد الجماعة بحيث لا ينسب إلى الفرد أى نوع من ملكية الأشياء. بل ان الفرد ذاته كان شيئاً مملوكاً للحياة الجمعية، وهذا ما حدده دوركايم عند دراسة أنماط الملكية وتزعم النزعة الجمعية فى الرد على الملكية الخاصة وذلك عند مناقشته لرغبة الأفراد أم المجتمع ليعيش فى تنظيم واحد وهو الدولة. أما الملكية الخاصة كما حددها هوبهاوس(٣) بأنها رغبة للفرد فى التملك أو الانتفاع بالأشياء له دون غيره، وإن كان له حرية التصرف فيها سواء بالبيع أو التنازل أو غير ذلك من القواعد المتعارف عليها فى المجتمع.

كما اهتم علماء الاجتماع والأنثربولوجيا بدراسة كيف ظهرت الرغبة فى التملك، حيث جاءت هذه الرغبة نتيجة لسد حاجات الانسان الأساسية من الغذاء، والملكبس والمسكن. ومن ثم، فان عملية الامتلاك فى أبسط صورها جاءت نتيجة لرغبة الفرد فى سد حاجاته الاستهلاكية. وهذا ما نشاهده فى عالم الأطفال ومدى

---

(١) Barnard, C, The Function of Exchange, Cambrdge, Harverd Univ. Press, 1937, P. 123.

(٢) موريس جنيزبرج، علم الاجتماع، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، دار السعد للطباعة والنشر، (بدون سنة)، ص ٢-٩.

ورد هذين التعريفين فى المرجع التالى :

- عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٤٦٨.

(٣) أنظر المرجع التالى، بوتومور، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٩١.

استحواذ الطفل وامتلاكه شيئاً ما ثم يرفض أن يرجعه ثانيةً. ومع تطور الاقتصاد عبر العصور التاريخية، وحدوث ما يعرف بالاقتصاد الوفير، بدأ الإنسان يفكر في عملية تداول الأشياء التى يمتلكها وذلك رغبة منه فى امتلاك أشياء أخرى لسد حاجاته. وهذا ما أدى إلى حدوث فكرة رأس المال ذاتها. وهذه الثروة المتوفرة التى يمكن استخدامها لانتاج ثروات جديدة.

ولقد تطورت الملكية بتطور النظم القانونية والاجتماعية وهذا يظهر عندما تحدد طبيعة الملكية وهى رغبة الفرد فى امتلاك شيئاً ما. ومن ثم فإن الوضع أو القطاع القانونى Legal System، هو الذى يحدد مدى شرعية امتلاكه للشئ أم لا، وهل هذا الامتلاك امتلاكاً خاصاً أم يشاركه فيه أحد من الأفراد أو الجماعات أو المجتمع ككل؟ ولقد جاءت الملكية فى صور متعددة مثل ملكية الملبس، والمسكن، والغذاء، وهذا ما حدد طبيعة الملكية الفردية والجميعة أو المجتمعية. كما جاءت النظم الاجتماعية تحدد فى نفس الوقت طبيعة الملكية وأشكالها، وهذا ما ظهر من نظام الوراثة للملكية، وتحديدها بصورة عامة عن طريق النظام والعقيدة الدينية Religious System.

وتعكس الملكية مدى ارتباطها بالنظام القانونى، والاجتماعى، والدينى وهذا يفسر طبيعة العلاقة المتداخلة بين النظم الاجماعية منذ القدم. فطبيعة الملكية ونظام دفن الموتى وملكية الموتى ودفن متاعهم وأشيائهم معهم فى قبورهم أو معابدهم، إنما يفسر طبيعة النسق الدينى المعقد الذى يفسر عملية حياة الخلود والحياة بعد الممات، والنظام الاقتصادى والسياسى والدينى فى ملكية وضع الجثث فى القبور. فهى نوع من الملكية التى لا تزال توجد فى الوقت الراهن. علاوة على ذلك، لقد حددت الملكية من قبل الأديان السماوية، نظراً لمعرفة الله سبحانه وتعالى طبيعة صراع الإنسان، وأنانيته المستمرة ولهذا حددت الشرائع السماوية بدون استثناء طبيعة الملكية والميراث بصورة واضحة ومحددة.

ومع نمو النظم الاقتصادية تتطور نظم وأنساق الملكية، مع ظهور المجتمع الرأسمالى، وخلال فترة الانتقال من المجتمعات الاقطاعية إلى الرأسمالية، ويعتبر نظام الملكية أو اقتصاد العائلة إلى اقتصاد الدولة أو ما يعرف باقتصاد الوفرة. وتعدد المؤسسات الاقتصادية التى عملت على توسيع النشاط الاقتصادى والتجارى مثل ظهور البنوك والنقود، وثم تعتبر أنماط التبادل والتعامل والتعاقد والتوزيع والاستهلاك وغيرها من انماط واشكال العلاقات والنظم الاقتصادية. فلقد ظهرت الاتحادات المهنية للتجار وتطورت طبيعة امتلاك الاشياء. وظهر صراع ايديولوجى حول الملكية سواء اكانت ملكية شيوعية أم ملكية فردية رأسمالية. وطبقاً

لهذا الصراع الايديولوجى تم انقسام العالم سياسياً واقتصادياً وفكرياً، حول مفهوم الملكية لتصبح الدول اشتراكية أو دول شيوعية وتحرم الملكية الفردية. أو دول تتبنى حرية الملكية للفرد كنوع من مجموعة الحريات الطبيعية الى يجب ان يحميها المجتمع والدولة بكافة الوسائل. بإيجاز، ان دراسة الملكية كنظام اجتماعى وسياسى واقتصادى أمراً ضرورى لا يمكن فهمه على انه شبه مجرداً، بقدر ما يعتبر نسقاً اجتماعياً، ظهر وتطور واختلفت مظاهره ونتائجه حسب المجتمع الذى وجد فيه.

ثالثاً: عوامل الانتاج:

ركز علماء الاقتصاد والاجتماع على اهمية دراسة عملية الانتاج وعواملها المختلفة ولا سيما ان طبيعة الانتاج وزيادة كميته ادت إلى حدوث اقتضاء الوفره ونمو رأس المال وزيادة النشاط التجارى والصناعى. كما ترتب على ذلك العديد من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية أو ما يطلق عليها ايضاً بعلاقات العمل والانتاج. فعن طريق دراسة الانتاج يمكن ايضاً ان نتعرف على انماط الملكية، وطريقة المشروعات الاقتصادية والتجارية علاوة على معرفة الصراع بين اصحاب العمل والعمال، وغير ذلك من قضايا متعددة مثل الارباح، والاجور، وساعات العمل، وظروف العمل، وغير ذلك من موضوعات متنوعة تندرج جميعها تحت دراسة النظام الاقتصادى وان كان ذلك يؤكد ايضاً، على انه من الصعوبة فهم هذه الموضوعات والظواهر أو العمليات الاقتصادية، دون الاهتمام بمعرفة العلاقة المتداخلة بين النظام الاقتصادى ككل، وبين النظم الاجتماعية الأخرى ككل.

ولقد اهتم علماء الاجتماع الاقتصادى وعلم الاجتماع الصناعى كغيرهم من المتخصصين فى علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الاخرى، بضرورة دراسة عدد من العوامل التى يمكن ان يطلق عليها بعوامل الانتاج ومن اهم هذه العوامل:

١- رأس المال The Capital:

يعتبر رأس المال من اهم العوامل التى تؤدى إلى الانتاج ويعتبر من اهم عناصره الاساسية، وتعكس تحليلات علماء الاقتصادى التقليدى والحديث مدى اهمية رأس المال فى أقامة المشروعات الصناعية والتجارية أو الانتاجية عامة. كما أصبحت المشروعات الصناعية التى تقوم على التكنولوجيا المتقدمة يطلق عليها مشروعات رأس المال الملكية The Capital Intensive، والتى تستخدم انماط من التكنولوجية المتقدمة أو المتوسطة. اما استخدام انماط من التكنولوجيا البسيطة أو الاعتماد على العمالة الكثيرة يطلق عليها Labour Intensive (تكثيف العمالة). بإيجاز ان رأس المال يعتبر من الدول على الهامة التى تؤدى إلى اقامة المشروعات الاقتصادية.

٢- المواد الخام Rowmatevial:

يطلق على المواد الخام جميع الموارد الطبيعية، التى يمكن الحصول عليها من الطبيعة أو تكون مواد انتاجية شبه مصنعه أو معدة للانتاج. وتشمل ذلك الموارد الاقتصادية الطبيعة من مواد اولية أو خامة مثل الكهرباء والبترول والطاقة النووية وغيرها. كما قد لا يشترط وجود الموارد الطبيعة أو المواد الخام فى البلد المنتج، حيث يمكن استيراد هذه الموارد وتصنيعها فى البلد المنتج الاصلى، أو فى الشركات الصناعية التابعة للبلد أو الشركة المنتجه. وهذا ما حدث بالنسبة لليابان، معظم مواردها الطبيعية والطاقة تستورد من الخارج، وبين تصنيعها داخل اليابان أو فى المصانع شركاتها فى البلدان الاخرى. وتعتبر الموارد الخام مصدرة للصراع بين الدول كما حدث فى احتلال الدول المستقرة للدول الأخرى (ودول الجنوب) خلال القرنين الماضين.

٣- الايدى العاملة Labour:

تعتبر الايدى العاملة من العناصر الاساسية للعملية الانتاجية وكما يتصورها الكثير من علماء الاقتصاد والاجتماع، على نوع من أهم العناصر المكونه لانتاج خاصة العمالة الماهرة Skilled Labour، التى تستخدم التكنولوجيا المتقدمة، وما تتطلبه العملية الانتاجية ومراحلها المختلفة من التكنولوجيا اللازمة. ولقد تقدمت كثير من الدول الصناعية المتقدمة نتيجة لما لديها من وفرة فى مهارات العمل والقوى العاملة المدربة. وهذا ما حدث فى الدول الاوربيه واليابان والعالم الغربى. كما ان النهضه الصناعية التى ظهرت - فى دول شرق وجنوب شرق اسيا مثل كوريا، وهونج كونج، وتابوان وسنغافورة وغيرها من دول (الاسيان) قد تطورت فى المجال الاقتصادى والصناعى نتيجة لما لديها من قدرة عاملة مهرة.

٤- التكنولوجيا Technology:

تعتبر التكنولوجيا الأداة التى عن طريقها تقوم العمالة بعملية الانتاج، وتتمثل التكنولوجيا فى استخدام الالات المتقدمة للعملية الانتاجية. وتعد التكنولوجيا وإقتنائها نوع من الصراع العالمى وتحقيق التقدم الاقتصادى والصناعى. كما ان قوة رأس المال، وكثافتها تستطيع أن تستخدم انماط معينة من التكنولوجيا التى تجعلها لديها القدرة على المنافسة، وانتاج سلع وبضائع عالية الجودة. وتكشف طبيعة الصراع بين الدول على امتلاك التكنولوجيا لانتاج بضائع عالية الجودة، والحصول على العلاقات المميزة مثل الايزو وغيرها، يدل على طبيعة المناقشة على انتاج سلع عالية الجودة حتى يكتب لها الاستمرار والمناقشة فى السوق العالمى.

٥- الادارة Managment:

ان العملية الانتاجية عملية صعبة، وتطلب نوع من الادارة التى تعمل على الاعداد للمشروعات الانتاجية واختيارها، ودراسة السوق ومعرفة الجدوى والعائد الاقتصادى منها. كما تعمل الادارة الجيدة على نجاح المشروعات مقدرتها على المناقشة فى السوق المحلى والقومى والعالمى. ومن ثم، اصبحت الادارة عنصراً هاماً لتحقيق الارباح والعمل على ادارة المشروعات والقدرة على المناقشة، والعمل على التخطيط والتسويق وتحسين ظروف الانتاج بصورة مستمرة، والعمل على صيانة الآلات والتكنولوجيا اقتضاء المزيد والتقدم منها. بإيجاز، ان نجاح المشروعات الانتاجية والاقتصادية يرجع جزء كبير منه إلى نوعية الادارة واستراتيجيتها فى العملية الادارية، وهذا ما أدى إلى فشل القطاع العام المصرى خلال السنوات الماضية، نتيجة لسوء الادارة وتحويله إلى القطاع الخاص ولتغيير الادارة كما جاءت عمليات التحويل ضمن متطلبات النظام الاقتصادى العالمى.

٦- الملتزم أو المنظم The Entrepreneur:

يقصد بهذا المنظم أو المنسق للعمليات الانتاجية أو انشاء المشروعات الصناعيةى والتجارية. وجود الفرد أو مجموعة الافراد أو الشركات التى تسعى لخلق المشروعات وانشائها، ويتم ذلك عن طريق التنسيق بين اصحاب رأس المال والفئات المهنية أو اصحاب المشروعات الصناعية. وتعتبر دراسات العالم الاقتصادى الاجتماعى شومبيتر Schumpeter وتحليلات ماكس فيبر M. Weber، من اهم التحليلات التى ركزت على دور هذه الفئة من الناس التى لديها نوع من الابداع والاختراع والاعداد والتنسيق بين قوى الانتاج لاقامة المشروعات ويطلق احياناً على هذه الفئة فئة المبدعين الاقتصادين، الذين لديهم القدرة لاعداد وإقامة المشروعات والقادرة على الربح والاستثمار الجيد.

٧- المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والمرافق:

لا يمكن ان تتم العملية الانتاجية فى اى بلد من بلدان العالم، دون معرفة طبيعة النظام الاقتصادى ونوعية المؤسسات الاقتصادية فيه، ومن اهم هذه المؤسسات وجود البنوك والشركات التجارية، التى تقوم بتسهيل الخدمات المالية. كما ان وجود المرافق المختلفة مثل الطرق، والمواصلات والاتصالات وغيرها من شأنها ان تؤثر على العملية الانتاجية، وخلق الجو المناسب للعمليات الانتاجية والاستثمارية والاقتصادية عموماً. كما ان هناك ايضاً مجموعة أخرى من العوامل المساعدة وهى استقرار الحياة السياسية والاقتصادية، ونوعية التشريعات التى تشجع على العمل والانتاج والربح والاستثمار.

٨- الاسواق Markets:

تعتبر الاسواق من عناصر المساعدة على الانتاج وخاصة ان عملية الانتاج تستلزم نوع من التوزيع للمنتوجات أى كان نوعا. ولهذا تسعى الشركات الاقتصادية والصناعية الكبرى ان تقوم بعمليات الاستثمار الانتاجي فى اى قطاع من القطاعات وذلك بعد دراسة متغير الاسواق ومعرفة العرض والطلب والقيام بعمليات دراسات الجدوى اللازمة مثل حدوث الاستثمار. كما ان وجود الاسواق الكبرى يعتبر عامل قوى لزيادة الانتاجية، والسعى إلى تحسين الجودة والقدرة على المناقشة فى الاسواق يعتبر امراً ضرورياً للقضاء والاستمرار فى الانتاج بصورة كلية. وتلعب الشركات العالمية متعددة الجنسيات دوراً قوياً، فى غزوها للاسواق العالمية عن طريق انتاجها المتنوع، والذى يركز على معرفة اذواق المستهلكين، ولديهم (الشركات العالمية) القدرة على استخدام ومسائل الاعلان والدعاية اللازمة لتسويق انتاجها فى مكان من العالم. وذلك نتيجة لدراستها لمكونات العملية الانتاجية بما فيها طبيعة الاستهلاك والتوزيع وطبيعة الاسواق المحلية والعالمية لاستيعاب الانتاج.

رابعاً: نقل التكنولوجيا Technology Trouster:

يقصد بعملية نقل التكنولوجيا هى انتقال جميع أنماط المعرفة التكنولوجية Technological Knoweldge والمهارات Skills وهى عملية نقل المعرفة التى تشمل الالات، وانماط الادارة، والمهارات اللازمة للعمل، والوسائل البيئية اللازمة لعملية الانتاج وجودته وتسويقه. ومن ثم، فان عملية التكنولوجيا لا تتضمن ليس فقط شراء انماط وانواع من التكنولوجيا والأدوات ولكن تشمل كل ما يلزم من العناصر اللازمة للعملية الانتاجية.

ويعكس تحليل التراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع مدى اهتمام علمائه ببعد التكنولوجيا ودورها فى عمليات التغيير والتحديث والتنمية، ومن اهم وسائل عملية نقل التكنولوجيا الشركات متعددة الجنسيات Multinational Corporations ومن أهم المظاهر الجديدة لنقل التكنولوجيا على سبيل المثال:

١- العمليات أو المشروعات الجاهزة.

٢- اتفاقات منح التراخيص للانتاج أو التمثيل بموجب اتفاقات محدده.

٣- التعاقد من الباطن.

٤- المشاريع أو المشروعات الاستثمارية المشتركة.

وتوجد مجموعة من المراحل التى تحدد عملية نقل التكنولوجيا وانواعها والتى تقوم فيها الشركات العالمية أو غيرها من وسائل نقل التكنولوجيا للمشروعات

الانتاجية والاقتصادية وهى:
١- مرحلة الاعداد والتخطيط Proposal & Planning stage.
٢- مرحلة تصميم الانتاج Product desing stage.
٣- مرحلة تصميم المصنع وتشيده Plant desing & Contraction.
٤- مرحلة بدء الانتاج Start - up the Product stage.
٥- مرحلة القيمة الهندسية Value Engineering stage.
٦- مرحلة تطوير الانتاج Product Development stage.
٧- مرحلة التأمين الخاص External Support stage.

كما ترتبط عملية التكنولوجيا بالكثير من العمليات الاخرى أو المفاهيم مثل التكنولوجيا الملائمة Appropriate Technology، ويقصد بها نوعية الالات والتكنولوجيا الملائمة للبلد الذى يتم فيها عملية الانتاج من حيث استغلال الموارد الطبيعية والبشرية، وبما يتناسب عموماً مع ظروف المجتمع المضيف للتكنولوجيا. وللقدرة على إشباع الحاجات الاساسية، وتطوير عملية التنمية واختيار تكنولوجيا ملائمة للبيئة المحلية.

علاوة على ذلك، ترتبط بعملية نقل التكنولوجيا نوعيتها من حيث تقدم التكنولوجيا وتعقيدها أو تطورها، فالتكنولوجيا الملائمة للبلاد المضيفة تركز على ضرورة استخدام اساليب من التكنولوجيا التى تعمل على توصيف قوى عاملة كثيرة فى حالة وجود وفرة فى الايدى العاملة أو البطالة المكثفه ومن ثم، يتم التفاوض مع الشركات العالمية أو وسائل نقل التكنولوجيا ان تعمل التكنولوجيا الجديدة على استخدام اعداد كبيرة من القوى العاملة المحلية. خاصة، وان معظم الدول النامية تعانى من البطالة بين القوى العاملة بها، ولقد ظهرت تحليلات متعددة حول هذه العملية واثارها على البلدان النامية. هذا بالطبع، ان هناك عمليات من الانتاج أو انتاج صناعات معينة لا يمكن ان يستخدم عمالة كثيفة أو كثيرة مثل عمليات البحث أو انتاج البترول على سبيل المثال.

خامساً: الشركات متعددة الجنسيات:

تعرف الشركات متعددة الجنسيات Multinational Corporations بأنها الشركات الكبرى التى يكون لديها استثمارات فيما وراء البحار أو خارج حدود بلدها الاصلية، وتمتلك اعداد كبيرة من المشروعات والمصانع التابعة لها، لما لديها القدرة على منح التراخيص والاتفاقات التكنولوجية والاستثمارية والانتاجية. كما هناك من يعرف هذه الشركات أو الشركة العالمية بأنها المصنع الذى يقوم بالانتاج خارج الوطن (البلد الام) عن طريق القيام بالاستثمار الاجنبى المباشر، ويشمل نقل التكنولوجيا،

والمعرفة التنظيمية (الادارية)، ورأس المال، والعمل الماهر"[1]. وفى الواقع، ان دراسة تعريفات الشركات العالمية يجب ايضاً ان تحدد نوعية هذه الشركات من حيث نوعيتها وطبيعتها من ناحية الملكية، أو السيطرة أو النشاط أو العمليات التى تقوم بها سواء فى البلد الام أو البلد المصنف لها أو ما يعرف عموماً Home & Host Country.

وجاءت الشركات متعددة الجنسيات مع نهاية القرن التاسع عشر، نتيجة لتطور التجارة وزيادة حركة رأس المال الدولى، ولكن مع بداية القرن الحالى (العشرين) تطورت هذه الشركات بصورة اكثر خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ونتيجة للاستقرار السياسى العالمى، واصبحت هناك مجموعة الدول تسيطر على حجم الاستثمار الاجنبى نتيجة لكثرة حجم عدد شركاتها أو العاملة خارج حدودها. وتسيطر الشركات الامريكية على نصيب كبير من حجم الاستثمار العالمى، ثم الشركات البريطانية، والفرنسية، اليابانية، والالمانية والهولندية، والسويسرية وكندا وغيرها من الدول الاخرى. كما قد ظهرت خلال النصف الاخير من القرن الحالى أو بالتحديد مع نهاية السبعينات عدد من الشركات العالمية التى تنتمى إلى الدول النامية، مثل الشركات الكورية، والارجنتية والبرازيلية، والهندية. هذا بالاضافة إلى ان الاتحاد السوفيتى (سابقاً) كانت لديه مجموعة كبيرة من الشركات العامله بالخارج.

كما ارتبط تراث الشركات العالمية بنوعية التراث السوسيولوجى والاقتصادى وخاصة انها تعمل فى مجال الاقتصاد أو بالتحديد فى التنمية الاقتصادية والصناعية والتجارية التنموية عموماً. ومن هذا المنطلق، سعى عدد كبير من المهتمين بهذه الشركات وضع عدد من النظريات التى تهتم بدراسة هذه الشركات كظاهرة أقتصادية جديدة ولم تعرفها المجتمعات البشرية من قبل. ومن اهم هذه النظريات: نظرية المصنع، ونظرية التحول نحو العالميه، ونظرية التبعية، ونظرية التنمية. ولكل نظرية من هذه النظريات مجموعة من العلماء الذين يحللون طبيعة الوظائف والانشطة التى تقوم بها هذه الشركات فى النظام الاقتصادى فى المجتمع العالمى الحديث. علاوة على ذلك، هناك جدال مستمر حول دور هذه الشركات فى عملية التنمية فى دول العالم الثالث، ولا يزال الفكر الاقتصادى والاجتماعى به كثيراً من الاختلافات حول الدور الحقيقى لهذه الشركات. وبالرغم من المزايا أو الادوار الايجابية الوظيفية التى تؤديها هذه الشركات فى عملية التنمية عموماً، إلا ان هناك كثيراً من الانتقادات التى تواجهها، والتى تتمثل فى ضآلة مساهمتها فى عمليات التنمية، وتسخير السياسات

(١) للمزيد من التفاصيل انظر:

- عبد الله عبد الرحمن، علم الاجتماع الاقتصادى جـ ٢ ص ٥٥٥ – ٥٥٦.

الاقتصادية لمصالحها الذاتية، وخلق جو من المنافسة غير المتكافئة مع الشركات الوطنية، وارغام الدول النامية على قبول شروطها بقوة التفاوض، وتؤدى إلى حدوث النزاع من الفساد الدولى والادارى.

سادساً: اقتصاديات العالم الثالث:

لم تطرح اقتصاديات العالم الثالث على مفكرى وعلماء الاقتصاد والاجتماع الغربيين إلا منذ فترة وجيزة، خاصة وان جهود هؤلاء العلماء كانت موجه لدراسة المجتمعات الرأسمالية الغربية، ومن هذا المنطلق، ظهرت النظريات الاقتصادية والسوسيولوجية لتعالج قضايا ومشكلات المجتمع الرأسمالى الغربى، وتحليل بناءاته ونظمه دون الاهتمام بالدول النامية. إلا اننا نلاحظ من خلال تحليل التراث الاقتصادى والاجتماعى، وفى اثناء الربع الاخير من القرن الحالى، ظهور اهتمامات كبيرة من جانب علماء الدول الغربية لتوجه اهتمامها لدراسة واقع دول العالم الثالث من الناحية النظرية والامبريقية (الميدانية).

وتكشف تحليلات علماء الاقتصاد والاجتماع وعلم الاجتماع الاقتصادى، إلى اقتصاديات الدول النامية بأنها لها مجموعة من الخصائص التى تختلف بالطبع من أقتصاديات الدول المتقدمة. ومن اهم الخصائص التى توصف الاقتصاد فى الدول النامية بأنها اقتصاد متخلف Economic Backwardness. وهذا ما جعل بعض علماء الاجتماع الاقتصادى يسعون لدراسة هذا الاقتصاد تحت ما يسمى بسوسيولوجيا أقتصاديات العالم الثالث Sociology of the Third World Economy. من اهم العلماء الذين عالجوا هذا الاقتصاد من أمثال روستو Rostow، وهيرشمان Hirshman وسلو فيرتارد C. Furtardo، وميردال Myrdal وسترتن Streeten، وجولدتروب Goldthrope وغيرهم آخرون، وبالطبع هناك مجموعة من هؤلاء العلماء وينتمون أصلاً إلى دول العالم الثالث.

ومن أهم الخصائص التى تم مناقشتها بواسطة العلماء لاقتصاديات العالم الثالث وهى:

١- **حجم السكان** - حيث ان اكثر من ٧٥٪ من اجمالى سكان العالم يعيشون فى الدول النامية، كما تتميز هذه الدول بمعدلات من النمو السكانى المضطرد، حيث بلغ المتوسط ٢٥ حالة من المواليد فى الالف، اما معدلات النمو السكانى للمتوسط العالمى ٢,٤٪ فى مقابل ٠,٦٪ فى الدول المتقدمة.

٢- **الدخل القومى والفردى**، يلاحظ أن اكثر من ٨١٪ من اجمالى الناتج القومى GNP، يكون من نصيب الدول المتقدمة فى مقابل ١٩٪ فقط لنصيب الدول النامية. هذا بالرغم من الدول الاخيرة بها اكثر من ٧٥٪ من اجمالى عدد سكان العالم. كما ان نصيب الدخل الفردى فى الدول النامية ضعيف جداً، فلقد بلغ نصيب دخل الفرد فى سويسرا اكثر من ١٥٠ مرة ضعف نصيب دخل الفرد فى اثيوبيا على سبيل المثال.

٣- **الصحة والتعليم**، تظهر مؤشرات العمل والمرض والتعليم مفارقارت كبيرة بين الدول النامية والمتقدمة، مما يؤثر على طبيعة الدول الاولى بالرغم من التحسن التدريجى فى مجال الصحة، كما يتفاوت بينها متوسط العمر الفردى. اما التعليم فبلغ متوسط انفاق الفرد من التعليم فى الدول النامية مقارنة بالدولة المتقدمة بمقدار ١ – ١٨ لصالح الدول الأخيرة. كما بلغت نسبة الامية فى المتوسط ٦٠٪ فى الدول النامية، فى مقابل ١٪ من الدول المتقدمة من اجمالى حجم سكانها.

٤- **التضخم والبطالة**، بلغت معدلات التضخم فى بعض الدول النامية اللاتينيه من ١٠٠ – ٤٠٠٪ ، فى مقابل الدول المتقدمة من ٥ – ٦٪، وبلغت نسبة البطالة فى بعض دول افريقيا أو اسيا إلى اكثر من ٨٠٪ فى مقابل ٧٪ فى الدول المتقدمة، وهذا يعكس كثير من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية.

٥- **الفقر**: يعتبر مؤشر الفقر، ومعرفة السكان الذين تحت خط الفقر والمتعارف عليه اقتصادياً واجتماعياً، ان تقريباً ٥٠٪ من اجمالى سكان قارة اسيا يعيشون تحت هذا الخط وهذا يعكس قلة نصيب دخل الفرد من الناتج القومى. كما بلغت اكثر من ٦٠٪ من عدد دول افريقيا يعيشون تحت خط الفقر فى حين الدول الغنية تتمتع بنصيب كبير من اجمالى الدخل القومى والفردى.

٦- **التصنيع والتجارة الدولية**: لا تزال الدول المتقدمة مهيمنه على اعمال حجم الصناعة العالمية، حيث تسيطر الدول الصناعية (السبع الكبرى) على اكثر من ٧٠٪ من اعمال الصناعات العالمية، كما بلغت حجم احتكار الدول المتعددة اكبر من ٧٥٪ من اجمالى حركة التجارة الدولية.

بإيجاز، تلك اهم المؤشرات أو الخصائص التى تعكس طبيعة أقتصاديات العالم الثالث، هذا بالرغم من ظهور بعض بوادر الأمل والتطلعات من دول العالم الثالث من دول جنوب شرق اسيا (الاسيان) إلا ان الازمات الاقتصادية التى حدثت

خلال العام الحالى ١٩٩٨، توضح مدى هيمنة الدول المتقدمة على النظام الاقتصادى العالمى.

سابعاً: النظام الاقتصادى العالمى:

يكشف تحليل التراث الاقتصادى والسوسيولوجى وعلم الاجتماع الاقتصادى، أن عملية دراسة النظام الاقتصادى لا يمكن دراسته وتحليله فى ضوء علاقته بالنظم الاجتماعية والسياسية والتعليمية أو القانونية التى توجد على المستوى المحلى أو القومى، ولكن ايضاً لابد من دراسة هذا النظام على المستوى العالمى الذى يؤثر على طبيعة الحياة الاقتصادية داخل الدول ذاتها. وهذا ما يوضح عموماً، نوعية التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى يشهد المجتمع العالمى ككل – وهذا ما جعل كثير من علماء الاجتماع الاقتصادى يسعون لدراسة سوسيولوجيا الاقتصاد العالمى محاولين وضع بعض النظريات التى تهتم بدراسة هذا النظام ومدى تأثيره على طبيعة الحياة الفردية والاجتماعية داخل الدول سواء أكانت متقدمة أم نامية.

ونلاحظ ان هناك مجموعة من المؤسسات والمنظمات الاقتصادية التى تؤثر على طبيعة النشاط والحياة الاقتصادية والسياسات الاقتصادية والاجتماعية فى دول العالم ومن اهم هذه المنظمات مثل صندوق النقد الدولى International Monetory Fund (IMF) والبنك الدولى للانشاء والتعمير Wold Bank، اللذان يؤثران على كثير من طبيعة السياسات الاقتصادية القومية والعالمية. وبالطبع، ان هذه المؤسسات والمنظمات لها اهداف معينة تحترم بالطبع مصالح مؤسسيها من الدول المتقدمة على وجهة الخصوص ولتزيد من اساليب هيمنتها وسيطرتها على طبيعة النظام الاقتصادى العالمى.

فى نفس الوقت، ان طبيعة النظام الاقتصادى الذى يعكس أنماط مختلفة من التعاون والتكامل والصراع والتنافس الاقتصادى، وهذا ما يظهر فى مجموع الاسواق المشتركة مثل السوق الاوربية المشتركة وغيرها أو المنظمات والتكتلات الاقتصادية العديد التى تسيطر على طبيعة النشاط الاقتصادى العالمى. علاوة على ذلك، ان الدول المتقدمة تسعى جاهدة لخلق المزيد من عناصر السيطرة على الموارد الاقتصادية بشئ الوسائل كما تعودت عليه سواء عن طريق الاستعمار المباشر، والهيمنه الاقتصادية بصورة غير مباشرة، أو طرح اتفاقيات تجارية مثل الجات، والتى لا يمكن ان تكون إلا فى صالح من اخترعها وحددها من اجل مصالحه. وبالطبع هذه هى طبيعة النظام الاقتصادى العالمى، الذى تسيطر عليه الدول المتقدمة بمختلف الوسائل لبسط نفوذها الاقتصادى على الدول النامية.

خاتمـــة:

تعد دراسة النظام الاقتصادى من اهم الدراسات والمجالات التى يهتم بها علماء الاقتصاد والاجتماع والاجتماع الاقتصـادى، والتـى تكشف عن مدى عمق العلاقات المتداخلة بين النظم الاجتماعية والتى تشكل نمط الحياة الاجتماعية فى المجتمع الحديث. ولقد اعطى علماء الاجتماع منذ ان ظهر هذا العلم أولوية كبرى عند مناقشتهم لكثير من ملامح ومظاهر النظام الاقتصادى، الذى وضعه رائد علم الاجتماع (اوجست كونت)، بان هذا النظام وظواهره المختلفة ما هو إلا نظاماً نشأ داخل المجتمع، الذى يعتبر لب وجوهر اهتمام علم الاجتماع ككل. من ناحية أخرى، يصعب على عالم الاجتمـاع، ان يعالج طبيعة العلاقات والبناءات والنظم الاجتماعية، دون ان يتعرف على نوعية النشاط والمكونات الاقتصادية، التى تشكل معظم ملامح الحياة الاجتماعية اليومية للجنس البشرى.

فدراسة علماء الاجتماع الاقتصادى لقضايا الملكية وتطورها، منذ ان عرفت المجتمعات البشرية حياة الاستقرار حتى الوقت الراهن، تسهم فى اعطاء تصور واضح لطبيعة التغيرات التى طرأت على هذا النظام، والاسباب التى عملت على الاعتراف به كنوع من الحقوق الاجتماعية والفردية، والتى يجب ان يتمتع بها الفرد أو الاسباب ايضاً التى ادت إلى الغاؤه (نظام الملكيـة)، وجعل الملكية ملكية عامة وشائعة كما حدث فـى الاتحاد السوفيتى سابقاً. وهذا ما يجعلنا نعترف صراحة صعوبة فهم التغيرات الاقتصادية كما حدث لنظم الملكية، دون الرجوع إلى الواقع الاجتماعى والسياسى والثقافى والمجتمع الذى توجد فيه الظواهر والمشكلات والنظام الاقتصادى ككل.

كما جاءت تحليلات العلماء لقضايا الانتاج وعوامله المختلفة لتكشف لنا عن مجموعة العلاقات الاجتماعية التى ارتبطت بقضيـة الانتاج، وإلى من يملك قيمة الانتاج، وإلى اى الفئات سوف يوجه ويستهلك ويوزع هذا الانتاج. كما جاءت ايضاً دراستنا حول عمليات نقل التكنولوجيا، والشركات العالمية، واقتصاديات العالم الثالث والنظام الاقتصادى العالمى، والتى تناولناها بصورة موجزة جداً، لتوضح مدى اهتمام علماء الاجتماع بدراسة قضايا النظام الاقتصادى وتفسيره فى ضوء علاقته بالنظم الاجتماعية ككل.

الفصل الثانى عشر
النظام التعليمى

* مقدمة :

أولاً : تعريف النظام التعليمى.

ثانياً : علم الاجتماع ودراسة النظام التعليمى.

ثالثاً : وظائف التعليم.

رابعاً : التعليم والتنشئة والضبط الاجتماعى.

خامساً : التعليم والتنمية.

سادساً : الاستثمار التعليمى.

سابعاً : المؤسسات التعليمية كتنظيمات اجتماعية.

* خاتمة

مقدمة :

يعكس تحليل تراث تاريخ المجتمعات البشرية وتطورها طبيعة الاهتمام بالنظام التعليمى، باعتباره من أهم النظم الاجتماعية، التى تؤثر فى طبيعة الحياة الاجتماعية ككل. كما ارتبط التعليم بنوعية التقدم الذى أحرزته المجتمعات وشعوبها، وماتركته من آثار وحضارات تبرهن على مدى اهتمام كثير من المجتمعات البشرية بطبيعة التعليم ومؤسساته المختلفة. والتعليم كنظام اجتماعى، ارتبط بنوعية البناءات الاجتماعية Social Structures، التى ظهرت فى المجتمعات البشرية. فلقد تأثر التعليم بنوعية النظم الاقتصادية والسياسية والدينية والأخلاقية والقانونية، التى كانت ولاتزال توجد فى هذه المجتمعات. ومن ثم، من الصعوبة أن تدرس هذا النظام التعليمى بعيداً عن التغيرات الاجتماعية البنائية والوظيفية، التى تحدث فى أى مجتمع من المجتمعات الانسانية.

من هذا المنطلق، نجد أن معظم علماء العلوم الاجتماعية ركزوا على دراسة النظام التعليمى، مجاولين التعرف بوضوح على طبيعة هذا النظام، وما يحدث بالفعل على كل من الفرد والأسرة والمجتمع المحلى والقومى والعالمى. ويشارك علماء الاجتماع والنفس والتربية والتاريخ والسياسة وغيرهم من علماء العلوم الطبيعية الأخرى، التى تسعى وتهتم بالتعليم، خاصة وأن التعليم يعتبر الوسيلة التى يمكن عن طريقها نستطيع الحصول على المعرفة الإنسانية Human Knowledage. وهذا ما يكشف عموماً طبيعة أهداف العلوم الاجتماعية والطبيعية معاً والسعى من أجل زيادة معرفة الإنسان بما يحيطه من أشياء وظواهر طبيعية واجتماعية فى نفس الوقت.

ويوضح لنا التراث المعرفى للمجتمعات الإنسانية أن طبيعة نشأة الحضارات وازدهارها وتطورها، إنما حدثت نتيجة الاهتمام بالتعليم كعنصر أساسى للتحديث والتقدم والتغيير. ويتميز المجتمع الحديث بأنه المجتمع الذى يعتمد على التخصص والعلم كأساس أو سمة من السمات، التى تجعله يختلف عن بقية المجتمعات البشرية والسابقة. خاصة، وأن المجتمع الحديث الذى يتسم بالتعقيد والتحديث لزيادة المعرفة الإنسانية وحصولها على المعلومات والمعارف عن طريق التعليم، وزيادة المكتسبات الثقافية، التى يتعلمها الفرد فى المجتمع. ومن ثم، فان التعليم هو مصدر الثقافة Culture، ويعد من أهم الوسائل التى يتم عن طريقها نقلها إلى الأجيال اللاحقة، خاصة وأن الثقافة تعتبر الميراث الاجتماعى، الذى تنقله الأجيال الحالية للأجيال القادمة عن طريق التعليم والنظام التعليمى.

كما ارتبط التعليم ببعض المفاهيم والمصطلحات التى توضح مدى تداخل هذا المفهوم مع الكثير من المفاهيم الأخرى مثل الثقافة، والتحضر، والتطور، والتقدم، والمدنية،

والتنمية، والتحديث، واقتناء التكنولوجيا، والتنشئة، والضبط، والأخلاق وغيرها. فالتعليم عملية معقدة لا يستطيع الفرد أن يحصل عليها إلا من خلال طرق الاكتساب أو التعليم سواء عن طريق المحاكاة أو التقليد أو التجربة أو غيرها من الوسائل التى يمكن للفرد أن يحصل على معارفه وثقافته ككل. علاوة على ذلك، تعكس طبيعة المجتمع الحديث، أن المجتمع يسعى للحصول على المزيد من المعرفة عن طريق اقتناء الوسائل التكنولوجية والمعرفية، كما نجد أن الوسائل الأخيرة تعد مصدراً للقوة والسيطرة والتقدم، فمن يحاول السعى جاهداً للحصول عليها والتفوق على الآخرين، وهو ما يكشف عموماً سر تقدم الدول المتقدمة على غيرها من الدول النامية فى الوقت الراهن.

على أية حال، ان اهتمامنا الحالى، يركز على دراسة النظام التعليمى فى اطار تحليلنا لمجموعة من النظم الاجتماعية مثل الأسرة والنظام العائلى، والاقتصادى، والسياسى، ومحاولين أن نتعرف أولاً على تعريف النظام التعليمى، وما مدى اهتمام علماء الاجتماع بدراسة التعليم؟ وما هى أهم وظائفه الأساسية؟ وما علاقة التعليم بالتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعى فى المجتمعات الحديثة؟ ثم سنعالج قضية التعليم وارتباطها بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية، وطبيعة الاستثمار التعليمى، كما جاءت فى تصورات نظرية رأس المال البشرى. وأخيراً، سنعالج بصورة موجزة، واقع المؤسسات التعليمية مثل المدارس والجامعات باعتبارها من أهم التنظيمات الاجتماعية، وذلك من خلال التحليلات السوسيولوجية، التى عالج فيها علماء الاجتماع هذه المؤسسات التعليمية.

أولاً: تعريف النظام التعليمى:*

ظهرت مجموعة من التعريفات التى سعت لتوضيح مفهوم التعليم أو النظام التعليمى، والتى ركزت على إبراز دور هذا النظام فى الحياة الفردية والاجتماعية ككل. وبالطبع، لقد تنوعت وتعددت هذه التعريفات، نظراً لأن موضوع التعليم أو التربية لم يعد قاصر على تخصص واحد من العلوم الاجتماعية، بقدر ما يشارك الاهتمام الجميع من المتخصصين فى هذه العلوم لدراسة قضية التعليم أو التربية، ومدى انعكاسها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية فى المجتمع الحديث. ومن هذا المنطلق، سنوضح أهم التعريفات التى ارتبطت بالنظام التعليمى

* نستخدم هنا مفهوم التعليم الذى يرادف كلمة التربية. كما أننا اعتمدنا بصورة [illegible] كتابة هذا الفصل على مؤلفاتنا التالية :
- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع المدرسة، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية [illegible]
- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التربية، مرجع سابق.
- عبد الله محمد عبد الرحمن، سوسيولوجيا التعليم. الاسكندرية. دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٥

بصورة موجزة كما يلى :

* **تعريف دوركايم E. Durkheim**، عرف دوركايم التربية أو التعليم ' بأنها التأثير الذى تمارسه الأجيال الأكبر سناً على تلك الأجيال التى ليست مؤهلة بعد للحياة الاجتماعية، كما أن التعليم يوجه لتنمية قدرات الطفل الفيزيقية والعقلية والاخلاقية، والتى يتطلبها منه مجتمعه ككل، وتتطلبها منه البيئة التى من المفروض أن يعيش فيها '[1].
* **تعريف كارل مانهايم K. Manhiem**، يرى ' التعليم أو التربية مجموعة الأساليب الفنية الاجتماعية، التى تشمل على طرق التأثير فى السلوك الإنسانى الذى يتلاءم مع أنماط التفاعل الاجتماعى السائد '[2].
* **تعريف جون ستيوارت مل J. S. Mill**، يوضح التعليم بأنه ' نوع من التثقيف العقلى والخلقى، وبأنه الوسيلة التى عن طريقها يمكن الفرد أن يمارسوا ذكائهم وإرادتهم '. كما يضيف (مل) بأن التربية أن التعليم ترادف كلمة الثقافة التى تنقل من جيل إلى آخر. كما تشمل كلمة التربية كل ما نفعله بأنفسنا، وكل ما يفعله الآخرين من أجلنا بهدف الوصول إلى درجة الكمال.
* **تعريف لستر سميث L. Smith**، إن التربية تعتبر ' عملية مستمرة هدفها تنمية الفرد وإعداد المواطن، وضمان طفولة أسعد لبنائه، وان من حق كل فرد أن يحصل على تعليم يتفق مع عمره، ويتناسب مع قدراته واستعداداته، كما تعمل التربية على تكوين قاعدة مشتركة للتعاقد '[3].
* **تعريف كارتل جود C. Good**، ان التعليم ' جميع العمليات التى يتم بواسطتها تنمية قدرات الشخص واتجاهاته وأشكال سلوكه الأخرى، وتنمية القيم الايجابية التى يؤكد عليها المجتمع الذى ينتمى إليه ' [4].

حقيقة، تلك أهم التعريفات التى طرحت حول موضوع التعليم أو التربية والنظام التعليمى والتى عكست تصورات مجموعة من علماء الاجتماع والتربية والفلاسفة والمفكرين الذين، سعوا لطرح تصوراتهم حول مفهوم التعليم. ولقد أجمعت معظم هذه التعريفات على أن التعليم ما هو إلا وسيلة لاكتساب الفرد المعرفة. والتى تعمل على

(١) بوتومور، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٣٤٣.

(٢) وردت بعض هذه التعريفات فى المرجع التالى :

- حمدى على أحمد، مقدمة فى علم اجتماع التربية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الفصل الأول.

(٣) أنظر:

- Good, C, (Ed.) Dictionary of Education, N. Y: McGrow Hill Book, 1973, P. 202.

(٤) Harris, K, Education and Knowledge, London: Rou Hedge and Kegan Paul, 1979, P. 1-2.

تنمية قدراته وبما يتوافق مع عمره واحتياجاته الفردية والاجتماعية. في نفس الوقت، اشارت بعض التعريفات على أن التعليم ما هو إلا وسيلة يتم عن طريقها اكتساب السلوك الإنساني الطريقة المثلى للحياة والتكيف مع المجتمع الذى يعيش فيه. ومن هذا المنطلق فإننا نتصور التعليم بأنه ' الوسيلة التى عن طريقها يتم اكتساب الفرد المعرفة والأساليب اللازمة التى تؤهله لتنمية قدراته ومواهبه، عما يجعله قادراً للتكيف والعيش بصورة ملائمة مع بيئته الاجتماعية والثقافية والمجتمع الذى يعيش فيه ككل '.

ثانياً : علم الاجتماع ودراسة النظام التعليمى :

تتبلور إسهامات علم الاجتماع فى دراسة النظام التعليمى أو التربوى، عند مناقشتهم وتحليلهم للعلاقة المتبادلة بين هذا النظام وغيره من النظم الاجتماعية الأخرى. علاوة على تحليلهم لأهم مكونات هذا النظام، والتى جاءت فى ضوء معالجتهم لقضايا فرعية مرتبطة به مثل دراستهم للمؤسسات التعليمية، أو لوظيفة النظام التعليمى والتربوى، وقضية التنشئة الاجتماعية، والدور الوظيفى للمدرسة والجامعة كنسق اجتماعى. ويمكن أن نشير فيما يلى، إلى أهم الاتجاهات السوسيولوجية التى ركزت على دراسة النظام التعليمى والتربية عامة، والتى تم تصنيفها بواسطة الباحث إلى أربعة اتجاهات أو مداخل سوسيولوجية وهى:(١)

١ - المداخل البنائية الوظيفية التقليدية :

تتركز رؤية أصحاب هذه المداخل من خلال تصورها للعلاقة المتبادلة بين القطاع التعليمى والتربوى وبقية النظم الاجتماعية الأخرى، وخاصة عند طرح أصحابها لكثير من المفهومات الوظيفية، التى أستخدمها خاصة الرعيل الأول من رواد علم الاجتماع، والتى جاءت من منطلق تصورهم الايديولوجى، الذى يركز على أهمية النظام التربوى فى المجافظة على النسق الاجتماعى الذى يوجد فيه وتنقسم هذه المداخل إلى أربعة مداخل وهى :

أ - مدخل الأنساق والبناءات الاجتماعية

Social Structure & Systems Approach :

من أهم رواد هذا المدخل كل من جون ديوى J. Dewey، وكارل مانهايم K. Mannheim، ودوركايم Durkheim، وتالكوت بارسونز T. Prsons، ويمكن الإشارة إلى تصورات كل منهم بإيجاز شديد كما يلى :

---

(١) للمزيد من التفاصيل، إرجع إلى :

- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التربية، مرجع سابق، من الفصل ٤ – ٧.

١ - جون ديوى J. Dewey :

ويعتبر ديوى رائد المدرسة البراجماتية الأمريكية فى مجال علم اجتماع التربية، وسعى لوضع مجموعة من المؤلفات من أهمها المدرسة والمجتمع، والديموقراطية والتعليم، وركز على دراسة المشكلات الواقعية للتربية والتعليم فى المجتمع الأمريكى، ومحاولا رسم سياسة تعليمية اصلاحية للنظام التعليمى الذى كان يعانى الكثير من المشكلات. كما جاءت تصوراته لمعالجة الخلل الوظيفى فى دور المؤسسات التعليمية والتربوية، ووظائفها الأساسية فى علمية التنشئة الاجتماعية. ومن هذا المنطلق ناقش ديوى امكانية تحويل المدرسة إلى مصنع أو ورشة صغيرة يتعلم فيها التلاميذ خبرات تفيدهم فى حالة خروجهم لسوق العمل مبكر أو خلال المراحل التعليمية اللاحقة. ومن أهم القضايا التى اهتم بها، تحليله لمشكلة التعليم الرسمى وغير الرسمى Formal & Informal Education، ودور المؤسسات التربوية فى التنشئة إلى جانب المؤسسات الدينية. علاوة على تركيزه لكيفية اكتساب التلاميذ المعارف النظرية والعملية التى تكسبهم خبرات تؤهلهم للتكيف فى المجال التعليمى والثقافى والعمل على جعل مضمون العملية التعليمية والتربوية ذو اهداف فردية واجتماعية فى نفس الوقت.

٢ - كارل مانهايم K. Mannheim :

جاءت تصورات مانهايم فى النصف الأول من القرن الحالى لتوضح طبيعة تخصصه المهنى الاكاديمى كأستاذ لعلم الاجتماع والتربية مما أكسبت تحليلاته الخبرة العلمية والنظرية الأكاديمية. ولقد جاءت تصوراته فى عدد من المؤلفات مثل الإنسان والمجتمع، وتشخيص عصرنا، والحرية والقوة والديموقراطية، وركزت هذه المؤلفات جميعها لتأكيد مانهايم، على أهمية التربية فى الضبط الاجتماعى Social Control. ودور المؤسسات التعليمية بجانب الأسرة فى عمليات تشكيل السلوك الفردى، ولاسيما، ان عملية التعليم والتربية لا تتم إلا فى وسط اجتماعى.

من ناحية أخرى، سعى مانهايم لاستخدام المدخل السوسيولوجى وربطة بين التعليم وقضية الحرية الفردية، وضرورة اعطاء الفرد الحرية لتعليم واكتساب المعرفة. وهذا ما جعله يؤكد للعلاقة المتداخلة بين التعليم والديموقراطية والحرية الفردية بصفة عامة. كما سعى للربط بين التعليم وعملية التخطيط Planning، خاصة وأن التعليم يعتبر الوسيلة لظهور المجتمع الديموقراطى Democratic Society، وأيضاً ظهور الشخصية الديموقراطية Democratic Personality وإلى حدوث عموماً ما أسماه بالتكامل الاجتماعى Social Integration، وركز على أهمية تطور المؤسسات التعليمة لانجاز الأهداف العامة الموضوعة للتعليم والنظام التعليمى ككل.

٣ - أميل دور كايم E. Durkeim :

جاءت تصورات دوركايم للتعليم والتربية وعلاقتها بنظريته العامة حول التضامن الاجتماعى Social Solidarity، والتى تندرج عموماً تحت إطار النظرية البنائية الوظيفية العامة. وجاءت بعض مؤلفات دوركايم لتركز خصيصاً على التربية. وهذا ما جاء فى مؤلفه عن التربية وعلم الاجتماع، والأخلاق والتربية، وتصور عموماً بأن التعليم شئ اجتماعى، ويعمل على تغيير المجتمع ككل، كما أنها تعد بمثابة الوسط الاجتماعى Social Milieu، الذى يحدد الأفكار والمثل والقيم. كما تعتبر التربية الوسيلة التى تعمل على تعزيز وجود المجتمع واستمراره واستقراره. وهى (التربية) من أهم مكونات ومتطلبات الحياة الجمعية والتى تؤدى التنوع وزيادة التخصص فى المهن وتقسم العمل فى المجتمعات الحديثة.

ومن أبرز القضايا التى أهتم بها دوركايم تحليله لعلاقة التعليم والتربية والتنشئة الاجتماعية Socialization، لأنها تعتبر جزء من العملية التربوية، والتى تؤهل الأطفال إلى اكتساب العادات والتقاليد وقيم المجتمع، من خلال الأسرة ومؤسسات التعليم وتؤدى إلى التجانس والتضامن الاجتماعى. كما أهتم دوركايم بدراسة ما يعرف بسوسيولوجيا المنهج Sociology of Pedagogue ومناقشته للمناهج والمقررات الدراسية فى النظام التعليمى فى فرنسا. وأهتم بدراسة العلاقة بين التلاميذ والمدرسين، ووجودهم داخل الفصول الدراسية وأهمية التخطيط العلمى للتربية.

٤ - تالكوت بارسونز T. Parsons :

يمثل بارسونز الاتجاه البنائى الوظيفى المحدث نسبياً، خاصة وأن تصوراته جاءت بين اهتمامات الرعيل الأول من علماء الاجتماع والعلماء المحدثين فى هذا العلم. وسعى لمناقشة التربية فى ضوء معالجته لنظريته عن الأنساق الاجتماعية Social Systems التى تندرج تحت النظرية البنائية الوظيفية العامة. وركز عموماً على جعل النظام التربوى أو التعليمى أحد النظم التى تؤدى إلى الضبط الاجتماعى، وإلى حدوث التكامل، والتجانس، والتعاون، والتماثل للقواعد والقوانين التى تؤدى إلى المحافظة على المجتمع ككل.

ومن أبرز القضايا التى تم معالجتها بواسطة بارسونز تركيزه على قضية التنشئة الاجتماعية والعمل على تحقيق التكامل بين الأفراد والجماعات والمجتمع، كما أن التنشئة الاجتماعية تعمل على تحديد الأدوار والمراكز والسلوك الفردى ككل. كما عالج المدرسة كطبقة اجتماعية، أو ما أسماه فى أحد مؤلفاته طبقة المدرسة The School Class، وناقش ثقافة هذه الطبقة، ومحاولاً التعرف على

الثقافة المدرسية. كما ناقش قضية التعليم العالى Higher Education ودور الجامعة فى المجتمع واعتبارها التنظيم الأم Mother Organization، التى تغذى جميع المؤسسات بالفئات المهنية المختلفة. كما حلل العلاقة بين المدرسة والجامعات والبيئة الخارجية التى توجد فيها، وهى المجتمع باعتبار الأخير النسق الأكبر، الذى توجد فيه المؤسسات التربوية كأنساق فرعية.

ب - مدخل الفعل الاجتماعى Social Action Approach :

يرجع هذا المدخل إلى تصورات ماكس فيبر M. Weber وخاصة أنها تلازمه مع الكثير من رواد علم الاجتماع من أمثال دوركايم، وديوى ومانهايم وغيرهم وجاءت تصوراته حول التعليم فى اطار مناقشته لعملية تطور وازدهار الرأسمالية الغربية ككل. هذا ما طرحه فى نظرية الفعل الاجتماعى التى تندرج تحت إطار البنائية الوظيفية ، فلقد ركز حول جهود الاتجاه العقلانى فى المجتمع الحديث، الذى يعتمد على التعليم والاهتمام بالعلم والتخصص وظهور مؤسسات تعليمية وتربوية تتسم بالطابع البيروقراطى العقلانى. كما حدد طبيعة الموظف المدنى (البيروقراطى) الذى يحصل على أعلى الشهادات العلمية، والتخصصات الدقيقة، والخبرة وغيرها من الخصائص التى تؤهله للحصول على المراكز المهنية فى المجتمع الحديث.

وجاءت اهتمامات فيبر لتبنى المدخل التاريخى التحليلى المقارن الذى يؤكد على أهمية إجراء الدراسة المقارنة فى مجال التربية. ولقد ناقش قضايا تربوية هامة مثل دراسته لعملية التنشئة الاجتماعية، والاختبارات الخاصة Special Examinations، التى تؤهل الأفراد أو التلاميذ الطلاب للالتحاق بمؤسساتهم التعليمية أو مؤسسات مهنتهم المستقبلية. علاوة على ذلك، لقد اهتم فيبر بدراسة العلاقة بين التعليم والتدريب Training، والعمل على المزيد من اقتناء التخصصات العليمة المطلوبة لعملية التقدم العقلانى الحديث. كما سعى لدراسة أنماط التربية والتعليم فى المجتمعات الشرقية مثل المجتمع الصينى واليابانى وتحليل سمات عملية التعليم الكنفوشوسية، وأيضاً دراسته لعملية التربية لرجال الدين اليابانيين.

جـ - مدخل نظرية رأس المال البشرى Human Capital Theory :

تنسب هذه النظرية إلى تحليلات العديد من علماء ومن أنهم تيودر شولتز T. Schultz، التى ركزت على تحليل العلاقة بين التعليم والنظام التربوى والنظم الاجتماعية الاخرى، كما ناقشت مخرجات ومدخلات التعليم واعداده للقوى العاملة، واعتبار التعليم نوع من الاستثمار الاقتصادى Economic Investement، أو اعتبارها ككل جزءً من عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وجوهر عملية التنمية الشاملة سواء فى المجتمعات المتقدمة أو ايضاً فى الدول النامية.

من ناحية أخرى، اهتمت نظرية رأس المال البشرى بالتركيز على عملية اعداد قوى العمل باعتبارها من اهم العناصر المكونة لعمليات الانتاج، وحاول ان يبرهن (شولتز) على تحليلاته من خلال دراسته لوضع المجتمعات الرأسمالية الغربية. وكيف تم الاهتمام بالمؤسسات التعليمية مثل المدارس والجامعات وتخريجها للكوادر العلمية والفنية المدرسة المؤهلة لإدارة عمليات الانتاج. وبإيجاز، لقد ركزت هذه النظرية من الناحية الواقعية والايديولوجية الرأسمالية التى تهتم باعداد الكوادر الفنية والمهنية المدربة والمهره اللازمة لعمليات الانتاج واقتناء التكنولوجيا المتطورة.

٢- المداخل الماركسية التقليدية والمحدثة :

(أ) الماركسية التقليدية:

تتدرج تصورات الماركسية التقليدية من خلال اهتمامات كل من كارل ماركس K. Marx وانجلز Engles ونظريتهما المعروفة عن المادية التاريخية Historical Materialist، أو التى تعرف ايضاً بنظرية الصراع الطبقى Class Conflict وتتلخص تصورات ماركس وانجلز، فى رؤيتهما، إلى ان عملية التعليم التى توجد فى المجتمعات الرأسمالية تدخل ضمن العناصر اللامادية التى تسيطر عليها الايديولوجيا الرأسمالية وتدخلها فى نطاقها. والتعليم ما هو إلا وسيلة لتعليم النشئ كيفية اكتساب هذه الايديولوجية والايمان بها والخضوع والامتثال لقواعدها وتوجيهها، والاقتناع المستمر بها. كما تسعى الرأسمالية عن طريق التعليم إلى اعداد المدارس والجامعات وغيرها من المؤسسات التعليمية حتى تكون مؤسسات موجه لغايات واهداف الرأسمالية، للذين يملكون جميع الوسائل المادية والانتاج والسيطرة عموماً على طبيعة المجتمع الرأسمالى.

(ب) الماركسية المحدثة:

حاولت زوجة لينين (كروبسكايا)، أن تعدل بصورة جوهرية افكار ماركس وانجلز النظرية حول التعليم، ومحاولة أخضاعها للواقع العملى وعن طريق الاستفادة ايضاً من خبرات الاتجاه البرجماتى (العملى) الذى كان سائداً فى المجتمع الامريكى. وحاولت زوجة لنتين، ان تطور المؤسسات التعليمية فى الاتحاد السوفيتى سابقاً، وجعل هذه المؤسسات كتابة ورش ومصانع ووحدات تدريبية تعمل على اكتساب التلاميذ والطلاب خبرات مهنية وفنية تفيدهم فى الحياة المستقبلية والمهنية لهم. من ناحية أخرى، سعت زوجة لينين إلى تغيير مضمون العملية التعليمية، واتجاهها نحو الغرب أو اتجاه الفنون المتعددة أو البولتيكتيكية Polytechism، التى تهدف بإيجاز، إلى جعل المدرسة أو الجامعة واهدافها موجها لتوجيه التلاميذ نحو الحياة الانتاجية المستقبلية فى المجتمع.

وفى السنوات الاخيرة، تطورت عدد من النظريات أو المداخل التى تندرج تحت الماركسية المحدثة، مثل نظرية اعادة الانتاج Reproduction theory، والتى تؤكد على ان الرأسمالية دائماً تعمل على اعادة وتشكيل وسائل الانتاج الثقافى والمادى واللامادى، للعمل على اعداد القوى العاملة من ابناء الطبقات الفقيرة، وكرست من اجل ذلك المؤسسات التعليمية المختلفة ووسائل الاتصال الجماهيرى. ومن ثم، فان جميع مؤسسات التعليم تعمل لتعديل الانتاج الثقافى من اجل ضرورة مصالحها واهدافها ومن اهم رواد هذه المدرسة لويس التوسير L. Althusser، وبيرى بورديو P. Bourdieo، وجينتز Ginits، وكارنوى Carnoy، ويلس Willis، وجيروكس Giroux وغيرهم.

٣- المداخل الوظيفية الحديثة:

تطورت تصورات علماء البنائية الوظيفية وخاصة الافكار التى ظهرت خلال الربع الاخير من القرن الحالى (العشرين) وحاولت تحديث الافكار التقليدية حول كثير من الموضوعات والقضايا والمشكلات، التى تهتم بمعالجها البنائية الوظيفية ككل. خاصة، وان كثيراً من التصورات التقليدية، لم تعد ملائمة لقبولها بواسطة العلماء والباحثين، لبعدها عن التفسير الواقعى للحياة الاجتماعية. وهذا ما انطبق على معالجة البنائية الوظيفية للنظام التعليمى وقضية التربية فى المجتمعات الرأسمالية أو غيرها من بعض العالم.

وتنقسيم هذه المداخل إلى اربعة مداخل، يمكن الاشارة إلى اهم أخطارها بإيجاز كما يلى:

(أ) المدخل المؤسساتى الحديث Modern Institutional Approach

تطورت وجهة نظر البنائية الوظيفية المحدثة من خلال رؤية بعض علماء، الذين ركزوا على دراسة الدور الوظيفى للمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية، ومنها المؤسسات التعليمية. فلقد ركزت الاهتمامات الحديثة على تحليل المدخلات والمخرجات للمدارس والجامعات ولمحاولة تحديث المهام الوظيفية التى تقوم بها هذه المؤسسات، والعمل على زيادة كفاءتها وفاعليتها، من اجل تعزيز الخدمات التعليمية. كما حرصت هذه الأفكار الحديثة على عقد الكثير من المقارنات بين المؤسسات التعليمية التى توجد فى المجتمعات الامريكية من اجل الوصول إلى مؤسسات تربوية أكثر فاعلية.

(ب) المدخل الفيبرى الحديث New Webern Approach

ركزت اراء هذا المدخل على ضرورة تبنى تصورات فيبر التقليدية ونظريته عن الفعل الاجتماعى، ومدخله المميز (التحليلى التاريخى المقارن)، وذلك من اجل فهم المؤسسات الثقافية التعليمية على مستوى العالم، بالاضافة إلى تحليل مضمون ومستوى

العملية التعليمية التى توجد فى كثير من الدول المتقدمة والنامية للتعرف بوضوح على الاساليب الكفيلة التى تعزز من اهداف العملية التعليمية ككل. ومن انصار هذا المدخل بلومر Blumer، ودوجلاس Dougles، وولسون Wilson وبيكر Becker وآخرون.

(جـ) المدخل التفاعلى الرمزى Symbolic Interaction Approach

يرتبط هذا المدخل بالتحليلات النظرية لعالم النفس الاجتماعى جورج ميد G. Mead وآخرون، التى ركزت على تحليل المواقف الاجتماعية وعمليات الاتصال والتفاعل الرمزى وغير الرمزى داخل الجماعات الصغيرة والكبيرة. ولقد حرص اصحاب هذا المدخل على ضرورة استخدام اساليب اللغة والاتصال الرمزى الاخرى، للتعرف على المشكلات التى توجد داخل الفصول الدراسية والمدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية. وتحليل العلاقة بين التلاميذ وبين التلاميذ ومدرسيهم، وبينهم جميعهم وادارتهم المدرسية والتعليمية. ويسهم ذلك فى زيادة معرفة اساليب التحصيل الدراسى والتعليمى، وزيادة انماط المعرفة والثقافة التى يحصل عليها التلاميذ وتوجيهها لحياة اليومية والعملية المستقبلية، ومن رواد هذا المدخل على سبيل المثال، نيش Nash، وودوس Woods، وميلتر Melter.

(د) المدخل الانثومتيولوجى Ethnomethodology Approach

يركز هذا المدخل على ضرورة تحديث الاساليب التى عن طريقها دراسة الواقع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والاجتماعى عموماً، عن طريق دراسة الطرق المستخدمة للافراد واعادة استخدامها مرة أخرى لمعرفة اسباب اتخاذ سلوكهم أو تصرفهم فى مواقف معينة ومحددة. وارتبط هذا المدخل بتحليلات هارولد جارفينكل H. Garfinkel، التى نشرت أواخر الستينات. ولقد استخدم هذا المدخل فى دراسة سلوك التلاميذ والطلاب والمدرسين ومديرى المدارس والقائمين على العملية التعليمية. وتحليلهم أيضاً للادوار الوظيفية والمهنية سواء للافراد أو المؤسسات التعليمية، وما ينبغى ان يقوم به الجميع من أجل تطوير الخدمات التعليمية، وزيادة الفاعلية والكفاءة للمؤسسات التعليمية من ناحية، وايضاً إلى النظام التعليمى ودوره الوظيفى فى المجتمعات من ناحية أخرى.

(هـ) المدخل الفينومينولوجى Phenomonology approach

ركز هذا المدخل لتطوير البنائية الوظيفية ودراستها للظواهر الاجتماعية عن طريق تحليل المعانى والافكار وانماط الوقت، ودراسة علاقات التفاعل ونوعية المواقف، وعمليات الادراك والشعور وتفسيرهم للسلوك والتفاعل بين الافراد من خلال الاعتماد على خبراتهم الشخصية والتصورية التى تنطبع فى ذاتهم الخاص وحول حقائق الامور والظواهر الاجتماعية والمعرفية. ولقد ارتبط هذا المدخل فى

مجال التربية بتحليلات كثير من علماء التربية فى بريطانيا والولايات المتحدة والعديد من الدول الاوربية الاخرى. ولقد استطاع العالم البريطانى (ميشل يونج M. Young)، ان يستخدم المنهج الفينومينولوجى (المعرفى) فى دراسة طبيعة المعرفة والمقررات الدراسية والانماط الثقافية والتعليمية المتعددة التى توجد داخل الفصول والمدارس التعليمية، بهدف تطويرها وتحديثها بصورة مستمرة خاصة وان هذه المؤسسات تعتبر من اهم المؤسسات التى تمد الافراد بانماط المعرفة والقوة والثقافة.

(٤) المداخل الراديكالية (النقدية) Critical or Radical Approach

يرتبط هذه المداخل بمدرسة فرانكفورت Frankfurt School التى ظهرت فى المانيا وحاولت ان تنقد كل من البنائية الوظيفية والماركسية وتحليلاتها للمشكلات والقضايا والظواهر الاجتماعية والاقتصادية التى توجد فى المجتمعات الغربية عموماً. ولقد ركزت هذه المدرسة على دراسة النظم الاجتماعية والاقتصادية عموماً بما فيها النظام التعليمى، وكيفية توجيه هذا النظام إلى ايديولوجيات محددة سواء ماركسية اشتراكية أو رأسمالية، ولم تحقق عموماً ما يسمى بدول الرفاهية المزعومة نظراً لوجود كثير من التناقضات التى توجد فى كل من المجتمعات الاشتراكية سابقاً أو الرأسمالية وغيابهما عن تطبيق الديموقراطية أو تطويرها عن طريق المؤسسات التعليمية أو غيرها من المؤسسات الاخرى. كما قد ظهرت مجموعة من المداخل الحديثة لدراسة التعليم والنظام التعليمى مثل نظرية الحرمان الثقافى Theory of Cultural Deprivation، وتركيزها على دراسة الثقافات الفرعية للطبقة العمالية، التى تعانى بألوان شتى من الحرمان التعليمى والثقافى فى المجتمعات الغربية. كما ظهرت مدرسة اعادة التحليل الاجتماعى للتربية Socical Analysis of Education والتى جاءت فى تحليلات ويكسر Wexer الذى يطرح أفكار جديدة اكثر تطوراً لاهداف التعليم فى المجتمعات الحديثة.

ثالثاً: وظائف التعليم:

تكشف التحليلات الموجزة السابقة عن طبيعة الاتجاهات والمداخل السوسيولوجية لعلم الاجتماع، ومدى اهتمامها بدراسة النظم التعليمية، ومناقشة حقيقة التربية بصورة عامة. ولقد حرصت معظم هذه الاتجاهات سواء اكانت ذات طابع محافظ أو راديكالى نقدى أو ماركسى، ان تهتم بدراسة العلاقة المتبادلة بين النظام التعليمى وبقية النظم الاجتماعية الاخرى. خاصة ان هذا النظام له مجموعة من المؤسسات التعليمية التى تعتبر بمثابة بناءات اجتماعية Social Structures، ترتبط بها العديد من الوظائف التى تقوم بها فى اداء مهامها التى وضعت من اجله.

كما جاءت تصورات البنائية الوظيفية ممثلة فى اتجاهاتها ومداخلها المختلفة سواء اكانت تقليدية أم محدثه لتركز على تحليل العلاقة بين البناء، والوظيفة، التى توجد بين المؤسسات الاجتماعية التعليمية ونوعية الوظائف التى توجد فى المجتمع الحديث. كما جاء النظام التعليمى ومؤسساته ليقوم بعملية الحفاظ على النسق الأكبر وهو المجتمع، ذلك عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية، واكتساب المعرفة والثقافة، والخبرة والمهن المختلفة إلى التلاميذ والطلاب، وتشكيل السلوك وانماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية، وتكوين الشخصية الفردية والمجمعة. وهذا ما أكدت عليه تصورات البنائية الوظيفية التى عالجت النظام التعليمى باعتباره نسق اجتماعى يرتبط ببقية النظم والانساق الأخرى.

فى نفس الوقت حرصت الاتجاهات الرديكاليه النقدية أو الماركسية على أن تكشف النقاب عن اتجاهاتها وايديولوجياتها نحو تحليل النظام التعليمى وطبيعه واقع المؤسسات التعليمية ودورها فى المجتمع سواء لخدمة النظام الايديولوجى الاشتراكى أو النظام الرأسمالى. كما حاولت بعض هذه الاتجاهات ان تركز على ضرورة توجيه عمليات التنشئة الاجتماعية ووظائف المؤسسات التعليمية، إلى تقديم الخبرات العملية التى تفيد التلاميذ والطلاب خلال مرحلة تعليمهم أو بعد خروجهم إلى سوق العمل وهذا ما ايدته الاتجاهات الاجتماعية عند جيروديوى أو تحليلات زوجة لينين فى مدخلها البوالتيكنيكى سواء فى الاتحاد السوفيتى سابقاً، أو فى الولايات المتحدة كما جاء فى تصورات البراجماتية الواقعية.

وعلى اية حال، نحاول حالياً ان نعرض مجموعة من الوظائف العامة التى اتفق حولها معظم علماء الاجتماع وعلماء التربية والنفس والاقتصاد من ناحية، وعلماء علم الاجتماع التربوى من ناحية أخرى. ومن اهم هذه الوظائف ما يلى:

(١) وظيفة نقل الثقافة Culture Transmission Function

تتركز مهمة النظام التعليمى ومؤساته المختلفة مثل المدارس والجامعات وغيرها من المؤسسات الأخرى فى الحفاظ على الثقافة ونقلها بين جيل إلى آخر بين اجيال المجتمع الواحد. وحيث ان الثقافة وما تشمله من انماط مختلفة من المعرفة تشمل على جوانب ايجابية هامة، والتى تتضمن العادات والتقاليد والقيم والاخلاق والقانون والفنون وغيرها من الاساليب الفنية والتكنولوجية المادية، يتم استيعابها بواسطة التلاميذ والطلاب بتثقيفهم وبعد ذلك، يحرص ابناء هذا الجيل على تنشئة أبنائه من أجل اعدادهم للمستقبل ونقل التراث الثقافى عامة إلى الاجيال اللاحقة. وتعتبر عملية نقل الثقافة بمثابة نقل التراث الاجتماعى عبر الاجيال التاريخية.

(٢) الوظيفة السياسية Political Function

يقوم النظام التعليمى مؤسساته المختلفة باعداد القادة السياسيين Political Leaders، وذلك اثناء عمليات التنشئة الاجتماعية، كما تقوم المؤسسات التعليمية بغرس قيم حب الولاء والانتماء والتضحيه والوطن عموماً، وذلك عن طريق محتوى المادة التدريسية، أو اساليب الحياة اليومية داخل المؤسسات التعليمية وتساعد التلاميذ على طريقة معينة من التعبير واحترام الاخرين والقواعد والاساليب الديموقراطية التى تساعدهم على الحياة السياسية المستقبلية. كما نجد ان هناك نوع من المدارس فى العديد من الدول المتقدمة تسمى بمدارس اعداد القادة وتدريبهم على العمل المستقبلى فى المجال السياسى.

(٣) الوظيفة الاقتصادية Economical Function

تعتبر مؤسسات النظام التعليمى وتنظيماته المختلفة من أهم المؤسسات التى تعمل على اعداد المجتمع بالقوى العاملة اللازمة لعمليات الانتاج، وهذا هو هدف النظام التعليمى فى اى مجتمع من المجتمعات هذا بالاضافة إلى نواحى التثقيف واكتساب المعرفة. وتحرص الدول المتقدمة أو النامية التى فى طريقها إلى التحول نحو التقدم على أن تهتم بالتعليم ومؤسساته، وذلك من اجل تخريج كوادر مهنية متخصصة فى كافة التخصصات، لاستيعاب التكنولوجيا وانماط الادارة والمعرفة المختلفة. من ناحية أخرى، ان الوظيفة الاقتصادية للتعليم تساعد الافراد أنفسهم، على اكتساب فرص الحياه Life Chances، وتؤهلهم للحصول على المراكز والادوار المهنية المميزة فى المجتمع وتساعد على الحراك الاجتماعى الايجابى.

(٤) وظيفة الانتقاء الاجتماعى The Function of Social Selection

حرص كثير من علماء الاجتماع عند تحليلهم للنظام التعليمى، واهدافه التركيز على اهمية الانتقاء للافراد بعد التلاميذ والطلاب سواء فى المراحل السابقة لدخولهم لمؤسسات التعليم أو بعد تخرجهم منها، ودخولهم إلى مؤسسات العمل المختلفة. وهذا الانتقاء، يساعد كل من الافراد والمجتمع على تحقيق اهدافه من العملية التعليمية ومؤسساتها ونظامهما ككل. كما أن عملية الانتقاء يقصد بها تصنيف التلاميذ حسب مواهبهم وقدراتهم وميولهم واتجاهاتهم وتدريسهم وتعليمهم للمواد الدراسية التى تناسبهم فيزيقياً وعقلياً وعملياً ومستقبلياً.

(٥) وظيفة اختيار المبدعين Function of Innovators Selection

تتركز هذه الوظيفة فى بلورة اهداف النظام التعليمى ومؤسساته المختلفة، التى لا تقتصر على مجموعة الوظائف الاقتصادية والسياسية أو نقل المعرفة والثقافة. بقدر ما نجد ايضاً، ان مهمة التعليم تتركز فى اعداد الفئات الاستثنائية من

التلاميذ والاطفال، الذين لديهم مستويات مختلفة من الابداع والتفوق في كافة المجالات والتخصصات. وتحرص العديد من الدول المتقدمة على أختيار التلاميذ المبدعين منذ الصغير وتنشأتهم بصورة معينة تضمن تقدمهم وابداعهم المستقبلى بما يعود على المجتمع بالكثير من الفوائد المتعددة. كما يلاحظ ايضاً، ان كثير من علماء الاقتصاد والاجتماع الاقتصادى، يتصورون ان فئة المبدعين أو المخترعين يعتبرون من اهم عناصر عملية الانتاج فى الوقت الراهن.

بإيجاز، تلك اهم الوظائف التى طرحها عدد من علماء اجتماع التربية، والذين حاولوا تصنيف الوظائف التى يقوم بها النظام التعليمى ومؤسساته المختلفة في العصر الحديث. وتعكس هذه الوظائف مجملة نوعية الاهداف، التى توضع من اجل تطوير مؤسسات وتنظيمات النظام التعليمى، وتخضع دائماً للتغيير والتطوير بواسطة القائمين على وضع ورسم القرارات الاستراتيجية التعليمية، بما يتناسب مع متطلبات المجتمع واحتياجاته الاساسية.

رابعاً: التعليم والتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعى

كشفت مجموعة الوظائف العامة للنظام التعليمى ومؤسساته المختلفة عن طبيعة الاهداف التى كرست من اجل هذا النظام عند بداية التخطيط والاعداد له والعمل عموماً، على خدمة الفرد والمجتمع. وهذا ما جاء من خلال وظائف نقل الثقافة والمعرفة، والوظائف الاقتصادية، والسياسية، وتزويد المجتمع بالمبدعين أو الانتقاء الاجتماعى. ونستطيع ان نفحص هذه الوظائف السابقة ونشاهد جيداً ان كلما وضعت من هذه الوظائف تتضمن عملتى التنشئة الاجتماعية Socialization والضبط الاجتماعى Social Control، ويمكن تحليل هاتين العمليتين وارتباطهما بالنظام التعليمى خلال السطور القادمة.

أولاً: التعليم والتنشئة الاجتماعية

تتميز عملية التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التى عن طريقها يتم اعداد التلاميذ والطلاب واكتسابهم انماط من المعرفة والثقافة والمهارات واشكال من السلوك، التى تؤهلهم فى حياتهم الاجتماعية والمهنية فى المرحلة الحالية أو المستقبلية، وتجعلهم عموماً أفراداً صالحين فى المجتمع. ومن ثم، نرى ان مهمة التنشئة الاجتماعية لا تتركز فقط حول اكتساب المعارف والثقافة والعلم، بقدر ما تساعد على تأهيل الشخصية الفردية واستيعابها العديد من القدرات والمهارات اللازمة، وتكوين انماط من العلاقات الاجتماعية، وتحديد عمليات التفاعل والسلوك الاجتماعى، والتى تحدد مسئولياتهم وواجباتهم مع الأخرين فى المجتمع.

وتتم عملية التنشئة الاجتماعية بواسطة النظام التعليمي بدءً من مرحلة الطفولة المبكرة، التي يعيشها الطفل داخل اسرته والتي اكتسب الوالدين فيها الكثير من الخصائص والقدرات التي تؤهلهم لتربية طفلهم في المراحل الاولى من الحياة العمريه. ثم تمر مرحلة الحضانة، وهي نوع من مؤسسات التعليم التي يهتم برعاية الاطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة وتلعب دورا كبيرا في عمليات تشكيل السلوك وتعلم انماط التفاعل مع الآخرين والاعتماد على الذات والتعاون وغيرها. اما خلال مرحلة التعليم الاساسي الابتدائي، يتم تأهيل التلاميذ على اكتساب المعارف الاساسية واعطائهم الفرصة على التعبير عن الذات سواء من خلال ممارسة النشاط الرياضي والتعليمي المختلف في مرحلة الاعداد ويتم بلورة معارف التلاميذ واعدادهم إلى مرحلة التخصص العلمي والمهني. وهذا ما يظهر عموماً بدأ من مرحلة التعليم الثانوي وحتى الجامعات حتى يتم تأهيل الطلاب من الناحية المهنية والفنية واعدادهم ليصبحوا كوادر متخصصة في المجتمع.

ومن هذا المنطلق، يمكن ان ننظر إلى عملية التنشئة الاجتماعية التي تتم بواسطة النظام التعليمي ومؤسساته المختلفة على انها تشمل العناصر التاليه:

١- التمييز الواضح للسلوك الدائم.
٢- اكتساب القدرات والمهارات اللازمة.
٣- اكتساب الثقافة وانماط المعرفة المختلفة.
٤- تشكيل نمط الشخصية الفردية.
٥- تكوين الاتجاهات والميول والمعايير الجديدة.
٦- الاعداد الشامل للحياة الاجتماعية المستقبلية.

ثانياً: التعليم والضبط الاجتماعي

ركز علماء الاجتماع والتربية والنفس وغيرهم من الذين اهتموا بدراسة العلاقة بين النظام التعليمي والنظم الاجتماعية الأخرى مثل النظام الاقتصادي، والسياسي والعائلي، والقانوني على ان هذه العلاقة متداخلة ومن الصعب الفصل بينها بصورة خاصة. ولقد كشفت تصورات علماء الاجتماع التربوي خاصة وعلم الاجتماع بصورة عامة، على اهمية العلاقة بين التعليم والضبط الاجتماعي خاصة والتعليم يعتبر في حد ذاته وسيلة للضبط الاجتماعي. وهذا ما جعل علماء الاجتماع النفسي يركزون على محور اهتمام عملية التنشئة الاجتماعية لدى الاطفال والتلاميذ. واكتسابهم سلوكيات معينة تكون ملائمة من ناحية العادات والتقاليد والأعراف الموجودة.

وعبر عن ذلك تحليلات بعض علماء الاجتماع من امثال دور كايم، الذى حدد العلاقة بين التربية والاخلاق والضبط الاجتماعى وتناولها فى مؤلفات متخصصة فى هذا المجال. فهدف التربية والتعليم يكمن فى اعداد التلاميذ والطلاب ليكونوا مواطنين صالحين ومتكيفين للحياة الجمعية فى المجتمع. كما يجب الربط بين التعليم والاخلاق والقانون، وهذا ما اشار إليه دور كايم فى تحليله لعملية التنشئة الاجتماعية ومهمة النظام التعليمى مؤسساته المختلفة. من ناحية أخرى، يشارك دور كايم العديد من علماء الاجتماع فى مهمة النظام التعليمى فى بناء المعايير The Structure of Normes، فى المجتمع الحديث خاصة بعد ان تصدعت وانهارات الاساليب التقليدية للضبط الاجتماعى مثل الانحراف والتقاليد. ومن ثم، يجب تزويد النشئ خلال مؤسسات التعليم المختلفة معايير وقيم جديدة تؤدى إلى التضامن الاجتماعى، والبعد عن روح الانانية والعمل على خلق قيم الولاء والتضحية والامتثال والطاعة لقواعد المجتمع وقدراته المختلفة. وبإيجاز، يركز علماء التربية على دور المدرسة فى ضبط التلاميذ، خلال مرحلة الحياة اليومية المدرسية، ونوعية الانشطة والسلوكيات وانماط التفاعل مع الآخرين، على ان يتم ذلك عن طريق ميكانزمات الضبط الاجتماعى الايجابى (المكافاءات) أو السلبى (العقاب). وبإيجاز، ان مهمة النظام التعليمى ليس فقط تتركز فى تقديم وظائف سياسية واقتصادية أو نقل ثقافة، بل ايضاً تشمل على تنشئة الافراد وجعلهم يمتثلون للقواعد والقوانين والاعراف المجتمعيه.

خامساً: التعليم والتنمية

تتعدد الادوار الوظيفية للنظام التعليمى واعتباره وسيلة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية Social & Economic Development. خاصة وان هدف هذا النظام تعليم الافراد والجماعات الذين يعتبرون الوحدات الاساسية والمكونه للمجتمع، وذلك من خلال تعليمهم وتوجيههم واكتسابهم الخبرات المعرفية والثقافية والمهنية والقدرات التى تؤهلهم عموماً للقيام باعبائهم ومسئولياتهم تجاه انفسهم وتجاه المجتمع الذين يعيشون فيه. من ثم، يعتبر النظام التعليمى اداة أو وسيلة هامة لعمليات التنمية والاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع الحديث. وهذا ما يؤكده علماء الاجتماع والتاريخ والاقتصاد والسياسة والتربية عندما يهتمون بدراسة اهداف التعليم، عبر العصور التاريخية حتى الوقت الراهن.

وتركز خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية واستراتيجيتها العامة حول انجاز اهداف معينة فى المجالات المختلفة سواء كانت الرعاية الاجتماعية، أو القطاع الصحى، أو الزراعى أو الصناعى، أو غيرها من المجالات الأخرى.

فبدون تعليم القائمين على تنفيذ هذه المشروعات، ومن يتحملون اعباء انجاز هذه الخطط وتدريبهم وتعليمهم على مهارات واكتسابهم قدرات معينة، ولا يمكن ان تتم هذه الخطط أو تنفذ بدونها. فادارة عمليات التنمية بأنواعها المختلفة تستلزم وجود فئة من الفئات المهنية المختلفة التخصصات، التى تعمل على وضع خطط التنمية بصورة اساسية. من ناحية أخرى، ان عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية تتم فى المجتمع إلا عن طريق وجود مستوى تعليمى وتثقيفى معين للافراد المستفيدين من خطط التنمية وهذا ما يسمى بعمليات المشاركة Participation Processes، من جانب الافراد المستهدف تنميتهم أو تنمية وتطوير مجتمعهم المحلى.

ويجمع علماء التنمية الاقتصادية والاجتماعية أو المخصصين فى هذا المجال، وعلماء التربية، إلى ان التعليم يعتبر من اهم وسائل التغير الاجتماعى Social Change، كما ان التعليم يعتبر شرط اساسى لحدوث التنمية ذاتها. فى نفس الوقت، ينظر إلى التعليم على انه من اهم نتاج التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ومن ثم ينظر إلى التعليم على انه عامل معتمد Indepent Factor، على عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وعندما يحدث فى المجتمع يؤدى إلى التغير الاجتماعى الذى يظهر على العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية. وهكذا، يمكن القول ان استخدام التعليم كعنصر اساسى لاحداث عمليات التغير الاجتماعى والاقتصادى المطلوبة أو المستهدفة فى المجتمع. فعلى سبيل المثال، أن وضع الخطط لمحو امية الافراد والجماعات فى القطاعات الريفية مثلاً، يكون جزءاً من تنفيذ الخطط الاقتصادية والاجتماعية وحدوث تغيرات اجتماعية واقتصادية شاملة فى هذه القطاعات.

علاوة على ذلك، ان من اهم وظائف التعليم أو النظام التعليمى هو خلق الجو المناسب والعمل على خلق نوع وجيل من المبدعيين Innovators، الذين يمكن الاعتماد عليهم فى المستقبل، من أجل تطوير المجتمع وتحديثه وتقدمه فى مختلف التخصصات والمجالات. وهذا ما يؤكد على وجود اهمية هذه الوظيفة للنظام التعليمى كما ان غيابها عند وضع الاستراتيجيات والخطط العامة للنظام التعليمى، مؤثر من الناحية السلبية على مكونات واهداف هذا النظام ككل. وهذا ايضاً ما يؤكد على اهمية وجود اهداف مشتركة بين النظام التعليمى واستراتيجياته وطبيعة احداث التغير الاجتماعى والاقتصادى المستقبلى فى المجتمع المراد تغييره أو تحديثه. فزيادة الاهتمام بمرحلة التعليم الاساسى فى الدول النامية وتوفير الامكانات اللازمة للعملية التعليمية من المدرسين والفنيين المساعدين، والمعامل والمختبرات والانشطة المختلفة والموارد المالية من نشأتها، أن تعزز عمليات التغير والتنمية الاجتماعية والاقتصادية فى المستقبل عن طريق الاستفادة من هؤلاء التلاميذ، أو الاستفادة من اعداد المبدعين منهم بعد تخرجهم وتدريبهم فى سوق العمل.

بإيجاز، يمكن القول ان التعليم يعتبر شرطاً أساسياً لحدوث التغير الاقتصادى والاجتماعى، ما يترتب عليه من نتائج متعددة على المجتمع والفرد فى نفس الوقت. وهذا ما يؤكد عموماً على اهمية الافراد والتخطيط الجيد للنظام التعليمى حتى يقوم بدوره فى تنفيذ برامج التنمية المستهدفه. خاصة، إذا حرص القائمين على وضع استراتيجيات التعليم عامة، أن يكون هدفهم الأساسى، هو حدوث الكثير من مظاهر تنمية الفرد والمجتمع معاً فعند وضع هذه الاستراتيجيات يجب ان تضع فى اعتبارها طبيعة الفوائد المادية التى سوف يجنيها الفرد من عملية التعليم ذاتها، وما هى الفرص الحياتية المستقبلية التى سوف يكتسبها من التعليم، وما هى فرص الحياة والعمل التى يمكن ان تتوفر له من اى نظام تعليمى أو مرحلة تعليمية أو برنامج تأهيلى سوف يحصل عليه. ان الشعور والاحباط لدى كثير من المتعلمين فى الدول النامية، بعد تخريجهم من المؤسسات التعليمية، لعدم حصولهم على الوظائف المناسبة والاجور الملاءمة، جدير بأن يكشف عن مدى غياب العلاقة المتبادلة من النظام التعليمى وبقية النظم الاجتماعية الأخرى، التى توجد فى المجتمعات الحديثة النامية.

سادساً: الاستثمار التعليمى

فى اطار تحليلنا لمكونات النظام التعليمى ودوره الوظيفى فى المجتمعات الحديثة، وكما كشفت عنه التحليلات السابقة حول العلاقة المتبادلة بين التعليم عموماً وعمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وكيف يمكن اعتبار التعليم ما هو إلا وسيلة لاحداث التغير الاجتماعى الشامل والمستهدف فى المجتمعات فى الوقت الحاضر، فهناك كثير من القضايا الاخرى التى يهتم بدراستها علم الاجتماع والمتخصصين فى مجال علم الاجتماع التربوى، عندما يحللون العلاقة المتبادلة بين النظام التعليمى والمؤسسات التعليمية ونوعية المجتمعات التى توجد فيها.

ومن اهم هذه القضايا الاستثمار التعليمى Educational Investment، تلك القضية التى تعكس بوضوح جوهر العلاقة بين التعليم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولقد اهتم كثير من علماء الاجتماع والتنمية والاقتصاد بدراسة الاستثمار التعليمى من جوانب متعددة ويرجع التغيير لنظرية رأس المال البشرى Human Capital Theory، التى ترتبط بتصورات تيودو شولتز T. Schultz فى تحليلها لاهمية التعليم واعتباره المكون الاساسى لرأس المال البشرى.

وان كانت جذور هذه النظرية ترجع إلى تصورات آدم سميث A. Smith، عندما أشار كثيراً إلى اهمية التعليم كعامل للاستقرار الاقتصادى والاجتماعى والتطور والتقدم. وهذا ما ايده ايضاً العالم الاقتصادى البريطانى الفرد مارشال A. Marshall، عندما نظر إلى التعليم، على أنه نوع من الاستثمار الاقتصادى. فلقد

حث الحكومة البريطانية على زيادة الانفاق التعليمي وعلى المؤسسات التعليمية، لأن قيمة ما ينفق على التعليم ككل سوف يكون نوع من الاستثمار الاقتصادى المستقبلى الذى يعود بنتائج متعددة للمجتمع والفرد ككل.

واهتمت نظرية رأس المال البشرى بقضية الاستثمار التعليمى، وذلك عن طريق ما يعرف ايضاً بالاهتمام بأقتصاديات التعليم، وتحليل كل من مدخلات ومخرجات In puts & out puts العملية التعليمية ككل سوف يؤدى إلى تطوير النظام التعليمى ومؤسساته فى المرحلة الحالية والمستقبلية. ولقد استفادت دول كثيرة من خلال الاسترشاد بمضمون نظرية رأس المال البشرى والتى تؤكد على اهمية تعليم وتثقيف القوى العاملة، وتطوير قدراتها المستمرة حتى تستطيع ان تكون لديها القدرة على استيعاب التكنولوجيا المتقدمة، وتطبيقها فى المؤسسات الانتاجية بمختلف انواعها. وهذا ما جعل كثير من الدول النامية والمتقدمة تكرس جزءً كبيراً من ميزانية الدولة من اجل التعليم وتطوير المؤسسات التعليمية وتوجه جزء كبير من الموارد المالية إلى مراكز البحث والتطور (Reseaches & Development)، التى تؤدى إلى تطوير الكفاءات العلمية والتقدم التكنولوجى عموماً.

كما قد تطورت بحوث ودراسات العلماء الذين اهتموا بدراسة الاستثمار التعليمى واقتصاديات التعليم ككل، من خلال اجراء الدراسات المبدائية وتحليل جملة التكاليف ومدخلات العملية التعليمية، ومعرفة حصيلة المخرجات النهائية للعملية التعليمية. فدراسة تكلفة طالب الطب على سبيل المثال، خلال سنوات الدراسة، يمكن حسابها بصورة دقيقة، وبعد ذلك نوع من الاستثمار التعليمى فى مجال الطب، كما يمكن حساب جملة ما يعود من الانفاق على هذا الطالب فى المستقبل والتى تتمثل فى علاج المرضى، وتحسين مستويات الصحة للقوى العاملة والمهنية فى المجتمع، وهذا ما ينطبق ايضاً، على العديد من الفئات المهنية الاخرى، كما نلاحظ ان عملية الاستثمار التعليمى يمكن ملاحظاتها من خلال الفوائد المالية أو الاستثمارية، التى يمكن ان تعود على المجتمع ككل. وهذا ما يتمثل إذا طرحنا مثال تحويلات العمالة المهاجرة للخارج – بالرغم من الجوانب السلبية – إلى ان فائض العمالة عن السوق المحلى المصرى خلال الربع القرن الاخير، كان يعتبر من أهم الموارد التى تدر على الخزانة العامة بالكثير من الاموال. وشكلت تحويلات العمالة المهاجرة في مرحلة من المراحل اعلى مصدر للدخل فى المجتمع المصرى. هذا ما ينطبق عموماً على الكثير من الدول الاسيوية والتى تعمل ابنائها فى الدول الخليجية.

فى نفس الوقت، ان الاستثمار التعليمى لا يقتصر فقط على الفوائد الاستثمارية التى تعود على المجتمع، فالتعليم فى حد ذاته يعتبر مصدر للحصول على الوظائف والمهن

وتوفير فرص الحياه The life chances، والحصول على الاجور العالية، وحماية الافراد من البطالة، وتحسين مستويات المعيشة للافراد المتعليمين عن غيرهم. ولقد ظهرت تحليلات كثيرة حول سعى الطبقات العليا والمتوسطة لامتثال رأس المال الثقافى عن طريق التعليم. ولا تزال هذه الطبقات تسعى جاهدة لادخال وتعليم ابنائهم فى مستويات ومؤسسات تعليمية جيدة، من اجل توفير فرص عمل مستقبلية لهم، وحصولهم على المراكز المهنية والوظيفية المناسبة، والتى تؤهلهم إلى ارتفاع مستوى معيشتهم، وتساعدهم على الحياة الاجتماعية والاقتصادية الكريمة. بإيجاز، ان الاهتمام بالاستثمار التعليمى على المستوى القومى أو الفردى أو الاسرى يعد أمراً ضرورياً لحدوث تغيير اقتصادى واجتماعى أفضل لهذه المستويات، وهذا ما اكده عليه علماء الاجتماع والاقتصاد والتربية، عندما اهتموا بمعالجة طبيعة الاستثمار التعليمى أو اقتصاديات التعليم عامة.

سابعاً: المؤسسات التعليمية كتنظيمات اجتماعية

يؤكد علماء البنائية الوظيفية على ضرورة دراسة العلاقة بين البناء Structure والوظيفية Function، وتعتبر المؤسسات التعليمية، كنوع من البناءات الاجتماعية التى ترتبط بمجموعة من الوظائف الهامة التى تحدد مسبقاً لها من اجل تنفيذ هذه الوظائف وانجازها. وإذا حدث خلل فى مكونات هذا البناء فسيترتب عليه خللاً وظيفياً فى المهام والواجبات أو الاهداف العامة التى يهدف إلى تحقيقها وتنفيذها. ومن هذا المنطلق، ركز علماء الاجتماع على دراسة المؤسسات التعليمية مثل المدارس والجامعات واعتبارها انساق اجتماعية Social System، ترتبط ببقية النظم الاجتماعية الاخرى، وهذا ما يتصور فى تحليلات عالم الاجتماع الامريكى تالكوت بارسونز T. Parsons وزميله روبرت ميرتون R. Merton.

ولكن مع ظهور علم اجتماع التنظيم Sociology of Organization، واعتباره احد فروع علم الاجتماع التى تركز على دراسة التنظيمات الاجتماعية ايا كان نوعها فى المجتمع الحديث، تطور الاهتمام بدراسة المدارس والجامعات، واستطاع علماء علم اجتماع التنظيم عن طريق تبنيهم النظريات والمداخل السوسيولوجية لدراسة المؤسسات التعلمية من مختلف جوانبها وتحليل المشكلات، التى تواجهها خلال قيامها بمهامها الوظيفية فى المجتمع الحديث. كما ان هذا الاهتمام قد وجد أيضاً تطورات حديثة فى مجالات علم اجتماع التنظيم، ولا سيما بعد تطور المداخل المؤسساتى Institutionalist Approach، الذى يؤكد على اهمية دراسة المؤسسات الاجتماعية المختلفة فى ضوء تحليل علاقتها بالبيئة الاجتماعية التى توجد فيه.

وخلال السنوات الاخيرة، اهتمت مجموعة كبيرة من علماء علم اجتماع التنظيم بدراسة المدارس والجامعات واعتبارهما نوع من التنظيمات الاجتماعية Social Organization، التى يجب ان يهتم بها علم الاجتماع والاقتصاد والنفس والتربية وغيرهم(١). وخاصة ان المدارس والجامعات تقوم بأدوار متعددة فى المجتمع الحديث وتعتبر من التنظيمات المعقدة التى لا يسهل دراستها وتحليلها بسهولة. كما ان هذه التنظيمات أو المؤسسات التعليمية تلعب دور اساسى فى اعداد جميع الفئات والكفاءات المهنية والادارية، فى مختلف التخصصات وتزويد سوق العمل والمؤسسات والتنظيمات الاجتماعية والانتاجية بها. وهذا ما جعل تالكوت بارسونز وان تصف المدرسة والجامعة بمفهومات مثل المصنع Asfactory، وتحديد مفهوم الجامعة باعتبارها التنظيم الأم Mother of Organization لجميع التنظيمات والمؤسسات الأخرى فى المجتمع الحديث.

ويمكن دراسة المدرسة أو الجامعة كتنظيم As Organization عن طريق دراسة هذه البناءات والعمليات التنظيمية الدخلية لهذه المؤسسات. فهذه المؤسسات تتكون من مجموعة من الابنية الفيزيقية التى يعمل بها مختلف التخصصات العملية والمهنية تميزت بداخلها بالكثير من أنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية، كما يحدث فيها العديد من انماط التعاون، والصراع، والتنافس، وبين الفئات المهنية أو ما يعرف بالصراع العلمى الاكاديمى. كما ان دراسة هذه الفئات أو العلاقة بين المدرسين والتلاميذ وبينهم جميعاً. ومع اداراتهم التعليمية والكشف عن المشكلات التى تؤدى إلى الخلل الوظيفى من شأنها ان تعزز عمليات الكفاءة والفاعلية لهذه المؤسسات ومحاولة علاجها وتطويرها للأفضل فى نفس الوقت، ان المؤسسات التعليمية يوجد بها مجموعة من الانساق الداخلية مثل انساق التعاون والضبط والادارة والتحكم والسيطرة، غيرها من العمليات والميكانزمات، التى يمكن دراستها وتحليلها بسهولة بواسطة علماء اجتماع التنظيم، وذلك على ضوء خبرتهم العملية المهنية عند دراسة مثل هذه التنظيمات.

علاوة على ذلك، يستطيع علماء التنظيم ان يدرسوا المؤسسات التعليمية فى ضوء تحليلهم لمجموعة الادوار الوظيفية Functional Roles، سواء لهذه المؤسسات مدرسة أم جامعة، وايضاً تحليل جميع الادوار الوظيفية الاخرى سواء

---

(١) انظر للباحث فى هذا المجال الابحاث والمراجع الآتيه.

- عبد الله محمد عبد الرحمن، الجامعة والمجتمع: دراسة ميدانية على جامعة السلطان قابوس، الاسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٩.
- عبد الله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع المدرسة، مرجع سابق.

للتلاميذ والطلاب أو اعضاء الهيئات التدريسية، ومعرفة ما ينبغى ان يكون عليه هذا الدور فى هذه المؤسسات دراستها وتحليلها. كما ان هذه المؤسسات لها نوع من الثقافات الفرعية Subcultures، التى يهتم بدراستها وتحليلها وهذا ما حلله بالفعل الكثير من علماء اجتماع التربية عندما درسوا الثقافات المدرسية School Cultures، ونوعية المشكلات التى تحدث داخل الفصول الدراسية والحياة اليومية سواء لهذه المؤسسات أو التلاميذ أو هيئات التدريس والفئات المعاونة لها.

من ناحية أخرى، يهتم علماء اجتماع التنظيم بدراسة المؤسسات التعليمية المختلفة، فى ضوء ما يعرف بتفسير العلاقة المتبادلة بينها كانساق فرعية، وبقية الانساق الاخرى التى توجد فى المجتمع. فهناك علاقات متبادلة بين المدرسة على سبيل المثال والاسرة، والمجتمع المحلى، ووزارة التعليم والعمل والصناعة وغيرها وهذا ما ينطبق على الجامعة كوسيلة تعليمية. فهذه المؤسسات التعليمية لا تعمل فى فراغ بقدر ما تؤدى وظيفتها فى المجتمع، وهو النسق الاكبر الذى يعترف بشرعيتها ونوعية خريجها والشهادات العلمية التى تمنحها.

بإيجاز، يهتم علماء التنظيم بدراسة ما يعرف بتأثير العوامل الداخلية والخارجية External & Internal Factors، التى توجد داخل المؤسسات التعليمية أو التى يكون بصددها البيئة الخارجية، لهذه المؤسسات فى نفس الوقت. وهذا، ما يهتم به عموماً الباحثين المتخصصين فى دراسة التنظيمات عندما يحللوا طبيعة المؤسسات التعليمية واعتبارها تنتمى إلى اى نوع من الانساق المفتوحة أو المغلقة Closed or opend systems، والتى تندرج عموماً تحت اطار نظرية الانساق العامة عند دراستها للمؤسسات الاجتماعية ككل. على ايه حال، ان الاهتمام بدراسة المؤسسات التعليمية سواء اكانت مدارس أو جامعات من شأنها ان تعزز معرفته للدور الوظيفى، الذى تقوم به هذه المؤسسات فى المجتمع الحديث من ناحية، وايضاً النظام التعليمى وعلاقته ببقية النظم الاجتماعية الأخرى، وهذا هو جوهر اهتمامات علماء الاجتماع والمخصصين فى مجالاته وفروعه المختلفة.

خاتمة:

ما من شك، ان دراسة النظام التعليمى تسهم فى معرفة الكثير من الافكار والتصورات التى تتم مناقشتها وتحليلها بواسطة علماء الاجتماع والمتخصصين فى مجالاته المتعددة. وكيف يهتم هؤلاء الباحثين بدراسة القضايا والمشكلات التعليمية التى توجد فى مجتمعنا الحديث. ان دراسة النظم الاجتماعية تعد من اهم الدراسات التى يهتم علماء الاجتماع بدراستها كغيرهم من علماء العلوم الاجتماعية، ولا سيما

ان طبيعة المجتمع تتكون من مجموعة من البناءات والنظم الاجتماعية المتداخلة فيما بينها والتى تكون بصورة عامة طبيعة الحياة الاجتماعية المعقدة والتى تتسم بها الحياة الاجتماعية العصرية.

ومن هذا المنطلق، اهتم علماء الاجتماع أو علماء اجتماع التربية بدراسة كيفية تطور الاهتمام بتحليل ودراسة النظام التعليمى ومؤسساته فى المجتمعات الحديثة، وكيف تغير هذا النظام طبقاً لمتطلبات واحتياجات المجتمع، ونوعية الأهداف التى يسعى لتحقيقها من هذا النظام ككل. فالعملية التعليمية والنظام التعليمى دائماً فى حالة من التغير المستمر، وهذا ما يفسر مدى ارتباطهم بعملية التغير الشامل التى تحدث فى المجتمعات البشرية. ولقد افادت تحليلات علماء الاجتماع واستخدامهم المداخل المقارنة لدراسة مظاهر هذه التغير الذى طرأ على العملية التعليمية والنظام التعليمى ومكوناتهما بصورة عامة.

من ناحية أخرى، لقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة النظام التعليمى عن طريق توظيف امكاناتهم النظرية والمنهجية العلمية فى دراسة هذا النظام والمشكلات التى تواجهه، وذلك بهدف تطويره وتحديثه وكيفية تفسير العلاقة الوظيفية المتداخلة بينه وبين بقية النظم الاجتماعية النظرى. وهذا ما كشفت عنه التحليلات المرتبطة بوظائف النظام التعليمى، والعلاقة المتداخلة بين التعليم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وقضايا هامة أخرى مثل الاستثمار التعليمى، ودور المؤسسات التعليمية فى المجتمعات الحديثة، باعتبارها من المؤسسات الاجتماعية الهامة، والتى تمد جميع التنظيمات والمؤسسات الاخرى بكافة التخصصات البشرية والعلمية اللازمة لعمليات العمل والانتاج فى المجتمعات الحديثة.

الباب الخامس
التغير والتخطيط الاجتماعى

الفصل الثالث عشر : التغـــــيير الاجتمـــــــاعى

الفصل الرابع عشر : التخطيـــط والسياســة الاجتماعيــة

الفصـــل الثالث عشـــر
التغير الاجتماعى

* مقدمة :

أولاً : تعريف التغير الاجتماعى.

ثانياً : اهم المفاهيم المرتبطة بالتغير.

ثالثاً : نظريات التغير الاجتماعى.

رابعاً : العوامل المسببة للتغير الاجتماعى.

خامساً : انواع التغير الاجتماعى.

سادساً : مستويات التغير الاجتماعى.

سابعاً : معوقات التغير الاجتماعى.

* خاتمة

مقدمة :

ارتبطت نشأة العلوم الاجتماعية عامة، وعلم الاجتماع خاصة بدراسة التغير الاجتماعى Social Change، نظراً لان هذه العلوم وتطورها جاءت بفعل عوامل التغير والتطور التى حدثت فى مراحل التحول من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الحديثة. فالمتتبع لنشأة علوم الاقتصاد والسياسة والنفس والاجتماع على سبيل المثال، نجدها قد ظهرت نتيجة الحاجة المتزايدة والملحة لضرورة فصل هذه العلوم عن العلم الاساس وهى الفلسفة، وظهر ذلك خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. خاصة، بعد ان تأكد لرواد هذه العلوم، من ضرورة وجود علوم اجتماعية متخصصة، تهتم بدراسة قضايا التغير والتطور التى بدأت خطواتها بصورة سريعة لتكوين المجتمعات الحديثة.

ويتركز اهتمامات علماء العلوم الاجتماعية على اهمية دراسة طبيعة المجتمع الحديث ومعرفة مظاهر التغير السريعة التى طرأت على جوانبه المختلفة، واحدثت انواع متعددة من التغيرات على نوعية البناءات والمؤسسات والنظم الاجتماعية، والتى لا تزال تكون فى حالة من الديناميكية المتغيرة. وجاءت عملية التغير الاجتماعى، فى اطار مجموعة من الافكار والتصورات، التى تؤكد على أن هذا التغير ضرورة حتمية لابد من حدوثها، وان كانت قد تغيرت نسبته ومستوياته سواء اكانت بصورة تدريجية أو بصورة فجائية وسريعة. وتتميز اهتمامات علماء الاجتماع عن غيرهم من العلوم الاجتماعية بأنهم يدرسون التغير الاجتماعى، الذى يحدث داخل المجتمع، وله اثار ونتائج ومظاهر متعددة، سواء على الفرد أو الشخصية الفردية أو الاسرة والجماعة والمجتمع المحلى أو القومى أو العالمى فى نفس الوقت.

والتغير يعتبر سمة من سمات الحياة البشرية منذ ان ظهر الإنسان على سطح الارض، يحدث التغير على مكونات البيئة الفزيقية والطبيعية التى تحيط بالانسان، ويمكن للفرد العادى مشاهدتها بسهولة من خلال تتبع المظاهر الكونية مثل حركات الشمس والقمر وسرعة الرياح وشدتها، أو نوعية التباين فى درجات الحرارة وغيرها. كما يستطيع الفرد العادى أن ينتقل من مكان إلى آخر، وان يتابع عن طريق الاتصال الثقافى والاعلامى نوعية التغير فى البيئة الخارجية والذى يحدث بصورة سريعة. ويهتم بدراسة التغير كل من علماء العلوم الطبيعية والاجتماعية فى نفس الوقت، وان كانت تتباين نوعية الاهتمامات حسب طبيعة التخصصات، التى يهتم بدراستها العلماء والقضايا التى يطرحوها للمناقشة والدراسة والتحليل.

ويعتبر موضوع دراسة التغير الاجتماعى من الموضوعات الهامة أو المجالات الاساسية التى يسعى علماء الاجتماع لدراستها. خاصة، وأن اهتمامهم الاول يتركز لدراسة مظاهر التباين والاختلاف الذى يحدث على البناءات والنظم

والافراد والجماعات الاجتماعية. كما نجد ان من هناك من العلماء الذى يعرف علم الاجتماع ذاته، بانه العلم الذى يهتم بدراسة التغير داخل المجتمع الحديث. وهذا بالفعل ما اهتم به علماء الجيل الاول من علماء الاجتماع، عندما سعوا لوضع اسس هذا العلم ليدرس الطبيعة الديناميكية للمجتمع الحديث، الذى يتغير بسرعة كبيرة، ولا سيما بعد حدوث التصنيع وظهور ما يعرف بمجتمع الصناعة، والذى اختلف بصورة كبيرة عن طبيعة الحياة التقليدية التى كانت موجودة خلال العصور السابقة.

وفى إطار اهتمامنا بتعريف القارئ، بأهم الموضوعات والمجالات التى يركز علم الاجتماع على دراستها، نسعى حاليا لدراسة موضوع التغير الاجتماعى، وكيف يفسر علماء الاجتماع هذا التغير؟ وما هى المفاهيم والتصورات التى يستخدمونها عند دراسة التغير الاجتماعى؟. وهل يحدث التغير نتيجة وجود عامل واحد، أو ما سمى بالعامل الأوحد لحدوث ظاهرة التغير، ام ان هناك مجموعة متداخلة لحدوث التغير فى المجتمعات الحديثة؟ وما انواع التغير أو انماطه المختلفة؟. وهل هناك عقبات ومعوقات للتغير الاجتماعى؟، وما مستويات التغير التى تحدث فى المجتمعات الحديثة. هذا بالاضافة إلى، معرفة اهم النظريات السوسيولوجية أو الاجتماعية التى سعت لدراسة التغير، وكيف يمكن دراسة التغير الاجتماعى. تلك اهم الموضوعات والقضايا والتساؤلات المطروحة للاجابة عليها، من خلال تناولنا الموجز والمبسط لقضية التغير الاجتماعى من منظور علم الاجتماع والمتخصصين فيه.

أولاً: تعريف التغير الاجتماعى:

لا تزال مشكلة تحديد المفاهيم ووضع التعريفات المميزة والمحددة فى علم الاحتماع، من اهم الصعوبات التى تواجه المهتمين والمنتظرين لهذا العلم، وهذا ما ينطبق عموماً على العديد من العلوم الاجتماعية الاخرى. وترتبط هذه المشكلة بطبيعة التباين والاختلاف بين المتخصصين فى هذا العلم، ونوعية القضايا الاساسية التى يطرحوها للمناقشة والتحليل، وتباين وجهات النظر المفسره لها، والمناهج أو الطرق المنهجية وجمع البيانات التى يستخدمها العلماء عند دراسة هذه الموضوعات أو القضايا. وان كان ذلك لا ينفى على الاطلاق، وجود جهود مشتركة أو شبه اتفاق حول عدد من المفاهيم والتعريفات، التى يتفق حولها علماء الاجتماع عند دراستهم لقضية التغير الاجتماعى، مثل غيرها من القضايا والموضوعات التى يهتمون بدراستها وتحليلها. على أية حال، سوف نوضح فيما يلى اهم التعريفات المميزة للتغير الاجتماعى.

يوضح انطونى سميث A. Smith فى كتابه المميز عن التغير الاجتماعى Social Change[1]، ان عملية وضع تعريفات وتحديدها لا تتضح أو تفسر إلا من

(١) Smith, A, Social Change: Social Theory and Historical Processes, London: Longman, 1976, P. 12.

خلال استخدامها، ولهذا لابد ان نوضح اولاً، ان دراسة ظاهرة التغير سواء اكانت اجتماعية أو تاريخية، تعتبر ظاهرة واسعة وكبيرة جداً. وهذا ما يجعل حدوث نوع من الغموض والتداخل حول وضع تعريف مميز للتغير الاجتماعى. ولكن هناك بعض المحاولات التى تعرف التغير أو فكرة التغير، على انه نوع من "الشكل المستمر أو المتلاحق حدوثه بصورة مستمرة، كما يحدث نوع الاختلافات أو التباين المؤقت بين الوحدات الداخلية". ويقترب هذا التعريف من تعريف نسبت Nisbet، عندما سعى لنقد وتحليل فكرة النمو الاجتماعى Social growth والنقد الاجتماعى والتاريخ. حيث يعرف التغير "على انه نوع من الاختلافات المتلاحقة التى تحدث بمرور الوقت داخل الوحدات المستمرة الحدوث"(١).

ويتضح من تعريف "نسبت" السابق للتغير، اتساع هذا المفهوم وتأكيده على استمرارية هوية العنصر الذى يحدث فيه التغير. وهذا ما يجعل تعريفه إلى حد ما يتجاهل اضفاء بعض العناصر المكونه للشئ الذى يحدث فيه التغير من ناحية، أو حدوث تعديلات أو عمليات احلال لبعض هذه العناصر بأنواع جديدة منها. ومن ناحية أخرى سقوط الامبراطورية الرومانية، ثم احلالها فى الغرب بمجموعة من المملكات القبلية، وذلك بعد عام ٤٧٦م. وهذا الحدث يفسر ان التغير قد حدث ليس فقط على طبيعة الاقليم والسكان والمدن ولكن أيضاً على مستوى الامبراطورية الرومانية ذاتها.

وبعد الاعتراض السابق لانطونى سميث على تعريف نسبت، نجده يطرح تعريفاً آخر للتغير اكثر تحديداً، ويشير إلى التغير "بأنه نوع من الاحداث المتلاحقه والذى ينتج عنه بمرور الوقت، تعديل وأحلال لانماط معينة أو الوحدات التى تحدث عليها عمليات التغير"(٢) ويظهر من هذا التعريف، ابراز العنصر الديناميكى لحدوث عملية التغير، وميكانزماته المختلفة. خاصة، وأن حدوث التغير لابد وأن يشير إلى تعديل وتغير أو احلال فى عناصر الوحدات التى يحدث فيها التغير ذاته. وعلاوة على ذلك، لأن التغير يحدث بصورة مستمرة سواء إذا كان التغير كنوع من الاصلاح البسيط، أو التغير الثورى الرديكالى الذى يؤدى إلى تغيرات جذرية.

كما يوجد بعض التعريفات السوسيولوجية المميزة الأخرى، التى تتشابه مع تعريف سميث السابق، وذلك من حيث تأكيدها على حدوث التغير واستمراريته على مكونات العناصر أو الظواهر، كما ان التغير ذاته يختلف حسب انواعه من حيث

---

(١) انظر:

- Nisbet, R, A, Social Change and Hsitory Oxford Univ. 1969, P. 168.

(٢) Smith, A, op.cit, P. 13.

التعريف. وهذا ما نجده على سبيل المثال، فى تعريف عالم الاجتماع الامريكى نيل سملسر N. Smelser[1]، الذى نجده يفرق بين انواع مختلفة من التعير، حيث يتصور ان ابسط انواع التغير هو ما يحدث فى بناء اجتماعى معين عن طريق تغير انساق المكافآت والجزاءات أو تغير مكانة الافراد. وقد يصحب ذلك، من تغير فى انماط العلاقات والتفاعلات المؤقتة التى تنشأ بين الافراد دون تغير فى العلاقات الاجتماعية الاساسية أو الجماعات المؤقتة، التى تشكل البناء الاجتماعى ذاته ويطلق على هذا النوع من التغير بالعملية الاجتماعية Social Process. اما النوع الثانى، من التغير هو الذى يحدث عن طريق تكرار العملية الاجتماعية، مثل الحراك الاجتماعى Social Mobility، أو الانتخابات السياسية Political Election، حيث يحدث الحراك الاجتماعى عن طريق انتقال الافراد من مركز اجتماعى إلى مركز اجتماعى آخر، دون ان يصحب هذا الانتقال تغير فى التركيب الطبقى. وهذا ما ينطبق ايضاً، على الانتخابات السياسية، إذ يترتب عليها تقيد وتوزيع فى المناصب السياسية، ومراكز السلطة والقوة، وظهور قيادات جديدة، غير ان ذلك لا يعنى حدوث تغير فى البناء أو النظام السياسى Political Systems.

وبالاضافة إلى النوعين السابقين من التغير - كما جاء فى تحليلات سملسر - يوجد نوع ثالث للتغير يمكن أن يطلق عليه بالانقسام أو التعدد Segmentation. حيث يتيح عن (التغير) اضافة وحدات جديدة إلى جانب الوحدات القائمة دون حدوث اختلاف جذرى. مثال ذلك، الزيادة السكانية الناجمة عن زيادة حجم الاسر، أو التوسع الافقى فى عدد المصانع أو الشركات نتيجة لزيادة الطلب المستمر. كما ان النوع الاخير من التغير يطلق عليه بالتغير البنائى Structural Change، وهو نوع من التغير الاساسى لانه يحدث تغيراً ملحوظاً وعميقاً على جميع بناءات المجتمع ونظمه وظواهره وعلاقاته، ويشمل ايضاً جميع انماط سلوك النشاط والعلاقات الاجتماعية التى توجد فى المجتمع الحديث.

ويتضح لنا من تعريف سملسر السابق، مدى خبرته الاكاديمية أولاً كعالم اجتماع، أو بالتحديد عالم اجتماع اقتصادى، يحلل التغير ويفسره حسب انواعه المختلفة ودرجات ومستويات حدوثه، وكيف يحدث التغير فى انساق العلاقات والمراكز الاجتماعية مثل حدوث الحراك الاجتماعى، أو حدوث التغير نتيجة تغير البناءات أو توزيع السلطة، دون حدوث تغير فى النظام السياسى. كما يشير إلى التغيرات الجذرية، مثل التغير البنائى الذى يحدث على جميع مكونات البناء أو النظم أو الظواهر التى تحدث فيها تغيير. وبإيجاز، هذا التفسير أو التعريف

(١) Smelser, N, The Sociology of Economic Life N.Y: Prentic Hill, 1969, P. 99.

المتعدد لانـواع التغير الاجتمـاعي مـن جـانب سملسر، يكشـف لنـا بوضـوح رؤيـة النظرية البنائية الوظيفية التي يندرج تحتها كتابات سملسر بصورة خاصة.

وبالاضافة إلى ذلك، يوجد تعريف آخر يطرحه ريموت فيرث R. Firth ونجد فيه نوع من تقارب وجهات النظر بين فيرث وسملسر، عندما يؤكدان على تحديد وتمييز التغير البنائي، بصورة خاصة. فلقد ميز ميرث بين نوعين من التغير، النوع الاول وهو التغير التنظيمي Organizational Change والثاني التغير البنائي Structural Change، ويعرف الاول (التنظمي) انه التغير الذى لا يؤدى إلى تغير في العلاقات الاساسية بين اعضاء المجتمع، أو بين الجماعات التي تدخل في تكوين البناء الاجتماعي. اما التغير البنائي، فهو الذى يقضي إلى ضرورة احداث تغيرات في مخلتف الظواهر والنظم الاجتماعية[1].

كما يعرف كنجزلي ديفيز K. Davis التغير الاجتماعي على أنه "مجموعة الاختلافات التي تحدث داخل التنظيم الاجتماعي Social Organization، والتي تظهر على كل من البناءات والنظم التي تحدث في المجتمع". كما يمكن ان نعرف التغير الاجتماعي "على انه جزء أو نوع من الأشكال العامة والكبرى والتي تطلق عليها بالتغير الثقافي Cultural Change"[2]. كما يعرف بوتومور Bottomore، التغير الاجتماعي على انه "تغير يحدث في البناء الاجتماعي Social Structure (متضمناً هنا التغيرات في حجم المجتمع) أو في نظم اجتماعية خاصة، أو في العلاقات بين النظم الاجتماعية[3] ومن ثم، فان التغير الاجتماعي يمكن ايضاً، أن يكون جزءاً من التغير الثقافي – وهذا يعكس تقارب وجهات نظر بين كل من ديفيز وبوتومور في تصورهما للتغير الاجتماعي على انه جزء أو شكل من اشكال التغير الاكبر وهو التغير الثقافي. ومن ثم، فالتغيرات الثقافية والاجتماعية ترتبط كل منهما بالآخر عند تفسيرهما مثل دراسة النظم الاجتماعية والنظام الاقتصادى والسياسي على سبيل المثال، فمن الصعوبة الفصل بينهما إلا من اجل التميز وتحديد نوعية وانماط مكونات كل من النظامين.

وبإيجاز، ان دراسة عملية التغير الاجتماعي تعتبر من الدراسات الصعبة، نظراً لتداخلها مع العديد من المفاهيم الاخرى. علاوة على اتساع عملية التغير الاجتماعي وارتباطها بعملية التغير التاريخي والثقافي، التي تعتبر اعم واشمل من

(١) للمزيد من التفاصيل انظر:
- عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٤٨٧.

(٢) Davis, K, op. cit, P. 622.

(٣) بوتومور، مرجع سابق، ص ٣٨٩ – ٣٩٠.

التغير الاجتماعي ذاته. وان كانت التعريفات الموجزة السابقة، قد اعطت تصوراً مقترحاً لمفهوم التغير الإجتماعي، والذى يمكن تحديده على انه نوع من التباين والاختلاف الذى يحدث، على مكونات البناء الاجتماعي والنظم والظواهر الاجتماعية، والذى يؤدى إلى حدوث تغير فى أنساق التفاعل والعلاقات وانماط السلوك والنشاط الانسانى، ويعد السمة المميزه لطبيعة الحياة الاجتماعية فى المجتمعات الحديثة.

ثانياً: أهم المفاهيم المرتبطة بالتغير:

كشفت التحليلات السابقة عن وجود كثير من المفاهيم، التى ترتبط بالتغير الاجتماعي عن تحديده وتمييزه ووضع تعريف محدد له. كما ان التغير الاجتماعى وتعريفه يتغير حسب انواع التغير، سواء أكان تغيراً بسيطاً يحدث فى العلاقات أو العمليات الاجتماعية أو تغيير يحدث نتيجة للحراك الاجتماعى والمهنى، أو حدوث التغير الذى ينتج عنه تباين واختلاف من حيث الشكل دون حدوث التغير فى الجوهر. علاوة على ذلك، ان مفهوم التغير البنائى الذى يحدث نتيجة ظهور تغيرات جذرية يختلف حسب انواع التغير السابق. ومن ثم، نجد أن تحديد المفهوم التغير ذاته، يتباين حسب نوعه كما ظهرت تحليلات كل من سميث، وسملسر، وفيرث على سبيل المثال.

وبالطبع، ان التغير الاجتماعى كموضوع واسع ويعد مجالاً من اهم مجالات علم الاجتماع ويندرج عموماً دراسته تحت التغير الثقافى Cultural Change، الذى يكون اعم واشمل من التغير الاجتماعى، إذا ما نظرنا إلى مفهوم الثقافة كما حدده تايلور، والذى يشمل كل من العادات والتقاليد والقيم والاخلاق والفن والقانون، وكل ما يكتسبه الفرد فى المجتمع باعتباره عضواً فيه. وعلى اية حال، نحاول حالياً تحديد العلاقة بين مفهوم التغير وعدد من المفاهيم الأخرى.

- التطور والنمو والتقدم

يوضح بوتومور فى كتابه علم الاجتماع[1]، ان مفهوم التغير يتداخل مع مفاهيم مثل التطور والنمو والتقدم، كما وجد من خلال تحليل تراث علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الاخرى، ان كثيراً من المفكرين قد يخلط ما بين هذه المفاهيم ومفهوم التغير، أو احياناً يرادف فى استخداماته لهذه المفاهيم. كما نجد ان كثيراً من العلماء يعقدون نوع من التميز بينهما، وان كانت هذه المصطلحات أو المفاهيم ترتبط بالاخر بصورة أو بأخرى.

- مفهوم التطور والتغير

ويتناول بوتومور لفكرة أو مفهوم التطور، Evolution اولاً خاصة وان هذا المفهوم قد تم استعارته من نظريات التطور البيولوجى، التى ظهرت خلال القرن

(١) بوتومور، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٣٧٢.

التاسع عشر، وظهرت بوضوح فى تحليلات مجموعة كبيرة من علماء الاجتماع من أمثال هربرت سبنسر، سواء فى كتابه الاستاتيكا الاجتماعية، أو كتابة اسس علم الاجتماع، حيث عقد نوع من المماثلة بين المجتمع والكائن الحى، وبين النمو الاجتماعى والنمو العضوى. وان كان لم يعرض كثيراً لمفهوم التطور، الاجتماعى.

كما استخدم تايلور فى كتابه الثقافة البدائية مصطلح التطور - Primitive Culture، عند تفسيره لتطور الحضاره، حيث كان يرادف بين النمو والتطور من حيث تحديد أو تفسير مراحل الحضارة وتطورها. كما قد يسعى وليم اوجبرن W. Ogburn، ليشير إلى مفهوم التطور عندما يميز بين النظريات البيولوجية والنظريات المختلفة فى التطور الاجتماعى. ولم يرفض (اوجبرن) مفهوم التطور بصورة كامله، بقدر ما سعى للاشارة إلى ان المحاولات التى بذلت للكشف عن قوانين الوراثه، والتنوع، والانتخاب، فى تطور النظم الاجتماعية، لم تتضمن إلا القليل من النتائج الهامة. كذلك سعى جولدن تشايلد G. Childe للتمييز بين التقدم التاريخى والتطور العضوى وبين الثقافة الانسانية والتكوين الجسمانى، وبين الارث الاجتماعى والوراثه البيولوجيه. فالالات التى يستخدمها للانسان مختلفة تماماً عن الادوات أو الاعضاء البيولوجية التى توجد فى جسم الكائن العضرى. خاصة، وأن الانسان يستطيع ان يلقى بهذه الادوات احياناً إلى جانبه، ولا يستخدمها، فى حين أن الاعضاء البيولوجية تعمل بصورة طبيعية كما أن أدوات الإنسان تعتبر شيئاً مكتسباً، وهذا ما يمكن ان يميز بين التطور الطبيعى أو التطور العضوى والتطور الاجتماعى ذاته.

- مفهوم النمو والتغير

وفى مواطن أخرى، اهتم عدد من العلماء إلى استخدام مفهوم النمو، Growth بدلاً من التطور، وذلك عند تحليلهم لعملية التغير التاريخى: وان كان هوبهاوس قد استخدام هذين المفهومين (النمو والتطور والتغير بصورة مترادفه) – ولقد برر عدد من العلماء ان هذا التداخل يكشف عن تداخل العديد من المفاهيم التى تفسر كل من التاريخ الطبيعى وبين التاريخ الانسانى، وهذا ما ظهر فى كتابات كل من سبنسر دور كايم عند تفسيرهما لعملية النمو السكانى والتغيرات الاجتماعية التى تحدث نتيجة هذا النمو.

كما أن استخدام مفهوم النمو، لم يكن دائماً مفهوماً وقتياً مقارنة بمفهوم التطور، عند دراستهما أو استخدامها فى دراسة الظواهر الاجتماعية[1]. ويشير مفهوم النمو حسب الاستعمال العادى (تفتح تدريجى)، أو النضج الكامل لعناصر أو جزئيات

---

(١) للمزيد من التفاصيل ايضاً انظر:

- Maciver, R, & Page, Society, London: Macmillan comp, 1965, chap. 28.

شيئاً ما. وبهذا المعنى يمكن الحديث عن نمو الطفل أو نمو (تطور) المرض، ولكن من الصعوبة ان نتحدث بنفس الاسلوب عن النمو الاجتماعي، نظراً لاننا لا نستطيع دائماً ان نتحكم بصورة محددة في أي جزء أو مرحلة لكي نلاحظ النمو الاجتماعي. كما احياناً يمكن استخدام مصطلح النمو، عندما نشير إلى النمو المعرفي والثقافي، ونحدد من خلاله كيفية سيطرة الانسان على البيئة الطبيعية عن طريق استخدام التكنولوجيا. ويمكن أن تستخدم مصطلح النمو، عندما نشير إلى نمو الظاهرة الصناعية، أو عندما نقارن بين المجتمعات الصناعية من ناحية والمجتمعات التقليدية من ناحية اخرى.

كما نجد ايضاً ان مفهوم النمو قد يستخدم ليشير إلى عملية التنمية Development، وخاصة عندما نحاول ان نعقد نوع من المقارنة بين النمو الاقتصادى الذى حدث في المجتمعات الغربية والتنمية التى كثرت في المجتمعات النامية. وهذا ما ظهر في تحليلات ماكس فيبر عندما سعى لاستخدام كلمة النمو والتنمية لدراسة عمليات معينة من التغير الاجتماعي، ومعرفة الظروف التاريخية ونوعية التفاعل والسلوك البشرى، وغير ذلك من عمليات لاحقة للتغير تحدث في المجتمعات، نتيجة لعمليات النمو والتنمية. وهذا ما يجعل كثير من المفاهيم تتداخل، مع بعضها عند دراسة موضوع أو مفهوم التغير.

- **مفهوم التقدم والتغير**

يوضح مفهوم التقدم Progress على انه من المفاهيم التى تتداخل مع كل من النمو، والتطور والتغير ايضاً، وهذا ما يظهر بوضوح عندما نحلل كتابات كل من اوجست كونت وسبنسر. وان كانت هناك بعض الجهود التى سعت للتمييز بين التطور الاجتماعى والتقدم الاجتماعي، فلقد استخدم هوبهاوس مثلاً مفهوم التطور الاجتماعى ليشير لمدى امكانية استخدام العلوم السوسيولوجية لتقدم الجنس البشرى، ومعرفة هذا التقدم عبر العصور التاريخية، وايضاً العمل على التحقق من طبيعة هذا التقدم والتنبؤ به في المستقبل. ومن ثم نلاحظ وجود نوع من الترادف بين كلمة التقدم والتغير عندما ندرس طبيعة التاريخ البشرى.

كما سعى هوبهاوس ليوضح العلاقة بين كل من مفهوم التطور، والنمو، والتقدم، عندما حلل طبيعة المعنى الدال على هذه المفاهيم وفي استخداماته واستخدامات العديد من علماء الاجتماع، حيث يقصد بمفهوم التطور، باعتباره نوعاً من النمو، ويقصد بمفهوم التقدم الاجتماعى على انه نمو الحياه الاجتماعية والخصائص العامة التى يتصف بها الجنس البشرى وهذا ما ظهر عموماً في كتاب هوبهاوس والتطور الاجتماعى والنظرية السياسية، ولكن كما يضيف هوبهاوس، ان

مهمة علم الاجتماع وعلماؤه يجب ان تكرس من اجل تحديد المفاهيم التى تربط بين النمو والتطور والتقدم والتغير، وذلك عن طريق تطوير نظرياته واسهامه لزيادة انماط المعرفة الانسانية، وكشفه لعمليات التقدم الصناعى التى تحدث فى المجتمع الحديث، علاوة على ذلك، ان حدوث نوع من التداخل فى المفاهيم السابقة تجعلنا جميعاً، نهتم باستخدام مفهوم التغير الاجتماعى وذلك للاشارة إلى جميع مظاهر التقدم والتطور والنمو، التى تحدث من المجتمعات الانسانية، حتى يمكن دراسة هذه المجتمعات بصورة واقعية، واكثر شمولاً وتحديداً للمفاهيم والتصورات والافكار العامة السوسيولوجية التى يستخدمها المتخصصين فى علم الاجتماع.

ثالثاً: نظريات التغير الاجتماعى:

ارتبطت دراسة التغير الاجتماعى بجهود علماء العلوم الاجتماعية عامة، وعلم الاجتماع على وجه الخصوص، ولا سيما بعد ان تناولت النظريات السوسيولوجية دراسة التغير الاجتماعى. كما اصبحت هناك نظريات مميزة يطلق عليها بنظريات التغير الاجتماعى Theoies of Social Changes. واصبحت هذه النظريات بمثابة الأطار التصورى الذى يوجه الباحثين والمتخصصين عند دراستهم لقضية التغير الاجتماعى سواء من الناحية النظرية أو الواقعية (الميدانية). علاوة على ذلك؛ لقد عززت هذه النظريات من المداخل المنهجية وطرق جمع البيانات، التى تتعلق بدراسة التغير الاجتماعى ومظاهرة واسبابه ونتائجه ككل.

من ناحية أخرى، ان دراسة تراث علم الاجتماع وتنوعه وتعدده خلال القرنين الماضين، يكشف لنا عن مدى الكم الهائل من هذا التراث الفكرى، الذى يعزز من القيمة العلمية والعملية لعلم الاجتماع ولا سيما فى السنوات الاخيرة. ومن هذا المنطلق، جاءت عملية التصنيفات لهذا التراث النظرى والميدانى، امراً ضرورياً ومهماً من اجل سهولة التعرف على النظريات السوسيولوجية التى ارتبطت بدراسة التغير الاجتماعى. وعموماً، توجد مجموعة كبيرة من النظريات التى اهتمت بدراسة التغير الاجتماعى، ولقد سعى عدد من علماء الاجتماع إلى تصنيف هذه النظريات ومن اهم هذه التصنيفات[1]:

---

(١) للمزيد من التفاصيل ارجع إلى:

- بوتومور، مرجع سابق، ص ٢٨٣، عبد الباسط حسن، مرجع سابق، ص ٥١١.

- Maciver R, & C. Page, Society, op. cit, chap. 25
- Inkeles, A, op. cit, PP. 30 - 34.
- Moore, W, Social Change N. J: Prentic Hall, 1963.

(١) تصنيف بيرسى كوهين P. Cohen للنظريات المفســرة لاتجاهــات التغـير وعوامله، حيث تصنف النظريات كما يلى:

- أولاً: التصنيف من حيث اتجاهات التغير

١- نظريات التقدم، التى تهتم بدراسة المكونـات الداخلية فى كل مجتمع على اساس تصنيف ملامح التغير إلى مراحل أساسية والتى تكشف عن طبيعة التغير وحدوثه بطريقة مختلفة عن المجتمعات الاخرى.

٢- النظريات الدورية: وتركز على دراسة التاريخ الكلى للمجتمعات البشرية، ويرى اصحابها انـه ليس من الضرورى ان تمر كل المجتمعـات بنفـس المراحل التطورية، فقد تختصر مجتمعـات مرحلـة من مراحل التغير التى حدث فى المجتمعات السابقة.

٣- نظريات المراحل المتتابعة. وترى هذه النظريات ان التغير يحدث فى صورة سلسله متتابعة الحلقات، ولا يمكن ان تسبق مرحلــة عـن أخـرى، نظـراً لارتباطها بمراحل تاريخية محددة.

- ثانياً: نظريات التغير التى تركز على العوامل المسببه لـه، ففـى رأى كثير من العلماء أن التغير لا يمكن ان يحدث من فراغ بقدر ما ينشأ أو يحدث نتيجة لوجود عامل أو مجموعة من العوامل ومن اهم هذه النظريـات التى تندرج تحت هذا التصنيف العاملى:

١- النظريات التكنولوجية.
٢- النظرية الاقتصادية.
٣- نظرية الصراع.
٤- نظرية اللاتكامل.
٥- نظرية التكيف.
٦- النظرية الفكرية.
٧- نظرية التفاعل الثقافى.

(٢) تصنيف ويلبرت مور W. Moore، الذى صنف النظريات تصنيفاً بنائياً، وذلك وفقاً لبعدين اساسين وهى:

(١) النظريات التى تهتم بدارسة الوحدات البنائية الصغيرة: وقد تعالج عدد من النظريات التغير عند اهتمامها ببعض الوحدات الصغيرة، التى تخضعها للدراسة والتحليل، وقد تكون هذه الوحدات نظـام اجتماعى، أو مجموعة مــن العلاقــات الاجتماعيـة، أو مجمع محلـى، أو مجتمـع قومـى. ويطلق على النظريـات الســابقة النظريات الايديولوجية الصغرى Micro Sociological Theories.

(٢) النظريات التى تهتم بدراسة التغير عن دراستها للمجتمع ككل وعلى المدى الطويل. وهذا ما يصف النظريات السوسيولوجية الكبرى التى تتسم فى تحليلاتها بالطابع الشمولي أو الكمي. ويطلق على هذا النوع من النظريات بالنظريات السيوسيولوجية الكبرى Macro Sociological Theories.

(٣) تصنيف اليكس انكليس A. Inkles، فلقد ركز على تصنيف النظريات على أساس معالجتها لاتجاهات التغير ضمن النموذج التطورى العام، وحددها إلى اربعة انواع وهي:

١- النظريات احادية الاتجاه. - Unilinear Theories

٢- النظريات الدائرية. - Cyclical Theories

٣- النظريات العالمية فى التطور - Universal Theories

٤- نظريات التطور المتعدد الاتجاهات. - Multiulinear Theories

(٤) تصنيف توم بوتومور T. Bottomore، الذى يتبنى نفس التصنيف السابق للنظريات السوسيولوجية للتغير الاجتماعي، وخاصة على اساس معالجتها لاتجاهات التغير ودراسته بصورة تطورية، وهى نوعان من النظريات:

١- النظريات الخطية Linear Theories، ويشير هذا النوع إلى التغير لسير حركة المجتمع فى اتجاه واحد أو خط واحد مستقيم.

٢- النظريات الدائرية Cyclical Theories، والتى ترى ان التغير يحدث على هيئة دوائر أو اتجاه دائرى.

ويمثل النوع الأول من النظريات: نظريات اوجست كونت وسبنسر، وهوبهاوس، وماركس. أما النظريات الثانية فيمثلها نظريات باريتو، سوروكن، وتوينبى.

(٥) تصنيف دون مارتنديل D. Martindale، الذى يصنف النظريات التى تعالج التغير سواء من حيث الاتجاهات أو العوامل، ومن أهم هذه النظريات:

١- نظرية القيادة الموهوبة. ٢- النظرية التعليمية.

٣- نظرية التطور. ٤- النظرية الدائرية.

٥- نظرية الانتشار. ٦- النظرية الحتمية.

وبالرغم من هذه التصنيفات السابقة، فمن الصعوبة وضع خط فاصل بينهما عند عرضهم لطبيعة وانواع النظريات سواء التى تهتم بدراسة اتجاهات التغير أو العوامل المسببة له، إلا انها تساعد على سرعة فهم واستيعاب هذه النظريات

ومعرفة اتجاهات اصحابها ونقطة الانطلاق الاساسية التي على ضوئها يتم دراسة التغير بصورة عامة، وبالطبع، ان هذه التصنيفات من السهولة تحليلها حاليا، ولكن نجد ان أفضل انواع التصنيفات التى يمكن تناوله بصورة موجزة ويسهل على القارئ العادى لعلم الاجتماع استيعابها هو تصنيف بوتومور، ويمكن الاشارة إليه كما يلى:

أولاً: النظريات الخطية Linear Theories

بدأت هذه النظريات تحليلاتها منذ ان اهتم الرعيل الأول من علماء الاجتماع بدراسة قضايا المجتمع الصناعى الحديث، ولما عالجوا قضية التغير والتطور المستمر الذى طرأ على مكونات البناء الاجتماعى ونظم مؤسساته المختلفة. وجاءت هذه التحليلات متمثلة فى كتابات اوجست كونت، وسبنسر، ودور كايم، وهوبهاوس، وماركس على سبيل المثال ويمكن توضيح أفكار هؤلاء العلماء عن التغير الاجتماعى طبقاً لتصنيفهم فى اطار النظريات الخطية كما يلى.

١- اوجست كونت A. Comte

تأثرت كتابات عالم الاجتماع الفرنسي كونت، بتحليلات المدرسة الفرنسية، ولا سيما تصورات كل من سان سيمون S. Simon، وكوندرسيه Condorcet وغيرهم آخرون، من الذين اكدوا على حتمية التقدم البشرى، كما ان كل مرحلة من مراحل النمو والتطور تعتبر اكثر نضجاً وفكراً من المراحل السابقة عليها. وهذا ما جعل كونت يؤمن بعملية تجزئة التاريخ الانسانى أو تاريخ المجتمعات البشرية إلى عدة مراحل، سعى فيها لتوضيح عمليات التغير أو التقدم. كما حدد هذه المراحل فى ضوء قانون للتقدم اسماه بقانون المراحل الثلاث(١) وهى المرحلة اللاهوتية، وكان العقل البشرى متفرغاً تماماً للتفكير فى النواحى الغيبية والبحث عن تفسير الاشياء بصورة غير علمية. اما المرحلة الميتافزيقية، تعتبر مرحلة من التقدم البشرى والتطور الاجتماعى الذى سعى فيه الجنس البشرى للتفكير فيما وراء الطبيعة (الميتافزيقيه) كمحاولة منه لتعقل الأشياء وادراكها. اما المرحلة الأخيرة وهى المرحلة العلمية (الوضعيه)، وهى ان الفكر البشرى ركز على ضرورة التغيير عن طريق تبنى العلم والتخصص، والاهتمام بالصناعه، مع حدوث تغيرات أخرى من انماط السلوك الانسانى والعلاقات وطبيعة التفاعل والبناءات والنظم الاجتماعية.

علاوة على ذلك، تظهر تصورات كونت حول حقيقة التغير الاجتماعى عندما سعى لتقسيم المجتمعات إلى ثلاث اقسام، أو مراحل وهى (١) المجتمع العسكرى (٢) المجتمع الدينى (٣) المجتمع الصناعى. وسعى كونت ليوضح لنا، ان كل مرحلة من هذه المراحل

---

(١) ارجع إلى:

- عبد الله عبد الرحمن، تاريخ الفكر الاجتماعى، الاسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٨.

أو المجتمعات السابقة، كانت فيها طبيعة التغير واثاره مختلفة عن الاولى، وان كانت كل مرحلة متعلقة فيها بالأخرى. وجاء التغير أو التطور مصحوب بتغيرات فكرية وتطور مادى على انساق الثقافة والمعرفة ، ويسعى الانسان عموماً إلى التقدم عن طريق زيادة الانتاج، وأقتناء التكنولوجيا، وزيادة اثار التقدم البيولوجى، والذى جاء فى صور متعدده مثل زيادة العمر الزمنى للانسان وتنوع انشطته وسلوكه وايضاً انانيته.

٢- هربرت سبنسر H. Spencer

تميزت تصورات سبنسر عن التغير لانها ارتبطت بفكرة التطور البيولوجى، والمماثلة بين الكائن العضوى والمجتمع (واعتبار الاخير الكائن الاجتماعى). وجاءت هذه الاستعارة من علوم البيولوجية وغيرها من العلوم الطبيعية التى تسهم فى فهم وادراك التغير بصورة ملحوظة سواء عن طريق الملاحظه أو التجربة. كما اكد سبنسر، ان هناك مجموعة من نواحى التشابه والاختلاف بين الكائن العضوى والكائن الاجتماعى، من حيث البناء والوظيفة، وذلك نظراً للنواحى البنائية الفسيولوجية التشرعية ووظائف الاعضاء التى يقوم بها جميعاً مكونات هذه الكائنات سواء اكانت بيولوجية عضوية أو اجتماعية بشرية.

ولقد تمثلت هذه التصورات لدى سبنسر فى مجموعة كتاباته سواء عن الاستاتيكا الاجتماعية، وأسس علم الاجتماع،[1] والتى اهتمت بالنواحى الواقعية بجانب التحليلات النظرية، وهذا ما جعل كتابات سبنسر متميزه نسبيه عن كتابات كونت الوضعية النظرية. كما سعى سبنسر لتوضيح، افكاره حول التغير والتطور عن طريق ايمانه بان التغير يأخذ خطا واحد من البسيط إلى المركب ومن المتجانس إلى اللامتجانس، حتى يحدث نوع من التغير فى مكونات هذا التغير نتيجة لحدوث خلل وظيفى بين مكونات هذه البناءات وبين الوظائف التى تؤديها، ويحدث تغير واحلال واستبدال وتجديد مستمر بين المكونات البنائية وايضاً السمات الوظيفية التى توجد فيه، وهذا هو جوهر التغير المستمر. ولقد طرح سبنسر تصوراته حول التغير فى دراسته عن تطور المجتمعات البشرية من المجتمعات العسكرية إلى المجتمعات الصناعية.

٣- أميل دور كايم E. Durkheim

تظهر تحليلات دور كايم عن التغير الاجتماعى فى تحليلاته المتعددة، التى يعتمد على فكرة التطور الاجتماعى المستمر، والتى جاءت تحت اطار نظريته عن التضامن الاجتماعى، وتقسيمه ايضاً إلى انواع المجتمعات البسيطة (الآليه)، والمجتمعات المركبه (العضويه). وحاول ان يوضح طبيعة التغير الذى يحدث على

---

(١) انظر المرجع التالى:

- عبد الله عبد الرحمن، علم اجتماع التنظيم، مرجع سابق، الفصل الثانى.

البناءات الاساسية لهذه المجتمعات، وتأخذ طابعاً واحداً وهو التغير من البسيط إلى المعقد والمركب. يشتمل هذا التغير على كل من البناءات الاجتماعبة وانساق العلاقات وانماط السلوك، وتغير العادات والتقاليد والنسق التسلطى أو بناءات السلطة من العرف إلى القانون الرسمى.

من ناحية أخرى، اشار دور كايم إلى تغيير فى نرعية الجماعات والاتحادية والمهنية وطبيعة وظيفتها فى المجتمع نتيجة لتغير نوعية الجماعات الاولية، والتى كانت تتمثل فى الاسرة أو القبيله، واصبحت المؤسسات أو الجماعات القانونية مثل المدارس ومؤسسات التعليم والعمل فى الشركات، المصانع، هى الاتحادات المهنية الجديدة التى تمتاز العلاقات فيها بالطابع المعقد، والذى يحدد الواجبات والمسئوليات لعضوية هذه الاتحادات(١).

٤- هوبهاوس Hobhouse

جاءت نظرية هوبهاوس متأثرة بكتابات كل من كونت وسبنسر، وان كانت قد تميزت ايضاً بأنها عكست اهتماماته بدراسة التغير من الناحية الواقعية، عن طرق استخدامُه للبيانات التاريخية والانثربولوجيه. ولقد استعار هوبهاوس من كونت فكرة تطور العقل البشرى، واعتباره العامل الاساسى فى التغير. وحاول تقسيم التاريخ البشرى من منظور التغير وتحديده على مراحل فكريه وهى(٢):

(١) مرحلة التغير السليم ومرحلة ما مثل القراءه والكتابه.

(٢) مرحلة العلم البدائى من الشرق القديم (بابل ومصر والصين القديمة).

(٣) مرحلة التأمل فى الشرق (فى الصين، وفلسطين، والهند).

(٤) مرحلة التفكير النقدى والمنهجى اليونانى.

(٥) مرحلة التغير العلمى الحديث منذ بداية القرن السادس عشر.

علاوة على ذلك، استعار هوبهاوس من سبنسر فكرته عن التطور أو النمو الاجتماعى، والتى تمثلت فى التغيرات المصاحبة للتغيرات البنائية الكبرى مثل التغير فى زيادة حجم السكان، والتعقيد والتباين الداخلى للوظائف. ومن ثم، نجد ان مفهوم التغير عن هوبهاوس، ينتج عن طريق تطور العقل الذى يؤدى إلى التطور الاجتماعى.

٥- كارل ماركس K. Marx

تشمل نظرية ماركس للتغير تصوراته لفكرتين اساسيتين وهما (١) نمو التكنولوجيا (القوى المنتجة) (٢) والعلاقات الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية، تلك الفكرتين اللتان

(١) Durkheim, E, The Divison of Labour, op. cit.

(٢) انظر، بوتومور، مرجع سابق، ص ٣٨٣.

تفسران عموماً طبيعة الحياة الاجتماعية. ويرى ماركس، ان طبيعة المجتمعات البشرية تنقسم إلى عدة مراحل، كل مرحلة فيها تتميز بخصائص معينة من التكنولوجيا الخاصة بها والتى على ضوئها يتم تحديد العلاقات الاجتماعية بين الطبقات. خاصة، وان طبيعة التكنولوجيا المستخدمة فى وسائل الانتاج تعزز انواع معينة من العلاقات، التى تؤدى حتمياً إلى وجود نوع من الصراع المستمر بين الطبقات الاجتماعية.

وحرص ماركس كل الحرص لان يوضح طبيعة هذين العنصرين المكونان للحياة الاجتماعية لدارسة العلاقة بين التكنولوجيا وملكية وسائل الانتاج، ونوعية الصراع الناشئ بين الطبقات العاملة والحاكمة. وهذا ما يؤدى إلى تغيرات بنائية وظيفية نتيجة لسيطرة احدى الطبقتين على وسائل الانتاج. وحاول ماركس ان يسترشد لتصوراته على فكرة نمو الرأسماليه، أو ظهور الاشتراكية ثم الشيوعية العالمية وكلها تعكس تصوراته حول التغير الاجتماعى الحتمى.

ثانياً: النظريات الدائرية Cyclical Theories

على النقيض من النظريات الخطية السابقة، ويؤكد اصحاب هذه النظريات على ان التغير يسير فى حركات دائرية أو شبه دائرية، أو قد تأخذ شكل تموجات، قد تتجه صعوداً وهبوطاً، بحيث تفسير حركات هذه الدوائر ان التغير يبدأ من نقطة ثم ينتهى مع نهاية الدائرة أو شبه الدائرة، ليبدأ من جديد مرة أخرى. وجاءت بعض النظريات الدائرية فى التغير لتؤكد بعضها على ان التغير يحدث فى بناء أو نظام أو مجتمع واحد، والبعض الأخر يتصور ان التغير قد يحدث فى جميع البناءات والنظم والمجتمعات فى نفس الوقت. ومن اهم من يمثل هذه النظريات نظرية باريتو، وسوروكن وتوينبى على سبيل المثال ويمكن الاشارة إليهم بصورة موجزة كما يلى:

١- فلفريدو باريتو V. Pareto

جاءت تصورات باريتو فى كتابه المميز العقل والمجتمع، The Mind and Society، وخاصة عندما حاول ان يدرس نظريته عن دورة الصفوة Circulation of Elites، ومحاولاً ان يفسر التاريخ الانسانى عن طريق فهمه لحدوث التغير الاجتماعى نتيجة حدوث صراع بين الجماعات التى تسعى للحصول على القوة السياسية Political Power. كما تصور وجود نوعان أساسيان من الصفوة، الأولى تتمثل فى الطبقة الحاكمة والتى يتمتع افرادها بمراكز عليا تؤهلهم لممارسة السلطة بصورة مباشرة وغير مباشرة، والثانية الصفوة غير الحاكمة والتى تتكون من الافراد الذين لا يحتلون أى مراكز للسلطة والقوة(١).

---

(١) توجد بعض التحليلات الاخرى التى تشير إلى هذه النظريات ووجودها فى تصورات مثل، ابن خلدون، وفيكو، وشبنجلر انظر - عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق ص ٥٥٤ - ٥٢٦.

ويحدث نوع من التباين فى معدلات التغير نتيجة لامتلاك احدى القوتين أو الصفوتين السلطة السياسية، فعندما تمتلك السلطة الأولى القوة السياسية يمر المجتمع ويتغير بخطوات سريعه، على النقيض من ذلك يحدث التغير بصورة بطيئة عندما تحتل السلطة أو الصفوة غير الحاكمة السلطة. ويرى باريتو، ان هناك نوع من تناوب السلطة بين الصفوتين أو يتم امتلاكهم للسلطة بصورة دائرية أو تبادلية. والتاريخ عموماً يعكس لنا الكثير من الشواهد على وجود هذه السلطات أو الصفوات.

٢- بيترم سوروكن P. Sorokin

جاءت تحليلات سوروكن عن دائرية التغير الاجتماعى فى كتابه الديناميات الاجتماعية الثقافية، ويتصور وجود التغيرات فى عمليات خطية تأخذ الشكل الدائرى أو شبه الدائرى فى كثير من الاحيان، والتى تفسر عموماً عمليات التغير فى المجتمعات الانسانية. علاوة على ذلك، سعى سوروكن لان يعزز تصوراته بحدوث التغير الثقافى الذى يعد اشمل من التغير الاجتماعى، خاصة عندما ميز بين ثلاث انماط ثقافية عامه: وهى التماثل Ideational، والمثالى Idealist، والحسى Sensate، ويتم التتابع بين هذه الانماط فى اشكال دائرية تتبعية، تعكس عموماً ما اسماه بشكل دورات فى التاريخ البشرى للمجتمعات.

٣- ارنولد توينبى A. Toynbee

تجئ اهمية تحليلات توينبى كعالم للتاريخ ودراسة الحضارات، فلقد قام بتحليل أحدى وعشرين حضارة من الحضارات التى وجدت فى تاريخ الشعوب، وحاول ان يصل إلى مجموعة من القوانين التى تفسر قيامها وازدهارها واضمحلالها. ولقد توصل إلى ان المجتمعات تمر من المرحلة البدائية إلى المرحلة الحضارية. ولقد جاءت هذه الافكار فى كتابه المميز عن (دراسة التاريخ)، ويرجع كل التغيرات التى حدثت فى الحضارات إلى العامل الدينى، الذى يأخذ احياناً الطابع الثورى أو التقدمى ويعمل على حدوث تغيرات شاملة فى المجتمع[١].

علاوة على ذلك، اكد توينبى على اهمية العوامل البيئية والمادية التى تؤدى إلى لانتقال المجتمعات وتغييرها وخدوث وازدهار الحضارات. علاوة على ذلك، ان مجئ الحضارات جاءت نتيجة لرغبة الانسان وتحديه للظروف والمواقف الصعبه. وهذا ما اشار إليه عند قيام الحضارات المصرية فكانت صعوبة الصحراء والبيئة من اهم العوامل التى جعلت الانسان المصرى يتحداها ويغير كثيراً من

---

(١) توجد مجموعة من التحليلات المميزة لهذه النظريات فى المرجع التالى:

- تيماشيف، مرجع سابق، ص ٤٥٧ – ٤١٨.

ملامحها وينشأ على الصحراء المصرية حضارة متميزة. من ناحية أخرى، سعى توينبى، ليوضح كيفية اضمحلال الحضارة وانهيارها وتفكك الجماعات البشرية بداخلها إلى أقلية مسيطرة، وطبقات عماليه داخليه، وطبقات عماليه خارجية. كما يؤكد توينبى على ان الحضارات عندما تموت أو تظهر أو تنهار فجميعها على نمط واحد أو وتيرة واحدة، ولكن لكل حضارة ظروفها الخاصة وتختلف من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى آخر.

بإيجاز، تلك أهم النماذج للنظريات الدائرية التى تؤمن بدائرة التغير والتى جمعت بين اراء علماء الاجتماع مثل تصورات باريتو، وسوروكن واراء علماء التاريخ من أمثال توينبى. كما ان هناك ايضاً من يشير إلى تحليلات شبنجلر وغيره والتى توضح عمليات التغير الاجتماعى. هذا بالاضافة إلى ان النظريات الخطية فى التغير لكشف تصورات الرعيل الأول من علماء الاجتماع ونوعية أهتماماتهم بدراسة التغير فى جميع مراحل الحياة الاجتماعية.

رابعاً: العوامل المسببة للتغير الاجتماعى

تعتبر قضية أو ظاهرة التغير الاجتماعى من الظواهر الاجتماعية المعقدة، التى يصعب تفسيرها أو تحديدها بسهولة، وهذا ما ظهر من خلال محاولتنا لتحديد مفهوم التغير ذاته من ناحية، وايضاً تحديد النظريات المفسرة للتغير وخاصة، كما لاحظنا، ان هناك من يشير إلى ان التغير يسير وفقاً لخطوط مستقيمة أو احادية الشكل، بينما البعض يتصور ان التغير يحدث فى شكل دائرى أو شبه دائرى أو منحنيات صاعده أو هابطة، ولا يوجد شكل نمطى مميز واحد لها.

وهذا ما يظهر ايضاً، من خلال دراسة عوامل التغير الاجتماعى وتفسير سبب حدوثه، هل هذا السبب أحادى الشكل؟ ام ان هناك مجموعة من العوامل المتعددة التى تؤدى إلى التغير وحدوثه؟ حقيقة للاجابة على هذه التساؤلات، توضح ان هناك عدد من العلماء الذين يتصورن ان هناك عامل واحد فقط مثل التكنولوجيا، أو العامل الجغرافى، أو الاقتصادى، أو سياسى هو المسبب الاول، أو الوحيد لحدوث التغير، بينما هناك فريق آخر من العلماء يجمع ويؤكد على ان التغير يحدث نتيجة لتضافر هذه العوامل وعوامل أخرى، ولا يمكن تفسير التغير ورجوعه إلى عامل واحد فقط. نظراً لان التغير كظاهرة اجتماعية متعددة الاسباب والاثار والنتائج متميزة من هذا الجانب عن مثيلتها من الظواهر الطبيعية الاخرى التى تجئ أو تحدث نتيجة لوجود عامل رئيسى واحد.

على اية حال، يمكن الاشارة بصورة موحزة، إلى اهم العوامل المسببة للتغير الاجتماعى كما يلى(1):

١- العامل الجغرافى:

يعتبر هذا العامل من اهم العوامل التى تحدث التغير الاجتماعى، وهذا ما اشار إليه كثير من مفكرى وفلاسفه اليونان القدماء مثل ارسطو وافلاطون، وايضاً تصورات ابن خلدون عندما حدد العلاقة بين العوامل البيئية والجغرافية والحياة الاجتماعية والتغير فى المجتمعات العربية والشرقية واصبح العامل الجغرافى، يمثل جزءاً كبيراً من تحليلات علماء نظرية التغير الاجتماعى، لانه يلعب دوراً اساسى فى تشكيل نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحياة الشعوب ومجتمعاتها. فتوافر الثروات الطبيعية مثل المعادن والبترول والنشاط الصناعى فى اقليم معين من شأنه، يحدث نوع من التغير الاجتماعى. كما ان طبيعة تنوع النشاط الصناعى والتجارى والسياسى للمناطق الاثرية الساحلية يؤدى إلى تباين كبير فى نمط الحياة الاجتماعية والتغير. علاوة على حدوث تباين بين المناطق الساحلية والمناطق الداخلية من حيث توافر المياه والامطار والانهار ولحدوث وقيام الزراعة والصناعة وتطور حركة الملاحة وغيرها.

وتوجد الكثير من الامثلة التى توضح طبيعة تأثير العامل الجغرافى فى نشأة مجتمعات بأكملها أو اختفائها مثل اكتشاف رأس الرجاء الصالح أو شق قناة السويس أو قناة بنما، أو اكتشاف الامريكتين وغيرها، كما من شأنه أن يكشف الاثار الاجتماعية والاقتصادية أو التغيرات التى حدثت على طبيعة الاقليم الجغرافى ذاته. كما ما نشاهده اليوم من مشكلات المناخ وطبقة الازون ومشكلة التصحر واكتشاف المعادن وغيرها من شأن ان يعتبر تماماً التركيبة السكانية فى المجتمعات وانماطها العمرانية الريفية والحضرية، الصناعية أو الزراعية.

٢- العامل السكانى

يحدث التغير الاجتماعى بواسطة الانسان ذاته، فلا تغير فى أى شئ دون وجود السكان. فزيادة حجم السكان ونموهم الطبيعى أو تأثير هذا النمو نتيجة للحروب أو الكوارث الطبيعية من شأن ان يؤثر ليس فقط على التغير الاجتماعى، ولكن ايضاً على مكونات الدولة الاساسية حيث يعتبر السكان العنصر الاساسى الذى يؤدى إلى التغير. علاوة على ذلك، ان تغير المجتمعات من البسيط إلى المركب لا تحدث إلا من خلال رغبة الانسان للتغير أو التطور أو التقدم. كما جاء التغير الاجتماعى نتيجة لتغير الانسان

---

(١) Sutheland, R, (et. al) Introductory Sociology op. cit PP. 368 - 374.

- Maciver, R, & Page, op. cit, PP.

- بوتومور، مرجع سابق، الفصل ١٧ ص ٣٨٩ – ٣٩٧.

- عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق ص ٤٩٤.

الحديث نشاطه الاقتصادى إلى الزراعة والتجارة والصناعة، وظهور مجتمع المصنع، الذى جاء نتيجة لرغبة الانسان فى السيطرة على الطبيعة ومن اجل حياة اجتماعية أفضل. كما ان العامل السكانى أو السكان يعتبر اساس دراسة العلاقات والسلوك والتفاعل الاجتماعى، وغير ذلك من عمليات اجتماعية متغيرة تحدث بفضل تغير الانسان ذاته.

٣- العامل التكنولوجى

أعطى علماء الاجتماع أهمية كبرى لعامل التكنولوجيا لدورها الهائل فى عملية التغير والتطور فى المجتمعات الحديثة - كما يهتم كثير من العلماء بدراسة نوعية الالات والادوات أو الوسائل المادية واللامادية التى تتكون منها العناصر التكنولوجية وتحدث تغيراً فى مكونات البناء الاجتماعى فى المجتمعات الحديثة. فلقد أدت الاختراعات والالات التكنولوجية إلى حدوث تغيرات فى اساليب العمل والانتاج وعلاقات العمل، والعلاقات الاجتماعية وانماط السلوك والتفاعل، واساليب ومقومات المعيشة، ونوعية الاتصال والتفاهم بين الشعوب وغيرها من المؤثرات التى وضحها لنا عالم الاجتماع الشهير وليم اوجبرن[1] عن التخلف الثقافى والتطور الثقافى عامة.

٤- العوامل الاقتصادية:

تؤثر العوامل الاقتصادية على عمليات التغير الاجتماعى بصورة مباشرة وغير مباشرة، فتنوع الموارد الطبيعية من المواد الخام، مثل المعادن والبترول أو الانتاج الزراعى والصناعى عموماً، تؤثر وتحدد أنشطة الانسان ووسائل معيشته وحياته عموماً. فاكتشاف البترول مثلاً فى منطقة الخليج السويس قد احدث كثيراً من التغيرات الديموقراطية والتركيبة السكانية والعمرانية وانماط الهجرة الداخلية والخارجية، التى ظهرت فى هذه المنطقة واحدثت العديد من مظاهر التغير والتنمية والتحديث فى المنطقة ككل. كما ادت عملية تغيير انماط الانتاج عن طريق التكنولوجيا، وانشاء مجتمع الصنع، إلى حدوث تغيرات كثيرة فى العلاقات، وانماط التفاعل بين الطبقات الاجتماعية، علاوة على حدوث الحراك الاجتماعية بين السكان.

٥- العوامل الفكرية

تشير هذه العوامل إلى مجموعة الافكار والنظريات والفلسفات والعلوم والعقائد، والنسق الايديولوجى عامة التى تؤثر فى عمليات التغير. فلقد ادت نزول الاديان السماوية إلى تغير نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التى أمر بها الله سبحانه العباد، كما أدى حدوث الثورات الكبرى سواء اكانت سياسية مثل الثورة الفرنسية مثلاً، أو الثورة الصناعية التى حدثت فى بريطانيا إلى تغيرات شاملة وكبرى.

---

(١) للمزيد من التفاصيل ارجع إلى:

- Ogburn, W. Cultune and Social Change, Chicage Chicage Univ. Press, 1964.

كما جاءت ايضاً ايديولوجيات الرأسمالية فى كتابات آدم سميث (ثورة الامم) من خلال مجموعة من الافكار الاقتصادية، أو كتاب كارل ماركس (رأس المال) من التخطيط لإنشاء مجتمعات اشتراكية كبرى لا تزال توجد فى اكبر دولة فى العالم وهى الصين، وادت عموماً هذه الافكار إلى تغيير نمط الحياة الاجتماعية بصورة عامة.

٦- القادة والزعماء

اعطى علماء النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسه والتاريخ ابعاداً هامة لنظرية القيادة والسمات التى تتمتع بها العناصر القيادية ودورها فى احداث التغير الاجتماعى. فظهور الشخصيات القيادة الكاريزمية التى ظهرت فى العصر الحديث مثل هتلر، توسيلنى، غاندى، نهرو، عبد الناصر، تيتو وغيرهم، إلى حدوث كثير من التغيرات الشاملة ليس فى مجتمعاتهم ولكن فى المجتمع العالمى. ولقد اعطى عالم الاجتماع الالمانى ماكس فيبر M. Weber، اهتماماً ملحوظاً لدراسة جميع انماط القيادات الدينية والسياسية والاقتصادية والفكرية، التى ادت إلى التغير الاجتماعى. وهذا ما اشار إليه خاصة إلى القيادات الدينية مثل الانبياء والرسل، أو الكاريزما السياسية والاجتماعية التى احدثت تغيرات كثيرة فى حياة المجتمعات البشرية.

٧- وسائل الاتصال

تعيش المجتمعات البشرية الحديثة حالياً فى مجتمع متغير وسريع التطور نتيجة لحدوث ثورة الاتصالات والمعلومات، التى ادت إلى وحدة العالم واعتباره قرية صغيرة تنتقل إليها جميع انواع الاخبار والمعلومات والاحداث بصورة سريعة ومتطورة. فيستطيع الفرد ان يشاهدها وهو داخل منزله بواسطة الاقمار الصناعية، وشاشات التليفزيون، والانترنت وغيرها، من الوسائل التى تؤدى إلى حدوث معدلات اسرع للانتشار الثقافى والحضارى. وبإيجاز، تؤثر وسائل الاتصال على حدوث تغيرات جذرية فى المجتمع الحديث نتيجة لتقوم هذه الوسائل بسرعة كبيرة جداً، كما حدث خلال السنوات الاخيرة من القرن العشرين(١).

خامساً: انواع التغير

يهتم علماء الاجتماع بدراسة التغير الاجتماعى، من خلال معالجتهم لدراسة المجتمع الذى يعيشون فيه، ويتفاعلون معه بصورة مستمرة، ومن خلال انتمائهم باعتبارهم افراد عاديين، أو مجموعة متخصصه من الباحثين التى تسعى إلى دراسة المشاكل والقضايا والظواهر الاجتماعية، وذلك بهدف زيادة المعرفة الانسانية خلال هذه الظواهر والقضايا وكيفة تفسيرها وتحليلها بصورة واقعية. وهذا ما جعل كل من جيرث

(١) ارجع إلى ما كتبه المؤلف على سبيل المثال حول القيادة الدينية فى المرجع التالى:

– عبد الله عبد الرحمن، علم اجتماع النظم، مرجع سابق، الفصل الخامس.

Gerth وميلز Mills، ان يوضحا طبيعة اهتمامات علم الاجتماع وعلمائه عند دراستهم للتغير الاجتماعى ويسعون إلى الاجابة على عدة تساؤلات رئيسية وهى[1]:

١- ما هو الذى يتغير؟

٣- ما هو اتجاه التغير؟

٤- ما هو معدل التغير؟

٥- لماذا حدث التغير ولماذا تم بهذا الشكل؟

٦- ما هى العوامل الرئيسية المسببة لحدوث التغير الاجتماعى؟

تلك اهم التساؤلات، التي يحاول علماء الاجتماع الاجابة عليها عند دراستهم للتغير الاجتماعى. فنجد أولاً أن تعريف التغير يظهر من خلال تحديد معانيه ومفهوماته باعتبار أن أى تغير يحدث فى البناء الاجتماعى، يترتب عليه مجموعة من انماط التغير البنائى والتى نوجزها كما يلى[2]:

١- **التغير فى القيم الاجتماعية[3]**: يؤدى تغيير القيم إلى حدوث تغيرات كبيرة في المجتمع، وان كانت عملية التغير فى النسق القيمى يعد نوعاً من التغير البطئ جداً، إذا رجعنا إلى تصورات (وليم اوجبرن) عندما يشير إلى العناصر اللامادية الثقافية وبطء التغير فى عناصرها وجوانبها المختلفة، وهذا بخلاف العناصر المادية التكنولوجية: ويترتب على تغيير القيم تغيير مجموعة انماط التفاعل والعلاقات والمراكز والادوار الاجتماعية. فتغير نمط الحياة الاجتماعية فى العصور الاقطاعية إلى العصر الحديث ادت إلى تغيير النسق القيمى والنظره المجتمعيه إلى طبيعة الفرسان والمحاربين باعتبارهم من أفضل المهن الاجتماعية. أما فى العصر الحديث، اصبح النشاط الاقتصادى واقامة المشروعات الصناعية والاقتصادية المربحه مادياً يعد أمراً هاماً يسعى إليه الكثير من الطاقات العاملة، والحصول بعد ذلك على المناصب العليا وامتلاك الثروة والقوة الاقتصادية والسياسية معاً.

٢- **تغير النظام**: يترتب على التغير فى البناء الاجتماعى تغير فى نوعية واشكال النظم الاجتماعية بوظائفها فى المجتمع، وتغير نوعية الادوار الاجتماعية. فتغير نظام الملكية وإلغاء الملكية الخاصة إلى الملكية العامة فى المجتمع الاشتراكى السوفيتى (سابقاً) ادى إلى تغير نظام الانتاج وعلاقات العمل، ونوعية الطبقات

---

(١) انظر، بوتومور، مرجع سابق، ص ٣٨٩.

(٢) محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، مرجع سابق ص ٣٢٢.

(٣) حلل بارسونز التغير القيمي من خلال نظريته عن التغير فى النسق الاجتماعى، للمزيد من التفاصيل ارجع إلى المرجع التالى:

- Demerath N & R. A. Peterson (ech) System, Changes and Conflict, N.Y *the* Free Press 1977, 202 - 208.

الاجتماعية وغير ذلك من انماط التفاعل والسلوك والانشطه الاجتماعية والاقتصادية المختلفة. ولكن بعد الغاء الاشتراكية وعودة الرأسمالية إلى روسيا، وجعل الملكية ملكية خاصة، تم تعديل كل ما يترتب على تعديل نظام الملكية، والاتجاه نحو تشجيع المشروعات الخاصة، أو العمل على اعادة توزيع الحقوق والواجبات والمسئوليات بين الافراد والدولة والمجتمع، كما يترتب على ذلك ايضاً، تغير مفهوم الحريات بمعناه العام وحرية الملكية الخاصة.

٣- **التغير في مراكز الاشخاص:** أن طبيعة الحياة واستمرارها تعكس انماط كثيرة من التغير الذى يحدث للافراد خاصة وأن الفرد له فترة زمنية محددة يعيشها وهى العمر الزمنى المفترض أو المتوقع. فالفرد فى المجتمع الحديث يشغل خلال مراحل عمره مراكز معينه يتحدد على اثرها أو يتغير على ضوئه نوعية الادوار الوظيفية التى يقوم بها.. فالطالب عندما يحصل على الشهادة ويتخرج من الجامعة ويعمل فى احدى المؤسسات يتغير مركزه الاجتماعى، وذلك لحصوله على مهنة معينة، وقد يشكل مركزاً قيادياً فى احدى المؤسسات التى كان يشكلها افراد سابقين عليه، ثم بعد ذلك سوف يترك هذا المنصب نتيجة القواعد المحددة للعاملين وحصوله على سن المعاش. كما نلاحظ عموماً، أن عملية التغير تحدث بصورة سريعة نتيجة لتغير فى مراكز الافراد والبناءات واصحاب المناصب السياسية والاقتصادية التى توجد فى المجتمع الحديث ككل.

سادساً: مستويات التغير الاجتماعى

من الصعوبة تحديد طبيعة التغيز الاجتماعى أو كيفية قياس درجات حدوثه، ونوعية المستويات التى يحدث فيها هذا التغير، نظراً لتعدد انواع التغير وانماطه المختلفة. كما ان كثيراً من العلماء الباحثين الذين يدرسون التغير يؤكدون على ان التغير يعتبر شيئا معقداً ويحدث بصورة تراكمية ومن الصعب ملاحظته فى لحظات بسيطة أو سريعة. من ناحية أخرى، يؤكد العلماء أن التغير يعتبر شيئ نسبى الحدوث، ويمكن تقديره عن طريق اتباع الاساليب المنهجية وأدوات جمع البيانات المتطورة، التى تحصل على المعلومات اللازمة من الواقع الفعلى الذى تظهر فى المجتمع.

علاوة على ذلك، وبالرغم من تعدد انواع النظريات سواء نظريات خطية أو احادية اتجاهات التغير أو عوامله، أو إذا كانت نظريات دائرية تنظر إلى التغير على انه يتم فى صور من الدوائر أو شبه الدوائر أو المنحيات الصاعدة والهابطه، كما ظهرت فى تصورات سوروكن أو باريتو على سبيل المثال، إلا اننا نلاحظ أن هذه النظريات لم تحدد حدوث التغيير أو نقطة البداية له أو حتى النهاية ايضاً، سواء كانت هذه الاراء لاصحاب النظريات الخطية أم الدائرية. فالتغير الاجتماعى تغير يحدث فى العمليات، والتفاعل والسلوك الاجتماعى المترتب على هذا التغير ذاته.

ولكن يسعى العلماء لدراسة العلاقة بين التغير الاجتماعى والتغير الثقافي، باعتبار الاول جزء أو عنصر يدخل فى نطاق التغير الثقافى الذى يوصف بانه اكثر شمولاً واتساعاً، وذلك فى ضوء تعريف الثقافة كما حدده تايلور على سبيل المثال. ويتم تحديد مستويات التغير الاجتماعى والثقافى عندما تظهر مجموعة أو نوع من الاختراعات، أو انتقال عناصر ثقافية من ثقافة أو مجتمع إلى آخر، فتحدث العناصر الثقافية الجديده نوع من الخلل والارتباط داخل العناصر الثقافية التى توجد فى المجتمعات المستقبلة أو المستعيرة للثقافة.

ثم يحدث نوع من الصراع الثقافى Cultural Conflict خلال مرحلة الانتقال أو حتى على الاقل لحين حدوث عمليات التوافق والمواءمة Adaptation بين العناصر الثقافية الجديدة أو المجتمعات المستقبلة لها. ثم ما يلبث ان يحدث نوع من عمليات التكليف بين كل من العناصر المنقولة والعناصر الثقافية التقليدية، كما يحدث تعديل وتغير نتيجة لعمليات الاحلال الجديدة للعناصر الثقافية. تلك المراحل يمكن ان يطلق عليها مستويات التغير الثقافى الذى يعد اعم واشمل من التغير الاجتماعى ذاته.

وعموماً يمكن ان نطلق على عملية انتقال العناصر الثقافية بالعملية الاضطرادية، للتغير الثقافى وتشمل رؤية مراحل اساسية، يتم خلالها معرفة مستويات التغير وهى:

أولاً: مرحلة انتشار Diffusion Stage السمة أو العنصر الثقافى، ويتم خلال هذه المرحلة انتقال العناصر الثقافية من الثقافة أو المجتمع الاصل، فقد يكون اختراعاً تكنولوجيا، وتغيراً فى النظم أو الافكار والاتجاهات، أو القيم أو غيرها.

ثانياً: مرحلة عملية الصراع الثقافى Cultural Conflict، التى تحدث خلال عملية الصراع بين العناصر الجديدة والعناصر التقليدية، فقد يتم قبول بعض العناصر ورفض جزء آخر منها.

ثالثاً: مرحلة التوافق Adaptation Stage، وخلال هذه المرحلة يحدث نوع من التوافق للعناصر الثقافية المتنوعة مع ثقافتها أو مجتمعها الجديد.

رابعاً: مرحلة الاقتصاد أو التمثيل Assimilation Stage، وفى هذه المرحلة يتم استيعاب العناصر الثقافية الجديدة داخل مكونات الثقافة أو المجتمعات المستقبلة لها.

كما قد ينتج عن هذا الاستيعاب للعناصر الثقافية تعديل أو تغيير الانماط الثقافية الجديدة والتقليدية وحدوث انواع أو انماط جديدة من الثقافة نتيجة لحدوث التغير الثقافى ذاته.

ويمكن ان نلاحظ من خلال تحديد مراحل العملية الاضطرارية للتغير الثقافي، كيفية تحديد مستويات التغير ذاته، وكيف يمكن ملاحظة هذا التغير

ودراسته وتحليله، وهذا ما جعل عدد من العلماء يهتم بما يعرف بالطابع الدورى للتغير، ويمكن الاشارة إليه بإيجاز كما يلى:

- الطابع الدورى للتغير[1]:

فى اطار تحليل العلماء المستويات وطبيعة التغير عامة يمكن تحديد اربع مراحل تحدث خلال الدورة الواحدة للتغير الاجتماعى وهى:

(١) **مرحلة الانطلاق:** وخلال هذه المرحلة يتميز التغير بانه شئ بطئ جداً، وقد تكون بداية هذه المرحلة تاريخ نشأة النظام أو تأسيس الجماعة أو المجتمع.

(٢) **مرحلة التجديد:** ويحدث خلال هذه المرحلة نوع من عمليات الاحلال والتجديد للعناصر الثقافية وتعديل العلاقات الاجتماعية.

(٣) **مرحلة التفكك:** وخلال هذه المرحلة يحدث نوع من التفكك للعناصر الثقافية نتيجة للصراع الثقافى والاضطرابات، التى حدثت على مكونات العناصر الجديدة والتقليدية للثقافة.

(٤) **مرحلة التماسك أو اعادة التنظيم أو التكامل،** وخلال هذه المرحلة يتم ازدهار العناصر الثقافية وتجديدها للبدء فى الاعداد لمرحلة جديدة من مراحل التغير الاجتماعى.

عموماً، تكشف مستويات التغير الاجتماعى وتحليل مراحل العملية الاضطرارية للتغير الثقافى، مدى اهتمام علماء الاجتماع بدراسة التغير الاجتماعى، وتحديد مستويات التغير حسب نوعية هذه المراحل، التى يسهل على الباحثين معرفتها أو على الاقل ملاحظتها ودراستها بصورة مستفيضة. كما جاءت دراسة مستويات التغير الاجتماعى وطبيعة، المراحل المكونه لعملية التغير الثقافى، لتوضيح حقيقة هامة مؤداها: ان التغيير لا يحدث بصورة فجائية، أو ثورية تقدمية بصورة مستمرة، أو يحدث بمعدلات بطيئة جداً، ولكن يحدث بصورة نسبية حسب نوعية التغير ذاته، وحسب طبيعة البناءات الاجتماعية والنظم وانساق التفاعل والعلاقات الاجتماعية، علاوة على اختلاف طبيعة المجتمعات ونوعية الثقافات التى يتم فيها بصورة خاصة عملية التغير الثقافى.

---

(١)
- Davis, K, op. cit, P. 627.
- Maciver, & Page, op. cit, Chap. 626.
- Sutherland, R, op. cit, p. 368 - 385.

وانظر ايضا،

محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٣٢٥.

سابعاً: معوقات التغير الاجتماعي:

للتغير الاجتماعى مجموعة من العوامل، التى يؤدى إلى حدوثه وانتشاره، والتى يطلق عليها بالعوامل المسببه للتغير وشملت هذه العوامل، العوامل الحغرافية، والتكنولوجية، والاقتصادية، والفكرية، والقادة أو الزعماء، ووسائل الاتصال، والسكان. فى مقابل تلك العوامل توجد ايضاً مجموعة من المعوقات، أو عدد من العوامل المعوقه لعمليات التغير الاجتماعي وهى بصورة موجزة:

١- بطء الاختراعات التكنولوجية، تعد العوامل التكنولوجية من اهم عوامل الانتاج التى يستعملها الانسان للتطور والتقدم، فعدم الاهتمام بالتكنولوجيا والاختراعات من شأنه ان يحدث نوعاً من الاعاقة للتغير الاجتماعى والاقتصادى الشامل. ولقد حدد وليم اوجبرن اربعة عناصر حددت الاختراعات والتى تتمثل فى؛ الحاجة إلى الاختراع، وجود اساس ثقافى ملائم، وتوافر قدرات عقلية، وعدم وقوف العادات والتقاليد امام الاختراع.

٢- عدم توافر الامكانات المادية، بالطبع ان عدم توافر رأس المال، يعتبر عائقاً كبيراً أمام التطور والتقدم والتغير، خاصة وان الاختراعات تحتاج إلى طاقات مادية ونفقات مالية تصعب على كثير من الجماعات والدول بمفردها أن تقوم بها وهذا ما يحدث حالياً فى عمليات غزو القضاء الخارجى.

٣- عزلة المجتمع، تؤدى العزلة الاجتماعية وعدم الانفتاح الخارجى سواء اقتصادياً وثقافياً، إلى حدوث نوع من التخلف فى كافة المجالات. وهناك الكثر من الامثلة التى توضح عزلة العديد من شعوب العالم نتيجة للعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية.

٤- الخوف من التغير والمحافظة على القديم: يحدث فى المجتمعات كثيراً من وجود العناصر المحافظة أو الرجعية، التى تقف جامدة امام عوامل التغير أو تحديث مجتمعها نتيجة للعقائد الجامدة، والايديولوجيات الخيالية المثالية. وهذا ما ظهر خلال سيطرة الكنيسة على الدول الاوربية خلال العصور الوسطى المسيحية وأدى إلى تخلف اوربا عامة.

٥- عدم تجانس البناء الاجتماعى: تؤثر مظاهر الاضطرابات والتفكك داخل المجتمعات والاختلافات السلالية، والطبيعية، والدينية، والسياسية المقترحة على حدوث كثير من العقبات امام الرغبة فى التحديث أو التطور أو التعاون مع عمليات التنمية والمشاركة.

خاتمـة:

تتميز دراسة التغير الاجتماعى فى المجتمعات الحديثة، والتى يهتم بها علماء الاجتماع وغيرهم من العلوم الاجتماعية والطبيعة فى نفس الوقت، بأنها من الدراسات، التى يصعب على أحد التخصصات الاهتمام بدراستها وتحليلها بصورة مستفيضة، ودون الرجوع والاهتمام بالجهود التى بذلت فى هذا المجال. ويعكس تحليل التراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع، كيف ارتبط مفهوم التغير الاجتماعى ذاته بالعديد من المفاهيم التى تم استعارتها من العلوم الطبيعية الأخرى مثل مفهوم التطور، والنمو، والتقدم، والتعاون، والامتثال وغيرها، وهذا ما يحدث أيضاً كثيراً من الغموض والترادف فى استعمال هذه المفاهيم مع مفهوم التغير الاجتماعى.

علاوة على ذلك، ارتبط مفهوم التغير الاجتماعى بمجموعة من التعريفات التى حاولت أن تميزه وتشير إليه فى دراسة التغير فى البناء الاجتماعى، الذى يشمل جميع مكونات التغير فى البناءات والنظم والعلاقات والتفاعل وأنماط السلوك والأنشطة البشرية. كما جاءت تحليلات العلماء لتشير لمدى ارتباط واعتبار التغير الاجتماعى، ما هو إلا جزء من مكونات العناصر الهامة للتغير الثقافى الذى يعد نوع من التغير الأكبر والأعم والأشمل لجميع أنماط التغير، وذلك من منطلق الرجوع إلى تعريف تايلور للثقافة وهذا ما أشارت إليه المعالجات السوسيولوجية والنظريات الاجتماعية المتنوعة، التى تم تصنيفها وركزت على دراسة التغير الاجتماعى من منظورات سوسيولوجية متباينة ومختلفة، حسب وجهة نظر رواد هذه النظريات ورؤيتهم لقضية التغير الاجتماعى.

من ناحية أخرى، أن التغير الاجتماعى لا يمكن حدوثه إلا فى ضوء وجود مجموعة من العوامل المسببة أو المحدثة للتغير، والتى تشمل العوامل الفكرية والثقافية والجغرافية، والسكانية، والتكنولوجية، والقيادات، ووسائل الاتصال وغيرها. علاوة على سعى العلماء لمعرفة أنماط التغير الاجتماعى الذى حدث فى المجتمعات البشرية، وما هى معدلات التغير ومستوياته ودوراته، وغير ذلك من العمليات المتخصصة التى اهتم بدراستها علم الاجتماع وتميزه عن غيره من العلوم الاجتماعية الأخرى، من واقع معالجتنا لقضايا ومشكلات وظواهر الحياة الاجتماعية التى نعيش فيها فى الوقت الراهن، والتى تصف عموماً طبيعة هذه الحياة بالتعقيد والتغير المستمر فى نفس الوقت.

الفصــل الرابــع عشــر
التخطيط والسياسة الاجتماعية

* مقدمة :

أولاً : معنى التخطيط وأهدافه .

ثانياً : التخطيط والنظرية الاجتماعية .

ثالثاً : التخطيط والسياسة الاجتماعية .

رابعاً : علم الاجتماع والسياسة الاجتماعية .

خامساً : إدارة السياسة الاجتماعية .

سادساً : السياسة الاجتماعية والتنمية .

سابعاً : المشاكل الاجتماعية والسياسة الاجتماعية .

* خاتمة

مقدمة:

منذ أن ظهر علم الاجتماع فى أواخر القرن التاسع عشر، كُرست جهوده من أجل دراسة مشكلات المجتمع الحديث، تلك المشكلات التى تزايدت بصورة مضطردة وتتفاقم بمرور الوقت. وتتوجه الأنظار دائماً إلى دراسات علم الاجتماع ونتائجها وأهم التوصيات والمقترحات، التى تتعلق بنوعية المشاكل والقضايا المجتمعية، وكيفية حلها ووضع الخطط العلمية لدراستها، ومعرفة أسباب تفاقمها وانعكاساتها على كل من الفرد والأسرة والمجتمع المحلى والقومى والمجتمع العالمى. بالطبع، ان جهود علماء الاجتماع لا يمكن أن تظهر قيمتها العلمية والعملية التطبيقية دون الرجوع إلى نتائج الدراسات والبحوث التى يجريها المتخصصين فى مجالات العلوم الاجتماعية والطبيعية فى نفس الوقت.

ومن هذا المنطلق، أصبحت قضية التخطيط والسياسة الاجتماعية من القضايا أو المجالات، التى تشغل اهتمامات علماء الاجتماع كغيرهم من العلوم الاجتماعية، مثل الاقتصاد والسياسة والنفس وكما ارتبطت تحليلات علماء الاجتماع عند دراستهم لعملية التخطيط والسياسة الاجتماعية، بدراسة واقع المجتمعات النامية، التى تحتاج إلى سياسات اجتماعية واستراتيجيات تنموية، تهدف-وتعمل على التخطيط من أجل التقدم والتطور والتنمية. وكرست جهود علماء الاجتماع كمحاولة منهم لدراسة قضايا ومشكلات التنمية والتخلف، التى توجد فى دول العالم النامى، وتتباين من حيث مظاهرها وآثارها ونتائجها، وأيضاً أسبابها بالمقارنة بمشكلات دول الرفاهية أو الدول المتقدمة.

ويكشف لنا تحليل التراث السوسيولوجى لعلم الاجتماع، مدى اهتمام هذا العلم وعلاقته بدراسة أساليب الرعاية الاجتماعية وكيفية النهوض بمستويات المعيشة، والتخطيط لتقديم أنواع من الرعاية الاجتماعية المتقدمة والمتطورة، التى تهدف إلى تعزيز سبل الرفاهية الاجتماعية ككل. كما جاءت أهداف علم الاجتماع وأهميته فى المجتمع الحديث، من أجل دراسة المشكلات الناجمة، عن التغيرات البنائية والوظيفية التى حدثت فى كل من النظم والبناءات والعلاقات والعمليات وأنماط التفاعل والسلوك الأنشطة الإنسانية.

خاصة، وأن أنماط المشكلات الاجتماعية، وآثار التغير الاجتماعى والاقتصادى والثقافى، جاءت لتوجه أهتمامات علماء الاجتماع لكيفية التصدى لهذه المشكلات والتغيرات. ولاسيما، بعد أن تدخلت سياسات الدولة عن طريق استخدام الأساليب العلمية للتخطيط وتقديم أنماط الرعاية، وتبنى سياسات اجتماعية

واقتصادية اصلاحية. وتلعب الدولة دوراً اكثر ايجابية من أجل رعاية حقوق المواطنين وتقديم الخدمات العملية، والتعليمية، والثقافية، والترفيه، والرعاية الاجتماعية الشاملة، وغيرها من أنماط الرعاية التى تستوجب أنواع معينة من التخطيط العلمي ورسم السياسات الاجتماعية، التى تهدف إلى حدوث التغير الايجابى وتطوير المجتمع وأفراده والعمل على اسعادهم وتحقيق حاجاتهم الأساسية.

وانطلاقاً من أهدافنا الأساسية وهو تقديم عدد من الموضوعات والمجالات، التى يهتم بها علم الاجتماع وعلمائه، وكيفية دراسته للقضايا والمشكلات والظواهر الاجتماعية، نهدف حالياً لاعطاء القارئ خلفية مبسطة، عن طبيعة التخطيط الاجتماعى والسياسة الاجتماعية، وذلك عن طريق تحديد مفهوم وماهية التخطيط والسياسة الاجتماعية، وطبيعة المفاهيم والتصورات التي ترتبط بهما. علاوة على تحديد أهداف كل من التخطيط والسياسة الاجتماعية ودورهما فى عمليات التنمية والتطوير والتحديث ولاسيما فى المجتمعات النامية. فى نفس الوقت، يهدف هذا الفصل، لتحليل الاسهامات السوسيولوجية، التى ركزت على دراسة التخطيط الاجتماعى، وكيف عالج علماء الاجتماع، أيضاً قضية السياسة الاجتماعية، وما أهم المنظورات السوسيولوجية التى تناولت السياسة الاجتماعية وأهدافها المجتمعية ؟

علاوة على ذلك، يعالج هذا الفصل كيفية إدارة السياسة الاجتماعية، وما طبيعة هذا المفهوم خاصة وأن العملية الإدارية والتنظيمية أصبحت من المشكلات التى تواجه دول العالم النامى، ولا تختلف أو تقل أهميتها عن عمليات إدارة المشروعات الاقتصادية الكبرى، وذلك بهدف معرفة العلاقة بين السياسة الاجتماعية وعمليات التنمية والتحديث والتطور. كما تهدف أيضاً، إلى تقديم فكرة مختصرة عن العلاقة بين المشاكل الاجتماعية والسياسة الاجتماعية، وكيفية التصدى لهذه المشكلات عن طريق استخدام التخطيط العلمى ورسم السياسات والاستراتيجيات اللازمة للاصلاح الاجتماعي عامة.

أولاً : معنى التخطيط وأهدافه :

تعددت مفاهيم ومعانى التخطيط من قبل علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد، وان كانت هذه المعانى تميز نوع من الاتفاق المشترك بين العلماء حول طبيعة التخطيط والمقصود به، وما يهدف إليه بصورة عامة. ولقد ظهر الاهتمام بالتخطيط الاجتماعى Social Planning، فى إطار معالجة علماء الاجتماع لمشكلات التخلف والسعي إلى طريق التقدم والتطوير والتنمية المستهدفة. كما جاء هذا الاهتمام نتيجة تطور أساليب علم الاجتماع، التى ترتبط بالنظريات السوسيولوجية التى طرحها علماء

الاجتماع من أجل احداث تطور أو تنمية مخططة على أسس علمية. ولقد ركزت كثيراً من التصورات والأفكار النظرية لعلماء الاجتماع على ضرورة توجيه النظريات السوسيولوجية لدراسة قضية التخطيط وتحديد أهدافها واستراتيجيتها بصورة عامة. علاوة على ذلك، لقد اسهمت مجموعة من العوامل والظروف السياسية والاقتصادية الاجتماعية للاستعانة بالتخطيط من أجل تحقيق السياسات الاجتماعية المرجو تحقيقها فى فترات زمنية محددة.

يوضح عالم اجتماع التنمية جونار ميردال J. Mardal، طبيعة التخطيط وأهميته فى الدول النامية ليشير إلى مفهومه بأنه عبارة ' عن برنامج أو مجموعة من البرامج الاستراتيجية الحكومية الوطنية فى تطبيق نظام تدخل الدولة فى القوى التى تتلاعب بالأسواق وتوجيهها بطريقة تسمح بدفع التطور الاجتماعى '[(١)]. ويركز (ميردال) تصوراته عن التخطيط والخطة الحكومية الرسمية، ولاسيما أنه كان يسعى جاهداً لدراسة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، التى تحدث من خلال وجود نوع من السياسات الحكومية التى، تتبع أساليب علمية فى عمليات التخطيط، ومن أجل تحقيق سياسة قومية للتنمية الشاملة.

وفى نفس الوقت، يؤكد (ميردال) على أهمية وجود التخطيط فى الدول النامية ووضع سياسات اجتماعية، تقوم على لامركزية التخطيط والبعد عن الأساليب التقليدية التى تركز على مركزية التخطيط وصنع الاستراتيجيات التنموية. فى نفس الوقت، أكد (ميردال) على ضرورة التنسيق بين الجهود الحكومية، من أجل التخطيط لسياسات اقتصادية وتنمية شاملية وبين الجهود الخاصة للقطاع الخاص. وان كان (ميردال) يؤكد على دور الدولة فى وضع الخطط الرئيسية، وبصرف النظر عن التداخل فى سياسات التخطيط بين القطاع الحكومى أو الخاص، نظراً لأن هدف التخطيط بصورة عامة يركز على تحطيم الجمود الذى يعتبر من مظاهر التخلف، والسعى عموماً من أجل حدوث تطور فى النظام الاقتصادى والاجتماعى فى الدول النامية.

من ناحية أخرى، تتركز أهداف التخطيط حول التنمية الاقتصادية الاجتماعية، والتى تهدف بدورها إلى التنمية الشاملة والعمل على ارتفاع مستوى المعيشة العامة للناس وكما أن الاتفاق حول احداث عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية تكون من مهام الحكومات والدول التى تعمل على وضع الخطط

---

(١) جونار ميردال، النظرية الاقتصادية والدول النامية، ترجمة ابراهيم الشيخ، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦، ص ٦٩.

والاشراف على تنفيذها والاشراف عليها والتحقق من انجاز اهدافها. علاوة على ذلك، اكد (ميردال) على ضرورة اشتراك الأهالى فى عمليات التخطيط والاستعداد لحدوث التغير لان عمليات التنمية الاقتصادية، ومسئولية حدوثها لا يمكن ان يكون على عاتق الحكومة أو الدولة ذاتها بل ضرورة حدوث نوع من التعاون والمشاركه من قبل الذين توجه إليهم عمليات التخطيط ذاتها.

وفى السنوات الاخيرة، ارتبطت عملية التخطيط بالكثير من الافكار والتصورات، التى تبرز اهمية هذه العملية فى المجتمعات الحديثة، ولاسيما الدول النامية. وهذا ما يؤكد عليه علماء التنمية الاقتصادية والاجتماعية، واعتبار التخطيط نوع من الهندسة الاجتماعية Social Engineering، الذى يهدف إلى حدوث تغيير جذرى أو جزئى من اجل الحصول على مستويات أفضل للمعيشة وتطوير الفرد وتحديثه وتنميته، خاصة إذا نظرنا إلى التخطيط على انه نوع من الجهود المنظمة والفرعية، والتى تأخذ طابع الاستمرارية واختيار أفضل الوسائل والبدائل ومن اجل تخفيض اهداف مرسومة ومحددة.

ولقد ارتبط تفسير وتحديد معنى ومفهوم التخطيط، خلال فترة الخمسينات والسيتنيات بالايديولوجيات الاقتصادية والسياسية، التى كانت تسيطر على العالم والتى حددت طريقة التخطيط وتميزه إلى نوعين اساسين هما فى التخطيط الرأسمالى، والتخطيط الاشتراكى، وكل من هاذين النوعين لهما اساليب وفلسفة واستراتيجيه يختلف كل منهما عن الآخر. كما يتحدد مفهوم التخطيط سواء إذا كان رأسمالياً أو اشتراكياً فى اطار الافراد الذين يخططون له أو يضعون اطره وافكاره التصورية، والتى تترجم من الناحية الواقعية ايديولوجياتهم ومعتقداتهم وفلسفته نحو التخطيط واحداثه فى المجتمع. ومن هذا المنطلق، نجد بعض علماء الاقتصاد الذين يؤخذون على التخطيط وتحديد ماهيته ومفهومه بغض النظر عن كونه يصبح تخطيطاً اشتراكياً ام رأسمالياً، واعتبار التخطيط[1] عموماً نوع من "الوسائل الفنية وانواع محددة من الخطط، التى تستلزم الدقة، وتنظيم الاجهزة المكلفة بقيامها أو تنفيذها أو متابعتها". لذا، يجب على الدولة ان تجعل بابها مفتوحاً للاستعارة من كل التجارب والمحاولات فى ضوء مراعاة ظروفها الخاصة بها، دون احداث تغييرات جذرية فى نظامها الاقتصادى والاجتماعى.

كما يرى بعض علماء الاجتماع، امكانية تحديد مفهوم التخطيط الاجتماعى Social Planning، ويقصد به "تجميع القوى وتنسيق الجهود وتنسيق النشاط الاجتماعى، الذى تبذله جماعة من الجماعات فى اطار واحد مع تكامل الاهداف

---

(١) عادل حشيش، مبادئ الاقتصاد كعلم اجتماعى، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١، ص ٣٨٤.

ومعرفة المواقف مستغلين فى ذلك ذكاءهم ومعلوماتهم وقدراتهم الذهنية والعملية، وامكانات البيئة ومستعنين بتجارب الماضى والحاضر، للوصول إلى اهداف تقابل حاجات المجتمع وتحقيق ارتقائه إلى حياة اجتماعية أفضل"[١] يعكس لنا هذا التعريف، مجموعة من الملاحظات التى يمكن ملاحظتها عند تحديد مفهوم التخطيط، والتى تتبلور فى أن التخطيط نوع من تحريك للقوى الجمعية واثارة الوعى الجمعى، والتعاون بين الافراد والجماعات من اجل انجاز مجموعة الاهداف العامة، وتحقيق التعامل بينها. من ناحية أخرى، نلاحظ أن انجاز التخطيط يحتاج إلى قدرات معينة مثل الذكاء، والمعلومات ومجموعة القدرات الخاصة، والاستعانه بالامكانات والموارد البيئية، والخبرات السابقة من اجل الوصول إلى الاهداف العامة للتخطيط عامة.

كشفت التعريفات السابقة، لمعنى ومفهوم التخطيط حسب وجهات نظر كل من علماء الاقتصاد والاجتماع، اننا نلاحظ ايضاً ان التراث السوسيولوجى كعلم الاجتماع ملئ بالتصورات والافكار، التى اهتمت بدراسة التخطيط وتحديد ماهيته واهدافه وخاصة فى الدول النامية. وهذا ما جعل تحليل عملية التخطيط تأخذ ابعاداً تنموية واقتصادية واجتماعية عند تطبيقها، كما جاء الاهتمام بالتخطيط من قبل الدولة واجهزتها الحكومية وبعض الهيئات والمنظمات، التى تهدف إلى تحقيق اهداف معينة. وهذا ما جعل مفهوم التخطيط يكتسب معنى أخر ربطت بعملية التنمية ويطلق عليه بالتخطيط للتنمية وهذا ما اشار إليه بعض الكتاب المعاصرين من أمثال ويترستون Waterston، الذى يحدد هذا النوع من التخطيط (التخطيط للتنمية، على أنه الأسلوب الذى تمارسه حكومات البلدان النامية فى مسار محاولتها الواعية والمستمرة، من اجل زيادة ورفع معدلاتها الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق التقدم، ومواجهة أى معوقات مؤسسيه تحد من تحقيق هدافها الاساسى[٢].

حقيقة، ان تراث علم الاجتماع السوسيولوجى، يعكس لنا مدى ثراء هذا التراث ووصفه بالتنوع والتعدد فى مفاهيمه ومعانيه وتصوراته وقضايا ومشكلاته، وهذا ما يكشف عنه مفهوم التخطيط وما يقصد به عموماً. حيث نجد ايضاً، ان التخطيط قد يستخدم وضع السياسات الاجتماعية اللازمة من اجل الاهتمام بالجانب الوقائى

---

(١) مصطفى الخشاب، مرجع سابق، ص ٣١٩.

(٢) Waterstone, P, Development Planning, Balcoimone, Johns Hopkins Press, 1965, P. 26.

انظر المرجع التالى

- محروس خليفه، السياسة الاجتماعية والتخطيط فى العالم الثالث، الاسكندرية، دار المعرفة ١٩٨٦ ص ٢٩٧.

والعلاجي، والتصدى للمشكلات الحاضرة والمستقبليه، فهو وسيلة للتنبؤ أو الاعداد المستقبلي لمواجهة المشكلات. وهذا ما يجعل بعض العلماء يركزون على تعريف التخطيط من الناحية الوقائية ويميزونه "بانه محاولة لتوقع المستقبل، والتنبؤ باتجاهاته، وتحديث مجراه، ثم اتخاذ اسلوب للعمل يتلافى حدوث المشاكل. فهو (التخطيط) وسيلة وقائية اكثر منها علاجية"(١). بإيجاز، ان بلورة مفهوم التخطيط وتحديد معانيه يسهم في التعرف على وجهات نظر علماء الاجتماع والاقتصاد والمتخصصين عموما بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية ولا سيما في الدول النامية، والهدف من تركيزهم على دور التخطيط في احداث تنمية شاملة في هذه المجتمعات.

ثانياً: التخطيط والنظرية الاجتماعية

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأت حكومات الدول المتقدمة تسعى لاعادة بناءاتها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، خاصة بعد ان حتم عليها النظام العالمى الجديد الذى ظهر بعد حدوث هذه الحرب، من ضرورة تغير مفاهيمها حول عمليات إعادة البناء وضرورة تبنى السياسات الاجتماعية التى تقوم على التخطيط العلمى المدروس. ولم تأت هذه السياسات وتبنيها لاساليب معينة للتخطيط، وموجهه إلى تحقيق اهداف معينة من فراغ، بقدر ما جاءت مكونات هذه السياسات وما يرتبط بها من إجراءات وخطط مرتبطة بنوع من الايديولوجية، التى تتضمن مجموعة القيم والافكار والتصورات والاطار العام الذى لا توجه فقط السياسات الاجتماعية وعمليات التخطيط الاجتماعى، ولكن توجه جميع السياسات العامة للدولة ذاتها.

وبالطبع، لقد اسهم علم الاجتماع كغيره من العلوم الاجتماعية الاخرى، فى طرح عدد من التصورات والافكار العامة التى ترتبط بعملية التخطيط والتى عبرت عنها مجموعة من النظريات السوسيولوجية، التى عالجت التخطيط من الناحية النظرية، وحاولة أخضاع هذه النظريات لمجال الدراسة والتطبيق الميدانى. فى ضوء معرفة التطورات السوسيولوجية التى كانت تغير عملية التخطيط، والتى يمكن عرضها من خلال المنظورين التقليديين للنظرية السوسيولوجية وهما: المنظور البنائى الوظيفى، والمنظور الماركسى، ويمكن الاشارة إلى أهم تصوراتهما حول التخطيط بصورة مختصرة كما يلى:

أولاً: المنظور البنائى الوظيفى

يرتبط هذا المنظور بدراسة التخطيط كما جاء فى الفكر الرأسمالى، والذى يتركز فى تحديد وظيفة التخطيط من اجل المحافظة على طبيعة البناء الاجتماعى،

(١) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٥٦٤.

بتحديد وظائفه التى يقوم بها فى المجتمع، والذى يهدف عامة إلى تحقيق اعلى درجات من التجانس والاستقرار والتوازن، بين الطبقات الاجتماعية من اجل استمرار المجتمع ووجوده. ويندرج تحت هذا المنظور الرأسمالى فى دراسة التخطيط عدد من النظريات ومن اهمها بإيجاز[1]:

١- نظرية أودم : Odum

الذى يتصور ان التخطيط لا يمكن اقتصاره على الحدود الاقليمية بل يجب ان يشمل جميع دول العالم وشعبها واقاليمها ومدنها ومجتمعاتها المحلية، ويقسم برامج التخطيط إلى ثلاثة نماذج وهى:

(أ) التخطيط الاجتماعى العام Societal Planning، ويشمل جميع قطاعات المجتمع ككل، ويحاول ان ينسق الخدمات والجهود القومية من اجل وضع خطط تكامليه، تهدف غاياتها لتحقيق الاستقرار والعدالة الاجتماعية إلى جميع افراد المجتمع وطبقاته.

(ب) التخطيط الوظيفى Functinoal Planning، ويوجد هذا النوع من التخطيط لتوجيه وظائف واهداف معينة إلى قطاعات محددة أو إلى مجتمعات محلية مميزة. ويتضمن هذا التخطيط اعداد الموارد البشرية والبيئية والطبيعية، التى يمكن استغلالها فى نجاح التخطيط من اجل الارتقاء بمستويات المعيشة ومواجهة الحاجات الاساسية، ويندرج تحت هذا النوع ثلاث انواع فرعيه من التخطيط وهى:

١- التخطيط الطبيعى Physical Planning، ويركز هذا التخطيط"على التنسيق بين السكان والاقليم والعمل على اعادة توزيعهم بما يضمن استغلال الموارد الطبيعية.

٢- التخطيط الاقتصادى Economic Planning، ويهدف إلى التخطيط من اجل كيفية استغلال الطاقات الاقتصادية وزيادة الانتاج والعمل على تهيئة واستغلال المصادر الاقتصادية للدول بصورة مثلى.

٣- التخطيط الثقافى Cultural Planning، ويهدف للتخطيط من اجل استغلال التراث الاجتماعى والثقافى فى المجتمع، واعادة تنظيم المؤسسات الاجتماعية ومواجهة مشكلات التغير فى العادات والتقاليد والقيم والاهتمام بالنظم الاجتماعية مثل الاسرة، والدين، والتعليم وغيره.

---

(١) مصطفى الخشاب، مرجع سابق، ص ٣٣٢ - ٣٢٤.

(جـ) التخطيط الادارى Administrative Planning، ويركز هذا النوع من التخطيط على ضرورة وضع استراتيجيات للأدارة، ويهدف لتحديث الاقاليم المحلية والقومية، وضع برامج للنهوض بمؤسسات الدولة المختلفة اداريا حتى تقوم بمهامها الوظيفية.

٢- نظرية كارل مانهايم K. Mannhiem

وضع مانهايم نظريته عن التخطيط فى ضوء دراسته للتطور التاريخى للحياة الاجتماعية، وحاول ان يحدد ماهية التخطيط من خلال تصوره على أنه تنظيم لنشاط الافراد والجماعات لتحقيق الغايات الاجتماعية ومواجهة حاجات بشرية جديدة. كما رأى ان كل تخطيط ما هو إلا تنظيم لعمليات التعاون بين الاجزاء والاعضاء من اجل استمرارية وحدتهم البنائية والوظيفية. كما قد استرشد مانهايم بتصورات بعض علماء الاجتماع التطبقيين من أمثال اميل دور كايم، عندما حلل طبيعة تطور المجتمعات البشرية وعلاقتها بالتخطيط، والتى حددها فى ثلاث مراحل أساسية وهى:

* **المرحلة الاولى** التى تصف طبيعة الحياة البدائية، التى كانت تقوم على حياة التضامن الآلى Mechanical Solidarity. فلقد حرص الانسان البدائى فى خلال هذه المرحلة على ان يخضع لحياة الجماعة خاصة وان شخصيته كانت مندمجة فى الحياة الجمعية ذاتها. وخلال هذه المرحلة كان مجلس الجماعة أو القبيلة هو الذى كان يقوم بالتخطيط ولتأمين المجتمع من اى شرور خارجية، كما ان مشاركة الافراد كانت توضح عملية التخطيط الجمعى.

* **المرحلة الثانية** وهى التى تعكس مرحلة الحياة المتحضرة، وتمتاز بتطور الحياة الاجتماعية، وتقدم العلوم والفنون، والملكية من الجمعية إلى الخاصة. حيث بدأ الافراد يشعرون بخصوصياتهم وسعيهم للعيش وتحقيق مصالحهم الشخصية، كما ظهرت المنافسة الفردية لتعزز دور الفرد نحو التخطيط من اجل تأمين مصالحه الفرديه. وخلال هذه المرحلة استطاعت عمليات التخطيط الحكومى ان تسد بعض النقص فى مجالات التخطيط الفردى.

* **المرحلة الثالثة** مرحلة المجتمعات الصناعية المتقدمه، فلقد شعر الافراد بضرورة التضحية ببعض مصالحهم الفردية. والعمل من اجل الصالح العام حتى لا يشعروا بالانفرادية. كما ان سياسات هذه المجتمعات بدأت تأخذ الحياة التعاونية فى تجميع رؤس الاموال، وإقامة المشروعات الخاصة الكبرى، ولزم ذلك نوع من التخطيط حتى للطبقات العمالية التى تسعى للحصول على

مصالحها. وبدأت تتدخل الدولة بصورة شديدة، من اجل وضع السياسات التخطيطية فى كافة المجالات وايضاً عن طريق التعاون، مع الافراد والجماعات والمنظمات والمؤسسات التى يعملون بها.

٢- نظرية جون - ميردال G. Myrdal (١)

طرح ميردال تعريفاً مميزاً للتخطيط فى الدول النامية يكشف عن اهتماماته بالتنمية من الناحية الواقعية، خاصة وانه ركز على اهمية التخطيط فى هذه الدول. ولقد طرح مجموعة من خطط التنمية القومية National Development Plams، خاصة فى الدول الفقيرة، التى تتميز بانخفاض مواردها الاستثمارية وحجم رأس المال بها الذى مخصص للقطاعات الاقتصادية. وحاول ان يطرح عدد من المبادئ العامة التى يجب ان تضعها حكومات الدول الفقيرة للنهوض بمستواها الاقتصادى والتخطيط لرسم سياسات حكومية، تركز على الاقلال من معدلات الاستهلاك، وزيادة مستويات حجم الاستثمار لزيادة الدخل القومى.

من ناحية أخرى، حرص ميردال على ضرورة توجيه السياسات الحكومه لتحقق التنمية اهدافها وللحد من النمو السكانى Population growth بالتخطيط طويل الاجل، وتلبية الحاجات الاساسية للمواطنين، والعمل على تمويل المشروعات الاقتصادى والمالية الاستثمارية. كما يؤكد ميردال على ضرورة واهمية تدخل الدولة أقتصادياً عن طريق وضع الخطط الكفيلة، لزيادة معدلات التقدم الاقتصادية، والسيطرة على التجارة الخارجية، والعمل على تلبيه الحاجات الاساسية للمواطنين، وتدعيم الصادرات، وتدعيم سياسات الاجور خاصة للطبقات العمالية المهرة، من اجل خلق فئة من العمالة اللازمة لعمليات التكنولوجية المتطورة.

علاوة على ذلك، ركز ميردال على ضرورة ان تضع الدول برامج وسياسات للتخطيط من اجل التحول نحو القطاع الخاص لأهميته فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مع ضرورة اهتمام الدولة بمشروعات البيئة الاساسية، والاقلال من السياسات المالية المعتمدة على القروض الخارجية، والعمل على تنمية مواردها العامة. والعمل على تشجيع الاستثمارات الخاصة والاجنبية للنهوض والتخطيط المستقبلى لظهور الصناعات المتقدمة تكنولوجيا. بإيجاز، حرص ميردال على ان يضع نظرية فى التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. وبالفعل تعد أفادت نظرية ميردال الكثير من السياسات الحكوميه التى ظهرت فى العديد من بلدان العالم النامى.

---

(١) عبد الله عبد الرحمن، علم الاجتماع الاقتصادى، (جـ ٢)، مرجع سابق ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

ثانياً: المنظور الماركسي:

يقوم هذا المنظور على التصورات الايديولوجية التي وضعها كل من ماركس وانجلز للتخطيط الاشتراكي، والذى كان يهدف إلى ظهور المجتمع الشيوعي العالمي. وركز ماركس وزميله على ضرورة وضع عدد من المبادئ العامة والتي تهدف إلى التخطيط لظهور المجتمع الشيوعي، وذلك عن طريق الغاء الملكية الخاصة وجعل الملكية العامة هي السمة الأساسية للحياة الاقتصادية في المجتمع. ومن خلال التخطيط لالغاء الملكية سوف تؤمن حياة الافراد والجماعات عن طريق ظهور الملكية الجماعية، والتي تجمع جميع وسائل الانتاج في ايدى الطبقة العاملة والتخطيط لسد كافة الحاجات الاساسية للمواطنين الكادحين.

في نفس الوقت، لم يوافق ماركس أو رواد الماركسيه المحدثه أو من نادوا عموماً بالتخطيط الاشتراكي على الفصل بين انواع التخطيط. فلا يوجد تخطيط اجتماعي والآخر اقتصادى أو نوع ثالث للعمران والبنية الاساسية. ولكن يجب ان يكون التخطيط شاملاً لتحقيق جميع عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويجب ان تكرس سياسات التخطيط الشامل لسد الحاجات الاساسية، في ظل وجود نمط الملكية العامة للوسائل والموارد التي تقوم بامداد هذا التخطيط بالوسائل الفنية والمادية والبشرية.

كما اتسم التخطيط الاشتراكي بالجمع بين التخطيط المركزى ولا مركزى في نفس الوقت، وان كانت معظم الاستراتيجات والسياسات العامة تقوم على النوع الاول من التخطيط. ويجب ان تصبح الدولة ومؤسساتها هي المخطط والمنفذ والمتابع ايضاً للسياسات التخطيط، دون الاعتماد على اى نوع من التخطيط الفردى، خاصة وان الحياة الاجتماعية والاقتصادية حياه جماعيه مشتركه(١). كما يتطلب تنفيذ التخطيط الاشتراكي وجود اجهزة متخصصه في التخطيط المركزى على ان تتبع سلطة الدولة العليا، وتقوم الهيئات والمؤسسات الحكومية والسلطات المحلية بالمساهمة في جمع البيانات اللازمة والتخطيط الشامل، بإيجاز، سعى المنظور الاشتراكي في التخطيط لابراز دور الدولة من خلال النمط الايديولوجي، الذى يلغي الملكية الخاصة ويخطط للحياة الاجتماعية وهو على النقيض تماماً من المنظور الوظيفي الرأسمالي، الذى اهتم بالتخطيط من اجل الحفاظ على المجتمع في ضوء دور الدولة الذى لا يعتمد كلية على سياسات التدخل إلا من اجل مراعاة مصالح المجتمع والحفاظ على مصالح الافراد والجماعات.

---

(١) محروس خليفه، مرجع سابق، ص ٣٠٣، وايضا عادل حشيش، مرجع سابق، ص ٣٨٣.

ثالثاً: التخطيط والسياسة الاجتماعية :

ترتبط عملية التخطيط بالسياسة الاجتماعية Social Policy، كما يوضح ذلك مناقشة علماء الاجتماع لقضية التخطيط وعلاقتها بالسياسة الاجتماعية، خاصة لأنه من الصعوبة فهم العمليتين منفصلتين أو مفردتين عن بعضهما البعض. فالتخطيط كمفهوم أو تصور يوضح نوعية البرامج المنظمة التى تهدف تحقيق اهداف أو غايات معينة فى قطاع أو نشاط أو مجال من المجالات الاقتصادية أو الاجتماعية أو سياسية. علاوة على ذلك، يرتبط كل من التخطيط بالسياسة الاجتماعية، لان كل منهما يرتبط بمجموعة من القرارات أو الاهداف المراد تنفيذها ومتابعتها وتقييمها عن طريق القائمين بوضعها أو المستفيدين من كل من عمليات التخطيط أو السياسة الاجتماعية.

ومن ثم، فإن علاقة التخطيط بالسياسة الاجتماعية، توضح ان لكل منهما مجموعة من الاهداف المرسومة أو المحددة والتى يجب تنفيذها حسب ما وضع مسبقاً لها من اهداف أو قرارات أو اساليب معينه. فالمجتمع يسعى لاتباع سياسات اجتماعية لتحقيق اهداف معينة سواء فى مجال الاقتصاد أو الصحة أو الرعاية الاجتماعية أو التعليم أو المجال الزراعى أو التجارى أو غيره من انشطة معينة. كما ان هذه السياسات واهدافها لا يمكن تنفيذها إلا عن طريق وضعها فى عدد من الخطط والبرامج، لكى يتم تنفيذها ومتابعتها وتقييمها. وهكذا، تتضح العلاقة بين التخطيط والسياسة الاجتماعية، حيث يعتبر التخطيط، البرامج التنفيذية والعملية للسياسات الاجتماعية.

وبإيجاز، يمكن القول، بان السياسة الاجتماعية والتخطيط يمثلان عملية تنفيذ القرارات أو الاهداف التى تم وضعها بواسطة المجتمع أو المؤسسة أو النظم فى مجال معين. ويتم توضيح هذه الاهداف بصورة واضحة فى اطار السياسات الاجتماعية، ولكن يتم بعد ذلك ترجمة هذه الاهداف العريضه التى تتضمنها السياسة الاجتماعية فىصورة اهداف أو خطوات محدده ومبسطة، ويتم تنفيذها وتطبيقها من الناحية الواقعية فى عدد من الخطط. اذن، فان الخطة ما هى إلا العملية التنفيذية للسياسة الاجتماعية.

ونضرب على ذلك مثلاً عندما تقوم الدولة واجهزتها المختلفة والمتخصصه فى مجال الاسكان، باعداد سياسة اسكانية وعمرانية تهدف إلى توفير ٥٠٠ الف وحده سكنية خلال الخمس سنوات القادمة لاسكان الشباب مثلاً. هذه السياسة يتم وضعها فى خطط متصلة أو شاملة سواء لعام واحد أو خمس سنوات، حتى يتم تنفيذها واعداد الامكانات البشرية، والمالية، والمواد اللازمة لعمليات الانشاء لاستكمال الخطه الاسكانية. فى نفس الوقت، يتم تقييم الخطط سواء أكانت قصير ام طويلة الاجل فى ضوء ما تم وضعه فى الاطار العام للسياسة الاجتماعية التى ترتبط بنفس المجال.

حقيقة، يهتم علم الاجتماع بدراسة السياسة الاجتماعية مثلما يهتم بدراسة التخطيط ويحدد مفهوم وتصورات كل منهما، وهذا ما اتضح سابقاً عند تحديد معنى التخطيط ومفاهيمه المختلفة. ويمكن توضيح مفهوم السياسة الاجتماعية واهمية دراستها من قبل علماء الاجتماع، ولا سيما ان هذا المفهوم يتداخل مع الكثير من المفاهيم الاخرى مثل الادارة الاجتماعية Social Administration، والخدمة الاجتماعية Social Serivices، والرعاية الاجتماعية Social Welfare، والتأمينات الاجتماعية Social Securily وغير ذلك من المفاهيم الاخرى[1].

وفي هذا الصدد يشير، أحد مؤسسي علم السياسه الاجتماعية ورائدها الاول، ريتشارد تيتموس R. Titmuss مؤكدا اهمية السياسية الاجتماعية ودراستها في اطار مضمونها العام واستجابة المجتمع لها من الناحية الواقعية، وتحديد كل من الاهداف والمشاكل والحاجات الاجتماعية التى تسعى إلى تحقيقها. ومن ثم يجب علينا، عند دراسة قضية السياسة الاجتماعية ان نحدد بوضوح، مبادئها وعناصرها واهدافها الاساسية، وما هى مجالات الحياة والتنظيمات الاجتماعية التى تمارس فيها، أو ما يطلق عليها عموماً بعملية الهندسة الاجتماعية Social Engineering، وما تطلبته هذه العملية من اساليب ووسائل فنية، واجراءات ادارية وتنظيميه، وبإيجاز، يمكن ان نطلق على مفهوم السياسة الاجتماعية، بمجموعة المبادئ والعناصر الاساسية التى توجه مباشرة لتحقيق غايات واهداف مميزة"[2].

ومن ثم، نجد ان مفهوم السياسة الاجتماعية لا يمكن فهمه وتحديد معناه إلا فى اطار المجتمع، أو الجماعة، أو التنظيم الذى يوجد فيه. كما ان السياسة الاجتماعية توجه اساساً لاحداث تغيرات سريعة أو ملموسة فى المجتمع، ويرتبط ذلك المجال بالمجالات التنموية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومن الصعوبة وضع سياسة معينة تهدف مثلاً إلى تغير الطقس بصورة جذرية، نظراً لان وضع مثل هذه السياسات يعتبر أمراً يصعب تحقيقه على الانسان وان كان يسعى لاتخاذ تدابير بيئته للتخفيف من حدة الحرارة. اما فى مجال الرعاية الاجتماعية تستطيع السياسات الاجتماعية ان تضع مجموعة من الاهداف العامة لرعاية فئة اجتماعية معينة من المعوقين، والايتام، والمسنين أو الاحداث أو غيرهم، ويتم على ضوء هذه السياسات وضع خطط معينة يتم عن طريقها تنفيذ هذه السياسات. بإيجاز، يمكن

(١) عبد الله محمد عبد الرحمن، سياسات الرعاية الاجتماعية للمعوقين فى المجتمعات النامية، والاسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٣. ص ٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٤.

القول بان مفهوم السياسة الاجتماعية يستخدم اساساً ليشير بوضوح، إلى طبيعة الأفعال الموجهة لحل مشكلات اجتماعية معينة وتطوير وتحديث قطاع معين من القطاعات الاقتصادية أو الاجتماعية عامة.

علاوة على ذلك، عند دراسة السياسة الاجتماعية لابد وان نأخذ فى الاعتبار السياق الثقافى والمجتمعى والايديولوجي والاقتصادى، الذى توجد فيه هذه السياسات ويتم وضع اهدافها واستراتيجيتها العامة، وايضاً معرفة الظروف الواقعية التى توجه هذه السياسات عندما تترجم إلى مجموعة من الخطط لتنفيذها ومتابعتها وتقييمها عموماً هذه السياسات. على أية حال، لقد تطور مفهوم السياسة الاجتماعية فى السنوات الاخيرة على مستوى الدول النامية والمتقدمة وايضاً المنظمات الدولية مثل منظمات الامم المتحدة، التى تهتم بسياسات الرعاية الاجتماعية والاقتصادية على المستوى العالمى.

رابعاً: علم الاجتماع والسياسة الاجتماعية

تعد دراسة قضية السياسة الاجتماعية من اهم موضوعات، التى يهتم بدراستها علماء الاجتماع، هذا بالرغم من ان الاهتمامات الاولى لنشأة وتطور السياسة الاجتماعيةلم تجئ فى دائرة الاهتمامات المركزه لعلماء الاجتماع الاوائل، إلا اننا نجد ان معظم علماء الاجتماع، تعرضوا للسياسة الاجتماعية بصورة مباشرة وغير مباشرة. ولكن فى السنوات الاخيرة، ظهرت نزعة سوسيولوجية من جانب عدد من علماء الاجتماع الذين اهتموا بدراسة السياسة الاجتماعية، واعتبارها فرعاً من فروع علم الاجتماع، لان علم الاجتماع كعلم اجتماعى يعالج قضايا اعم واشمل من قضية السياسة الاجتماعية، ويعتبر المجتمع ككل هو موضوع اهتمام علماء الاجتماع بصورة اساسية.

ومن هذا المنطلق، جاءت المنظورات السوسيولوجية الحديثة لتؤكد على ان عملية الفصل بين دراسة السياسة الاجتماعية وعلم الاجتماع يعتبر امراً خاطئاً، وربما يتصور البعض ان عملية الفصل قد ترجع إلى اعتبار مفهوم السياسة الاجتماعية اقرب إلى علوم اخرى من علم الاجتماع ذاته، مثل علم السياسة على سبيل المثال. أو كما يؤكد البعض، ان تحليل مفهوم السياسة الاجتماعية أقرب إلى ادارة الرفاهية الاجتماعية، والتى تعتبر حسب وجهة نظرنا، جزءاً من موضوعات علم الاجتماع الهامة فى السنوات الاخيرة. ان ذلك الاعتقاد الخاطئ، يرجع تفسيره إلى تصور عدد من المهتمين بتلك القضية بان علم الاجتماع، علماً متحرراً من القيمة Value free، كما أن علماء الاجتماع ركزوا فى تحليلاتهم على نظريات

متفاءلة جداً، كما جاءت في تحليلات المنظورات الرأسمالية الوظيفية، ولكن طبيعة المجتمع الجديث مليئة بالمشكلات التى تعكس من الناحية الواقعية، بعد علم الاجتماع من أبراز الجوانب السلبية لهذه المشكلات.

وفى إطار هذا التصور يؤكد عدد من علماء الاجتماع عند دراستهم قضايا السياسة الاجتماعية، ضرورة أن نهتم بتحليل الوسائل والإجراءات اللازمة، التى عن طريقها يتم تقديم الحلول والأساليب الوقائية والعلاجية للمشكلات الاجتماعية، والعمل على وضع السياسات الاجتماعية اللازمة للكشف عن الآثار السلبية، التى تنتج عن المشكلات الاجتماعية وعدم التركيز بصورة مستمرة على أن المجتمع يعيش فى حالة من الانسجام والتوازن والاستقرار. وهكذا، فإن دراسة السياسة الاجتماعية، تعتبر موضوعاً هاماً لدراسة القضايا والمشكلات الناتجة عن الخلل البنائى والوظيفى فى الوحدات والنظم وأنساق التفاعل والعلاقات والأنشطة والسلوك الانسانى الذى يوجد فى المجتمعات الحديثة.

عموماً، هناك الكثير من التراث السوسيولوجى لعلماء الاجتماع الذى يبرهن على مدى اهتمامهم بدراسة قضية السياسة الاجتماعية لاعتبارات متعددة، تعكس فى مجملها نوعية اهتمام علم الاجتماع بدراسة قضايا المجتمع ومشكلاته، ومحاولتهم لطرح نظريات سوسيولوجية، تعالج قضايا النظام الاجتماعى أو العلاقة المتبادلة بين النظم والأنساق الاجتماعية والبناءات الاجتماعية. وهذا ما حدث بالفعل من خلال تحليل كتابات الرعيل الأول من علماء الاجتماع من أمثال اوجست كونت، واميل دوركايم، وهربرت سبنسر، وكارل ماركس، وماكس فيبر وغيرهم. وبالاضافة إلى ذلك، فان الباحث المتعمق فى علم الاجتماع يستطيع أن يجد أن كثير من علماء الاجتماع قد اهتموا بدراسة قضايا السياسة الاجتماعية بصورة مباشرة لسنوات طويلة من خلال نشاطه العلمى والأكاديمى فى المجتمع الذى عاش فيه. وهذا ما حدث بالفعل لماكس فيبر وتأسيسه لمنظمة السياسة الاجتماعية(١) Social Policy، التى أهتمت بمناقشة العديد من المشكلات الاجتماعية التى ظهرت فى المجتمع الالمانى والعديد من المجتمعات الأوربية الأخرى.

على أية حال، سنعرف فيما يلى - بإيجاز - لأهم ملامح التراث السوسيولوجى وعلاقته بدراسة قضية السياسة الاجتماعية، ولاسيما أهم التطورات

---

(١) للمزيد من التفاصيل، أرجع إلى :

- عبدالله محمد عبدالرحمن، علم اجتماع التنظيم، مرجع سابق، الفصل الخامس.

السوسيولوجية الحديثة التى ظهرت فى السنوات الأخيرة، وكشفت عن المزيد من الاهتمامات والنتائج النظرية الميدانية الواقعية :

١- منظور الرعاية (الاصلاح الاجتماعى) أو الهندسة الاجتماعية

Welfare of Social Reform or Social Engineering

يرجع جذور هذا الاتجاه إلى الأعمال التقليدية لأصحاب مدخل الاصلاح الاجتماعى التى تمثلت فى كتابات رايت ميلز R. Mills، وكارل بوبر K. Popper، لاستخدامها لمصطلح السياسة الاجتماعية والهندسة الاجتماعية. ولقد تطور هذا المدخل فى الولايات المتحدة وأطلق عليه بالمنظور الليبرالى، وترجع أهميته فى تركيزه على دراسة الحقائق الواقعية أكثر من الاهتمام بالدراسات السوسيولوجية وتفسيرها فقط. والعمل على توجيه سياسات الاصلاح الاجتماعى نحو تحقيق الأهداف القومية، وضرورة تدخل الحكومة وسياستها لحل المشكلات الواقعية، ووضع أسس لنظام اجتماعى سليم وموجها لحل المشكلات الحاضرة والمستقبلية. والاهتمام عموماً بالنزعة الواقعية Empiricism والتوجية الميدانى، وهذا ما حدث فعلاً لسياسات الاصلاح الاجتماعي فى الدول المتقدمة خلال القرنين الماضيين. ويمثل أصحاب هذا الاتجاه حديثاً تحليلات كل من تيتموس Titmuss، وتونسند Townsend، ودوننسون Donnison، وويب Weebb وغيرهم.

٢- منظور الرعاية الاجتماعية (المواطنة)

Welfare Perspective (Citizienship)

يركز أصحاب هذا المنظور على ضرورة تحليل السياسات الاجتماعية باعتبارها، إحدى الاستراتيجيات القومية الهامة، وكنوع من الحقوق الاجتماعية Social Rights، التى يجب توفيرها وحمايتها للمواطنين، وتشمل هذه الحقوق توفير كافة الخدمات والحاجات الأساسية Basic Needs، ومنها حق الرعاية الاجتماعية، التى يجب تبريرها بصورة عامة باعتبارها شئ أساسى، أو من حقوق المواطنة Citizienship Rights. ولقد ظهر هذا المنظور للسياسة الاجتماعية تحليلات مارشال Marchall وغيره من الذين أهتموا عموماً بدراسة مفهوم المواطنة، والذى شمل أيضاً على الحقوق المدنية والسياسية والمساواة الاجتماعية وحق العمل. ولقد تطور هذا المنظور وظهرت فى تحليلات عدد كبير من علماء الاجتماع من أمثال بارسونز Parsons، ووبندكس Bendix، ولانسكى Lenski، ودوركايم Burkheim، وسبنسر Spencer وغيرهم آخرون.

٣- منظور التحول نحو التصنيع والرعاية الاجتماعية :
Industrialization and Social Welfare Perspective

يؤكد هذا المنظور على أن عملية السياسة الاجتماعية وتحقيق الرفاهية فى المجتمع الحديث لا تكمن فى أفكار المواطنة وعلاقتها بالبناء والدور السياسى والاجتماعى للأفراد والجماعات فى المجتمع، وتحقيق كل من التنمية والرفاهية، بقدر ما يرجع إلى أهمية عملية التحول نحو التصنيع وتأثيرها فى تشكيل نظم ومؤسسات الرفاهية ذاتها. وفى هذا التحديد للسياسة الاجتماعية، نجد أن أصحاب هذا المنظور يتبنون الاتجاهات أو النظريات الحتمية فى التغير، مثل نظرية الحتمية التكنولوجية ودور التصنيع وأثره فى تحديث السياسات الاجتماعية، وأساليب الرعاية التى لا يمكن أن تتم إلا عن طريق تطبيق سياسات اصلاحية علاجية جذرية شاملة. خاصة، وأن السياسات الاجتماعية لا يمكن أن تقوم على أساس أيديولوجى بقدر ما تنهض على عناصر التقدم مثل التقدم التكنولوجى والتحول نحو التصنيع، بغض النظر عن المجتمعات التى تطبق فيها سواء كانت أشتراكية أم رأسمالية.

٤- المنظور الاشتراكى The Socialist Perspective :

يركز المنظور الاشتراكى على أهمية تبنى السياسات الاجتماعية التى تؤمن بتنفيذها عن طريق الوسائل الفنية التى يطبقها التخطيط الاشتراكى الشامل. خاصة وأن السياسات الاجتماعية التى وجدت فى الاتحاد السوفيتى (سابقاً)، أو التى لا تزال تطبق فى أكبر دولة فى العالم وترعى سكانها مثل الصين، نجد كثيراً من جوانبها الموضوعية والواقعية موجه لتحقيق أهداف هذه السياسات فى ظل مجموعة من التشريعات الاجتماعية التى تحدد علاقات العمل، والاشباع والتوزيع وتحسين ظروف المعيشة، وتوزيع الموارد الإقتصادية وعلى أساس سد الحاجات الضرورية وانطلاقاً من مبدأ المساواة الاجتماعية، وفى مجتمع بلا طبقات ولا ملكية خاصة. وهذا ما يجعل أصحاب منظور الاشتراكية يؤكدون على وجود خلل فى النظم الاجتماعية أو حدوث الاضطرابات وعدم التجانس داخل المجتمعات الرأسمالية، نظراً لغياب السياسات الاجتماعية التى تهدف إلى تحقيق المساواة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة القومية.

٥- المنظور الوظيفى Functional Perspective :

فى الواقع، لقد تضمنت كثيراً من المنظورات السابقة العديد من جوانب السياسة الاجتماعية فى الدول الرأسمالية، بما فى ذلك المنظور الاشتراكى، التى أبرز كثيراً من جوانب الضعف والخلل فى تطبيق السياسات الاجتماعية فى الدول الغربية والتى تتبنى الرأسمالية أو المنظور الوظيفى فى السياسة الاجتماعية. وفى

الواقع، يرى أصحاب هذا المنظور التقليديين من أمثال كونت، ودوركايم، وسبنسر، وفيبر أن السياسات الاجتماعية يجب أن تهتم بمعالجة المشكلات الناجمة عن عمليات التحول نحو المجتمعات الصناعية. خاصة، وأن طبيعة البناءات والنظم الاجتماعية قد حدث فيها كثير من التغير لحدوث التصنيع. وتغيير في المراكز والأدوار التى كانت تقوم بها المؤسسات الاجتماعية التقليدية.

كما جاءت بعض تصورات علماء الاجتماع عن السياسة الاجتماعية ذات طابع محافظ، من وجهة نظر سبنسر على سبيل المثال، عندما أكد أن التوسع فى عمليات السياسة الاجتماعية ومواجهة الفقر والفقراء من شأنه أن يحدث نوع من الاتكالية وعدم السعي للعمل والانتاج من جانب هذه الطبقات. وبالرغم من تصورات سبنسر، إلا أنه يلاحظ أن بريطانيا بالرغم من ظروفها الاقتصادية الأقل نسبياً عما كانت عليه سابقاً، تعد من أكبر دول العالم اهتماماً بالسياسة الاجتماعية ورفاهية مواطنيها، وذلك عن طريق تطبيقها مظلة قوية للرعاية الاجتماعية.

علاوة على ذلك، جاءت تصورات فيبر ودوركايم وأيضاً تحليلات السوسيولوجية المحدثة، التى عالجت السياسة الاجتماعية عند تالكوت بارسونز وزميله سملسر على سبيل المثال، لتؤكد على فكرة المواطنة، والحقوق الطبيعية الاجتماعية، والرفاهية الاجتماعية، وتقديم السياسات الاجتماعية الاصلاحية والعلاجية اللازمة للمواطنين. كما جاءت هذه التصورات للمنظور الوظيفى للسياسة الاجتماعية سواء كانت تقليدية أم محدثة، لتؤكد على الدور الايجابى الذى تقوم به السياسات الاجتماعية، من أجل زيادة الولاء والانتماء واحساس الأفراد بدور الدولة والشعور بالقومية، والحصول على المكاسب الشرعية والمدنية، التى تكفلها لهم دولة الرفاهية وهدفها الأساسى فى تحقيق السعادة لمواطنيها كجزء من وظائف الدولة الحديثة.

خامساً : إدارة السياسة الاجتماعية :

منذ أن وضع ماكس فيبر M. Weber نظريته عن البيروقراطية Bureaucracy مع البدايات الأولى من هذا القرن، وحدد فيها طبيعة هذه النظرية فى دراسة التنظيمات Organizations، ولاسيما التنظيمات الرسمية الادارية والحكومية، وحدد فيها مكونات البناء التنظيمى وطبيعة الأهداف والوظائف التنظيمية، التى يجب أن يهتم بها فى تحديد الواجبات والمسئوليات للموظفين المدنيين الذين يعملون بها، وخاصة أن هذه الفئة من الإداريين والفنيين يجب أن تتمتع بخصائص هامة مثل التخصص، والخبرة، والشهادات، واحترام التسلسل، والقواعد واللوائح وغيرها.

ولكن قد تعرضت هذه النظرية للعديد من الانتقادات بالرغم من أهميتها في وصف طبيعة التنظيمات والمؤسسات في المجتمع الحديث، وظهرت تحليلات أخرى من تصورات شيستر برنارد C. Barnard، الذى تصور أن التنظيمات الإدارية الرسمية أو غير الرسمية يجب أن توصف بأنها نسق تعاوني Cooperative System[1]، كما أن النموذج المثالي للبيروقراطية عند فيبر ركز على العلاقات الرسمية فقط، فحين أن هناك جوانب أخرى غير رسمية، يجب أخذها في الاعتبار. وجاءت ذلك في مجموعة الدراسات اللاحقة التي حددتها مدرسة العلاقات الإنسانية في دراسة التنظيم. علاوة على ذلك، ظهر مجموعة من علماء التنظيم المحدثين الذين وجدوا أن تعريفات وتحليلات فيبر للتنظيمات لم تميز بين التنظيمات العسكرية، أو المستشفيات، أو المدارس، أو المصانع، أو السجون، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية مثل الأحداث وكبار السن، والأيتام وغيرها. وبالطبع يوجد اختلاف في إدارة ووظائف هذه التنظيمات وذلك حسب أهدافها وخدمتها للأفراد أو الجماعات أو المجتمعات التي تعمل بها، وهذا لم تشر إليه تصورات فيبر عن النموذج المثالي لدراسة التنظيمات.

ومع تطور المنظورات السوسيولوجية الحديثة لعلم اجتماع التنظيم، وتزايد الاهتمام بدراسة تنظيمات الرفاهية التي توجد في المجتمعات الأوربية الرأسمالية والاشتراكية، ظهرت الحاجة إلى ضرورة الاهتمام بالمؤسسات والتنظيمات التي تسمى بالتنظيمات غير الانتاجية أو الخدمية Social Service Organizations، ولاسيما ان هذه التنظيمات تقوم بتنفيذ السياسات الاجتماعية المختلفة، وجاء ذلك في إطار ما يسمى بإدارة السياسة الاجتماعية، ويقصد بها تنظيم المؤسسات والتنظيمات، التي تقوم بعمليات التخطيط، والتنفيذ والمتابعة وتقديم الخدمات الاجتماعية عموماً سواء كانت مستشفيات، ومدارس وجامعات، وسجون، ومراكز لرعاية الأيتام والأرامل، وكبار السن، والأحداث، والمعوقين، وغيرها من مؤسسات الرعاية الاجتماعية الأخرى.

ويرجع بعض المنظرين لإدارة مؤسسات السياسة الاجتماعية، أن الاهتمام بهذا النوع من الإدارة جاء مع البدايات الأولى لظهور دولة الرفاهية Welfare State، والتي ظهرت مع أواخر القرن التاسع عشر[2]. عندما ظهرت معدلات كبرى من

---

(١) إرجع إلى :

- عبدالله محمد عبدالرحمن، علم اجتماع التنظيم، مرجع سابق، الفصول ٤ – ٧.

(٢) Pinker, R, Social Theory and Social Policy, London, Heinemann Book Ltd., 1971, Chap. 12, 28-95.

الفقر، والتشرد، والجريمة، وإهدار مؤسسات التعليم، والأمية، والبطالة وغيرها من المشكلات التى أفرزها طبيعة التحول من المجتمعات الاقطاعية إلى المجتمع الصناعى. وزادت هذه المشاكل أو المظاهر المرضية فى المجتمع نتيجة للخلل البنائى والوظيفى والذى حدث فى بناءات ونظم وعلاقات وسلوك وأنشطة هذا المجتمع الحديث. علاوة على ذلك، أن طبيعة التحديث والتنظيمات التقليدية التى كانت توجد فى العصور الوسطى لم تعد تتلاءم مع طبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الجديدة، خاصة وأن معظم هذه التنظيمات كانت تسيطر عليها الكنيسة، وتتسم بإداراتها التقليدية، كما لم تكن كثير من هذه التنظيمات قد ظهرت بعد.

فى نفس الوقت، ظهرت تخصصات حديثة فى علم الاجتماع مثل تخصص عدد من العلماء فى مجال الأمراض الاجتماعية Social Pathology، الذين بدؤا يركزوا ويوجهوا كثيراً من اهتمامات هذا العلم ونظرياته وعلمائه ليس فقط فى الدراسة الوصفية للجريمة، والانحراف، والفقر والانتحار وغيره، بقدر ما يجب أن يكون علم الاجتماع علماً يهتم بدراسة المشكلات الاجتماعية، ليس من المنظور الوصفى النظرى فقط بقدر ما يكون علماً تطبيقياً Applied Science. وهذا ما ساعد على ظهور إدارة السياسة الاجتماعية مؤسساتها وتنظيماتها المختلفة.

كما ساعد على ظهور إدارة المؤسسات الاجتماعية التى تقوم بتطبيق السياسات الاجتماعية، ظهور العديد من التشريعات الاجتماعية[(1)] Social Legislations، والتى تهدف إلى تقديم ألوان وأشكال متعددة من الرعاية والرفاهية الاجتماعية للمواطنين، وذلك فى ضوء تطور حقوق المواطنين والحقوق المدنية للأفراد وذلك بهدف تحقيق الولاء والانتماء أو التخفيف من آثار المشكلات الاجتماعية التى أفرزتها الحياة الاجتماعية الحديثة. علاوة على ذلك، ظهرت مجموعة كبيرة من الأفراد والمهنيين Professionals، الذين بدؤا يهتمون بهذه المؤسسات مثل المستشفيات ومراكز الخدمات الاجتماعية المختلفة ويحتاجون إلى تأهيل وتدريب معين سواء لتقديم الخدمات وأساليب الرعاية أو الإدارة والكفاءة، وخضوع هذه التنظيمات للدراسة والتحليل من قبل علماء الاجتماع التنظيمى ولاسيما الذين تخصصوا فى دراسة تنظيمات ومؤسسات الرعاية الاجتماعية.

فى نفس الوقت، لقد أدت هذه التطورات فى مجال السياسة الاجتماعية، واعتبارها من أهم مجالات علم الاجتماع والتى تقوم أساساً بالتخطيط لحل

---

(١) Ibid., P. 3-5.

المشكلات الاجتماعية والتخفيف من آثارها ونتائجها ومظاهرها، ليس فقط في المرحلة الحاضرة، بل أيضاً في المرحلة المستقبلية. ولاسيما، أن المتخصصين في هذا المجال يؤمنون بدور السياسة الاجتماعية بأنها دور وقائي وعلاجي في نفس الوقت. وأكدت اهتمامات علماء اجتماع التنظيم من أمثال أيتزيوني Etizioni، وباركر Parker، وكاثلين Kathleen، وهورتن Horton وغيرهم آخرون على ضرورة الاهتمام بالنظرية السوسيولوجية وتحديثها لمجال إدارة السياسات الاجتماعية ومؤسساتها المختلفة، والاهتمام بتصورات الرواد الأوائل من علماء الاجتماع الذين وجهوا الاهتمام نحو دراسة المشاكل الاجتماعية ذلك عن طريق التخطيط العلمي، ووضع الاستراتيجيات والسياسة الاجتماعية في كافة المجالات، والعمل على توظيف أهداف علم الاجتماع، ليكون علماً تطبيقياً. يدرس الواقع والحياة الاجتماعية المتغيرة.

سادساً : السياسة الاجتماعية والتنمية :

يعكس تحليل تراث قضية السياسة الاجتماعية وعلاقتها بالنظرية السوسيولوجية واهتمامات علماء الاجتماع بها منذ أواخر القرن الماضي (التاسع عشر). كما أن هذا الاهتمام قد ركز بصورة مباشرة على دراسة السياسة الاجتماعية التي توجد في المجتمعات الغربية بصورة خاصة، ولاسيما أن هذه المجتمعات كانت تخطط لما عرف بعد ذلك بمجتمعات الرفاهية. ولم تهتم بتحليلات علماء الاجتماع أو غيرهم من العلوم الاجتماعية الأخرى بعرض أي أفكار نظرية أو إجراء دراسات ميدانية امبريقية، تتناول سياسات الرعاية الاجتماعية في المجتمعات النامية. وهذا ما جعلنا سنطرح فيما بعد مجموعة من التساؤلات الهامة التي تكون ايضاً موضع اهتمامنا للإجابة عليها، ولتكون موضع اهتمام الباحثين المتخصصين والمهتمين عموماً بقضية السياسة الاجتماعية في دول العالم النامي.

في الواقع، كما أشرنا سابقاً، أن الاهتمام بدراسة قضية السياسة الاجتماعية كانت (غربية) النشأة، ومن ثم فما هي الأسباب التي حالت دون توجيه تحليلات علماء الاجتماع؟ وهل جاءت عملية عدم الاهتمام بدراسة هذه القضية بصورة مقصودة أو بصورة تلقائية؟ ولماذا تركزت اهتمامات علماء الاجتماع بدراسة قضايا السياسة الاجتماعية مثل الفقر، والمرض، والصحة، والتعليم، والأمية، والاسكان، وعدم التحضر وغيرها في الدول المتحضرة دون الدول النامية؟ وهل هذه المشكلات لم تظهر في المجتمعات النامية خلال النصف الأول من القرن العشرين؟

للإجابة على تلك التساؤلات التى تعكس بالطبع، أن علم الاجتماع واهتمامات علماءه كانت موجه لدراسة واقع المجتمعات الغربية أو المجتمعات الشرقية (الاشتراكية)، واستمر هذا الاهتمام منذ نشأة علم الاجتماع وحتى منتصف القرن الحالة. ومن ثم، يمكن القول، أن النظرية السوسيولوجية ودراسات علماء الاجتماع كانت مركزة لتحليل ومناقشة المشكلات والظواهر الاجتماعية التى كانت موجودة فى العالم الغربى، ولم تعد أى أهتمام لدول العالم النامى. ولقد جاءت مجموعة عوامل أدت إلى حجب الرؤى العلمية والسوسيولوجية لدراسة مشكلات العالم النامى، ولاسيما الأبعاد الأيديولوجية السياسية والعسكرية والامبريالية الاقتصادية التى جعلت هذه المجتمعات مجتمعات متخلفة من الدرجة الأولى، وتعمل على انتاج المواد الخام وتوريدها إلى مصانع وشركات الدول الأوربية الغربية(١).

ومع بداية الستينات ظهرت مجموعة كبيرة من علماء أو الباحثين فى مجال علم الاجتماع الذين ينتمون إلى الدول النامية كما ظهرت فى الهند وأمريكا اللاتينية من تحليلات كردوسو Cardoso، وفيرتادو Furtado، وأيضاً تصورات سمير أمين S. Amin فى مصر وغيرها، وبدأت توجه الأنظار إلى دراسة الواقع والنظام الاقتصادى والسياسى ومشكلات الدول النامية مع الاستعمار والتبعية والاستقلال. كما ظهرت أيضاً تصورات مجموعة أخرى من العلماء سواء من أصحاب الاتجاه المحافظ أو الماركسيين المحدثين ليهتموا بدراسة مشاكل التنمية والتخلف فى الدول النامية من أمثال جونار ميردال J. Myrdal، الذى ناقش قضايا التخطيط، والفقر، والأمية، وانخفاض مستوى الدخل، وغيرها من المشكلات الاجتماعية، التى تجعل من الدول النامية دولاً متخلفة. علاوة على ذلك يسعى هؤلاء العلماء لطرح عدد من السياسات التنموية Development Policies والتى تهدف إلى تقديم أساليب وسياسات اجتماعية ملائمة لطبيعة واقع دول العالم النامى(٢).

علاوة على ذلك، لقد سعت جهود مجموعة كبيرة من علماء السياسة الاجتماعية أن يعقدوا العديد من المقارنات بين الدول المتقدمة التى تعيش واقع الرفاهية، وبين الدول النامية التى تسعى لتحقيق معدلات من التقدم، والاهتمام عموماً بمجالات التعليم، والصحة، والتغذية، والاسكان، ورعاية الفئات الخاصة مثل المعوقين والأيتام والأرامل، وأيضاً دراسة التشريعات الاجتماعية التى

---

(١) عبدالله عبدالرحمن، سياسات الرعاية الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٦٥-٦٧.

(٢) أنظر، محمد أحمد بيومى، علم الاجتماع وقضايا السياسة الاجتماعية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣.

صدرت فى هذه الدول من أجل تعزيز عملية إدارة السياسة الاجتماعية وجعلها من أهم أهداف التنمية فى الدول النامية، وتحقيق معدلات أفضل لمستوى المعيشة والحياة الاجتماعية.

سابعاً : المشاكل الاجتماعية والسياسة الاجتماعية :

كشفت التحليلات السابقة حول إدارة السياسة الاجتماعية، طبيعة أهداف هذه السياسة واعتبارها مجموعة من المبادئ والأهداف والتصورات والقرارات الهامة، التى ترتبط بأحد المجالات أو القطاعات أو الظواهر المراد النهوض بها وتطويرها وتحديثها وتقديم خدمات أفضل لها. كما جاءت تعريفات وتحليلات عدد من المتخصصين فى السياسة الاجتماعية، ليوضحوا أن طبيعة الحياة الاجتماعية قد أفرزت الكثير من المشاكل الاجتماعية التى جاءت كنتيجة طبيعية لظهور المجتمع الصناعى الحديث والمعقد. ومن ثم، يجب أن يتصدى علم الاجتماع لدراسة هذه المشاكل مثل الفقر، والجريمة، والانحراف، والبطالة، والأمية، والتخلف، وسوء التغذية، وغير ذلك من مشكلات أخرى ليس فقط عن طريق دراسة ووصف هذه الظواهر أو المشكلات فقط، بقدر ما يجب أن يكون علم الاجتماع علماً تطبيقياً، يهدف إلى تقديم الحلول لهذه المشكلات الاجتماعية، خاصة وأن علم الاجتماع ومجالاته المتخصصة مثل السياسة الاجتماعية يجب أن تكون علوماً متخصصة تدرس المشاكل أو الأمراض الاجتماعية Social Pathology.

ولقد ظهرت خلال الربع الأخير من هذا القرن، الكثير من التحليلات التى ركزت على دراسة العلاقة بين المشاكل الاجتماعية والسياسة الاجتماعية من أمثال دراسات ج. ورهام J. Warham، وميرلى Merrill، ومارشال Marshall، وجروسمان Grossman، وغيرهم آخرون[1]، الذين سعوا لدراسة كيفية معالجة علماء الاجتماع للمشكلات الاجتماعية. كما ظهرت فى تصورات أميل دوركاين، وسنبسر، وميلز، وفيبر، وبارسونز، ونسبت، وميرتون، وغيرهم من التحليلات السوسيولوجية سواء كانت تقليدية أم محدثة لتركز على دراسة المشاكل الاجتماعية. ولقد طرح على سبيل المثال، عدد من الباحثين كيف تصور ميرتون R. Merton طبيعة المشاكل الاجتماعية فى المجتمع الأمريكى، ولاسيما أن هذه المشاكل قد تكون ظاهرة أو كامنة Latent or Manifest Problems، ويجب على المجتمع أن يسعى جاهداً للسيطرة على هذه المشكلات والتحكم فى أسبابها، نظراً لآثارها السلبية

(١) Warham, Social Policy in Context, London: B. T. Batsford Ltd., 1971, PP. 58 - 80.

على الفرد والمجتمع، ويجب أن يتم ذلك عن طريق تطوير السياسات الاجتماعية، والعمل على تحديث المؤسسات والتنظيمات التى تقوم بتنفيذ هذه السياسات.

كما جاءت تحليلات ميرلى Merrill على سبيل المثال[1]، لتوضح أن علم الاجتماع والمتخصصين فى دراسة المشاكل والسياسات الاجتماعية، يمكن أن تستطيع أن تقدم حلولاً جوهرية لعلاج هذه المشاكل، وذلك عن طريق دراستها بصورة علمية. خاصة، وأن هذه المشاكل يمكن قياسها Measurement أو خضوعها للقياس، كما يمكن أيضاً أن نتعرف متى تكون هذه المشكلات نوع من الخطر الذى يهدد البناء الاجتماعى، وإلى أى حد يمكن أن تكون النظم الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية فى غير مستواها الحقيقى للتصدى لهذه المشكلات، التى تهتم باحترام القيم الاجتماعية Social Values. وما هى الانطباعات والآراء الاجتماعية من عامة الناس التى تعكس أن هناك نوع من المشكلات التى تهدد أمنهم واستقرارهم أو حياتهم الاجتماعية، وهذا الانطباع يؤثر على نضوج وظهور الرغبة أو الفعل الجمعى Collective Action فى المجتمع للتصدى للمشكلات الاجتماعية، وذلك عن طريق صدور التشريعات الاجتماعية والقانونية، أو السعى عموماً لتحديث أساليب السياسة الاجتماعية وتنظيماتها ومؤسساتها المختلفة.

حقيقة، ان تراث علم الاجتماع يعنى بالتصورات السيوسيولوجية، التى اهتمت بدراسة المشاكل الاجتماعية وعلاقتها بالسياسة الاجتماعية، كما ظهرت فى تصورات س. رايت ميلز R. Mills، وسيلزنيك Selznick وميرتون Merton، ونسبت Nesbet، وآخرون من علماء الاجتماع المعاصرين، الذين ناقشوا بوضوح طبيعة السياسة الاجتماعية وكيفية النهوض بها من أجل التخفيف من حدة المشاكل الاجتماعية وآثارها السلبية، التى تهدد حقوق الفرد واستمرار المجتمع والحياة الاجتماعية.

خاتمة:

ما من شك، أن القضايا والموضوعات التى يهتم بها علماء الاجتماع، كما ظهرت فى السنوات الأخيرة متنوعة ومعقدة، وتكشف لنا بوضوح عن طبيعة أهداف علم الاجتماع ووظائفه الأساسية فى دراسة المجتمع الحديث الذى نعيش فيه. فالمجتمع الحديث يظهر بصورة مستمرة الكثير من المشاكل والظواهر والقضايا، التى يجب أن يتصدى لها علماء الاجتماع كغيره من علماء العلوم الاجتماعية بالدراسة والتحليل، وليس فقط من الناحية الوصفية أو التعرف على هذه المشكلات

---

(١) Ibid., PP. 67 - 70.

أو الظواهر، بقدر ما يكون دائماً علماً تطبيقياً يركز على دراسة المشكلات، من الناحية الواقعية وطبيعة وجودها وأسباب أنتشارها، وكيفية تقديم الحلول لعلالجها فى المرحلة الحاضرة والمستقبلية.

وجاءت دراسة مشكلة التخطيط والسياسة الاجتماعية من المشاكل التى جعلت من علم الاجتماع علماً تطبيقياً، يهتم بوضع الخطط، ورسم السياسات الاجتماعية الاستراتيجية، وذلك بهدف تطوير وتحديث أساليب الحياة والمعيشة الاجتماعية، والعمل عموماً على رفاهية الإنسان واشباع حاجاته الأساسية وتقدمه بصورة مستمرة، وجعله قادراً للتكيف والاستمرار فى الحياة التى يتمنى أن يعيشها. ولقد أظهرت التحليلات السابقة، مدى تعقد دراسة مشكلة التخطيط وكيفية تحديد مفاهيمه ومعانيه وأهدافه واستراتيجياته العامة، وطبيعة العلاقة بين التخطيط والسياسة الإجتماعية، وكيفية اعتبار كل منهما يسعى من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف والقرارات وتنفيذها ومتابعتها بواسطة المؤسسات والتنظيمات، التى تقوم بعمليات التخطيط وتنفيذ السياسات الاجتماعية.

علاوة على ذلك، إن اسهامات علماء الاجتماع والنظرية السوسيولوجية كانت متنوعة، وأثرت كثيراً على تطوير الدراسات النظرية والميدانية، وتنوع أهتمامات الباحثين والمتخصصين عند معالجتهم لقضايا التخطيط والسياسة الاجتماعية. هذا ما جاء على سبيل المثال، عند تحليل أهم المنظورات السوسيولوجية والتقليدية والمعاصرة الحديثة ورؤية أصحابها لدراسة الواقع الاجتماعى بصورة علمية، عن طريق التخطيط وإدارة السياسة الاجتماعية. هذا بالإضافة إلى إبراز مهمة علم الاجتماع فى دراسة السياسة الاجتماعية فى المجتمعات النامية، والعلاقة بين السياسة الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية، وكيفية توجيه السياسات المجتمعية للحد من الآثار السلبية لهذه المشكلات فى الوقت الحاضر والمراحل المستقبلية.

الفهرس

الباب الأول
علم الاجتماع نشأته وتعريفه وعلاقته بالعلوم الأخرى

الفصل الثالث

الباب الثانى
علم الاجتماع: النظرية والمنهج وطرق البحث الاجتماعى

الفصل الرابع

الفصل السابع
الفرد والتنظيم الاجتماعى ١٩١

الفصل الثامن
الجماعات والعلاقات الاجتماعية ٢٢١

الباب الخامس
التغير والتخطيط الاجتماعى

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر